

فصل في ذكر دخول مولانا الحسن رحمه الله بلاد صعدة

وأسباب ذلك

وذلك أنه اتفق يوم العيد في سنة إحدى وثلاثين وألف^(١) مع الدخول على طعام العيد في صعدة - تدافع بين بعض عسكر اليمن من الأهنوم وبعض عسكر خولان من الشام، فافترق أهل اليمن جانباً وأهل الشام جانباً، وكان أهل اليمن القليل، فخافوا من أهل الشام فتحصنوا في القصر ورموا جماعة من خولان وغيرهم، فحصل بين الطائفتين نحو إحدى عشر نفر قتيلاً وجرح جماعة كثيرون، وكادت المدينة وأسواقها تُنهب. وكان في المدينة الحاج المجاهد الفاضل شمس الدين أحمد بن عواض [/] رحمه الله، والحاج الفاضل أحمد بن علي بن دغيش وغيرهما من عيون الفضلاء من اليمن، والسيد العلامة داود بن الهادي^(٢) والسيد أحمد بن المهدي وغيرهم من عيون الشام، وحجزوا بين الفريقين على مشقة - وجعلوا صلحاً وكان بعده السداد والفلاح، وانفصل الفريقان وعادت الأحوال إلى الصلاح.

وفي يوم هذه القضية وهو في عيد الإفطار وقع الاختلاف بين أهل بلد النجيد ودرب العنز من وادعة، وقتل ثمانية أنفار من جملتهم طفل طعنه من غضب الله عليه فاحتمله مع الجنية لصغره.

نعم وكان حي الشيخ الشهيد المجاهد جمال الدين علي بن عبد الله الطير هو القائم على حوائج الخاصة والعامة مع مولانا صفي الدين أحمد بن أمير المؤمنين أطال الله بقاه، وكان أكثر الأعمال إليه فاتمه أهل الشام بأنه رمى وقتل منهم، وأنه مُعظم عليهم أهل اليمن، فعظمت الإحن وتكاثرت وأحب من يريد الشقاق من أهل الأغراض تقوية ذلك.

(١) ١٠٣١هـ = ١٦٢١م.

(٢) داود بن الهادي المؤيدي: من العلماء الأفاضل، له شرح على الأساس، ومن مؤلفاته (شرح الفصول اللؤلؤية) وكان شاعراً مجيداً.

(زيارة: خلاصة المتون، ص ١٢٦).

ثم إنه خرج من صعدة بعض السادة إلى بلاد خولان، فَشَوْشُوا على الرعية، وطعنوا في السيرة الإمامية لأغراض، فخرج من مشائخ خولان وكبارهم نحو من سبعين رجلاً إلى الإمام -عليه السلام- فشكوا عليه فوضع قانون المطلوب منهم، ورخص لهم في الكلام وأنسهم وأعطاهم، فعادوا وقد تصور لهم أن الإمام -عليه السلام- يجب رفع يد مولانا أحمد حمه الله فلم يتلقوا أوامره بما يحق لها فعرف إلى الإمام -عليه السلام- وكان رأيه أن يخرج عليهم، فأمره الإمام -عليه السلام- بالأناة، وعاود الإمام تعريفهم فلم يثمر ذلك، وأحوجوه إلى أن أرسل عسكرياً كثيراً فلم تصلح أمورهم بل ازدادوا تمادياً وفي كل وقت يزداد عصيانهم، ومنعوا أكثر بلادهم واقتدى بهم غيرهم واقتدى، فكاد الشام يفسد^(١) جميعه، فرجح من في صعدة من العيون دخول الإمام -عليه السلام- ووصل إليه بعضهم لذلك. وهم الإمام -عليه السلام- بدخول الشام، ثم إنه بدا له التأخير وتوجيه مولانا الحسن رحمه الله تعالى وكانت طريقه بلاد حيدان^(٢) على سبيل الاقتضاب، ولا يظن خولان أن طريقه إلا صعدة، فلما وصل إلى بلاد حيدان [/] ومعه عيون السادة والعسكر المنصور بالله ما يدنو من الألفين، ولما استقر في حيدان وصله أعيان خولان والعسكر وبسط لهم جانبه ولسانه، وسارعوا إليه ولم يبق إلا القليل، ثم طالبهم بالحقوق وما عندهم من العوائد، فبعدوا عليه وطمعوا فيه، فما شعر إلا وقد نقضوا ذلك، وأغاروا على أطراف المحطة. وقد خرج مولانا أحمد ابن أمير المؤمنين أطال الله بقاءه من صعدة بعسكر ضخم وما يحتاجوا إليه، وسار إلى ساقين وجموع خولان ناصبون الحرب على مولانا الحسن رحمه الله، فأرسل إلى أخيه صفي الدين والسيد الرئيس أحمد بن المهدي ومن معها بالصعود إلى وشحة أعلى بلاد خولان، ولما عرفوا أن جنود صعدة من فوقهم فشلوا، ثم خرجت عليهم العساكر الإمامية من حيدان فهزموهم وفرقوهم والقتل قليل لأنهم لم يثبتوا للحرب، فدخل العسكر المنصور شعب حي وهدموا دورها وانتهبوا ما فيها، وأحرقوا بيوت من دخل في الفساد

(١) في (ب): يتئل.

(٢) حَيْدَان: بلدة مشهورة غرب مدينة صعدة وهي مركز قبائل خولان بن عامر.

(المقضي: المعجم، ج ١، ص ٥٤٢).

وطاروا على وجوههم. وقد امتلأت أيدي العسكر من الغنائم وامتلات نواحي حيدان من الأنعام، وأرسلوا إلى الإمام -عليه السلام- كثيراً منها. فلما رآها قد ملأت جوانب بيته في درب الأمير تأوه وقال: والله لقد أبلغت المجهود في الصبر عليهم، ولقد راسلتهم تسعة أشهر وهم يزدادون في كل وقت عصياناً. وكان الشيخ قاسم بن محمد بن روكان رأس الفساد، فانكسرت رجله من أعلى ركبته حال الهرب. ثم استأمنوا فأمّنهم وصلحوا، وتفرق العسكر في بلادهم على الحقوق والعوائد التي أخذوها، فعاد مولانا الحسن رحمه الله ومولانا الصفي أطال الله بقاءه إلى ساقين، وقد غلظ عسكرهما حتى بلغوا خمسة آلاف. ولما استوفوا من خولان ما يجب عليهم التفتوا إلى غيرهم من شام صعدة ومشارقها ونجران وجهاتها، وأمنوا السبل في جميع الجهات، ثم عاد إلى صعدة المحروسة بالله وظاهر الحال عند أهل الشام أن الولاية لمولانا أحمد وإنما مولانا الحسن -رضوان الله عليه- باق حتى يصلح الشام والإيراد والإصدار في جميع البلاد إلى الحسن -رضوان الله عليه- ولا يقولون إنها لمولانا أحمد كلام في محضر أخيه لعظيم حقه [/] ولأنه أكبر منه سنًا. فوصل من مولانا أمير المؤمنين -عليه السلام- هذا العهد لمولانا الحسن ابن أمير المؤمنين رحمه الله تعالى فكتبه أياماً حياً من أخيه ثم إنه ظهر ذكره، ولما عرف مولانا أحمد امتثل واكتفى بأخيه وكان كما ينبغي من مثلها، وكما يليق بشريف منصبها من التعاون ورعاية الحقوق وهذا لفظ العهد:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على رسوله الكرام.

هذا ما أعهده إلى الصنو السيد المقام شرف الدين الحسن ابن أمير المؤمنين حفظه الله تعالى، وأنا أسأل الله أن يشرح صدره، ويتولى توفيقه وتسديده وتيسير أمره، فإنه إذا حفظ عهدي هذا واعتمده، وراعى ما فيه وتفقدته كان منه إن شاء الله على خلق عظيم، وهداه الله به إلى الصراط المستقيم، وذلك أني أوصيه في خويصة نفسه بتقوى الله تعالى، وترك مناهيه وإيثار طاعته في جميع ما يتركه ويأتيه، وأن يتواضع لله سبحانه وتعالى ولمن أوجب الله حقه، ولا يتعالى على مسلم، ولا يتناول على أحد من الخلق، فما منهم إلا من جعل الله له واجب

حق، وهم طبقات أولهم وأولاهم: أولو العلم فراع حقهم بالتوقير، والتميز لهم بالإجلال عن الجم الغفير، وإزالة ما شجر بينهم من الخلاف بما تعلمه من مذهب إمامك، الذي عرفته في سائر أيامك، وزين بهم صدر مجلسك، فإنهم أبهى من جميل ملبسك، فإننا روينا عن لقمان الحكيم - عليه السلام - أنه قال: «يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتك فإنها إن تنزل لهم بركة أو رحمة تشملك معهم، ولا تجالس الجهلة والسفهاء فإن نزل بهم بلاء أو غضب يُعمك معهم».

كذلك أهل الدين عليك أن تلتطف بهم وتعظم حقوقهم تقرباً إلى الله بهم فإنهم أولياؤه، وبعّد عن مجلسك أهل الفجور والفسوق والمجون، فإن ذلك مما نَزّه مجلسك ويصون، وإن كل امرئٍ منسوب إلى أخلاق قرينه، فابن أمرك على الجد غير مما ذق فإن القصد هو رضا الواحد الخالق وتخلق بخلق آبائك - عليهم السلام - وصمم في الأمور تصميم الحسام لتفوز إن شاء الله [1] بالمقصد السنّي فإن رسول الله ﷺ قال: «لست من ددٍ ولا ددٍ مني»^(١).

ثم ولاة الأعمال وكفاة الأئمة وثقة الأمة وأرباب البيوت القديمة والأحساب الكريمة، فقرب مجالسهم^(٢) وارفع منازلهم واقبل شفاعتهم، واسعف سائلهم ما لم تضيع بذلك حداً أو تغير حكماً أو تُفسد السياسة الصالحة رسماً، ثم عليك أن تحسن صحبة من معك من الجند وأن تكثر عرضهم لا سيما في كل اثنين وخميس، وأن تعظم الأنجاب الأنجاد منهم وتنزلهم منازلهم وتوفيهم مقاديرهم، وليكن ذلك وما يصير إليهم من العطاء على حسب ما لكل من الصبر والبلاء، لا على قدر المحبة والهوى، وكف من معك من الجند والحاشية عن التخطي إلى ظلم أحد من الرعية أو مساءتهم بأذية، وتول إمامة جماعتهم، وحافظ على أوقات الصلوات المعلومة وأحيانها المحتومة، وعلى ما لها من الشرائط من مثل ترتيل القراءة واستماع الخطبة، ووضع كل شيء موضعه، ثم الرعية فإذا قدمت على السلامة فأكد على من تقدم عليه الأمر بإقام الصلاة وأعظمها صلاة الجمعة، فإن كثيراً ممن لا يعذره الشرع يتساهل فيها.

(١) روي في كتاب أنوار التمام: أحمد بن يوسف زبارة، ج ٥، ص ١٨٩، ملحق كتاب الاعتصام للإمام القاسم.

(٢) في (ب): مجلسهم.

وإيتاء الزكاة، ثم اجعلها في دار، والفطرة في دار أخرى، ثم الإصحاح لهم بالأمر بالمعروف على مراتبه، والنهي عن المنكر على شرائطه، وقرر عندهم أنه ليس أحد فوق أن يؤمر بطاعة الله، ولا دون أن ينهى عن معصيته، وأن النجاة والسلامة في متابعة أهل البيت -عليهم السلام- في أقوالهم وأفعالهم، وأن الإمام هو الذريعة إلى ذلك، والسلوك في سبيل طاعته، هو أئمن^(١) المسالك، فعرفهم ما أوجب الله من حقنا وأكد من وجوب محبتنا، وما ألزمه الله سبحانه من معونتنا التي هي معونة لهم في الحقيقة بالنفس والمال، والوقوف على حدود أوامرنا ومراسمنا في جميع الأحوال، واعلمهم بحسن رأينا فيهم وتوجيه الصلاح وإيثار الإحسان إليهم، والعدل فيهم ودفع الضيم عنهم، وعلمهم أن يسلموا حقوق الله من الأموال على وجوهها، لا يغفلون منها شيئاً، وأن الله جعل الفرائض في المال قسمين: قسم لا يسقط بحال مع وجوده وهو عُشر ما أخرجت الأرض، وربيع عشر ما يتقلب فيه التجار، وقسم: يأخذه الإمام في بعض الأحوال [/] وهو هذه المعاون ويدعه في بعض، فإن هذه المعاون يجب على الإمام أن يكثر من أخذها عند شدة الحاجة، ويقل عند قلتها، ويترك عند عدمها، فمرهم بأداء الزكاة وهذه المعاون لا تغلوا منها شيئاً، وأن من سلمها بطيبة من نفسه استحق بها رضوان الله وثوابه، وأكرم لديه مأبه، وآمن عقابه. وأن من امتنع فخذها منه كرهاً، ويكون ثوابها لنا وعقابها عليه، وقل لهم: إن الإمام أمرنا أن نأخذ العشر مما أخرجت الأرض من قليل وكثير، ولا تعتبر نصاباً ولا تراعي قدر معلوماً إلا في مقدار ما يعطي الإمام بعض مصارف^(٢) الصدقة كالفقراء فيعطيه إلى قدر النصاب فقط. وعليك أن تمنع منهم الظلم والتهاجر، فإن وقع والعياذ بالله نصرت المظلوم حتى يستوفي حقه ويصل إلى غرضه وحقرت الظالم وأدبته إن تمادى في طغيانه وعلى قدر جرمه وإساءته. ومن فعل معصية مما يوجب الجلد جُلْد، ومن استحق القطع قطع بعد التبصر في أمره وتظاهر فتوى من أهل الورع باستحقاق ذلك، وإن استحق القتل بالفساد في الأرض قتل وما أشبه ذلك من هذه

(١) الكلمة غير واضحة وما أثبتته اجتهاد مني.

(٢) مصارف: ليست في (ب).

الأشياء. وعلى من ينتصب قاضياً رفعتكم ذلك إلينا لأنمركم فيه بحكم الله فإن الله لم ينزل حكماً يجب علينا ويدخل تحت تكليفنا إلا وقد دل عليه. ونأمرك أن ترد على أمر القضاة كل مبيع يبيع بدون قيمته كبيع الرهان ونحوه، وكذا غلته، وأن يقصر المشتري على قبض مثل ثمنه، وكذا الإقرارات التي علم أن قصد صاحبها غير ظاهر قوله، كما في مسائل السلف والمشاعرة لكل رأس ماله لا تظلمون ولا تظلمون. وأعلمهم أن المعاون التي تطلب لو علمنا براءته ذمة الناس وتخلصهم عن المظالم والحقوق جملة. وعلمهم بالشرعة في المواريث وفي المعاملات بترك الربا الذي هو من أعظم الكبائر لكان علينا أن نأخذها منهم للدفاع عنهم، كيف والحال هذه وأن الواحد منهم إذا حافظ على حق وتخلص منه أحل بآخر، والأكثر منهم مُحل بالجميع، وحيث قد تعين أخذ شيء منها، فإننا يؤخذ للدفاع فيوضع في أهله وهم المتجندة، أو يعدلهم لتسكن نفوسهم إن ناب شيء والعياذ بالله فلا حظ فيها لغيرهم من سائر المصارف من أهل العلم وسائر المساكين [/] بل كل من وجد من هؤلاء، فإنه مأمور بتسليم القسط من ذلك من إمام أو مأمون أو قاصٍ أو دان.

وعلى ذلك مضت السنة النبوية فإن الرسول ﷺ هم بإعطاء الأحزاب ثلث ثمار المدينة، ومن لديه من المساكين يتضورون، فقدم المصلحة العامة وهي الدفاع على الخاصة، كما أعد إبل الصدقة التي استاقها العرنيون^(١) وقد أمرهم أن يخرجوا إليها ليشربوا من ألبانها وأبوالها، فأقاموا حتى خصمت^(٢) بطونهم وانطوت الحبا^(٣) فإنه ﷺ تركها مدة لما ينوب من إجازة الوافد ونحوه، وأهل الصفة نحو أربعمئة يزيدون قليلاً أو ينقصون قليلاً يتضورون ويرضخون النوى بالأجرة. ومن ذلك أن الرسول ﷺ أخذ مال الغنيمة يوم خيبر وتألف به وليس له منه إلا سهم على ما اختاره أهل المذهب.

(١) العرنيون: قوم ارتدوا في عهد الرسول ﷺ فقتلهم الرسول. (ابن منظور: لسان العرب، ج ٩، ص ١٧٥).

(٢) خصمت: خص الخمصان الضامر البطن، وخص الحشا أي ضامر البطن.

(ابن منظور: لسان العرب، ج ٤، ص ٢١٩).

(٣) الحبا: حبا الشيء دنا، وحبب الأضلاع إلى الصلب. أي اتصلت وتدانن، ويعني اتصال رؤوس الأضلاع بعضها ببعض. (ابن منظور:

لسان العرب، ج ٣، ص ٣٥).

وبقيت طائفة وهي وإن تأخرت ذكراً فهي مقدمة قدرأ وهم الضعفاء والمساكين من الأيتام والأرامل فلا يُضاع حقهم، ولا يُنسى ما أوصى الله ورسوله ﷺ فيهم - وما أمر به من إكرامهم والتحنن والصدقة عليهم، فإن بهم يُستدفع البلاء، ويُستنزَل القطر من السماء، وتُنقش جلايب البلوى، وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «صدقة المرء المسلم تزيد في العمر وتمنع ميتة السوء ويذهب الله بها الفخر والكبر»^(١).

وهم الذين يُستدل بالإحسان إليهم على السعادة، وبضد ذلك والعياذ بالله على الشقاوة، أعاذنا الله وإياكم منها. ثم عليك أن تجعل الأناة نصب عينيك، وشعار قلبك الذي بين جنبيك، وأن تستظهر بآراء ذوي التجربة الذين كثرت عليهم المحن، وقلبوا الأمور ظهراً لبطن. وأن تستشير كلاً منهم على انفراده، فإنه أحرى أن يفيض إليك خلاصة اجتهاده، فإن اتفق رأيهم فقد صار الخطأ مأموناً ونهج الإصابة معلوماً لا مظنوناً، وإن اختلفت الأنظار وتفاوتت فيها الأقدار، رجعت إلى الله سبحانه وتعالى فاستخرته فهو نعم المستخار، وأخذت بما يوجب العفو والأناة، ولتكن المشورة مقدمة أعمالك والصفة الغالبة عليك في جميع أحوالك، حتى فيما لا مشورة فيه من مأكَل ومشرب، وما شاكلها من مقصد [/] ومأرب، ووطن نفسك على الأخذ بهذا الأدب الذي حث عليه العقل وندب، ورجب إليه من ساس الأمور وجرب، وليتقرر عندك أن الخير في مجانبة الهوى، فالله تعالى يقول لنبيه داود - عليه السلام -: ﴿يَبْدَأُ دُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۗ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [:]^(١).

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [: -].

(١) رواه الإمام القاسم بن محمد في كتاب الاعتصام، الجزء الثاني، ص ٢٩٩.

(٢) في (ب) زيادة هذه الآية ﴿فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ ۖ وَكَرَّ الْهَوَاۥ الدُّنْيَا ۖ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٣٧-٣٩].

والزَم الصبر فإن الصبر مفتاح الفرج، ومنزلته من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ولا تترك طلب العلم فإنه فريضة عليك مسلم، وعليك منه بالأهم فالأهم، فهو كما ذكر الإمام المهدي -عليه السلام- في خطبة البحر الزخار: «فإن العلم صار مديداً طوره، قعيماً غوره، حيث تشعب كل فن منه فنوناً، وانبجست كل عين منه عيوناً، وليكن باطن أمرك كظاهره بل أحسن، فإن السريرة المحمودة بين العبد وربّه هي^(١) ملاك الخير وقوام الأمر، ويجازى عليها صاحبها بالتأييد والنصر، وعليك بكتمان السر عن كل أحد فقد قال جدك علي -عليه السلام-: «من كتم سره كانت الخيرة بيده، ومن أفضى سره كثر المتأمرون عليه»، وإياك أن تعجل بإشكاء الشاكي قبل معرفة ما عند خصمه، وإن زين مقاله وحسن كلامه، ثم ليتقرر عندك أن الله سبحانه وتعالى لما ولانا أمر عباده واستخلفنا في بلاده وأصدق^(٢) مقالته: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [: -] .

فإنه لا محالة سائل لنا عن ذلك وكلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته، والسائل لا بد له من جواب، فعلينا أن نعد جواب هذا الخطاب ليوم الحساب، وإن إمامك مستعذر بك إلى خالقه عند السؤال، فكن حيث ظن بك إمامك إن شاء الله تعالى. وعليك أيضاً أن تنظر في صلاح معائش رعيته، فمن ذلك تقرير التجار والتخفيف عنهم وعدم إيجاشهم لطلب شيء مما في أيديهم فقد قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ ۗ إِن يَسْأَلْكُمْ مَّا فِيهَا فَخِفْكُمْ تَبَخَّلُوا وَبَخَّرْ أَصْغَنَكُمْ﴾ [: -] .

وهم أشد الناس حرصاً وأعظمهم شحاً، حتى إنهم ليخاطرون بأنفسهم في السير. ومن ذلك تأمين سبلهم، وتسهيل مرافقهم ومكاسبهم، وإزالة [/] الرسوم الجائرة والأوضاع المخففة عنهم إن شاء الله تعالى، والله ولي التوفيق والهداية إلى أئمن^(٣) الطريق.

(١) ليست في (ب).

(٢) في (ب) بعد كلمة أصدق: فينا.

(٣) في (ب): أئمن وأقوم.

قال في تاريخه حرر في شهر ربيع الأول سنة ١٠٣٢هـ^(١).

ومع وصول مولانا الحسن رحمة الله عليه صعدة المحروسة بالله، وصلت التهاني بخروجه من صنعاء من أهل الإجازة، فكان ممن تكلم السيد البليغ المقول عز الدين محمد بن عبد الرحمن المؤيدي رحمه الله تعالى فقال:

رايات مجدك يا ذا المجد والجود
قد أعلمت علمي نصر وتأيد
وشمس عليك لما أسفرت ذهب
أنوارها بدياجي الغمة السود
الناس أنت وما في الناس مثلك لا
وشاهدي كل مسموع ومشهود
إلا بنو قاسم ما فاتهم أحد
وكل ما فيه فيهم غير مفقود
منهم إمام عظيم طاب محته
أصلاً وفرعاً بوصف غير محدود
إذا رأته بنو الزهراء قاطبة
قاموا قياماً وحلوا كل معقود
وإن دعاهم إلى الهيجاء ما لبثوا
بعد الدعاء ولبي كل من نوذي
ومنهم سيده آل النبي معاً
شمس الهدى وصفني الدين ذو الجود

(١) ربيع الأول ١٠٣٢هـ / يناير ١٦٢٣م.

بندراً كمالٍ وليثاً كل ملحمة
بحر انوالٍ يفوقا كل مورود
والله ما نام خصم هم له خصم
ولا ينال سوى همٍّ وتسهيد
ياسيدي شرف الإسلام معذرة
إن قلّ ياسيدي جهدي ومجهودي
لا خيل عندي أهديها لمقدمكم
وهل تجوديد إلا بموجود
لكن لسانني ستهدي من مطارفها
أسنى رواق على عياء مكودود
أبكار فكر مصونات تهيم بها الـ
أرواح تهبها بالغادة البرود
من كل قافية عنراء غانية
عن الحلي وترجيع الأغاريد
كمثل أجنحه الطاووس زينها
مديح أروع شهم القلب صنديد
حامي الذمار إذا أسد الوغى اخترطت
ضرباً وصبت عليها نسج داود

عرج به تلق قلب الليث في جسد الإ

نسان قد صيغ من مجد ومن جود [/]

ليث إذا اعتقل الخطي منصلاً

في سابع من لبوس الحرب مسرود

والتاف بيضته كالشمس طالعة

تراث قحطان كانت قبل من هود

خرت لصارمه الأعناق خاضعة

على الصعيد ولم تهمم بتصعيد

أقول فيه الذي عاينت فيه ولا

أعزو إليه فخاراً غير مشهود

سل قصر صنعا وصنعا عن فتاكته

ورأيه وفؤاد غير مفؤود

ليخبرك بفعل ليس يدركه

سوى همام سديد الرأي صنديد

وافى البشير ببشرى وصله فسرى

رياه مثل نسيم الورد والعود

واهتز من طرب عطف الصفي به

ودب فيه سرور غير معهود

أضياء نوراً فجلى كل مبتهم
وعم للبشر كل الناس بالجود
هناه بالوصل مجبول الوداد له
متين جبل بليف الود مشدود
فلست أحصر ما أولاه من كرم
فعالاً وقولاً عظيماً غير معدود
كفاه ربي مكافأة وأيـده
ولم شملكم من غير تبديد
وهو الجواد الذي إن فاض نائله
لم يستوسفن اقتار على الجودي
لازلم في سرور دائم خضل
ما غرد الطير شجواً فوق أملود
ذا والصلاة على المختار أحمدالـ
—هادي إلى نهج إخلاص وتوحيد
والآل طراً وأهل الحق أجمعهم
وابعثه أسنى مقام منك محمود

وغيرها من التهاني، وامتدح بقصائد من أهل الإجابة، ووفده الوفود من النواحي المتباعدة، وكانت أحواله في صعدة المحروسة بالله على ثلاث حالات:

الحالة الأولى:

حالة التفرغ للعلم والإكباب عليه وأوقاته الموظفة له، فكان أوقات القراءة قبل صلاة

الصبح وبعده إلى طلوع الشمس قراءة القرآن، ثم يحضره أهل القراءة في مقصورة فيقرأون إلى أن يكمل الغداء، ثم يصلي الظهر مستمراً في الجامع الهادوي ويقراء فيه حتى يصلي العصر لمثلين ما بين العشاءين حزب قرآن يُسمع عليه القراء، ثم بعد خروج الأعيان [/] من العلماء وعيون الوفود لا بد من وقت يسير في الحديث.

الحالة الثانية:

في نظم الأعمال والنظر في حوائج الرعية، ومن يفد إليه ويرد عليه من بعد الغداء إلى قريب الزوال، ومن بعد العصر إلى قريب الغروب.

الحالة الثالثة:

النظر في الأطراف والجنود وأرزاقهم، والشدة على أهل الفساد وقطاع السبل، ولقد غزاهم مراراً، وقتل منهم أنفاراً، فدانت له الأطراف وقل عليه الخلاف، ووصله من بوادي البصرة وغيرها من وصل، ومن ذلك أنه احتاج الخروج إلى شهارة المحروسة بالله (في شهر شعبان) (١) عام أربع وثلاثين وألف (٢) واستخلف صنوه الصفي أطال الله بقاءه، وكانت الثمرة في أول حضورها فتساهل مولانا أحمد في حفظ الطعام وما يحتاجه أهل الوظائف والحاجات من المصارف، فحصل في تلك الأيام وهي آخر سنة أربع وثلاثين وألف جراد أخذ ثمار صعدة ومخالفها.

ووصله (٣) إلى شهارة المحروسة بالله كُتِبَ خواصه بأن الصواب بقاكم هذه الأيام حتى تقرب ثمرة القياض (٤)، فلما أتم أعماله في شهارة تودع الإمام -عليه السلام- ووصل صعدة المحروسة بالله وقد تعطلت مخازينها لما سبق. فجمع العسكر المنصور وأخذ ما يحتاج إليه،

(١) ما بين القوسين ليست في (ب).

(٢) شعبان ١٠٣٤هـ / مايو ١٦٢٤م.

(٣) في (ب): حتى وصل.

(٤) ثمرة القياض: من المواسم الزراعية الشتوية في المناطق الباردة في المرتفعات، ويزرع فيها القمح والشعير والبقوليات (القليل).

د/المجاهد: أسس زراعة المحاصيل الحقلية في ج. ي، ص ٩٠.

وقد جعل العيون وبث العطاء في أهل مشارق أملح^(١) ثم خرج بنفسه وقد قسم عسكره طائفتين حتى وصل واسط المعتاد وصول الدولة إليه ولا تعداه ولا عرف أهل المشرق أنه يريد غيره وفيه ثمرة ليست بالكثير، ثم غزا إلى وادي العمالسة^(٢) وهو واد عظيم كثير الآبار يشبه نجران فيه قبائل من دهمته^(٣) طعام لا يعرفون لله سبحانه حكماً ولا يجرمون له محرماً.

ولقد روى عنهم حالة عظمى منها: أن المرأة تخرج من زوجها متى شاءت وتتزوج من شاءت بيومها، ويجعلون قطع الوادي عدتها. وأما الواجبات فلا يعرفون وجوبها ولا يعرفون النقود وإنما بيعهم وشراؤهم بالحبوب لا غير، وغالب حبوبهم السمراء نوع من البر وفيهم المحتكرون للطعام. فوصلهم بغتة. وقد جعل أدلة ودس إلى مشائخ باديتهم من جهة برط [/] خشية أن يمدوهم، فلما وصل أظهر لهم أنه ضيف لهم ماض إلى غير بلادهم. وقد أرسلوا المصطرخين^(٤) إلى جهات المشرق، فأرسل معهم ممن معه من أهل المشرق يخبرهم أنه ماض إلى غير تلك البلد ضعفاً وللضيف عندهم حق لا ينكرونه، ثم ضرب خيامه في جانب الوادي بحيث لا يصله البندق من الدور فإن في الوادي المذكور دور مانعة من أعلاه إلى أسفله وطوله قريب من مسافة يوم. ولما سكنت ثورتهم طلب مشائخهم وأمرهم أن يقسموا العسكر خطاطاً^(٥) للضيافة فأمنوا واستبشروا وسارعوا. وقد أمر كبار العسكر أن يقتسموا نصفين: نصف يبقى في المحطة ونصف: يسير معهم، وإن أمر ظاهراً بمسيرهم فلا يفعلوا، وجعل على كل طائفة رئيساً وعهد إليه أنهم يحتالون في دخول الدور، ومن طلع داراً مما قرب

(١) أملح: واد كبير في شرقي صعدة ويقع ضمن مديرية كتاف. (المقضي: المعجم، ج ١، ص ١٠٣).

(٢) وادي العمالسة: في وادي أملح محافظة صعدة، غرب نجران، كثير الآبار، ويشبه وادي نجران. (د/ سيد مصطفى سالم: مراحل العلاقات اليمنية السعودية، ص ٤٢).

(٣) دهمته: قبيلة كبيرة تنفر من قبائل شاكر أحد بطون بكيل الهمدانية. وأشهر قبائلها ذو غيلان أهل برط والجوف، وآل سليمان، وبنو نوف، والمهاشمة في برط والجوف، وآل سالم، والعمالسة، وآل عمار شرق مدينة صعدة. (المقضي: المعجم، ج ١، ص ٦٢٧).

(٤) المصطرخين: لعله المنادين بين القرى والعزل المختلفة للإبلاغ عن أمر ما.

(٥) خطاطاً: من الكلمات المحلية وتعني أن يدفع الإمام قبيلة ما للهجوم على أخرى لتقييم لديها إقامة كاملة حتى تعلن الأخيرة طاعتها للإمام وتدفع ما لديها من متأخرات مالية.

للمزيد انظر: (د/ سيد مصطفى سالم: وثائق يمنية، ص ١١٦).

من المحطة عَشْرَ^(١) بالبندق ففعلوا وضبطت البيوت المقاربة للمحطة. وقد افترق جمعهم لاشتغالهم بالعسكر وبقي العسكر في مواضعهم وهذه الدور مملوءة برأً وشعيراً وغيرها فإنما يجعلونها مخازين ويجعلون فيها رتباً، ثم أطمع كبارهم وأحسن إليهم وأرسل من قبض الزكاة في ذلك الوادي فكانت فوق الخمس مائة الزبدي، وجعل سيقاها إلى واسط في أملح مع عسكر وقبائل حتى استقصى منهم الزكاة، ثم عمد^(٢) إلى الدور فأخرج الحبوب المجموعة. وقد أعطى أهل المشرق كثيراً منها، وأعطى أهل الوادي من بعضهم بعضاً وأخذ أكثرها عقوبة وللربا الذي هم عليه، وكسبوا منه حتى أخذ الوفاء من ذلك وهو مع ذلك يكسو أهل المشرق ويتألفهم ولا يعرفون الكسوة، فكان يعطي الأربعة ثوباً والثمانية ثوباً ونحو ذلك^(٣). ثم أخذ منهم رهائن بالطاعة وتسليم الزكاة وأن يدخل بلادهم الفقهاء ومن يعرفهم الواجبات ومدة بقاءه لا يزال اللاحق به من صعدة وبلادها. ثم عاد وقد ملأ المخازين في صعدة وأعطى أهل الحقوق عوائدهم وزيادة. وكان مكتوباً على صخرة من طريق أملح مما كتبه بعض أهل المشرق بلسانهم إذا لك عقل وأنت تفرق فأبي رزق قد جاء من المشرق يريدون [٧٣/أ] تنفيذ الملوك عن بلادهم وأن لا يطمع فيها، فلما عاد مولانا الحسن رحمه الله تعالى بها ذكر، أمر أن يكتب تحته على ذلك الأسلوب (إذا أنت لا تفرق لقد جئنا بالرزق من المشرق وضرينا للعدو المفرق)^(٤).

نعم وكانت دور العمالسة في ذلك الوادي قريباً من خمسمائة دار وهذا الوادي يشتمل على آبار كثيرة، ثم أرسل للإمام -عليه السلام- بحصته الوافرة من هذه الغنيمة. وبعدها الخرجة الكبرى إلى بلاد فيفا من مغارب نجران فإنها بلاد واسعة وعن الشريعة الغراء وأحكامها شاسعة، ولهم جهالات تنزه منها الطروس، ولا قد دخلتها دولة إلا أيام الإمام الأعظم شرف الدين -عليه السلام- احتال لفتحها ولده السيد الفاضل عز الدين ابن أمير المؤمنين

(١) عَشْرَ بالبندق: أي أطلق الرصاص.

(٢) في (ب): عهد.

(٣) في (ب) وضع الناسخ بعد ونحو ذلك حاشية: (واطلع على ما ذكر).

(٤) ما بين القوسين ليست في (ب).

رحمه الله. ومن قبيح جهلهم أنهم يرقدون نساءهم مع الضيوف إكراماً لهم على جهلهم، ولا يقبلون من الضيف إلا ذلك، ويخبرونهم هل بكر أو ثيب وغير ذلك من الجهالات. ولا يكادون يعرفون صانعاً حكياً، وهم قبائل متعددة من بني مالك وأهل حنش^(١)، وآل كثير، وآل سلمة، وآل علي، وآل سعيد، وآل خالد.

وأما أهل فيفا فهم آل شراهيل، وآل مغامر، وآل ظلمة، وآل علي بن عمر، والأيتام الجبل، والأيتام السهل، وآل الحرب السهل، وآل الحرب الجبل، ومدر، وتنقسم كل قبيلة إلى قبائل، فأهل الحجر فهم آل بمعنى آل عبد الله وآل التوبع وآل مشينة وآل أبي الحكم، وكل قبيلة من هؤلاء تنقسم إلى قبائل.

وأما أهل معتقة فهي ثلاث قبائل: آل حسن، وآل عمر، والمعاقلة، وأكثرهم في الأصل فقهاء مذهبهم شافعية.

وأما بنو مالك وأهل فيفا فما لهم مذهب ولا يعرفون شيئاً من أمر الإسلام ويزعمون أنهم مسلمون. وقد تقدم ترقيد نساءهم مع الضيوف، وأما عقد النكاح فلا يعرفونه بل إذا علقتم نفس أحدهم بمرأة اختلف إليها في البيوت والمراعي ظاهراً، ثم كذلك حتى تحبه ويجبها، ثم يكلم أهلها أنه راغب إليها فيدخل ويخرج ويبيت عندها إلى أن تصير حبل منه ثم يشترطون [/] عليه ما شاءوا من بقر أو غيرها ولا عقد غير ذلك. فتجهز من صعدة المحروسة بالله في سنة خمسة وثلاثين وألف^(٢) وقد جمع عسكرياً كثيراً أقله من اليمن وغالبه من بلاد صعدة، وصحبه عيون كالسيد الأكمل شمس الدين أحمد بن المهدي وغيره حتى انتهى إلى بوصان من بلاد بني جماعة^(٣) وأعلى من بني خولي وبلاد تسنم، وهو جبل عال مشرف على بلاد فيفا

(١) بني مالك: هم الفرع الثاني من قبائل سحار إحدى بطون خولان بن عامر في صعدة، وذلك أن قبائل مالك فرعان رئيسيان هي مالكي، وكليبي (بنو كليبي). وأهل حنش هم أهل القصبة.

(المقحفني: المعجم، ج ٢، ص ١٣٩١).

(٢) ١٠٣٥ هـ = ١٦٢٥ م.

(٣) بنو جماعة: من أكبر قبائل خولان بن عمرو، مساكنها غرب مدينة صعدة، مركزها مدينة مجز.

(المقحفني: المعجم، ج ١، ص ٣٤٨).

وبينهما يوم للبريد المسرع ويومان لغيره. ثم غزا من بينه وبين تلك البلاد حتى صلحوا ووصلوا إليه وأخذ رهائنهم وأحسن إليهم وأعطاهم ما لا يعرفونه من غيره حتى صلحوا. ثم أرسل المحاط مع عدة من أصحابه كالسيد عز الدين محمد بن أحمد ابن أمير المؤمنين، والشيخ المجاهد علي بن شمسان وغيرهم، والسيد المجاهد يحيى بن لطف الباري وغيرهم. وجعل السيد المقام أحمد بن المهدي ومن لديه قريباً منهم فلا زالوا حتى فتحوا البلاد المذكورة عنوة. وقد قتلوا منهم كثيراً ولا يعرفون البنادق فكانوا إذا أصيب أحدهم برصاصة^(١) سدوا موضع الرصاصة بالحجر والعود إذا لم يجدوا الخرقه. ولما استقرت العسكر في أعلى جبالها في حصنها المعروف بالعنسية، أخذوا منهم الحقوق والمعاون وما وجهه عليهم وجل دراهمهم المصري. ولهم أسواق وبلاد تتصل بتهامة فحصل منهم أموال كثيرة وحقوق واسعة، وفيها غدروا بالعسكر المنصور وقتلوا جماعة نحو الثلاثين نفر وقتل منهم كثير. ثم أخذت رهائنهم وبقي -رضوان الله عليه- في هذا الموضع واجتمع له أمداد كثيرة حتى عاد إلى صعدة المحروسة بالله.

ومنها خرج اليمن كما سيأتي إن شاء الله تعالى، وكان أهل الشام يرون أن من عمّر في بوسان^(٢) من ذلك الموضع لا يرجع منه إلا لحصار صنعاء وكنا نسمع ذلك في صعدة، فكان كما قالوا والله أعلم.

وكان لهذا الفتح موقع في قلب الولي والعدو والقريب والبعيد، وهول بالفتح المبين أفواه المتكلمين، وهو كما قالوا وإنما عظم السامع الأموال. قال لي بعض من صار [/] إلى جنود الحق من أعوان الظالمين أنه لما بلغهم ذلك قالوا: هذه الأموال التي حصلت لهذا الرجل وقد عظموها وكثروها فتحت على السلطنة باباً ولمجاهدتهم أسباباً أو كما قال. ووصلت أشعار في ذلك من أهل البلاغة وقال فيها كثير ممن في صعدة، فممن كتب في

(١) برصاصة: ليست في (ب).

(٢) بوسان: واد في مديرية مجز بالغرب الشبالي من صعدة. فيه قرى ومزارع لقبائل بني جماعة من خولان.

(المقضي: المعجم، ج ١، ص ٢٠٤).

ذلك السيد العلامة الأديب صلاح الدين صلاح بن عبد الخالق الجحافي رحمه الله فقال:

بسم الله الرحمن الرحيم

أصبح الحق مستنير الضياء

معرباً عن مسرة وهناء

عابقاً من سيف ينشق ريحاً

هو أذكى من مندل وكباء

وغدا الدهر باسم الثغر تسري

في أسراريره سنى الآلاء

وتبدت سواجع الورق تشدو

راعيات على فروع الأشائي

وتردت مطارف الوشقى في الأ

رض فهاست في حللة خضراء

ومددت الأكف بالحمد والشك

رملولي جلائل النعماء

حين وافى البشير عن حسن ذي

المجد محيي معالم العلياء

ذا الفخار الأثيل والسؤدد العد

مروياً للقناة يوم اللقاء

أسد الغاب مشبه البدر في الـ
أوج تبدي في الظلمة الدجاء
ضاحك الثغر حيث تشجر السمر
ويلقى كتائب الأعداء
مستتير الجبين إذ سال العـ
سرق^(١) سخي الأكف بالإعطاء
جاء عنه البشير أن قد أفاء
الله على جيشه قرى فيفاء
قلعة في السماء لا يرتقيها
عبر فيحاء لقوة شعواء
لم ينالها من قبله أحد قط
وهل نال مبتغي الجوزاء
هي أعلا من حصن كيفاء شأناً
أين فيفاء في الحسن من كيفاء
فتحتها عناية الله بالملك
وتصميم هممة قعاء
فتطأ طأله ذراها وألقت
ما بها من بيضاء ومن صفراء

(١) في (ب): يسأل العرب.

وأطاعت بطوعها عـرب يـحـ
ـرج من كثرة عن الإحصاء
لم تدبر أقطارها دولة الروم
ولم تدر ما هدى الخلفاء
أحسبته الأعراب تشبه عنها
إنها المنزل القصي النائي
وحروب جرت على عدوها
منهم منهل الوشح الضياء
وأتاه جماعة أظهروا الظـ
ـوع يسرون حسوهم في ارتغاء [/]
طلبوا طلحهم ولاة وإن
فتخيروا أن لا تخين بقواء
ورماهم أبو محمد القرض^(١)
بكم من كفيه جلاء
تناظري الحديد في^(٢) جانبيها
كبروق الغمامة الكدناء

(١) أثبتتها في (أ): القرض، ولكنه كتب فوقها: ظ أنها: القرم، وهكذا جاءت في (ب).

(٢) في (ب): من.

فأنته أرباضها بزكاة الـ
مال من حامل مستأمن ومشاء
وأقاموا الصلاة وانخرطوا في
سلك عقد الجماعة الحنفاء
ودروا ما الإسلام حلاً وتحريماً
وتابوا من موجبات الجفاء
هكذا فلتنكح مساعي أولي الخير
تضاهي مساعي الأنبياء
تغرس الـدين ثم تبقى تراثاً
كـتراث الآباء للأبناء
فجميع الأولى اهتموا بهـداهم
لهم من أجرهم بالسواء
ياسليل المنصور بالله يامن
جئت من وصف مجده بالفاء
هنا الله أمة أنت فيها
فتح تلك الأصقاع والأنحاء

وجزاك الجليل فيما تلاقى
في أمراضيه ممن أذى وعناء
وتوالى تلك الفتوح بذي
القرنين حتى ترى طلوع ذكاء
نلت فتحاً قرت به صعدة عيناً
وأهدى القذى إلى صنعاء
فبها أو كل تعد به الحمى
التي تزل بالخطاء
سوف يأتي به إلى البصرة الركب
ويتلى نبأه في الأحساء
فحمد الله إن حمدك لله
لحتم عليك تآدى بدائي
وادع للقائم المؤيد غوث
الخلق في شدة وفي لأواء
فيمن منه منالك ما نلت
وإكرام وجهه الوضوء

وبشر الدعاء منه إذا مد
إلى الله كفه للـدعاء
دعوات تقول آمين يارب
أجبه أملاك سبع سما
فيه أصلح الإله لنا الأرض
وسقى البلاد صوب الماء
وكفانا العدا وسكن ما يحـ
سدث عن فتنة من الضوضاء
وأنام الأنعام فوق مهـاد الأ
من لا ينفـضون عن إعفاء
صدق الله ظنه فيك إذ ظن
الذي قد حوته من عناء
وكنافـي أخيك أعني الحسين الندب
واري الزنادجـم الحياء
من تجده أبواه لم يضره
ونزعة تخلص الأبـواء
وصفي أحمد الإسلام ذاهمة
والمجد والندى والإباء

وهذه القصيدة للقاضي العلامة الفصيح شرف الدين زيد بن علي بن [/] الحسين

المسوري رحمه الله، أنشأها في استفتاح بلاد فيفا ونواحيها ودخول أهلها في الملة الإسلامية وهي هذه^(١):

عدل الملوكة عمارة الأوطان
وفنا النفوس عداوة السلطان
وسعيد أهل الأرض من نال الغنى
والعزبين الأهل والجيران
فعلام يعذلني على طول البكا
من قلبه خال عن الأحزان
لو كان يرثى أو يرق لمن نأى
عمن يجب إذا لم لا حاني
أو ما رأى جسمي وصفرة لونه
ونحول له وتقرح الأجنان؟
فكفاه علماً بي وأني ليس لي
عما أعاني في الكآبة ثاني

(١) في (ب): ذكر غير ذلك فقد ذكر التالي: (وبعدا القصيدة التي في الساقطة للقاضي بدر الدين علي بن الحسين المسوري رحمه الله تعالى)

ثم ورقة بياض.

ويبدو أن المقصود بالساقطة بأن القصيدة سقطت من الصفحة التي تركها بياض في النسخة (ب). ويتضح هنا في (أ) بأن هذه القصيدة وشاعرها لم تكن موجودة في الأم، وتم دسها لاحقاً، وهذا كان واضحاً من خلال ترقيم الأوراق واختلاف الأسماء، فالشاعر في (أ) هو ابن الشاعر الذي قصده في (ب).

ولذا قمت بترقيم أوراق القصيدة المدسوسة لاحقاً بـ(٧٤/ج، ٧٤/د، ٧٤/هـ، ٧٤/ز).

أما القصيدة المثبتة في أول الورقة (٧٥/أ) فكما يبدو أنها بقية للقصيدة التي في الورقة (٧٤/ب)، وقد تم إثباتها، وهي غير مثبتة في النسخة (ب) الباحثة.

واهلأدهر ما سررت بمطلب
من حكمه إلا فجعت بشاني
لي أخوة مهما أزرهم ألفهم
في قريفة أووا مشيد مباني
ومتى أغب يوماً وأرحل عنهم
فمحلهم حتى أعود جناني
وعظيم إشفاقي على أم لها
مذغبت قلب دائم الخفة ان
تذري الدموع إذا خطرت بيا لها
شوقاً إلى لقيماي كاهت ان
وتيت في الظلما تناجي رها
بفؤاد قاتنة وصوت وان
يارب لي إنسان عين حاضر
عندي وأخر صار في بوصان
مستأسراً فيه بطاعة محسن
بروان أسير ذاك لعان
كل الأسارى يرتجى لهم القدا
إلا أسير البر والإحسان [/]

يا أيها الـركب المحـث مسيره
أبلغ إلى قلبي مقال لساني
أقري السلام على الأحيـة كلهم
من كان منهم قاصياً أو داني
إن ما هم سألوك عن حالي فقل
في خفض عيش واتساع مكاني
مقرور عين عند من قرت به
إذ جاء عين خليفة الرحمن
بحر العلوم وشمس آل المصطفى
ومليك أهل الأرض من عدنان
من لم يزل يسمو إلى نيل العلا
حتى سما شرفاً على كيواني
وغدا علاه وذكره مستغرقاً
في الناس للأبصار والأذان
واسأل حدود أييه أول مرة
من أرض ذيين إلى قيـدان
من ذب عنها بالصوارم والقنا
ومن الذي لاقى جيوش سنان

ونفى القذا عن عين والده وقد
رام العدا فيه بلوغ أماني
وغدا التكليف الرئاسة حاملاً
قبل احتمال تكلف الأديان
وأقام حيناً في حبور وابتسى
قصر أهنك مشيد الأركان
حتى انقضت مدة السلم الذي
بين الإمام وباشة السلطان
فكفى أمير المؤمنين مهمة
منهم وأغناه عن الأعوان
ورمى به في العضلات فلم يكن
متكاسلاً عنها ولا متوانياً
بل كاد لولا ما قضاها إليه
من أسره تعنوله التتملان
لكن أراد الله إعلا شأنه
وظهور رايات له ومعاني
لولا حلول السجن منه وما بدا
في فكه من معظم البرهان

ما نافستنا فيه أملاك السما

كلا ولم يفضل على الإنسان [/]

ولما استراد به الإمام محمد

أبدأ وحل به عرى الحدثان

ولما عنت للحق بعد عتوها

ونفورها عنه ذرى خولان

ولما استدان في التمام قبائل

غلب الرقاب عرفن بالطغيان

مالا بسوا الإسلام قط ولا دروا

من قبل ما شعبان من رمضان

حتى أتاهم خير من حملت به

أم وأكرم من غذي بليان

السيد الحسن الذي اعترفت له

بحلوله فوق السهى البطنان

فدعاهم طراً إلى دين الهدى

فأبوا وقالوا ليس فينا غاني

وتوهموا أن الذي ناداهم

ممن يقهقر عن لقاء الشجعان

فرماهم بعد النداء بعمر مرم
وَمُضُّ السِّلَاحِ عَلَيْهِ كَالنِّيرَانِ
وَأَتَاهُم مَّا لَمْ يَطِيقُوا رَدَّهُ
مَنْ أَمْرَهُ إِذْ أَمْرَهُ رَبِّي
وَمَا لَافِجَاهُمْ بِأَسَدٍ مِنْ بَنِي
حَسَنِ وَخَوْلَانٍ وَمَنْ هَمْدَانٍ
وَتَيَقَنُوا أَنَّ لَانَجَاءَ لَطَالِبِ
مَنْ هَمْدَانٍ النِّجَاءَ إِلَّا إِلَى الْإِيمَانِ
فَأَتَتْهُ فِيهَا بِالْخِرَاجِ وَمَالِكِ
وَعَظِيمِ قَصْدِهِمْ حُصُولِ أَمَانِ
وَتَرَلَزَلَتْ أَرْجَاهُمْ خَيْفَةً
مَنْ هَمْدَانٍ وَخَافَتْهُ ذُرَى قَهْطَانِ
مَنْ مَبْلَغِ الْبَلَدِ الْحَرَامِ وَأَهْلِهِ
سَادَاتِ أَهْلِ الْأَرْضِ مِنْ عَجَلَانِ
أَهْلِ السَّاحَةِ وَالرَّجَاحَةِ فِي الْوَرَى
وَحَمَاةِ بَيْتِ اللَّهِ وَالسُّدَانِ
مَنْ بَعْدَ أَنْ يَقْرَأَ السَّلَامَ عَلَيْهِمْ
مَا غَرَّدَتْ وَرَقَ عَلَى الْأَغْصَانِ

أن ابن قاسم الذي نبتهموا
بالفضل عنه وانتباه الشان
وبأنه أتقى وأورع من مشى
بعبد الخليفة صنوه الرياني
وبأنه أندى البرية راحة
عند احتمال نوائب الأزمان
يعطي الصوافن والهجان وغيرها
مما يحب وليس بالمنان
وبأنه خطب السيادة فأنشى
وقدارتضته السهد فيها جاني
وبأنه لما توشح في العالا
وسعى ليدر كها بغير توان [/]
ما خاب في طلب المعالي ظنه
لا بل غدا لكل منها قاني
علم وحلم عنده ونجابهة
ووفاء وإقدام على الأقران
وأتمكم عنه طهارة عرضه
وتقاء مئزره عن الأدران

وسموه في العالمين وأنه
ما إن لله في المكرمات مداني
أضحى يحسن إلى لقاءكم كلما
نادى منادي الحج للركبان
ويصده عن ذاك كفر قبائل
بين الحجاز وبغية قحطان
فرأى قتالهم إلى أن يمسلموا
أويدخلوا في حكمه بهوان
ورجاء أن يلدن ويقرب منكم
حتى يقال تواصل الأخوان
ولعل من جعل الرئاسة فيكم
واختاركم بشهادة القرآن
يهدى الأنام بكم ويجمع شملكم
في ذلك الوادي برغم الشان
فيدين سكان البسيطة عن يد
لإمامنا الداعي إلى الديان
ونرى فراسة مؤمنين والذني
جاءت به الأنبا عن الكهان

من أنها تعطى الخراج لـصنوه
معه ملوك الروم واليونان
وتطاع في الدنيا أو أمره معاً
من غربها والفرس والسودان
يارب حقق ما يؤمله الورى
في سيدي محكاه بياني
وأدمه في فلك السعادة وابقه
علماً تشير إليه كل بنان
واعمر بدولته البلاد فإنا
عدل الملوك عمارة الأوطان
وأهدي الصلاة إلى النبي وآله
مشفوعة بالروح والريحان
[/] يقظ القلب من به تضرب الأمثال
في العزم والذكاء والمضاء
أنتم الحلقة التي ليس نـدري
أيها الابتداء من الانتهاء
أيها السادة الذين لهم ودي
ونصحي وخدمتي وولائي
اختصاصاً لأجل صنع أبيكم
وعموماً لفضل أهل الكساء

أنا من قبلكم مدحت أباكم
ولكم بعد مدحتي وثنائي
فأجيزوا اقتراح فعل صحيح
في معان سما إليها ارتقائي
لم يزل يحصل التفاضل فيها
تبارى قرائح الفصحاء
المحو والفرق بين قول بليغ
حين يروى وظنه الخازياء
ليس كل الموزون يحسب شعراً
ويرى ربه من الشعراء
إن بعض القليل يلحق بالإعجاب
أزحماً ويعضه بالمذا
ولعمري لولا شواغل دهر
قد أطالت إقامتي وثنائي
وغواد لهم من زمن الحما
على ما حوت يدي من ثراء
لأسوغن كما يسوغ أبو الطيب
للشعر أو حبيب الطائي
حلاً عن مدائح هي أسمى
من جمال في حللة اليزاء

فاعذروا لا بـرحتم من إله
العـرش في نعمة وفي سراء
ما أـمال النسيم غصناً وما أسبل
ودق الغمامة الوطفاء^(١)

فصل نذكر فيه جمل قضايا في أيام الصلح

نسردها ما أمكن في هذا الموضوع

منها عمارة المدرج^(١) إلى باب الفتوح^(٢)، فإن الإمام -عليه السلام- انصب عليه مواضباً على عمارته بنفسه، وكان يباشر ذلك بيده، ويستنيب إذا اشتغل عنه بأمر المسلمين. وفيها أيضاً عمارة المدرج إلى شهارة الفيش. وفيها عمارة مناهل ودور كثيرة في شهارة المحروسة بالله، وعمارة المسجد في درب الأمير الأعلى.

وفيها تابعت الوفود من الحيمة حتى كانوا نحو الألفين، وكانت طريقهم بلادهم حضور وهمدان، وصاروا إلى الصيد^(٣) براياتهم وطبولهم، وكان في ذلك للمؤمنين قوة ومسرة، وعلى الظالمين [/] حسرة ومضرة.

وفيها وصلت الوفود من مكة المشرفة ومن المدينة المحمية^(٤) بالله وغيرهما.

(١) هذه القصيدة بقية للقصيدة في الورقة ٧٤ ب.

(٢) المدرج: الطريق المنحوتة في الصخر مثل السلالم.

(٣) باب الفتوح: أحد أبواب شهارة. وهو المعروف اليوم بباب النصر.

(٤) الصيد: أحد فروع قبيلة خارف الحاشدية من قراهم ناعط، ضبركانط، غولة حرميل، ساك، ضبعان، سيره، هجرة بني الرضي.

(المقحفني: المعجم، ج ١، ص ٩٢٨؛ الحجري: المجموع، مج ٢، ص ٥٤٨).

(٥) المحمية، ليست في (ب).

وفيها غزا ابن الأمير ناصر المحبشي قوماً من بدوان حجة يسمون بني قيس^(١)، وكان واليها من قبل الظلمة، وكانوا في حدود بلاد الإمام -عليه السلام- من نواحي الشرف، فلما استاقوا مواشيهم تقدموا ولزموا لهم مضيقاً^(٢) وقتلوا رئيس الغزاة المسمى مفرح شاوش، كان من شياطين جنود الظالمين، وله فعلات إلى جانب الإمام -عليه السلام- وخمسين نفرًا واسترجعوا جميع ما أخذوه. وكان الأمير ناصر في تلك السنة أمير الحج فهو في سفره. والباشا فضلي في المخا، ولما عاد الباشا إلى صنعاء أمر بعض أمرائه يكتب إلى الإمام -عليه السلام- فكان جوابه من كتاب كبير وذكرتم من أجل بني قيس فغير خاف عليكم تشددنا في رعاية الحدود وحفظ موجبات العهود في كل دان وقاص، وعام وخاص، وإلزامنا^(٣) جميع من يتعلق بنا من الولاة والعمال، أن لا يمدوا يداً إلى من يتعلق بجانب السلطنة من صغير وكبير في قليل ولا كثير إلى قوله: ولولا أنه وقع منه ذلك -يعني ابن الأمير ناصر- وهو على ما هو عليه من الجهل بالأمور والخبط الكبير الذي يتسامح في حق مثله، مع غيبة والده في ذلك الوقت، وكان عول علينا بالرعاية في حق ولده. ولم يكن في محروسة صنعاء في ذلك الوقت من نرفع إليه مثل فعاله إذ كان صاحب السعادة دام سعهه باقياً في المخا لم يسعنا في ذلك الوقت غير التغاضي والاحتمال والصبر على ذلك، رعاية للأكابر باحتمال هفوات الأصاغر من كتاب طويل. ولم يعودوا بعدها على الأطراف.

وفيها قضية في شطب^(٤) وهي أن رجلاً من بني حجاج أهل الجبل يسمى فلان السيسي كان ملازماً للشيخ المجاهد محمد بن داود القحيف، وانطوى الصلح عليه، وله أخ في بلد الظلمة في صلح الترك أخذهم الله، فكان الذي في صلح الإمام -عليه السلام- يدخل مدينة

(١) بنو قيس: قبيلة من بني صريم إحدى أبرز قبائل حاشد.

وقبائل قيس من قبائل خولان بن عمرو، يسكنون جبل الظاهر في صعدة.

وبنو قيس: مديرية من مديريات محافظة حجة مركزها الطور، وهي المقصودة.

(المقضي: المعجم، ج ٢، ص ١٣٠٩).

(٢) في (ب): مضيقات.

(٣) في (ب): إلزام.

(٤) شطب: المقصود به سودة شطب وسبق ترجمتها.

السودة في جملة عسكر الإمام - عليه السلام - بالسلاح الحسن والحال المنظور، فترك بيته^(١) وماله ولحق بأخيه، فاستأذن الشيخ محمد من الإمام - عليه السلام - [٧٦/أ] ببقائه عنده، فرخص له الإمام وظن أن ابن المعافا لا يطالبه بشيء بعد تركه ماله وبيته لهم. فلما ألبسه الشيخ محمد السلاح ودخل مع أخيه السودة أغاظ ابن المعافا ومن لديه من قبل الترك. فكتب إلى الإمام - عليه السلام - جملة أن من كان عليه لنا مطلبة من الرعية الذين يهربون إلى بلادكم هل يلزمه أم لا؟ فأجابه الإمام - عليه السلام - أن الصلح بيننا وبين الباشا على ذلك فتلزمون من عنده لكم مطلبة ممن هو في صلحكم. فاحتال على ذلك حتى لزمه وجعله في حبس معروف في السودة في الظلمة. فكتب الشيخ إلى الإمام - عليه السلام - وعرفه ذلك، فكان من جوابه أن هذا في صلحهم ولا لنا اعتراضهم ولا لكم، فعندها جمع الشيخ عسكره ليلاً ومكانه في المقعد وجعل كميناً في باب السودة، وقبض على أحمد بن يحيى بن شمر صهر ابن المعافا وضربت المرافع في جوانب السودة، وأخذته ليلاً وأدخله مكاناً مظلماً في المقعد. فأرسل ابن المعافا كتباً إلى صنعاء وإلى الإمام - عليه السلام -. وكثرت الكتب، فأرسل الإمام - عليه السلام - عسكراً عليهم الشيخ عبد الله بن أحمد الحارثي على الشيخ محمد بتسليم صاحبهم، فوجد وقال: لا يقدر على خلق مخلوق إلا الله. فلا زال الإمام - عليه السلام - يرسل عليه العسكر حتى بلغوا ثلاثمائة نفر وما زاد على إكرامهم والوصول إلى الإمام - عليه السلام - وقال: أنا إذا عندك افعل في أمرك أو أرسلني إلى الترك وكذا، فرجع الإمام - عليه السلام - بقاء العسكر في بيته ينفق عليهم حتى يسلم هذا الرجل، فلما عظم الأمر خاف ابن المعافا من الترك لا يكون بسببه نقض الصلح، فوسّط من أوصل السيسي صاحب الشيخ بيته ليلاً، والشيخ أطلق ابن شمر من بيته ليلاً وكساه، وأظهر ابن المعافا أنه وجد صاحبه في السودة والشيخ محمد كذلك.

وفيهما أن أميراً للعجم سخر جمالاً لبدوان في صلح الإمام - عليه السلام - في حازة تهامة، فكتب الإمام - عليه السلام - إلى صنعاء فوصلت الجمال وأجرتها أكثر من أجره مثلها. وفيها تمام أخبار السيد ناصر بن محمد صبح الغراني، وذلك أنا قد ذكرنا رجوع [/]

(١) حاشية في (ب) لفظها: وأخوه الذي في بلد الظلمة.

الإمام -عليه السلام- من وادعة وجهات الظواهر وحوث، ولما فسح للجنود نزع الشيطان نعوذ بالله منه، جماعة من الأهنوم وعذر والعصبيات على يد بعض السادة لهوى وحسد، وتوعدوا للخلاف عليه. وأطمعوا السيد ناصر بن محمد في شهارة، وجعلوا الميعاد طلوع النار في شهارة الفيش في ليلة سَمَوْهَا، والسيد ناصر يقدم فيها إلى كُحْلانِ عِدْرٍ وأبرموا ذلك. فاتفق أن الشيخ حسن بن مجلي بن وهان والشيخ مانع بن محمد الغيثاني أتهم كل واحد منهما صاحبه، فكان اجتماعهم ليلاً وللشيخ حسن بن مجلي زوجة خارج القفلة من قرن الوعر^(١)، فركب حصانه إلى بيته الأسفل فرآه بعض أصحاب الشيخ مانع فقال له ابن وهان قد غدر وعزم عند الإمام، فقام الشيخ مانع وركب حصانه وسار^(٢) إلى الإمام -عليه السلام- فلحقه ابن وهان وكانت قضيتهما مثل قضية نعيم بن مسعود ولكنها من دون إرادة وإنما ذلك من فضل الله. فلما وصلا عند الإمام -عليه السلام- أخبراه، وقد كان وصل الإمام -عليه السلام- بعض أهل شهارة الفيش وأخبره بخبر شهارة، فأرسل الإمام -عليه السلام- أربعة أنفار أو خمسة، عَشَّرُوا فِيهَا^(٣) بالبنادق وطلبوا أهل شهارة، وعامة الناس حيثئذ لا علم لهم بالفساد. فعاد السيد المذكور من جانب الطريق، وكان قد قرب منها، وتنبه الإمام وجمع العساكر الكثيرة ثم خرج إلى صَوْر^(٤) أقام فيها خمسة أيام يتفقد أهل شهارة الفيش ويقرر أحوالهم، ثم خرج إلى جانب المحراب^(٥) ووادي رجح وأراد هدم دور، فعطفته المراحم النبوية. ثم تقدم إلى الهَجْرَ وكاد الأهنوم يميم بأهله (رهبة ممن دخل في ذلك وحياء ممن لم يدخل)^(٦)، فغطى أمورهم واحتملها وعادت الأمور إلى المحبوب والحمد لله رب العالمين. ثم

(١) قرن الوعر: قرية غرب قفلة عذر من بلاد حاشد.

(المقحفي: معجم البلدان، ج ٢، ص ١٢٦٧).

(٢) في (ب): عزم.

(٣) فيها، ليست في (ب).

(٤) صور: قرية في جبل ذرى أحد جبلي شهارة.

(المقحفي: المعجم، ج ١، ص ٩٢٤).

(٥) المحراب: قرية شمال جبل ذرى بالأهنوم من مديرية شهارة محافظة عمران.

(المقحفي: المعجم، ج ٢، ص ١٤٢٢).

(٦) ما بين القوسين اختصرها في (ب): بـ(رهبة وحياء).

طلع -عليه السلام- شهارة المحروسة بالله، وفي يوم خروجه -عليه السلام- من الهجر هبت ريح زعزع^(١) مخالفة للعادة:

قال سيدنا القاضي شمس الإسلام أحمد بن سعد الدين أطال الله بقاءه: إنها كادت تحمله لولا دفاع الله عنه، ولأنه سكن في الأرض [/] حتى رفعها الله سبحانه وتعالى.

ومن هذا الفصل بل هو أهمه ذكر جُمل من عمارة المدارس الإمامية في شهارة المحروسة بالله وغيرها من الهجر والمواضع المعتادة وغيرها، وهو -عليه السلام- يوزع لهم النفقات والكسوة في شهارة وصعدة والظفير وغيرها من بلاد الترك. وكان -عليه السلام- مشغولاً بالعلم والعلماء مما رأته من إقباله -عليه السلام- أن الجهاد على ساقه والمرافع تضرب في المراتب، وهو يدبر الجيوش وينظم كفايتهم من القليل إلى الكثير، والكتب في أوقات القراءة المعتادة مفتوحة، والمراجعة في فنون العلم مستمرة، ويكفيك أنه لا يعلم منه انقطاع القراءة لو بلغ من الاشتغال ما بلغ وفي أي موضع.

حتى لقد روى الثقات ممن يعرف نشأته أنهم لم يروه خالياً بغير القراءة ولا يلعب مع الصبيان. وجرت العادة أن يوم الجمعة يستريح فيه الصبيان ويعدون له ويفرحون بقدمه وأنه لا يفارق المدرسة فيه. وكان هذا دأبه حتى مضى لسبيله -صلوات الله عليه- وهذا عارض من الحديث ولا بد له من فصل إن شاء الله تعالى والله الموفق.

وفيها مداومة الترك أخذهم الله الحصار على حصن حزر من بلاد ريمة وفيه الشيخ سعيد بن صبر بن رسام، وقد تقدم استيلاؤه عليه، سنيماً واسعة، وأن كل باشا من العجم حاصره ولم يقدرُوا عليه فاستولى العجم عليه، بعد حصار شديد، ودفاع لا عليه مزيد في سنة اثنين وثلاثين وألف^(٢). ثم فتحوا بلاد بُرُع بعده، وكان القاضي المجاهد أحمد بن محمد السلفي رحمه الله كما تقدم في أخبار مولانا الإمام القاسم -عليه السلام- في بلاد مسار ولم تكن في مسودة الصلح فيما بلغني إلا الحصن وبلدة إلى موضع يسمى مسجد البلسة، وكان

(١) ريح زعزع: الزعزعة تحريك الشيء وحركه ليقلعه. وريح زعزعان أي تززع الأشياء.

(ابن منظور: لسان العرب، ج٦، ص٤٤).

(٢) ١٠٣٢هـ = ١٦٢٢م.

أهل صعفان مظهرون بالترك أنهم في صلح الإمام -عليه السلام- وللإمام وأصحابه إن لنا أنفسنا، فكان اعتراضهم إلى الإمام -عليه السلام- في حكم الخفاء. ولما قرب الترك منهم استدعوا القاضي إلى بلادهم وتحكموا له ورجعوا إليه، فصار إليهم. وكذلك خبت لعسان^(١) وجهات الضامر والإمام -عليه السلام- [/] لم يشاحهم^(٢) فيما عندهم لذلك حتى أن مشائخهم فرضوا لأنفسهم الثلث مما حصل من بلادهم من الحقوق وغيرها ويوقعوا ما شاءوا، ثم أخذوا عليه شواهد ووفى لهم -عليه السلام- حتى مضى لسبيله -سلام الله على روحه الطاهرة ورضوانه-.

وفي عام اثنين وثلاثين جعل ولاية حاشد وبكيل إلى السيد العلامة علي بن إبراهيم الحيداني أطال الله بقاءه، وجعل معظم الحيمة إلى السيد العلامة عبد الله بن محمد المحرابي، وبعضها إلى القاضي عماد الدين يحيى بن أحمد المخلافي رحمه الله^(٣). ولم ينتظم للسيد عبد الله الحال ولا احتمال ما يرى من أهل الحيمة في تلك الأيام، فعاد مغاضباً إلى الإمام -عليه السلام- فأرجع ولايتها إلى السيد العلامة أحمد بن علي الشامي أطال الله بقاءه، فكان فيها حتى وصل مولانا الحسين رحمه الله كما سيأتي.

وفيهما وصل إليه رجل من عسكر كوكبان وأراد الخدمة في ديوان الإمام -عليه السلام- فلم ير ذلك لكونه من عسكر الترك، فصار إلى صعدة المحروسة بالله فلم يوافق المقام فعاد إلى قريب من درب الأمير مما يقرب من فريح^(٤) موضعاً من شرقي عذر، وقد صحبه نفران من وادي العمالة المذكور في فتح المشرق في أخبار مولانا الحسن رحمه الله وأظهرا أنهما معه إلى الإمام -عليه السلام-.

ولما وصلا ذلك الموضع عديا عليه وأثخنه طعنًا وضرباً حتى ظنا أنه قد هلك، ووجده

(١) خبت لعسان: الخبت الأرض المنبسطة أسفل الجبال، ولعسان هي البطائح والمواطن الواقعة بين باجل وسهام وبرع وحراز. (المقحفي: المعجم، ج ٢، ص ١٣٧٤).

(٢) يشاحهم: هكذا وردت ولم أتبين معناها.

(٣) في (ب): عافاه الله.

(٤) فريح: موضع وادي قريب من شهارة، ما بين شهارة وظليمة أسفل جنوب شهارة.

بعض مشائخ البلد وفيه رمت فاحتمله ووصل به إلى الإمام -عليه السلام- بعد أن عاجله وأغاظه كثيراً، وبعث المفتشين عن أولئك وقد أخبره هذا الكوكباني بأن أهل البلاد لا حق له عندهم ولا منهم إليه إلا الإحسان، وأن الغادر به رفيقاه ووصفهما بصفات. فأرسل الإمام -عليه السلام- من يُعرّف في الطرقات وكان -عليه السلام- نادرة في البحث عن مثل ذلك كما مر في أخباره. وله في ذلك أخبار عجيبة فوجدهما بعض الأهنوم في سوق الصاية^(١) من غربي عذر فقبضوا على أحدهما في بعض البيوت المقاربة للسوق وفات أحدهما هرباً وقبضوا أشهما وأشدّهما [٧٧/أ] فتكاً. ووصلوا به إلى الإمام -عليه السلام- فناظر بينه وبين هذا المظلوم وعرفه وصح عليه ذلك، فأمر -عليه السلام- بأن يدار به في جانب المحطة بعد أن سأله عن أمتعة المظلوم فدل عليها وكانت دون ما طمعا فيه. فأرسل معه من العسكر جماعة وفتشوا شواهِق^(٢) ووجدوها ووصلوا بها إلى الإمام -عليه السلام- فأرجعها لصاحبها، ثم إن الإمام -عليه السلام- أمر به يعني الجاني على الكوكباني إلى حصن المنصورة من شهارة الفيش ورأى أن ذلك نفيه. وكان حي السيد العلامة شيخ العترة أحمد بن محمد الشرفي نفع الله به حاضراً، فاسترجح هو وجماعة من العلماء إقامة الحد وراجعوا الإمام -عليه السلام- وأنه قاطع سبيل وأنه يقطع، فصار الإمام -عليه السلام- إلى ذلك. وكان حي السيد العلامة شيخ العترة صالح بن عبد الله الغرباني نفع الله به قد أشار ببقائه في الحبس وأنه الأقرب إلى الشرع فطلبه الإمام -عليه السلام- فقطع يده ورجله، ومع المراجعة والمدافعة من السيد صالح رحمه الله غلط الرابط لرجله فربط الرجل اليمنى واليد اليمنى، ويظن الإمام -عليه السلام- أنهم قد ربطوا اليد اليمنى والرجل اليسرى فقال الإمام والسيد أحمد: اقطعوه فقطعوه. وخرج الإمام -عليه السلام- إلى موضع لقضاء حوائج قوم وقد أمر بحسم يده وقال: افعلوا وإن لم يجب، ولما صح له الغلط غرم ذلك من ماله وإعانة إخوته وقرابته، وأثبت هذه القضية لمعرفة الحكم فيها ومذهبه -عليه السلام-.

(١) الصاية: من قرى بني عوف بمديرية المدان شمال غرب شهارة.

(٢) شواهِق: الشاهق العالي، وشواهِق الجبال أعاليها.

فصل في ذكر أسباب نقض الصلح

قد ذكرنا عقده مع محمد باشا أيام مولانا الإمام المنصور بالله وتقريره بعد وفاته -عليه السلام- ثم عزل محمد باشا وتولى بعده فضلي باشا ثلاثة أعوام والصلح على حاله. ولم يكن من فضلي باشا فتح حرب، وكان فيه حدة مزاج ولذلك قتل كثيراً من أصحابه وفيه خفة من ذلك أن أهل هزم^(١) من بلاد الخشب^(٢) أرجعوا جمالاً لا يحمل عليها علف فتوهم فيهم الخلاف، فخرج عليهم بنفسه، ولما صار إلى الروضة أنبه أمراء العجم وعرفوه بالخطأ، فأرسل [/] الأمراء نهبوها وأخربوها.

ومنها أن طائفة من الإنجريز^(٣) خرجوا إلى ساحل المخا فأغار عليهم من صنعاء بنفسه بخلاف غيره من ملوكهم، فإن الحرب تصل أبواب المدينة لا يتحركون، وكان في أيامه خصب وعلى الرعية منه شدة. ثم عزل وتولى حيدر باشا المتقدم في أخبار مولانا الإمام المنصور بالله -عليه السلام- وكان مملوكاً لجعفر باشا ووزيره، فحصل في قلوب كثير من الناس هيبة له. وكان الأمير محمد بن سنان^(٤) قد عظم في أمراء العجم لأنه من كبرائهم، ولأن أباه سنان لا رحمه الله وكان ذا مال، وله سخاء وكانت الوزارة إليه أيام محمد باشا ثم فضلي باشا فكان في حكم الباشا وأعظم عند العجم. فلما وصل حيدر خافه، وقد أغار هذا الأمير محمد بن سنان من صنعاء إلى أبي عريش من أعمال تهامة لما بلغه موت فضلي باشا فقبض على الخزائن والأموال. وكان قد أراد أصحاب الباشا فضلي المضي بها إلى الروم، وحصل بينهم التلاحي والتنازع وفر منهم آغا يسمى درويش فقتله أشرف صيبا ووجدوا في كسوته ذهباً كثيراً. وكان مولانا الحسن رحمه الله في صعدة فهم بالغارة عليها فلم ير ذلك

(١) هزم: بلدة في أرحب شمال شرق صنعاء.

(٢) بلاد الخشب: هو قاع الخشب منطقة في أرحب شمال صنعاء.

(المقضي: المعجم، ج ١، ص ٥٦٩).

(٣) الإنجريز: المقصود به الإنجليز، وهي السفن التجارية التي كانت تجوب البحر الأحمر.

(٤) محمد بن سنان: كان الكخيا في المخا وقد قام حيدر باشا بقتله، خوفاً من التفاف الجنود حوله. (د/ سيد: الفتح العثماني، ص ٣٩٣).

الإمام -عليه السلام- ولا استجاره. فلما وصل الأمير محمد قبض الخزانة وأهلها وقتل من فرط بشيء منها، وقد ذكر من كثرتها ما يهول ويطول فإن هذا فضلي باشا كان فيه جور ومهابة وتسلط على أموال الأمير محمد الزوم فإنه قبض على قصوره فوجد فيها خزائن تحت الأرض مملوءة مما سمعت من أهل الإطلاح على أخبارهم أنهم وجدوا في خزائنه من ضريبة خزيمة المشهورة بالكبر^(١)، وكانت البقشة تبلغ ثلث قفلة أو قريب من ذلك ستة لكوك بمعنى ستمائة ألف حرف، كل حرف أربعون بقشة.

وأما من سائر الضرائب فلا تحصى دون غيرها من الأموال، ووصل بالعساكر والخزائن إلى الباشا حيدر إلى المخا. وأن حيدر لما بلغه قوة هذا الأمير خافه وسار في البحر حتى خرج من المخا، ولما وصله إلى المخا اغتاله بأن عاجله مما ليكه طعناً وضرباً ثم حز رأسه ورماه العسكر وقبض على [/] ما معه وطلع صنعاء. وكان هذا حيدر مع ما يذكر من قوته وشجاعته لا رأي له سفاكاً للدماء ولا يفيق من الخمر، وقال فيما بلغ عنه للفقير عبد الله المحرقى كاتبه ما خرجت اليمن إلا لأستريح، وأنت المقلد في اليمن وجعل له عماريات^(٢) يستتر فيها وقرب الخمر تدور عليه وعلى أصحابه ظاهراً حتى لو أهريق ما في محطته من الخمر لجرت نهرًا. وقد تقدم فصل في سيرة مولانا المنصور بالله -عليه السلام- فيه جمل أحوالهم وسيرتهم الخبيثة وأحوالهم الدنيئة الخارجة عن رسوم العقلاء. وهذا الشقي أناف عليهم في كلها، ولغفلته تبسط أصحابه في الظلم حتى كادت الرعايا تهلك، وغفل عن الجنود حتى الممالك كانوا يهربون من الخوف من شره فيصرون إلى الإمام -عليه السلام- فيدافعهم ويذهبون مكة وغير ذلك. وكان لا اشتغاله باللهو إذا تمنع عليه الأطراف وقالوا نحن في صلح الإمام لم ينظر فيهم.

ولقد غزا بعض أهل حصبان إلى بعض بلاد الترك أخذه الله لشيء من أعمال القبائل

(١) ضريبة خزيمة المشهورة بالكبر: خزيمة هو اسم لمقبرة في صنعاء، وقد يكون المقصود هنا ضرائب أو عائد ما يؤخذ من الناس قبل

الدفن في هذه المقبرة. رغم أن هذه المقبرة هي وقف قديم في صنعاء لدفن الموتى. والله أعلم.

(٢) عماريات: المقصود بها المباني أو البيوت.

وقتلوا جماعة لم يصل منهم^(١) في شأنهم كتاب، ولما كثر ذلك لآمه كبراء العجم، وكان مهيباً فأخذ يتحكك ببلاد الإمام - عليه السلام - . وولى الأمير حسين بن المعافى بلاد الظاهر المقاربة لبلاد الإمام - عليه السلام - وجعل الشيخ أحمد الشامي من غشم العصرية والشيخ محمد أبا عفراء من بني جبر^(٢) وكانوا من ندمائه يدسون إلى بلاد الإمام - عليه السلام - وبلغ فسادهم كثيراً منها. وكان حي الفقيه حسن بن علي العلماي^(٣) من المهاجرين هو وصنوه حي الفقيه الفاضل صلاح بن علي العلماي ووالدهم، وكانا من الصالحين وبيتهم في شهارة المحروسة بالله لاصق ببيت الإمام يعرفون بملازمة الإمام سيما حي الفقيه صلاح، ولما قتل الفقيه صلاح في بني غثيمة^(٤) من بني صريم وأعمال جهات وادعة اغتاله بعض الأشرار فيها. كان أخوه هذا يتردد إلى علّمان^(٥) من بلاد صنعاء على أموالهم مع الصلح، فحصل بينه وبين بعض أهل بلده شجار وتنازع في حقوق فوشوا به إلى بعض أعوان الباشا وقالوا لهذا في صنعاء يقبض الحقوق للإمام وعلى يديه خروج^(٦) [/] المماليك الذين هربوا إلى الإمام، وأنه الذي أخرج أولاد الحسن من صنعاء وأن له يداً في خروجه، فاتفق رأيهم أن قبض عليه بعضهم نهراً، ولما كان الليل أدخلوه إلى الباشا فأمر بضرب عنقه خارج المدينة وأخفاه.

فلما قبض عليه وصل بعض أهله يطلب من الشفاعة من الإمام - عليه السلام - في إطلاقه، فكتب لهم كتاباً إلى الأمير علي بن مطهر بن الشويح لكونه واسطة الصلح مضمونه:

(١) منهم: ليست في (ب).

(٢) بني جبر: الفرع الثالث من قبيلة خاراف إحدى أقسام قبيلة حاشد، وبني جبر منطقة من بلاد حجور شمال محافظة حجة. (المقحفي:

المعجم، ج ١، ص ٢٨٢).

(٣) الفقيه حسن العلماي: الذي قتله حيدر باشا وبالتالي كان أحد الأسباب التي أدت إلى نقض الصلح وتجدد الحرب بين الإمام المؤيد محمد

والعثمانيين، وسيرد تفاصيل ذلك في فصول الدراسة.

(٤) بني غثيمة: بنو غثيم من قبائل بني صريم الحاشدية، شمال مدينة حوث.

(المقحفي: المعجم، ج ٢، ص ١١٦٧).

(٥) علّمان: بلدة أسفل وادي ظهر شرق صنعاء.

وعلمان: قرية على جبل الأهنوم في مديرية المدان محافظة حجة.

وعلمان: قرية برأس جبل المصانع غرب مدينة ثلا.

(المقحفي: المعجم، ج ٢، ص ١١٠٦).

(٦) في (ب): خرج.

إن من أصحابنا فلاناً ربياً وهو حُبس في حق عليه تعرفتم الواقع وكذا وكذا، وما صح له أو عليه كان منا وإليكم. فلما وصل الرسول جانب الطريق لقي من يخبر بقتله وأنه رأوا ثيابه مع المشاعي. فلما وصل الخبر إلى الإمام - عليه السلام - سكت نحو ثلاثة أيام أو أربعة وكتب مثل ذلك الكتاب الأول، وأنه بلغنا أنه محبوس.

وأما شهارة وأهلها كادوا يخالفون ما يجب من الرجوع إلى نظر الإمام - عليه السلام - وكان الطلبة يشتغلون بذكر ذلك عن الدرس، وكان ذلك في أول شهر رمضان سنة خمس وثلاثين وألف^(١).

ولما قرب العيد ووصل رسول من صنعاء بكتاب من الباشا ووزيره الأمير عمر والأمير علي بن الشويع مضمونه استجلاب الدعا وكذا، وإرسال شيء من الهدية التي تليق وليست بالكبيرة، وفيها إلحاق يتضمن أن لنا ممالك خرجوا إليكم ومعهم، مال وعليكم ترجعون ما هو لنا من الممالك، وما معهم أيضاً يصل إلينا كلام كثير أن الحديث في شهارة بنقض الصلح فتعرفون بذلك لنكون على معلوم.

فأجابه الإمام - عليه السلام - فيما سمعناه في ذلك الأوان بما تضمنته، ثم قال: وإن مكاننا هجرة^(٢) وملاذ للمسلمين من عرب وعجم فلا نعترض من وصل إليه، وإذا عرفتم لكم مملوكاً وما في يده أرسلتم من يعرفه وأعطيناكموه وفاءً بما هو لله سبحانه من حفظ العقود أو ما هذا معناه. وحديث من تحدث في شهارة وغيرها بنقض الصلح إن صح القول فممن ليس بيده حل ولا عقد، مع أنه لم يبلغنا ما يجب رده على القائل أو كما قال.

ثم ألحق في الكتاب: أن ثم فقيهاً من أصحابنا اسمه فلان حُبس فتفضلوا بإطلاقه، ومن هو مطالب له حاكمه [/] إلى الشرع الشريف أعزه الله تعالى.

(١) رمضان ١٠٣٥هـ = مايو ١٦٢٥م.

(٢) هجرة: تطلق على كل محل من بين محلات القبائل إذا كان مُهَجَّراً بينهم عالم ما عما يعتادونه من عادات القبائل وقواعدهم. وهي القرية التي يأوي إليها العلماء والفضلاء وأهل الصلاح والتقوى. وتقوم القبائل وأعيانها بحماية ورعاية وكفالة الهجرة التي تقع بين أظهرهم. والهجرة عبارة عن مدرسة لتلقي كل علوم الطلب السائدة في عصرهم وخاصة العلوم الدينية والفقهية. وللمزيد حول مفهوم الهجرة وبداية قيامها في اليمن يمكن الرجوع إلى مقدمة كتاب (هجر العلم ومعاقله) للقاضي إسماعيل الأكوخ.

ولما وصله الجواب ضاق صدره وطلب أهل الرأي من أصحابه وقال: ما يكون الجواب؟ فرجحوا له الجواب أن لا نعرف في أي موضع هو. ثم أرسل نفاة على أهل علمان مائة وخمسين حرفاً أو أكثر ويحصلونه، فأخذ أهل البلد ما في بيت الفقيه حسن وسلموه لأهل تلك النفاة. فلما وصل الإمام خبره أعرض عنه كأنه لم يعلم، ولما فتح الله بالاستيلاء على صنعاء وغيرها ضمن أهل علمان دية الفقيه المذكور وعاقبهم بألف حرف وأربعمائة حرف كما بلغني لما كان منهم من التعدي.

نعم ووصل أوان الحج وجهاز الحاج على عادته مع ولده مولانا جمال الدين علي^(١) بن أمير المؤمنين حفظه الله وجماعة من الأعيان حتى ظن الناس فيه الظنون وأنه يريد السلامة ولا علم لأحد بما دبره من الرأي النافع.

وكتب الإمام -عليه السلام- صحبة ولده مولانا جمال الدين أطال الله بقاءه إلى الشريف الجليل المحسن بن الحسين بن الحسن^(٢) وإلى الشريف مغامس بن ثقبه^(٣) صاحب بيشة^(٤) أيضاً ما هذا مثاله بالفاظه:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى.

غاية الشرف التي لا يجوزها إلا المجلون، ونهاية الأمن التي إلى سوحها يتبادر الملبون

(١) علي ابن الإمام المؤيد محمد بن القاسم: كان سيداً كريماً طاهراً جواداً عالماً متفتناً. قرأ على يد والده الإمام والقاضي عامر بن محمد الذماري وعبد الهادي الحسوسة. كان له اطلاع بأخبار العرب وسير الأولين ومعرفة أنساب القبائل لا سيما قبائل حاشد وبكيل. أوكل إليه الإمام بمصاحبة حيدر باشا عند خروجه من صنعاء. ثم عينه لإدارة شئونها. ولبث في صنعاء طوال عمره حتى وفاته سنة ١٠٧٨ هـ / ١٦٦٧ م، وقبر بمسجد الوشلي بصنعاء.

(عامر بن محمد: البيهقي، ق ١٦١ مخطوط).

(٢) سبق ترجمته.

(٣) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(٤) بيشة: إحدى المدن التابعة لمقاطعة جازان في المخلاف السليبي، وتبعد عن جازان بحوالي ٩٥ كم.

(د/ العمري: تاريخ مدينة صنعاء، ص ٦٦٢).

والمهلون، وساء المجد التي يتفياً في ظلها المديد الحرم والمحلون، وروضة الفضل التي
يخصب بها المحلون^(١) ويرغد فيها نعيماً المملون^(٢).

الخررة التي نشر المجد جناحه على ناديها الرقيب، وأبسها الشرف التالد والطارف
ثوب سعده القشيب، فهي للخرة النبوية حرم أمين لإيهاج من أوى إليه وللأمة المحمدية
حصن حصين، لا يراع من يعتمد بعد الله سبحانه عليه.

خررة الصنو الشريف الأسمى، المكرم الأفعال والأسماء، المخصوص بالرتبة الرفيعة في
أهل البيت النبوي العظمى^(٣)، ذي الهمم التي طالت النجوم هاماتها، والعزائم التي ظهرت
للتاظرين في وجوه المعاني غررها وشاماتها، شرف الإسلام الذي بعنايته شرفت ربوعه،
وحامي حمى الدين الذي بأبائه ثبتت أصوله فيه فسقت فروعه، محسن بن حسين [/] بن
حسن بن أبي نمي، جدد له السعود وأدام بقاءه عمارة البيت المطهر للطائفين والعاكفين
والركع السجود، وأهدى لمقامه الأرفع ومحل الأمان سلاماً يفتقر عن السعادة ثغوره، وتتجلى
بالرضوان شموسه وبدوره، ويفيض بالنعيم الدائم على سوحه الكريم غيوته وبحوره وبعد:
فإن المنهى إلى تلك الخررة الخضر، والساحة المباركة الغراء بعد حمد الله وشكره والثناء
عليه وذكره، والتوصية لنا ولكم بما يجب له سبحانه من الحق في نبيه وأمره، الذي حولنا
وإياكم من نعمه عريضاً طويلاً، وبوأ لنا ولكم من بيت النبوة منزلاً ربيعاً جليلاً، وخصنا
وخصكم من فضله بما نرجو أن يكون إن شاء الله إلى نيل الدرجات العلى سبيلاً، والصلاة
والسلام على نبيه محمد وآله الذي جعله للعالمين دليلاً، وهداية الحق^(٤) كفيلاً.

إنه لما أسفر من طوالع أشهر الحج المباركة بدرها، وانفلق عن ليل غيبوتها لطالبي زيارة

(١) المحلون: أرض محول وقحط لم يصبها المطر، والمحل الجذب ويس الأرض من الجذب، وأرض محولة لا مرعى بها ولا كلاً.

(ابن منظور: لسان العرب، ج ١٣، ص ٣٩).

(٢) المملون: الرمل بالتحريك الهرولة، ورمل يزُّمُل رَمَلاً وهو فوق المشي ودون العدو، ورملت بين الصفا والمروة.

(ابن منظور: لسان العرب، ج ٥، ص ٣٢٠).

(٣) العظمى: ليست في (ب).

(٤) في (ب): الخلق.

البيت العتيق إصباحها وفجرها، وحيعل^(١) داعيها بفلاح من تاب إلى الكعبة البيت الحرام الذي علا في العالمين شرفها وذكرها، فأذن بشوق القلوب إلى تلك المواطن الشريفة بزمامه، وطالبها الإيمان بالوفاء بعهوده في الإجابة بدعوة إبراهيم الخليل -عليه السلام- وذمامه، فأسرع إلى أداء هذه الفريضة الواجبة، والعزيمة التي جعلها الله سبحانه أحد أركان الإسلام اللازمة^(٢) جماعة من سادة أهل البيت - عليهم السلام - وشيعتهم المقتدين بهم في الإقدام والإحجام معتصمين بالله سبحانه ومتوكلين عليه متوسلين بنبيه محمد ﷺ في بلاغ ما أملوه من ذلك إن شاء الله تعالى إليه، معتمدين على حمايته عز وجل ورعايته وإمداده وإعانتة وحماية من حمى الله بوجوده في أهل البيت النبوي ذلك الحرم، وصان^(٣) بعلي همته وشريف عزائمهم وافد الله تبارك وتعالى أن يهاج أو يهتضم، حامدين لله سبحانه على هذه المنة التي هي من أجل النعم، مادّين الأكف بالدعاء لتلك الحضرة الكريمة التي بها يحصل هذا المقصد الأعظم وتم، وفيمن صحب جماعتهم هذا العام، وهزه الشوق إلى أداء تلك المناسك [/] العظام الولد السيد جمال الدين علي بن أمير المؤمنين أمده الله بمواد التوفيق والتسديد، ويسر له من فضله أسباب المعونة والتأييد، وهو رعاه الله في غاية من الغباوة والحدائثة والجهل للأمر وعدم المعرفة لشيء من الأحوال لكننا اعتمدنا في أمره على الله سبحانه وتعالى وهو خير معتمد، وعلى ما علمناه من عناية تلك الحضرة الشريفة أدام الله عزها وأعلى قدرها بمن يوافيها من وفاد الله وحجاج حرمه وضيغه النازلين في فناء بيته العتيق، وكرمه ممن شملته دعوة الإسلام، وحوته ملة محمد عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام، فكيف بمن هو غصن من دوحها العظمى، وفرع إلى أصلها الشريف ينسب وينمى، فلا غنى لثله من ملاحظتكم له بعين الرعاية، ونظمه في سلك من حواه من شفقتكم كنف الحياطة والحماية، لا زلتم موثلاً للإسلام وأهله، ولا برحتم راعين لحق البيت النبوي وجامعين لشمله بمحمد وآل محمد ﷺ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وإلى الشريف مغامس مثله أو قريب منه.

(١) حيعل: اختصار لكلمات حي الصلاة وحي على الفلاح وحي على خير العمل.

(٢) في (ب): اللازمة.

(٣) في (ب): صار.

ولما انفصل مولانا علي أطال الله بقاءه ألقاه الإمام -عليه السلام- كتاباً هذه نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، الولد السيد الأجد الأكمل الأنبل الأوحد، جمال الآل وكريم الطرائق والخصال جمال الإسلام والمسلمين علي ابن أمير المؤمنين، كان الله له ولياً وبه حفيماً -والله يهدي إليه من السلام أوفره رضواناً، ومن الإكرام أرفعته بنيناً وأرجحه ميزاناً، ورحمة الله وبركاته وبعد:

فإن الله سبحانه وله المنة قد هيأ لكم أسباب هذا السفر الذي نرجو من فضله سبحانه أن يبارك لكم فيه ويبلغكم فيه أقصى الرغائب، وينجح لكم جميع المطالب، ويعينكم بإمداده على كل فضيلة، ويرقيكم كل رتبة في العمل [/] الصالح جليلة ومنزلة جميلة، فأول ما نوصيكم به تقوى الله عز وجل ومراعاة حقوقه، ومراقبة أمره، والإكثار من ذكره، وكثرة التضرع إليه، والاعتصام بحبله والاستمسك بعروته، وتفويض الأمور جميعاً إليه، والتوكل في جميع الأحوال عليه، والإكثار من تلاوة ذكره العظيم والمواظبة على وظائفه فإنها صراط مستقيم، وكثرة التوسل والتقرب إليه بنيه محمد -صلى الله عليه- الذي به سبحانه أكمل الرحمة وأتم النعمة وأعلى كل همة، ثم معاملة من في سيرتكم هذه المباركة إن شاء الله تعالى من عباده بالرعاية والبشر وحسن الخلق ولين الجانب والرأفة بهم والرحمة، فإن رعاية حق العبيد رعاية لحق ربهم وتعظيم لشأنه ولكل من المسلمين لا سيما على الولد حفظه الله تعالى حق، والخلق الذي هو مع الأبعد والأقرب، ويستوي فيه المحارم والأجانب، ثم فعل ما يمكنه فعله من الصدقات وصنائع المعروف التي جعل الله القسم الأول منها ذخرة للدار الآخرة، والقسم الآخر عصمة عن كثير من بوائق هذه الدار كما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -صلوات الله عليه وسلامه- : «وصنائع المعروف فإنها تقي مصارع الهوان»، وليكن ما تفعلون من ذلك إن شاء الله على صورة يحق عليكم حملها وتبشر بنقلها بأن تصر ما أمكن من ذلك إلى كل خيرة مجتمعة على قدر أحوالهم وحسب الأوقات من غير تجشم

حضور أحد بالموافقة لديكم، فإن الطريق صعبة، وأحسن ما تسهلون به صعوبتها أن الجماعة الذين يجتمعون خبرة يقومون بأعمالهم فتخف عليهم الأعمال ويتم لهم النشاط، والذي يسير إليهم إن شاء الله غير مصنوع هو أقوم بحالهم وأعود نفعاً عليهم، ثم إن اختصاص بعضهم دون بعض بالدعوة يوحش على المتروك، ولكل حق اللهم إلا من يحضر عند حضور الطعام ونحوه فلا ينبغي إلا مكارم الخلق في حقه والله يشبكم ويسدكم. ثم أخوتك حفظكم الله جميعاً تفقد أحوالهم وتنبه عليهم وكن [/] لهم أباً برأ شقيقاً شقيقاً، وعلى الولد حفظه الله ببسط الجانب والتخلق بالأخلاق الرضية للخاصة والعامة، وصبر نفسه على ذلك وليكن كما قال الأول^(١):

افعل الخير ما استطعت وإن كـ

ان قليلاً فلم تحيط بكله

ومتى تفعل الكثير من الخير

إذا كنت تاركاً لأقله

وملاك الأمر وسوره وحافظه ونظامه، هو ما قدمناه من تقوى الله عز وجل وتعظيم شعائره وإيثار حقه ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٦٤﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴿٦٥﴾﴾ [- : -].

ونحن نستودع الله دينكم وديناكم، وتوسل إليه بنبيه محمد وأهل بيته ﷺ أن يجعل لكم من لدنه عوناً كافياً ومرشداً هادياً، وأن يكلكم إلى عظيم رحمته وحكيم تدبيره، ولا يكلكم إلى أنفسكم ولا إلى أحد من خلقه، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

بتاريخ شهر شوال سنة خمس وثلاثين وألف^(١).

(١) لم أستدل على قائله.

(٢) شوال ١٠٣٥هـ / يونيو ١٦٢٥م.

رجعنا إلى تمام أخبار أسباب نقض الصلح

وهو -عليه السلام- مستقرب لحصول الثمرة، وكانت الكتب من مولانا الحسن - رضوان الله عليه- من صعدة لا تزال، ويجيها بيده الطاهرة ولا يعرف أحد، فمما وجدت من خفيات أسرار مكاتبة مولانا الحسن رحمة الله عليه إلى الإمام -عليه السلام- بخط يده الطاهرة ما لفظه في إلحاق:

نعم حفظكم الله وأصلح بحميد مساعيكم أمور المسلمين وأتحفكم بشريف السلام ورحمة الله وبركاته وتحياته ومرضاته، أحببت أن أذكر شيئاً من هذه الأمور وإن كنت لا أذكر في العد لمثل هذا عند مولاي غير أن السكوت على ما يحك في النفس غش، ويأبى الله أن يتلبس صنوكم بغش لكم أو لمسلم من المسلمين قد أسعدنا الله سبحانه أهل هذا البيت بأن قام قائمنا المنصور حتى سما بذكرنا إلى أعلى درجة في الدنيا، فلما إن اختار الله له دار جواره لم يضيعنا بل أودع سره في ذاتكم الكريمة، وهذه نعمة علينا خاصة ما نقوم بشكرها لا وعزته وجلاله إلا أن يعيننا على أداء شكر ما أسدى فهو القادر، ولم ينل والدكم قدس الله روحه [٨٢/ب] ما نال إلا بالجهد في الاجتهاد في ذات الله، وبذل الجد في الجهاد لأعداء الله، ولم يعرج مع ذلك على لوم لائم ولا لحي لاح مع مراقبة حدود الله وبذل دون ذلك نفسه ونفيسه حتى كان من أمره ما كان، وهذا الشأن من سرائر ذلك الإنسان ولم تسعده الليالي والأيام إلى ما أسعدت ولده المؤيد بالله إن شاء الله، بل كانت تأتي بأعاكيس فعانى هؤلاء القوم في ثورة منهم وشدة وضعف القبائل المناوين لهم وفترتهم حتى كان يقوم تارة ويقعد أخرى، حتى قضى تكليفه بالغاً وسعه، فنفعنا الله ببركاته وسره. ومولاي حفظه الله قد يسر الله له ما لا يتيسر لغيره تفضلاً منه ومنناً، فهاهنا لولب إن فكر فيه مولاي جرى عليه بإعانة الله وتأييده وتسديده^(١) بكل النجاة، وهذا شرح ما أودعته من ذلك. ليعلم مولاي حفظه الله وحماه أن هذه الشجرة الملعونة قد أذن الله بزوالها، ويسر أسباب انتقالها، والدنيا دار تكليف واختبار وليست دار أخبار بآية، أنه من المعلوم لمن عرف حقيقة أساس ملكهم في اليمن وقهرهم لمن ناوأهم ولا سيما في حرب أهل الحق إنما يأتي من اليمن وأكثرها وعمدتها على يدي الزوم لا

(١) تسديده: ليست في (ب).

رحمه الله من أمر الطعامات ونحوها، ثم أمن الطريق إلى مقرهم على يدي الحدا^(١) وقيفة^(٢) ومن إليهم، ثم مع ذلك إن القبائل إليهم مائلون وإلى الأليق بهم مسرعون ومهرعون إلا من عصمه الله، وهذه الأمور الآن بالنقيض فإن الجهة اليمنية ما يخرجون منها زبدياً طعاماً، بحيث أنه بلغ أن الباشا هذا صاح أن من جلب طعاماً إلى اليمن فلا يلومن إلا نفسه لأنه امتار^(٣) أهل اليمن من الجبل وهذا أمر لا يعهد، فصنعاء وبلادها ما يقوم بها قوتاً لشهر واحد، وهذا أمر سماوي، وهذا أهل الطرقات لهم منابزون محاربون، وهذا رعيتهم عنهم نافرون.

وهذه الشوكة بحمد الله قوية ويد الحق ظاهرة عليه، أفيحسب مولاي أن هذا حصل لوالده أو بعض منه، وحيث شاع في الجهات لهم ذكر الدويل^(٤) طمع كل من هؤلاء أن يعود عليه حاله، وأن هذه علة سببها هذا الرجل [/] الغوي فنكسر من هذه السورة، ونفث في عقيد هؤلاء المقاومين^(٥) لدولتهم من أهل ولايتهم. وقد صرحت له حفظه الله بما رأيت كما سبق، وليس الرأي الآن عندي غير ذلك والمبادرة، وإغفال ما هنالك تضييع للفرصة وإطراح للعمل بالحزم والعزم، ولا يتم أمر بغيرهما مع تدبير الله تعالى وإعانتة، والله سبحانه يطالبنا بأن نُلقِي إليكم هذا الحادث في النفس، والتكليف عليكم، غير أنه مُتَحْتَم على مولاي تطهير من تعلق بأهدابه من إخوانه من المؤمنين عن كلمة إنما صار إلى فلان أمرهم أمر للدنيا لا للدين حتى صارت عثمانية يتفككون، فأموال الله فيما بينهم وهمهم كسب الأموال والحرق وخلطهم السمين بالغث، وغير ذلك مما تتضمنه مجالس المعترضين، وإن كان في

(١) الحدا: قبيلة من مذحج ومنازلهم جنوب شرق مدينة دمار فيما بين سهل جهران غرباً، وخولان العالية شمالاً، وعنس جنوباً، وبنى

ظبيان من خولان شرقاً. ولقبيلة الحدا عدة فروع. (المقحفني: المعجم، ج ١، ص ٤٢٩).

(٢) قَيْفَة: بطن من مراد منازلهم شمال شرق مدينة رداع. وينقسمون إلى عدد من القبائل.

(المقحفني: المعجم، ج ٢، ص ١٣١١).

(٣) امتار: متره متراً: أقطعه أي حاصرهم.

(ابن منظور: لسان العرب، ج ١٣، ص ١٤).

(٤) في (ب): الدلائل.

(٥) في (ب) زيادة: هم المعادين.

علم الله تعالى البراءة عن ذلك فإنه مما كثر على صنوك هذا الكاتب أنه أخذ حصاناً وحصاناً وكذا وكذا، ولم يعلم القائل أن الحصان إنما يؤخذ للجهاد لا للتلذذ والمكاثرة، وأرى وجوب ذلك عليه، وإن اختص بشيء من بيت المال في أنواع السلاح فله ذلك، مع أن الحصان الذي كثر فيه هو حصان عبد الله بن عامر، وما علمت أني سلمت إليه بقشة واحدة، والآخر أهدها إلينا الطيب كذلك وإن سلمنا إليه ثمنه من بيت المال فهو لبيت المال زيادة وسيقف القائل من أي وجه يأتي ثمنه، ولقد بلغ إلى مولاي شيء من ذلك ولا أدري ما قال أو ما يقول، ونسأل الله العصمة والتوفيق إلى سواء الطريق إنه سميع الدعاء، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

رجعنا إلى تمام أسباب نقض الصلح

فلما قربت الثمرة، وتوجه الحاج للخروج من مكة المشرفة أعاد الكتاب بمثل ذلك، وكان فيما بلغني من الفقيه الفاضل صالح بن جابر العلماني أن سيدنا القاضي العلامة جمال الإسلام عامر بن محمد الذماري رحمة الله عليه ذكر للإمام -عليه السلام- أنه تنصب فلاناً على أولاد الفقيه حسن، وعلى أمواله في بلاد صنعاء، فكان الجواب عليه أن الرجل عندنا حي ونحن في طلبه ثم ضحك -عليه السلام- وكان كما تقوله الإمامية أن إمامهم لم يميت أو كما قال. [/] فعاد الجواب أنهم بحثوا فلم يجدوا له أثراً، ولا سمعوا له خبراً، فأعاد عليهم أن القابض له فلان وفلان في موضع فلان من صنعاء، وأنه دخل بيت النقيب صالح بن نهشل سعدان، فلما وصلهم الكتاب عظم عليهم، فأشار عليهم بعض أعوانهم بالاعتراف، ثم تقبلوا فيه الدية الشرعية، فلما اعترفوا عاقبوا أهل المدينة على أنها قسامة^(١) عليهم، وكثرت الكتب في مثل ذلك في شهر القعدة والحجة وأول محرم من سنة ست وثلاثين^(٢).

قال سيدنا القاضي شمس الدين أحمد بن سعد الدين أطلال الله بقاه: لا زالت المكاتبة

(١) قسامة: أي يتم اقتسامها بين أهالي القرية.

(٢) ١٠٣٦هـ = ١٦٢٦م.

أربعة أشهر رمضان وشوال والقعدة والحجة، ولا يعرف ذلك غيره وغير الحاجب، ولما تجهز مولانا أحمد^(١) أطال الله بقائه كما سيأتي، وصل رسول من صنعاء، فأخبروا الإمام -عليه السلام- أنهم فارقوه من بيت القانعي، فقال حي سيدنا القاضي العلامة سعيد بن صلاح الهبل: هل وصل بالفقيه حسن العلماني معه يعني ما يعني الكتب وقد برح الخفاء، وانكشف الغطاء، وكان آخر كتاب إليهم ما هذه نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى .

الحضرة السامية، والرتبة العالية، حضرة الوزير الكريم قدره، الكامل مجده وذكره، حائظ الوزارة السلطانية، وحافظ المملكة العثمانية حيدر باشا لزال محمود الخلائق، ميمون الطرائق، والله يهدي إليه السلام والإكرام، والإتحاف والإنعام، ورحمة الله المتصلة بالخير العام، وبعد:

فإنه ورد علينا جوابكم في تلك الأمور التي كررناها إليكم، والحوادث التي الحق فيها الله ولنا وللمسلمين عليكم من مثل قضية صاحبنا الفقيه حسن العلماني التي سار ذكرها وشومها، وطار شنارها ولومها، وبتكت^(٢) بها حبال^(٣) العهود الأكيدة، وهدمت بها أبنية الإصلاح المشيدة، التي إنما شرعت لحقن دماء المسلمين، وحفظ حرم المؤمنين، فنظمتموها في سلك الأمور [/] المجهولة والدعاوي المدخولة، ومثل تلك القضية بل وما هو دونها مما ظهر لكل سامع ورائي، وتيقنه كل دان ونائي، مما لا يجاب فيه بالمحال، ولا يخاطب فيه بتنميقات المقال، وإنما جوابه الإصلاح بما يجب في الشرع والعقل، ودمل^(٤) كلمه بما يرضي الله عز وجل، وأن يتبقى للعهد حرمتها ويحفظ لها عصمها وذممها، ونعيذ بالله

(١) المقصود به أحمد بن القاسم.

(٢) بتكت: البتكت: القطع؛ أي قطع الشيء من أصله.

(ابن منظور: لسان العرب، ج ١، ص ٣١٠).

(٣) حبال: ليست في (ب).

(٤) دمل: دمل الأرض يدملها دملًا وأدملها: أصلحها.

(ابن منظور: لسان العرب، ج ٤، ص ٤٠٧).

مقامكم العالي ومنصبكم السامي أن ينطوي على غش أو يشتمل على غدر، كما نستعيذه سبحانه أن نضيع نحن حق المسلمين أو ندليهم والحال هذه بغيرور ولا تُبين لهم أمرهم، ونلزمهم أن يأخذوا كما أمرهم الله حذرهم، وأن له سبحانه في عباده إرادة، وعلى دينه غيرة، وبعتره نبيه ﷺ حفاوة، وهو العالم سبحانه ن تكرار هذه المراجعة إبلاغ إليه وإقامة للمعذرة عنده، وسعي في تسكين الفتنة التي ورد في الحديث عنه ﷺ: «الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها»^(١).

وإنما نحن به وإليه وهو حسبنا ونعم الوكيل ونعم المولى ونعم النصير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

نعم وكان من رسم مكاتبة مولانا أمير المؤمنين المنصور بالله القاسم -عليه السلام- كما أخبرني كثيرون من أصحابه إلى الباشا صاحب صنعاء ومن هو كمثلته أن العلامة الشريفة في محلها المعروف في صدر الكتاب كما يجب، وترك التراب الأحمر^(٢) كان بطلب^(٣) جعفر باشا لذلك فأجابه الإمام إليها، واستمرت كذلك إلى هذا الكتاب.

قال سيدنا القاضي العلامة صفى الدين أحمد بن سعد الدين أيده الله، ولما فرغ هذا الكتاب المتضمن نبد العهد أفرغت عليه التربة فضحك الإمام -عليه السلام- وقال: أخل الكتاب عن الحمرة ولا تفعل فأقسم^(٤) لا كان إلا وضعها، فسألته ما كانوا يفعلون عوضها قبل ذلك، قال: سحيق الصندل^(٥).

نعم وكان هذا الباشا مع وصوله اليمن قبض على مشائخ الحدا الذين هم: الشيخ علي بن فلاح، والشيخ زيد بن أحمد [/] الناصح لهم في أخبار مولانا الإمام المنصور بالله -عليه السلام- والمشائخ الذين من تحت أيديهم، وجعلهم في الاعتقال، ثم أرسل عليهم المحاط إلى قفر حاشد وكانت فوق عشر محاط، وجعل عليهم جميعاً الأمير سنبل بن عبد الله الصاير إلى

(١) رواه الرافعي في أماليه عن أنس. (إسماعيل العجلوني: كشف الخفاء، ج ٢، ص ٨٣).

(٢) وترك التراب الأحمر: لم نتوصل إلى السبب الحقيقي لهذا، ولعله لتجفيف الحبر من الورق وتلوينه.

(٣) في (ب): يطلب.

(٤) في (ب): فأقسمت.

(٥) سحيق الصندل: نشارة خشب الصندل الناعمة.

جانب الحق ساعده الله تعالى كما سيأتي إن شاء الله تعالى . فقتل من الحدا ومن خالطهم جملة بعد حروب عليهم شديدة ومغازي وأخذت مواشيهم، ثم التجأوا إلى جبل في القفر يسمى وعلان وضاق عليهم الأمر، فخاطبوا على خروجهم من البلاد السلطانية، وأنهم يفتحون^(١) لهم الطريق إلى المشرق بلاد لمدة^(٢) ونواحيها، فرتبوا العساكر عن يمينهم وشمالهم وخلفهم وأمامهم، وساقوهم^(٣) وما بقي معهم من المواشي حتى أخرجوهم جانب أسبيل^(٤) من بلاد عنس، وقد لحقهم بعد القتل والنهب مذلة، فروي أنهم أخذوا من أبنائهم وبناتهم سبايا، وأنهم باعوا أحدهم بجمنة قهوة^(٥) لقصد إذلالهم، وقتلوا من كبارهم كثيراً بعد الأمان. والحدا فريقان منهم من في بلاد القفر، ومنهم من في السراة فأظهروا أنما المطلوب إلا الذين في القفر. فلما حصلوا أمر الباشا الأمير سنبل بالعود عليهم وكان قد عاد إلى بلاد ريمة وهي في ولايته، فعاد إليهم واجتمع له العساكر من صنعاء وغيرها، وقفى أثرهم حتى أدخلهم جانب بلاد خولان الطيال^(٦) وقد تقطعوا واستجاروا بقبائل المشرق، فدافع عنهم خولان بالمعاذير بأن الحدا قد تفرقوا عند جميع قبائل المشرق، وعندنا مثلهم فتطلبوا من الجميع يحصلون من عندهم ونحن من جملتهم وكذا.

ولما خاف خولان وعظم الأمر توجه إلى الإمام -رضوان الله عليه- جماعة من الحدا من مشائخهم وعقاهم وحي الشيخ نشوان بن علي أبو عريج الخولاني، وكان من أهل عارضة اللسان. ولصيره إلى مولانا الإمام المنصور بالله -عليه السلام- كما أخبرني حي مولانا أمير المؤمنين المؤيد بالله -سلام الله عليه- في حديثه وهو أنه كان خائفاً من جعفر باشا لمتاخمته لعبد الله شلبي المقدم ذكره، وأنه من أهل الصناعة في المضحكات وله أخبار، فأرسله عيون

(١) في (ب): يفسحون.

(٢) لمدة: لم أعر لها على ترجمة فيما بين يدي من المصادر.

(٣) وساقوهم، ليست في (ب).

(٤) أسبيل: جبل مشهور شرق مدينة ذمار. (المقضي: المعجم، ج ١، ص ٥٨).

(٥) جمنة قهوة: وعاء فخاري يشبه إلى حد ما كوز الماء، ويستخدم لغلي مشروب القهوة في اليمن.

(٦) خولان الطيال: ويقال لها: خولان العالية، ومنازلها ما بين صنعاء ومارب شرقاً، وفروعها المعروفة اليوم بنو سحام، السهمان،

البيانتان، قزوي، بنو شداد، بنو ضبيان، بنو جبر، الأعروش، بنو جهم.

(المقضي: المعجم، ج الأول، ص ٥٨٧).

من أمراء العرب [/] إلى الإمام -عليه السلام- يأخذ لهم منه عقداً وأنه يقدم -عليه السلام- إلى جبال اللوز^(١) ثم يصيرون إليه لينجوا من شر الباشا، فوصل إلى الإمام -عليه السلام- وله كلام كثير من مثله، من أهل وقتنا فيه ازدواج وصناعة خطب به مع وصوله سمعته منه ومن غيره، وكتبه كثير من الأصحاب، ثم خلص وتاب وأعطاه الإمام المنصور بالله -عليه السلام- ما يعظم في ذلك الوقت. فوصل هذا الشيخ نشوان والحداء، وبالغ من تحريض الإمام على الجهاد وبلغ أنه بكى عند قبر الإمام المنصور بالله -عليه السلام- في شهارة وطلب آلة القبور، قال يفتح على الإمام ينصر الحداء وكذا. وكان الإمام -عليه السلام- كما قال الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة -سلام الله على روحه- في جواب على حي الفقيه العلامة المصقع البليغ شرف الدين أبي القاسم بن حسين بن شبيب التهامي رحمه الله:

فلا تبتسئس مما ترى من إنانتنا

فكم حركات في سكون وماتدري

وقد حضرت الثمرة، فأرسل الإمام -عليه السلام- العمال لجمعها. وقد قدم مقدمات رأيناها ولا عرفنا المراد إلا بعد ظهور الأمر، منها أنه كان يخلو بمولانا الحسين -رضوان الله عليه- كل ليلة بعد سكون الناس، وأظهر أنها يقرآن كتاباً فلا يظن أحد أنه إلا ذلك، وإنما هما يتناظران في وجوب القيام، ونبذ عهد الظالمين إليهم، ويدبران القيام وما يجب تقديمه من النظر العام. وكان قد جعل قاعدة إرسال سعاة إلى جهات الخيمة من السادة والفقهاء وغيرهم يقبضون له الفطرة والندور وزكاة المواشي من غير واسطة الولاية فلأجل ذلك واختلافهم إلى الخيمة كثير لا يعرف أحد أن المقصود إلا ذلك مع الحركة الكبرى، فكنت ممن عين على جهة الحجرة^(٢) فالعام الأول عمل لا غير.

(١) جبال اللوز: جبل من جبال خولان الطيال شرق مدينة صنعاء، وسمي كذلك لزراعة اللوز التي تتوفر فيه، ومن آثاره سد شاحك.

(المقحفني: المعجم، ج ٢، ص ١٣٨١).

(٢) الحجرة: قاع فسيح في الخيمة الخارجية غرب جبل حضور، ومعروف بحجرة ابن مهدي.

(المقحفني: المعجم، ج ١، ص ٤٢١).

وفي هذا العام في شهر القعدة أمرني وغيري ممن وجهه كما بلغني بالبقاء وإن كمل العمل حتى يأتي رأيه الكريم. ثم طلب حي القاضي الأعلم أحمد بن علي بن أبي الرجال رحمه الله، وكان رحمه الله مقبولاً محبباً، وأمره بالمسير إلى بلاد خولان العالية يقبض منهم [ب/ ٨٥] ما أمكن من الواجبات، وأن يتركها في تلك البلاد ولا خير إلا أنه يريد تذكيرهم بحقوق الله على يد هذا الرجل المؤلف.

ولما وصلت البشري بوصول ولده والحاج، وقد أمن عليهم.

نبت إلى الظالمين عهدهم وأظهر أمره -سلام الله عليه ورضوانه- وكان أول من تجهز لذلك قبل ظهوره مولانا شرف الدين^(١) الحسين ابن أمير المؤمنين المنصور بالله -سلام الله عليهما- في غرة محرم عام ست وثلاثين وألف^(٢)، وأظهر أمره وأظهر أنه يريد طيافة بلاد الشرف وهي إليه، وتجهز ولا يعرف أحد أنه يريد إلا الشرف، فلما وصل الشرف جمع عسكره وكان له فيها عسكر عظيم نحو ثمانمائة نفر، وينضم إليهم إلى نحو اثني عشر مائة، كان جاعلاً سبارهم^(٣) مطالب الشرف وناظماً أحوالهم لمثل حاجته إليهم، فأخبرني كاتبه الشيخ الفاضل المجاهد الكامل فارغ بن خيران وقد أقسم بالله لا أقترض خمسة حروف مصروف الطريق لمولانا الحسين إلا قرضاً وكل محصول البلاد المذكورة للعسكر المنصور بالله ولن يلم.

وكان مولانا الحسين -رضوان الله عليه- في أيام الصلح مكباً على العلم والتأليف، ولقد روي أنه بقي فوق سنتين لا يعرف منازل نسائه وإنما جلسه وسميره كتابه حتى كان يضرب به المثل. ولما وصل الشرف أظهر أنه يريد الغزو إلى جانب تهامة، وأمر العسكر بالاستعداد وأن يتزودوا لثلاث ويخففوا من أمتعتهم، ثم سار مغزاً ليلاً ونهاراً في حدود بلاد حجة^(٤)

(١) في (ب): شرف الإسلام.

(٢) محرم ١٠٣٦هـ = سبتمبر ١٦٢٦م.

(٣) سبارهم: السبار: إطعام الجنود من قبل أهالي القرية أو المحل.

(٤) حجة: مدينة تبعد عن صنعاء بمسافة ١٢٧ كيلو متراً، ويكتنف جبال حجة عدد من الأودية أهمها وادي عين علي، عكاب، شرس. من قرى حجة: الظفير، بني العوام، نجرة، الشغادرة، بني قيس، الطور، وضرة، كعيدنة، الشاهل، ميين، شرس، كحلان عقّار، المفتاح، المحابشة، أفلاح الشام، أفلاح اليمن، أسلم، قفل شمر، الجميمة، كحلان الشرف، بكيل المير، وشحة، كشر، صوير، المدان، شهارة، ظليمة حبور. (المقحفني: المعجم، ج ١، ص ٢٢٣).

وكوكبان، وكانت طريقه الخبت^(١) من بلاد بني قيس من أسفل جبل وضرّة^(٢) من جهات المغرب ثم خبت بني الأهيل^(٣) وأسفل نمرة^(٤). ثم سارع، ثم خرج إلى بني سعد من أعمال خبوت بلاد مسار، ثم منها إلى بلاد صعفان^(٥)، ثم صعد إلى أعلى حصن مسار المحروس بالله. وكان حي القاضي شمس الدين أحمد بن محمد السلفي رحمه الله قد تقدمه من عند الإمام -عليه السلام- ولا علم له بها هم عليه، وكان إليه البلاد المذكورة وتوفي عقبها رحمه الله، [/] فأمر الإمام -عليه السلام- بولاية ولده القاضي العالم محمد بن أحمد رحمه الله، وفي ألفاظ هذا الكتاب بلاغة فائقة ومواعظ نافعة، وتركانه للاختصار فاستقر في مسار أربعة أيام.

ووصلت كتبه الكريمة إلى جهات الحيمة ونواحيها أن الإمام -عليه السلام- أمره بطيافة الحيمة وكذا، وكنت في الحجرة على العمل الذي أمرني به الإمام -عليه السلام- وإذا بقائل يقول: جمال الباشا في الفرش^(٦) ما بين بلاد أنس وبلاد الحجرة، نحو ثلاثمائة ومعها عسكر وعليهم رئيس للخطب، فإذا كان وصول مولانا الحسين للجهاد كان الابتداء بها ولا خبر معنا إلا أنه طائف. خلا أي قد سمعت الإمام يكرر، علي أنكم إذا وجدتم باروت^(٧) في الخنائف شريتم مما بنظركم وأكثرتم ولو به كله. وكلام يؤيد ذلك من أفواه العامة، فبادرت

(١) الخبت: الأرض المنبسطة أسفل الجبال من ذلك خبت المحويت أسفل جبلي حفاش وملحان. وخبت بني درعان في بني مطر غرب صنعاء. (المقحفي: المعجم، ج ١، ص ٥٥٩).

(٢) وضرّة: جبل بالغرب الشمالي من مدينة حجة، وتشمل: القحطاني، جبل النصيري، وبني دعفين، بني طفيان، العميسي. وفي جبل وضرّة عدة قلاع منها: قلعة السباعي، وقلعة النصيري، وقلعة الملح، وقلعة مرواح، وقلعة عزان، وقلعة الخير، وجبل قحطان، وجميعها تحتوي على آثار قديمة. (المقحفي: المعجم، ج ٢، ص ١٨٧٧).

(٣) بني الأهيل: من مشايخ قبيلة الزعلية في وادي مور. (المقحفي: المعجم، ج ١، ص ١١٦).

(٤) نمرة: جبل ومركز إداري من مديرية الخبت في محافظة المحويت، من بلدانه: الشرف، القارة، المكتحل، قرن غانم، المدابير، الحازة، القلعة. (المقحفي: المعجم، ج ٢، ص ١٧٦٣).

(٥) صعفان: جبل مشهور بالقرب من مناخة في حراز غرب صنعاء. ومركزها متوح، ومن أقسامها: المغارب، بني جرين، بني عراف، الجروح، مدول، الطرف، بني سحاق.

(المقحفي: المعجم، ج ١، ص ٩١٠).

(٦) الفرش: قاع فسيح يتوسط أنس وبني مطر ويعرف بفرش أنس، فيه عدد من الحمامات الطبيعية، منها: حمام سويد، وحمام قمعة.

(٧) باروت: البارود.

بتعريفه إلى مسار، فعاد في إلحاق ذلك الكتاب بخط يده الكريمة إذا أمكن ذلك فهذه فرصة إغتنمها بشرط أن لا يكون في ذلك سفاط^(١) ووهن أو كما قال. فجمعنا لها قوماً فحذروا وفروا بها، وهو قدم جهات الحيمة حتى وصل العرّ^(٢) وهو قلب الحيمة ومحل الولاية فيها، وتكاملت إليه عساكره من جهة القبلة^(٣) وأهل الحيمة، ثم أظهر أمره وبث كتبه وسراياه شرقاً وغرباً، ووصل خطاب من الأمير علي بن شمس الدين في عود الصلح، فأجابه الإمام -عليه السلام- بكتب بسيطة مملوءة علماً، وعرفه على الوجه المضيّق لنبد عهدهم إليهم حتماً.

نعم وهذه الفتوحات والحروب على الظالمين في شهر واحد، من جهات القبلة مولانا صفي الدين أحمد بن أمير المؤمنين حفظه الله وغيره من الأعيان من حدود الظواهر إلى نواحي جبل تيس^(٤) من جهة المغرب. وجهات المشارق توجه إليها الحاج المجاهد شمس الدين أحمد بن عواض الأسدي رحمه الله، والسيد المجاهد الشهيد الهادي ابن علي الشامي رحمه الله، والقاضي العالم المجاهد أحمد بن عامر الذماري، ثم تضايق عليهم الأمر، ووصل من جهات صعدة مولانا ملك الإسلام الحسن بن أمير المؤمنين رحمه الله^(٥).

ولنذكر جمل هذه الجهات [/] والأمراء والسرايا على سبيل الترتيب والإجمال لأخبارهم لقصد الإختصار والله الموفق والهادي.

فصل في أخبار المغارب وفتحها

قد تقدم ذكر وصول مولانا شرف الدين الحسين ابن أمير المؤمنين إلى العر من الحيمة، ثم صعد منه إلى بلاد حضور فوصله أهلها وطرّدوا من عندهم من أعوان الظالمين، وصار إلى

(١) سفاط: (عاميّة) المزاح.

(٢) العرّ: جبل في الحيمة الداخلية غرب صنعاء يتصل بجبل النبي شعيب. (المتحفي: المعجم، ج ٢، ص ١٠٣٤).

(٣) جهة القبلة: أي كل المناطق والأقاليم الشمالية.

(٤) جبل تيس: جبل مشهور في المحويت يقال له اليوم: جبل بني حبش، وتقع على سفحه مدينة المحويت. (المتحفي: المعجم، ج ١، ص ٢٤٧).

(٥) هكذا وردت. فقد تم نسخ المخطوط بعد وفاة الحسن بن القاسم.

جبل حضور ثم جمع عسكره وقبائل الحيمة وأمرهم مع الشيخ المجاهد الشهيد جمال الإسلام علي بن عبد الله الطير وغيره إلى أعلى من صنعاء، وعشروا هنالك وعادوا بلاد حضور. وقد اجتمع غالب المغرب إليه، وقد أرسل إلى بلاد أنس حي السيد المجاهد المطهر بن ناصر الدين الحمزي رحمه الله، ثم أمرني باللحوق به فكان الحرب على محطة الترك في نمارة^(١) من أعلى بني قشيب^(٢) وكان في الناس ثقاقل، وملل الذين هم أهل البلاد الإمامية، وفي أهل أنس ضعف شديد وخوف عواقب، وكان حي الشيخ حسين بن ناصر بن راجح صادق الولاء فكان أحسن من يعتمد عليه. وحاصرنا آغا العجم المسمى مزاحم في نمارة وكان من شياطينهم، وقُتل من أصحابه نحو خمسة أنفار أو ستة، ومن المجاهدين مثلهم. وأسر من أصحابه أيضاً أهل مرتبة خارج الحصن نحو عشرين قصبه بندق وأخذ سلاحهم، ثم وصل لهم غارة من صنعاء الأمير أحمد بن عبد الرحمن أخ الأمير عبد الرحيم^(٣) في نحو ألف قصبه بندق، وكذا محطة كانت في ظليم في الهان، ثم تشرعوا للحرب حتى اتصلوا بأوائلهم بالمنجزيين، وضعف أهل المغرب عن مقاومتهم فوجدوا طريقاً لهربهم ولحوقهم بأصحابهم، وصلحت بلاد أنس كلها. وكان أرسل مولانا الحسين رضوان الله عليه مع ذلك لقصد أخذهم الشيخ المجاهد علي بن عبد الله الطير، وكانت طريقه بلاد ريشة أعشار ثم عافش^(٤) ودخل مخلاف عاتين^(٥). وأرسل بعده السيد العلامة شمس الدين أحمد بن علي الشامي أطل الله بقاءه إلى بلاد الهان وهو - عليه السلام - في جهات بني مطر، فما وصل السيد والشيخ [/] ومن معهم إلا وقد انفصلوا واتصلوا بجهران^(٦)، ثم خرجوا إلى المحاط التي في

(١) نمارة: مديرية في جبل الشرق، أنس، محافظة ذمار.

(المقحفني: المعجم، ج ٢، ص ١٧٦١؛ الحجري: المجموع، ج ٢، ص ٧٤٤).

(٢) بني قشيب: جبل في بلاد أنس مديرية جبل الشرق محافظة ذمار.

(المقحفني: المعجم، ج ٢، ص ١٢٧٧).

(٣) عبد الرحمن وعبد الرحيم: من آل شرف الدين وقد كانوا في بداية الحرب يقفون إلى جانب العثمانيين ويحاربون معهم.

(٤) عافش: قرية في بلاد الروس جنوب صنعاء.

(المقحفني: المعجم، ج ٢، ص ٩٩١؛ الحجري: المجموع، ج ٢، ص ٥٧٢).

(٥) عاتين: من قرى بني حاتم في جبل ضوران أنس، تقع في سفح قلعة القاهرة وهي من مراكز العلم القديمة.

(٦) جهران: حقل واسع أسفل نقييل يسلمح باتجاه ذمار، وتشقه الطريق المتجهة من صنعاء إلى ذمار.

(المقحفني: المعجم، ج ١، ص ٣٦٥؛ الحجري: المجموع، مجلد ١، ص ٢٠١).

زراجة^(١) ونجوا.

وأما بلاد ريمة ووصاب وعممة فكان في وصاب الأمير حسن كور من أمراء العجم، وفي عممة آغا يسمى دلاوار، وكان في ريمة كاشف من جهات الأمير سنبل فوصلهم الخبر بخروج مولانا الحسين رضوان الله عليه إلى الحيمة، وشن الحرب على الترك من كل جهة. أمرهم الباشا بالاجتماع إلى الأمير كور حسن وأن يطلعوا إلى ذمار، وفي هذه البلاد وأهلها من الضعف والذل ما لا يقدر على الدفع عن أنفسهم ولا أن يلحقوهم بمكروه. وصارت البنادق فوق ألف وخمسمائة من غير أهل السلاح فصعدوا من رمع القحضة، ثم خرجوا إلى مُلص^(٢)، وكان سبب طلوعهم التفريج على المحطة التي في نمار، فإن بعض أهل الرأي أشار على السيد المطهر بن ناصر الدين الحمزي رحمه الله أن هؤلاء في مقطعة من الماء^(٣) وهم كثيرون، وقد أجابت قبائل المغرب فلو نزل إليهم الشيخ حسين بن ناصر بن راجح والشيخ أحمد بن ناصر في قبائلهم وأهل المنار^(٤) ومن إليهم أخذتموهم وكانت غنيمة باردة. وصار إلى هذا الرأي فدافعته عنه مراراً مخافة أن يفلت من في نمار، وأن يعجز عن حرب الطائفتين وما عندنا من أهل البنادق من يزيد على المائة بأكثر من خمسين، ثم كانوا يتخلفون ويهربون فقد تبقى المراتب خالية لعدم انضباط القبائل، ثم إني نمت نهاراً وكنا في حجر قران بيننا وبين العدو قدر بلاغ^(٥) البندق. فما رأيت إلا الرايات والعزم للقاء المحطة في الوادي، فقلت: كان الرأي غير هذا فلم يلتفت منهم أحد بغير أنتم مع الله وخاطركم الدعاء، فلما دنوا من أولئك الجموع هابت القبائل لقاءهم، وكان توجه معهم بغير رأي حي الصنو الشهيد صلاح بن

(١) زراجة: مدينة في الحذاء في محافظة ذمار من قراها: يكار، محضر، سابقين.

(المقحفني: المعجم، ج ١، ص ٧٣٨؛ الحجري: المجموع، ج ١، ص ٣٩٤).

(٢) مُلص: قرية في عنس محافظة ذمار، تشتهر بمعدن العقيق.

(المقحفني: المعجم، ج ٢، ص ١٦٣٨؛ الحجري: المجموع، ج ٢، ص ٧١٩).

(٣) في مقطعة من الماء: أي بعيدين عن مياه الشرب.

(٤) المنار: جبل ومركز إداري في بعدان محافظة إب.

والمقصود بالمنار هنا هو وادي المنار في منطقة كُهال في ضوران آنس محافظة ذمار.

(المقحفني: المعجم، ج ٢، ص ١٦٤٤).

(٥) في (ب): بلغ. وبلاغ البندق المسافة التي تصل إليها الرصاصة.

عبد الله رحمه الله تعالى فإنهم استدعوه يكون لهم جامعاً لكلمتهم، فسار في ستة أنفار فقط، فتقدم هو والشيخ أحمد بن ناصر بن راجح من أمام المحطة فرمتهم البنادق فما بقي غيره أعني الصنو صلاح. فاحتمل البيرق من يد صاحبه وارتفع بين القبائل فاحتز [/] الظالمون رأس الشيخ أحمد بن ناصر ومن معه، وناوشهم الآخرون من ورائهم وصعدوا إلى ملص سالمين. وقد قتل منهم نفر دون العشرة واحتز منهم رأس، ومن ملص صعدوا إلى ذمار، ووصل مع ذلك^(١) الأمير أحمد بن عبد الرحمن كما تقدم فحصل من هذه خروج من في نمارة. وكان قد أحيط بهم وعلق رهنهم، وكان كما قال مولانا الحسين رحمة الله عليه لما كتبنا إليه بسلامتهم وخروجهم ليلاً سلموا منها لأشر منها إن شاء الله تعالى وانفتحت المغارب كلها.

أما بلاد ريمة فتقدم لفتحها القاضي الأعلم بدر الدين محمد بن أحمد السلفي^(٢)، وكان والده توفي في تلك الأيام رحمه الله كما تقدم.

وأما جهات عتمة ووصاب فإنه أمرني مولانا الحسين رحمة الله عليه فأجاب أهلها وكثر الأتباع، وفيها حوادث وغدر في جهات وصاب في موضع يسمى قنعة^(٣)، وفي سوق الأحد أخرى، وفي مغربة الجعافر من بلد الأحد أخرى، واتفق حصار لنا في جبل بني عباس من بلاد الأحد، وعادت الأمور إلى المحبوب بوصول الغارات أنفعها من عند مولانا الحسن رضوان الله عليه كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

ذكر فتح حُفاش

ثم إنه أرسل لفتح حُفاش^(٤) السيد محمد بن علي المعروف بالقراع، والسيد الحسن بن

(١) ذلك: ليست في (ب).

(٢) أحمد بن محمد السلفي: سبق ترجمته.

(٣) في (ب): قُبعة. وهي الأصح. وهو واد في أسفل حصن السانه في وصاب العالي، محافظة ذمار.

(المقحفني: المعجم، ج ٢، ص ١٢٤٤).

(٤) حُفاش: سلسلة جبلية في محافظة الحوities بالقرب من ملحان، ومن بلدانها: دهمان، الملاحنة، بني قشيب، الذاري، بني أحمد، السهمان،

بني عمر، بيت الشجاع، مُحاطة، رأس الأحجول، جبل نعمان، بني مأمول، بني أسعد. وكلها مناطق غنية بمواردها الطبيعية، كما أنها

مناطق لا تخلو من الآثار القديمة. (المقحفني: المعجم، ج ١، ص ٤٨٢؛ الحجري: المجموع، مج ١، ص ٢٧٧).

محمد المهجرة كلاهما من سادة كوكبان، فاستولوا عليها وحاصروا واليها المسمى عسلان آغا
ومن معه.

ووصل إلى مولانا الحسين رضوان الله عليه أسيراً وأخذ ما معه وصار حفاش وملحان
وما إليها إلى جانب الحق.

وأما الشيخ المجاهد علي بن عبد الله الطير فإنه تقدم إلى ذي يسان^(١) من أعمال روس
سنحان وقد انهزم الأمير سنبل من جبال اللوز كما سيأتي إن شاء الله. وأغار حتى أزاح السيد
الهادي بن علي الشامي والحداء من الذراع فلأزمه الشيخ علي بن عبد الله ومن معه الحرب
وغلب عليه - أعني الأمير سنبل، والشيخ علي ومن معه استقروا في ذي يسان كما سيأتي إن
شاء الله تعالى.

وأما السيد العلامة أحمد بن علي الشامي أطال الله بقاءه، فوصل إلى بلاد أنس بعد فتحها
[/] وكان في حكم الغارة، فلما لم يجد العدو استعان من أنس من أيسر ما أمكن من المال
والرجال. وتقدم إلى نواحي الذراع^(٢) كما سيأتي في أخبار الذراع، ووصل سيدنا الزاهد
العلامة عز الدين محمد بن عبد الله الغشم نفع الله به من عند الإمام - عليه السلام - بولاية
على المغارب كلها. وكان الإمام - عليه السلام - يظن أن فتح المغارب يتصعب جداً فيكون
سيدنا أعاد الله من بركاته مجاباً، كما كان حي سيدنا نجم الدين يوسف بن علي الحماطي
رحمه الله تعالى فهو تلوه في خصاله الحميدة، وما لم يبق إلا حفظ الحقوق وسياقها أعيان أياماً
ثم بدا له الترك، وعاد إلى حاله المعهود من وظائف الطاعات والمسير في البلاد للوعظ
والتذكير كما ذلك دأبه رحمه الله تعالى.

وأما السيد المطهر بن ناصر الدين ومن صار إليه من أنس فصار إلى صنعة^(٣) من غربي

(١) ذي يسان: قرية في بلاد الروس جنوب مدينة صنعاء. (المقحفني: المعجم، ج ٢، ص ١٩٠٩).

(٢) الذراع: قرية في جبل الدامغ مديرية السنيان.

(المقحفني: المعجم، ج ١، ص ٦٤٦؛ الحجري: المجموع، ج ١، ص ٣٤٠).

(٣) صنعة: قرية أسفل بلاد جهران، تشرف على وادي سرية.

(المقحفني: المعجم، ج ١، ص ٩٢٢).

ذمار، هو والشيخ حسين بن ناصر ومشائخ أنس استقروا فيها أياماً، حتى استقر مولانا الحسن ابن أمير المؤمنين رضوان الله عليه في نواحي الذراع كما سيأتي إن شاء الله.

وأما العجم وجنودهم فاجتمعوا إلى المدائن من اليمن إلى صنعاء فكان في إب وذي جبلة في بعض اليمن محاط مع أمراء كثيرة، وفي يريم وذمار وزراجة والذراع والقبتين وسيان^(١) وبيت اللوذعي وريمة سنحان، وصنعاء هؤلاء الذين في جانب^(٢) اليمن. ثم إن مولانا الحسن بن أمير المؤمنين رضوان الله عليه تقدم إلى أعلى من صنعاء، وأخذ رتبة من العجم في بيت بوس^(٣) وملكه وجعل فيه رتبة، ثم أردفها برتب في أعلى الجبل واستوثق من تلك المواضع، وأرسل جمهور الحيمة مع القاضي عماد الدين يحيى بن أحمد المخلافي لفتح جبل تيس، فلا زالوا حتى اتصلوا ببني الخياط بموضع يسمى العرة، وكانت أياماً مشهورة بشدة الحرب، وقد جمع الأمير عبد الرب جنوده وأمراء كثيرين من العجم شيئاً بعد شيء.

ووصل من عند الإمام -عليه السلام- السيد العلامة أحمد بن محمد بن لقمان رحمه الله وصار في موضع يسمى تريادة^(٤)، والسيد علي بن محمد بن عيش وشيخ عبد الله الدقة، والفقير علي بن محمد العلوي، والسيد شرف الدين [/] بن المطهر بن عبد الرحمن والسيد الخضر^(٥) بن الهادي بن الحسن وسيدنا العلامة عبد القادر بن علي المحيرسي أطال الله بقاءه، وكان في الموضع المعروف بالماخذ، وقد تقدم في أخبار مولانا الإمام القاسم أن والده استشهد فيه رحمة الله عليه.

(١) سيان: قرية جنوب شرق صنعاء، وهي من قرى سنحان.

(المقحفني: المعجم، ج ١، ص ٨٣٣؛ الحجري: المجموع، مج ٢، ص ٤٣٧).

(٢) في (ب): طريق.

(٣) بيت بوس: قرية في ناحية بلاد البستان في الطرف الغربي لمدينة صنعاء أسفل جبل عيبان. وهي منطقة مشهورة بآثارها القديمة. وقد

امتد العمران إليها وأصبحت من ضواحي صنعاء.

(المقحفني: المعجم، ج ١، ص ٢٠٤؛ الحجري: المجموع، مج ١، ص ١٢٩).

(٤) تريادة: قرية في بني الخياط من مديرية الطويلة محافظة الحويت.

(المقحفني: المعجم، ج ١، ص ٢٢٧؛ الحجري: المجموع، ج ١، ص ١٤٣).

(٥) الكلمة غير منقوطة وما أثبتته اجتهاد مني.

وكان السيد جمال الدين علي بن عبد الله العبالي في ذلك الموضع وانهمز، وكانت المراكز خارج الطويلة والغارات من صنعاء ليلاً ونهاراً وكان يدخل عليهم جنود الحق إلى بعض المدينة، وملكوا نصفها مراراً ويخرجهم جنود الحق، وكان ذلك نحو أربعة أشهر قل يوم لا يكون فيها حرب. ومن طريف خبر العسكرين وقد تعارفوا الأصوات لطول التلازم فقد يتكلمون بالبدا من القول فقال بعض جنود الظالمين لبعض جنود الحق من أهل الخيمة في يوم الخميس: بيننا وبينكم غداً الجمعة إذا لم نمحق^(١) جمعتمك يعني صلاة الجمعة فعلينا كذا، فقال الحيمي مسرعاً في الجواب: لئن محقتم علينا صلاة الجمعة خرنا سبتكم^(٢) فكان أعجوبة مع الفريقين للتورية الحسنة. ثم أرسل مولانا الحسين رحمه الله محطة مع الشيخ هادي بن ذياب الزغافي إلى بيت مليك فملكوا الضلع.

ووصل من عند الإمام عسكر عليهم الفقيه الفاضل محمد بن علي الأكوخ وكان في بيت متعين^(٣)، ووصلت الغارات من صنعاء وكوكبان وعظم الأمر حتى انهزم الشيخ هادي الرغافي ومن معه إلى شبات^(٤) بعد قتال شديد. وكذلك أصحاب الإمام -عليه السلام- أهل الجانب الآخر إلى وادي السيل، فأغار مولانا الحسين ابن أمير المؤمنين رضوان الله عليه بنفسه إلى الأهجر^(٥)، وفي هذه الغارة أو غيرها أخبرني السيد حسن بن صلاح المشرعي أنه انتهى في حضور يعني مولانا الحسين وعسكره جانباً مما يقرب من العروس، وكادوا يهلكون من البرد وكانت طريقهم حضور ليلاً وهو معروف بالبرد نهاراً، ففزع مولانا ومن معه إلى العصي التي في المحطة وأضر موها ناراً واصطلوا عليها، وقد كان أضر بهم ألم البرد، واستقر

(١) نمحق: المحق النقصان وذهاب البركة. وشيء ماحق ذاهب.

(ابن منظور: لسان العرب، ج ١٣، ص ٣٨).

(٢) خرنا سبتكم: الحرم الشق وتحرم ثقبه أي أنشق. (ابن منظور: لسان العرب، ج ٤، ص ٧٥).

والمقصود بها أن سيخرمون يوم السبت وهو بالنسبة لليهود كيوم الجمعة للمسلمين.

(٣) بيت متعين: عُيِّنَ له وحدد مكان إقامته.

(٤) شبات: عزلة في الطويلة، محافظة المحويت. (الحجري: المجموع، ج ٢، ص ٤٥٦).

(٥) الأهجر: منطقة تحت جبل كوكبان من جهة الجنوب وسط وإد تحيط به الجبال من كل الجوانب. وفيها كثير من القرى.

(المقحفني: المعجم، ج ١، ص ١١١).

في صيح وقدام المراتب على كوكبان من كل جهة فجعل في حصن صالح الولد السيد علي بن المهدي وجماعة، [/] وفي أعلى الأهرج رتبة وفي شبات رتبة، والرتب الأول بحالها. وقد عسكر جنود الظالمين في الضلع وتواترت لهم الأمداد ولا يكاد يخلو يوم في هذه المواضع من الحرب.

وفيها أخذت الغنم من باب الحصن وخرج من كوكبان غارة فيها الأمير حسن بن أحمد بن حميد الدين بن المطهر فقتل هو وجماعة من أصحابه.

وفيها قتلة بيت مليك^(١) قيل نحو مائة نفر من جنود الظالمين مرة واحدة. وفيها قتل النقيب علي نجرة من أهل كوكبان في نحو مائة نفر. وكان من قبل الباشا الشيخ علي المنامة في حدة في رتبة فذاكر^(٢) نفسه والتطف وصار إلى مولانا الحسين رضوان الله عليه في نحو مائة نفر، وتواترت الفتوح من جميع المغارب.

فصل في أخبار المشرق وفتح اليمن

فأما جهات المشرق فقد تقدم أن الإمام -عليه السلام- أرسل الحاج الفاضل المجاهد شمس الدين أحمد بن عواض الأسدي رحمه الله إلى بلاد خولان في أثر السيد المجاهد الفاضل الهادي بن علي الشامي، فاجتمع إليهم خولان جميعاً والحداء وغزوا بني ظبيان^(٣) وهم رتبة في الذراع قبل وصول الحاج أحمد، جعلهم الترك أخذهم الله عوض الحداء على الطريق، فقتلوا منهم جماعة كثيرين، وشيخهم الكهالي بن عامر. وكان قد وصل الأمير الحسين بن محمد الجوفي والأمير^(٤) سنبل وعدة من أمراء العجم يريدون جبال اللوز فالتقاهم السيد الهادي بن علي الشامي، والقاضي المجاهد العالم أحمد بن عامر، وخولان والحداء في

(١) بيت مليك: بلدة في الضلاع الأعلى في شبام. (المقحفني: المعجم، ج ٢، ص ١٦٤١).

(٢) ظن في (ب) أنها: فتدارك، وهي الأصح.

(٣) بنو ظبيان: وتكتب: ضبيان، من قبائل خولان العالية وهم فرعان: بنو سعد وبنو وافي. وديارهم كثيرة.

(المقحفني: المعجم، ج ١، ص ٩٤١).

(٤) الأمير: ليست في (ب).

موضع يسمى دجة من بني بهلول^(١)، ووقع فيها حرب عظيم انجلى على قتل كثير من الظالمين واحتر منهم رؤوس كثيرة ما يدنو من السبعين، وأمسوا عليهم وكادوا يأخذونهم، فوصلتهم الأمداد من صنعاء وتكاثروا عليهم حتى أزاحوهم وقد كادوا ينالونهم. ثم طلع العجم جبال اللوز وولوا القلعة واستقر الأمير حسين بن محمد بن ناصر فيه في جماعة من العجم، وعاد الأمير سنبل حتى وصل الذراع وتلقاه الشيخ علي الطير والحداء، والسيد الهادي ووقع أمر ليس بالهزل. وكان حي الأمير سنبل يذكر عظم ذلك [/] الموقع ويكثر إنما حماه إلا علي زايد الآتي ذكره في أصحاب الأمير. ثم لما اجتمع له يعني الأمير سنبل الأمراء من اليمن ووصاب وأنس وغيرهم أراد أن يفض^(٢) بهم إلى محطة القبتين وهو يبقى لحفظ الذراع، فخاف وأرجعهم ثم جردهم للعزم ثاني يوم من أمتعتهم وأثقالهم، فلما وصلوا الحذقة تلقتهم رايات جنود الحق فلازموهم حتى كادوا يدخلون معهم محطة القبتين ودافع عنهم ابن حميد وغيره. وقد قتل منهم نحو مائة نفر ووصلتهم الأموال الكثيرة على البغال فأعطوا العسكر أرزاقهم. وكان بعد طلوع الأمير سنبل جبال اللوز ثم الذراع جعل للعسكر زيادة في جوامكهم^(٣)، وخمسة حروف فأنفذ ذلك الباشا وبعث به مع مماليكه والجامكية، وأرادوا الحملة إلى الذراع فشرع أوائلهم يتصل بالأمير سنبل وبعض المال، فتكاثرت عليه الجنود الإمامية فقتل منهم أنفار، وعادوا منهزمين إلى القبتين كما تقدم.

قال القاضي الأعلم أحمد بن علي بن أبي الرجال: ولما قل المجهود في دفاعهم وكادت البلاد الخولانية تحتل ودخل منهم صنعاء قبائل إلى الباشا أخذوا عطاءه، كاتبنا الإمام - عليه السلام - فكان أول بشارة وصلت منه - عليه السلام - أن قال: يأتيكم إن شاء الله تعالى من يجمع الله به شملكم وينصركم على عدوكم أو كما قال. ولا يزال يشددنا بكتبه الكريمة حتى وصلت البشرية بخروج مولانا الحسن ابن أمير المؤمنين من صعدة.

(١) بني بهلول: من مديريات محافظة صنعاء الجنوبية، ومركزها غيمان الأثرية. ومن قراها: عناقة، صرفة، واد جبيب، بهران، بيت عقب.

(المقضي: المعجم، ج ١، ص ٢٠١).

(٢) هكذا وردت، والأصح: ينهض.

(٣) الجامكية: المرتبات والحوافز المالية.

ذكر خروج مولانا الحسن ابن أمير المؤمنين من صعدة المحروسة بالله

قال رحمة الله عليه: لما نبذ الإمام -عليه السلام- إلى الظالمين^(١) عهدهم ونقض ما بينه وبينهم من الصلح وصلت كتبه الكريمة بذلك، وأن أخاك أحمد بن أمير المؤمنين حفظه الله قد صار في وجه العدو في الظاهر فتمده بغارة وما يقوم به عسكره من الطعام وغيره، ويكون المدد عليك إن شاء الله تعالى أو ما هذا معناه.

قال: فحصل معي من الغم ما شاء الله وقلت: قد عزم الإمام على أن يتركني ممن لا يشهد الحرب [/] وكرهت الجواب عليه بغير الموافق وأن أراجعه في أمره، وقلت: هذا ابتداء جهاد وتعاون فلا أبتدي أمر الإمام - عليه السلام - بالمخالفة بل أصبر، وأخذت في جمع العسكر وما يقوم بهم وما يحتاج إليه السفر، واجتمع في ذلك الوقت ما لا أعرفه في صعدة من جميع ما يحتاج إليه السفر من الآلات والأعوان حتى اجتمع العسكر ألفاً وخمسمائة نفر^(٢). وقد أزمعت على أن ستخلف في صعدة الولد محمد^(٣) والسيد أحمد بن المهدي ولا أكتب إلى الإمام -عليه السلام- بما رجحته من الرأي إلا من جانب الطريق وأخرج للجهاد، وكانت البشارات بأوائل الفتوح من كل جهة لا تزال ترد عليّ، فلما عسكرنا في رحبان^(٤) وقد أزمعت على المسير ثاني يوم وفي النفس كثير من مخالفة رأي الإمام -عليه السلام- ومن البقاء في صعدة أتلقط الأخبار، وإذا بكتاب من الإمام - عليه السلام - فيه: إنا كنا رجحنا بقاءك في الشام لتمد أخاك أحمد بهال ورجال وكذا، حتى رأينا أنها لها إلا الله سبحانه وأنت فتجهز على بركات الله تعالى إلى نواحي وادعة والظواهر لتكون رداءً للمسلمين وكذا.

قال: فلم يكن أسر عليهم من ورود ذلك الكتاب، وعزمنا على بركة الله في شهر صفر إلى

(١) في (ب): للظالمين.

(٢) نفر: ليست في (ب).

(٣) الولد محمد: أي محمد بن الحسن.

(٤) رَحْبَان: وادٍ في مديرية الصفراء جنوب شرق صعدة، ورحبان: قرية في شوارق جبل رازح غرب صعدة.

(المقحفني: المعجم، ج ١، ص ٦٧٧).

العيون^(١)، ثم منها إلى عيان^(٢)، وكتب البشارات إلى جميع المراتب من جميع الجهات، وكان ابتداء كتابه الكريم بالآية الكريمة: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ ۗ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [:].

فاشتدت المراتب وقوت قلوب المجاهدين، ورجفت قلوب المعاندين.

قال: ولما وصلنا جانب بني قيس والصنو صفى الدين أطال الله بقاءه في جانب بني عبد من بلاد الظاهر وقد اجتمع إليه أهلها كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

قال: وكتب الإمام -عليه السلام- ترى: أنك لا تجاوز بلاد الظاهر، فعرفت عدم الفائدة بالبقاء فقدمنا إلى بلاد ظفار، وأمسينا فيه ليلتين وقد كثرت الجموع، وتقدمنا إلى ذيبين فاجتمع إلينا أهلها ثم قلت: وما عسى نفعل في قاع البون^(٣)، الصواب أننا نقدم إلى بلاد الرجو^(٤) [/] ونواحي الخشب، وعزمنا من ذيبين وفي النفس من حجر الإمام -عليه السلام- إلا أننا قلنا يرى الحاضر ما لا يراه الغائب، فلما قربنا من محصم^(٥)، وإذا بكتاب الإمام -عليه السلام-: إنا كنا حجرناكم من مجاوزة ظفار وكذا، فرأينا بتوفيق الله تقدمكم إلى بلاد بني زهير ونواحيها وتكاتبوا الحاج شمس الدين ومن عنده في بلاد خولان^(٦) وتخيّموا مقابل صنعاء في تلك المواضع لتشغلوهم عن إمداد من في جبال اللوز ومن في عمران البون.

(١) العيون: موضع في صعدة. (المقحفني: المعجم، ج٢، ص١١٥٩).

(٢) عيَان: قرية مشهورة في سفبان أحد بطون بكيل الكبرى شمال حوث.

(المقحفني: المعجم، ج٢، ص١١٤٩).

(٣) قاع البون: قاع فسيح يمتد من جنوب مدينة عمران إلى شوابة ومساحته لا تقل عن ٦٠ كيلومتراً وعرضه ستة كيلو مترات، وهو قسبان: البون الأعلى وفيه قرى: عمران، قاعة، قارن، ذعوان، قهال. والبون الأسفل وقراه: ريدة، جوب، ذيفان، حمدة، غولة عجيب.

(المقحفني: المعجم، ج١، ص٢٠٥).

(٤) الرجو: قرية في أرحب شمال صنعاء، جوار قرية مدر الأثرية.

(المقحفني: المعجم، ج١، ص٦٧٥).

(٥) مَحْصِم: بلدة في وادي أرحب شمال مدينة صنعاء. (المقحفني: المعجم، ج٢، ص١٤٢٧).

(٦) بلاد خولان: ليست في (ب).

ذكر موالاة السيد ناصر بن محمد صبح

وفي وصول مولانا الحسن إلى محصم من بلاد ذيبان، وصل إليه السيد العلامة ناصر بن محمد صبح^(١)، وكان في تلك البلاد على دعواه لكن ما إليه التفات ممن يعتد به، فأرسل إليه مولانا الحسن رحمه الله وقال: إن كنت كما تزعم تريد الجهاد فيها نحن فيه وعلينا نصرتنا، ثم بسط له واطمأن إليه ووصله بشرط واحد أنه مع الإمام - عليه السلام - على عدوه، واقف على رأيه حتى يفرغ من عدوه وهو على ما يراه من البيعة والتسليم أو^(٢) الرجوع إلى النظر فيما بين الفاضل والمفضول، واطمأن وسلّم وأعطاه وكساه وأركبه، ثم أرسله إلى الإمام - عليه السلام - فأتى له ذلك حتى سلم من ذات نفسه، ولم يبق شقاق والحمد لله رب العالمين.

قال: ولما وصلنا الرجو وبلادها ما وجدنا على صنعاء منّا غير أن نشغل محطة واحدة مثلنا فقط، وقد تكرر من الإمام الحجر لما عدا ذلك فرجعنا إلى القول الأول، وقد طلبنا منهم^(٣) (فوصل منهم جماعة ولم يصل معهم أحد من المشائخ أهل الرهائن ولا من أصحابه)^(٤)، فرأينا دخول بلادهم ثم الصعود إلى جبال اللوز إن شاء الله تعالى.

هذه من رواية مولانا الحسن رحمه الله نذكرها في معرض موافقة نظره ونظر الإمام - عليه السلام - وسيأتي تمام هذه الموافقة إن شاء الله بعد جبال اللوز.

وأما رواية أصحابه في دخوله بلادهم وهم كثيرون منهم الشيخ سعيد بن راشد القميحي النهمي.

قال: وصلنا بجماعة من أصحابنا فوق المائتين وكنت الرسول [٩١/أ] إليهم فلما وصل الأودية وقد تحصن الأمير الهادي بن مطهر بن الشويح مع مشائخهم ومن أجابهم، وكان

(١) ناصر بن محمد صبح الغرياني: الذي أعلن معارضته لإمامة الإمام المؤيد محمد بن القاسم.

(٢) في (ب): و.

(٣) نهم: قبيلة مشهورة من قبائل بكيل. وديارها في شمال شرق صنعاء وهي إحدى مديريات محافظة صنعاء، وهي: المديد، النخيلة، النميصة، بزان، غيل الثليلف، جبل يام، الخارد، ضبوعه، هران، الوقشة، فطيين، حوزة.

(المقحفني: المعجم، ج ٢، ص ١٧٦٩).

(٤) ما بين القوسين ليست في (ب).

المذكور وكيل أخيه علي بن مطهر في بلاد نهم وكانت إليهم. وكان صنوه الأمير علي في الاعتقال مع الترك متوعداً بالقتل، وكان أخوه الأمير عابدين بن مطهر قد خرج بمحطة إلى ذيفان^(١) من قبل العجم وصار فيه جاهداً مع الظالمين كما تقدم منه في غيبان^(٢) وغيره لرجاء إطلاق أخيه، وكان سبب حبس الأمير علي أنه لم يعرف الباشا بنبذ العهد إليهم من الإمام - عليه السلام - وكان قد دخل بالكتب مراراً فلم يقدر أن يكلم الباشا لاشتغاله بالملاهي وخافه فأعطى الكتب وكيله الفقيه عبد الله المحرقي.

قال الشيخ سعيد المذكور وغيره: فاجتمع إلى الأمير الهادي المشائخ وأصحابهم ومن عندهم من العسكر، وتحصنوا كما تقدم وكادوا يجاربون، وقد ضرب مولانا الحسن رضوان الله عليه مضربة في أسفل الوادي وتأنى في أمرهم وقال: لا بد من وصول الأمير والمشائخ وإلا بدأنا بهم قبل التُّرك. وقد عرضوا أنهم يبقون على تحصنهم ويمضي طريقه فلم يقبل، فوصلوا إليه فعظم الأمير المذكور وأحسن إليه وأرسله إلى الإمام - عليه السلام - مع القاضي العالم المجاهد جمال الدين علي بن أحمد بن أبي الرجال رحمه الله وقد شرط له ولاية بلاد نهم إقطاعاً.

قال القاضي جمال الدين: فلم يكد الإمام - عليه السلام - ينفذ ذلك الوضع إلا بعد مراجعة طويلة من مولانا شرف الإسلام رحمه الله، ثم عدنا مع الأمير المذكور رحمه الله إلى جبال اللوز، وقد اجتمع إلى مولانا الحسن رحمه الله أعيان بلاد نهم لم يهرب منهم إلا بعض المشائخ أهل الرهائن إلى صنعاء. وكان الأمير الحسين بن محمد كما تقدم في جبال اللوز فخاف أن يقطع العساكر الإمامية فنجا^(٣) بمن معه إلى جانب بني بهلول إلى الموضع المعروف ببيت اللوذعي وبقي هنالك ولو استقام لأخذته الجنود الإمامية فقد يجتمع مع مولانا الحسن

(١) ذَيْفَان: مركز إداري من مديرية ريدة في محافظة عمران من قراه: الغولة، بيت المنتصر، بيت مجلي، عقبات.

(المقحفني: المعجم، ج ١، ص ٦٥٧).

(٢) غيبان: بلدة تاريخية قديمة في مديرية بني بهلول شرق جنوب مدينة صنعاء.

(المقحفني: المعجم، ج ٢، ص ١١٩٦).

(٣) في (ب): فليجأ.

رحمه الله نحو ثلاثة آلاف من غير خولان وجهاتها، ثم صعد طريقاً ضيقة في بلاد نهم فصعدها بمشقة وباشر إصلاحها بيده الكريمة، ثم طلع إلى الشرفة المسماه شرفة الأزارق، وكان [/] أهل تلك النواحي يروون عن قدمائهم أن الذي يمضي يقوم كذا في صفة كذا بين صخرتين يفتح صنعاء ويملك اليمن، ولما رأوه مر بينهما قطعوا بذلك. ولقد كنا نسمع عنهم في الصغر قبل ذلك بأن قالوا: (ويمضي شرفة الأزارق مثل البارق)، كلام سمعناه جملة والله أعلم ما أصل ذلك. وقد أرسل وهو في بلاد نهم مقدمة مع السيد الأفضل محمد بن أحمد ابن الإمام الحسن عادت بركاته فدخل بلاد السر^(١) وبني حشيش^(٢) وسار إليه أهلها واجتمعوا إلى القاضي الهادي بن عبد الله الحارثي وصار إلى مولانا الحسن رحمه الله. ثم طلع مولانا الحسن جبال اللوز وقدم المراتب إلى قريب من صنعاء مع السيد عز الدين محمد بن أحمد ابن أمير المؤمنين، والقاضي شمس الدين أحمد بن عامر وغيرهم، ووصله الحاج شمس الدين أحمد بن عواض وجموع خولان، فأعطى وجوه خولان وأحسن إليهم واستحلفهم على الطاعة، وفتح الحصن وقبض ما فيه وهدمه فهو على ذلك خراب إلى الآن والحمد لله كثيراً. وأمن واليه حسين آغا تركي يعزم إلى صنعاء فاستجار به مخافة من الباشا وبقي عنده في خدمة الخيام. وكان الخطاب بفتح الحصن على يد الأمير الهادي بعد رجوعه من عند الإمام -عليه السلام- وضح على رجل من الترك أهل الحصن أنه لم يقبل الصلح وهم بما لم ينبغي وأنه فيمن شرك بدم مولانا علي ابن أمير المؤمنين المنصور بالله فأمر مولانا الحسن بضرب عنقه، وأقام في جبل اللوز نحو الشهرين، والقوافل في إثره من صعدة المحروسة بالله وقد جعل ولدي الحاج شمس الدين أحمد بن عواض رحمه الله محمد وعلي في الطريق التي ما بين بني جرموز ونهم لأجل القوافل، ووصله إلى جبال اللوز الأمداد من كل

(١) السر: بلدة وواد في منطقة الشرفة من مديرية بني حشيش بالشرق الشالي من مدينة صنعاء ويشتهر بزراعة العنب.

(المقحفني: المعجم، ج ١، ص ٧٨٢).

(٢) بني حشيش: قبيلة ومديرية تابعة لمحافظة صنعاء وتنقسم إلى ثمانية أقسام وهي: ثمن سعوان، الرونه، رجام، الشرفة، ذي مرمر، عيال

مالك، الأبناء، صرف. وهي مناطق غنية بالآثار والحشيشية شمال صنعاء وقد اتصل عمرانها بمدينة صنعاء.

(المقحفني: المعجم، ج ١، ص ٤٦٨).

جهة بالحقوق والرجال، وظهر من بعض خولان مكاتبة وطمع أن يأكل من الجهتين^(١)، فقبض الرسل وضرب أعناقهم، ثم تشددوا بالمحارس على من خالط صنعاء ليلاً ونهاراً والحرب على الذراع لا يزال. ومن جهة المغرب أصحاب مولانا الحسين رحمة الله عليه (مع الشيخ المجاهد الفاضل جمال الدين [/] علي بن عبد الله الطير رحمه الله)^(٢)، والمشرق مع السيد الفاضل حسام^(٣) الدين بن علي الهادي والحداء والإمداد إلى الظالمين في الذراع لا يزال. وقد عسكر العجم في ريمة ابن حميد^(٤) محطة عظيمة، وفي بيت اللوذعي مع الأمير حسين وغيره كذلك، ثم في القبتين نحو ثلاثة آلاف وخمسمائة فارس وفي الذراع نحو الألفين وفي زراجة مثلها أو قريب منها من غير من في ذمار ويريم ونواحي اليمن ورداع، فخاف رضوان الله عليه على مراتب مولانا الحسين وأن تستمر الطريق إلى صنعاء.

رجعنا إلى روايته، قال رحمه الله: فقصدنا الذراع لعلنا أنه محل المغالبة فهم يريدونه لحفظ الطريق إلى صنعاء ونحن نريده لقطعها وفي النفس من حجر الإمام كما تقدم فتركنا على الأثقال في جبال اللوز الفقيه الأفضل محمد بن عز الدين الأكوخ وعسكراً، وعلى البلاد المحاذية لصنعاء القاضي الأفضل شمس الدين أحمد بن عامر رحمه الله والقاضي الهادي بن عبد الله الحارثي وغيرهم، ثم قدمنا السيد المقام عز الدين محمد بن أحمد ابن أمير المؤمنين أطل الله بقاءه إلى غيمان من بني بهلول وكان فيه وقابل المحطة التي في ريمة.

قال أصحاب مولانا الحسن رحمه الله: فأمسى في جانب من بني بهلول ولم يشتغل بحرب على الأمير الحسين مع قربه، ثم تركه جانباً^(٥) وخرج بلاد اليمانية فأمسى فيها في محل يسمى حصن الظببتين وبات فيه ليلتين، ثم خرج إلى الكميم تحت الذراع.

(١) المقصود بذلك أن بعض القبائل كانت تحتال على الجانبين الإمامي والعتثاني وتتسلم من الجميع الأموال والعطايا.

(٢) ما بين القوسين: ليست في (ب).

(٣) في (ب): ضياء.

(٤) ريمة ابن حميد: من قرى سنحان بالقرب من صنعاء في الجهة الجنوبية.

(المقحفني: المعجم، ج ١، ص ٧٢٤).

(٥) في (ب): خالياً.

ومن رواية الفقيه المجاهد عبد الله بن عز الدين الأكوخ عافاه الله أنه بقي فيه ليلتين أو ثلاثاً ووقع بينه وبين الأمير سنبل حرب شديد في اليوم الأول والثاني. ثم خرج إلى موضع يسمى الكراع وقدم الخيل إلى السواد كما سيأتي. ولما عرف المكان لم يأمن أن يتقرر فيه لقوة من في القبتين مع ثبات الأمير سنبل في الذراع وقوة عسكره، فجعل فيه رتبة مع السيد الهادي بن علي رحمه الله وأخيه السيد العلامة أحمد بن علي الشامي وفي مواضع بالقرب منه كذلك، وعاد إلى موضع يسمى الأبيض شرقي الذراع بنحو ثلاثة أميال أو أربعة بمشورة الحاج الفاضل أحمد بن عواض^(١). [/] وكان قد أرسل الخيل التي معه، وكانوا نحو ستة وثلاثين فرساً فأرسل منهم الأكثر والشيخ عمر بن علي الحداي والشيخ عبد الله بن زيد وغيرهم يقطعون طريق زراجة المتصلة بدمار، فترددوا في مواضع شرقي زراجة، والحدا أهل خبرة بالمحل إذ هي بلادهم فينالون من أطراف المحطة شيئاً ولا يستقرون.

قال الشيخ عمر بن علي: فأمسينا في قرية رصابة^(٢) من أعمال جهران وكان أهلها قد أجلوا عنها، فلما أكلنا فيها الطعام خفت من الكيسة^(٣) علينا من سنبل وقلت للأشرف أهل الخيل اركبوا فما هذا لنا بمكان فما خرجنا نحو الميل إلا وقد أحاط بها محطة من زراجة خيلاً ورجلاً من عند سنبل ودافع الله عنا.

ذكر وقعة السواد

ثم بلغنا أنه خرج آغا منهم يسمى رسول آغا بعسكر نحو أربعائة أو خمسمائة يريدون دمار، بعثه الأمير سنبل لقافلة يوصلها إليه، فجعلنا عليهم العيون وتوكلنا على الله تعالى، فلما قربنا منهم في السواد ثرنا فيهم فأحربونا وكادوا يهزموننا، وكان تحتي فرس ضعيف فلما رأى ضعفه رئيسهم المسمى رسول آغا حمل بنفسه وكاد رحمه يصل إلي، فكبت بي الفرس فإزداد

(١) رحمه الله: ليست في (أ).

(٢) قرية رُصابة: قرية كبيرة في قاع جهران شمال دمار. (المقضي: المعجم، ج ١، ص ٦٩٠).

(٣) الكيسة: المقصود بها مهاجمة العدو.

طمعه فزرقه^(١) جماعة من الحدا حتى شغلوه، ثم طعنه جماعة من الأشراف واحتزوا رأسه، وثرنا في أصحابه فقتلنا منهم نحو مائة نفر واحتزنا منها رؤوساً وأسرونا جماعة منهم، وأرسلناهم إلى مولانا الحسن بن أمير المؤمنين رحمه الله تعالى.

وأخبرني القاضي الأعلم أحمد بن علي بن أبي الرجال وكان حاضراً عند مولانا الحسن رحمه الله أنه كان صعد أكمة مرتفعة قريباً من الأبيض ينظر منها زراجة ويستبشر بها يأتيه من خبر أصحابه، وقد بلغه خروج هذا رسول الأغا فكان الواصلون بالروؤس لم يصلوا دفعة بل كل واحد على قدرته.

قال: فكان كلما خطا خطوة أو خطوتين طرح أمامه رأس، قال: وأنا أراه يحمد الله ويشكره ويتسم، ثم أعطاهم العطاء وكسى مشائخ الحدا، وكان يعطي في الروؤس ذهباً أحمر مما وصل به من الشام. وكان يحضره كثيراً إذا عد [/] للعسكر ولا يعطي منه إلا أهل الروؤس ونحوهم، وأرسل بالأسرى إلى محروس شهارة، ونصب الروؤس في أطراف المحطة فكان لذلك موقع.

وأخبرني الشيخ عامر الأشببط القوسي الحداي أن قبل وقعة السواد التي قتل فيها رسول آغا خرج جماعة من الحدا لقطع الطريق التي تخرج من زراجة إلى ذمار فوجدوا في مقهاية السواد قافلة فوق الخمسين الجمل وكثيراً من البهائم ومعها نحو ستين نفرأ من العسكر، فقتلوا منهم نحو ثلاثين نفرأ وأسروا بعضاً واحتزوا رؤوسهم وغنموا سلاحهم. وبعد قضية السواد أيضاً كمن الحدا في قاع القعودين مما يلي طريق ذمار فوجدوا عسكراً يريدون الطريق من العجم فقتلوا منهم أربعين نفرأ واحتزوا رؤوسهم وأدركهم الغوث من زراجة. وكان قد علق رهنهم ثم استقامت الحروب الشديدة نحو ثلاثة أشهر ربيع الأول والآخر، وأياماً من جمادى الأولى. وكانت محطة القبتين تخرج لتتصل بالذراع^(٢) ويخرج أهل الذراع للقائهم لعلها تخرج القوافل المتقطعة في زراجة وأثقال الأمراء الذين في القبتين، فإن

(١) فزرقه: طعنه أو رماه. (ابن منظور: لسان العرب، ج ٦، ص ٣٩).

(٢) الذراع: ويطلق عليها ذراع الكلب في الحدا، محافظة ذمار.

(المقضي: المعجم، ج ١، ص ٦٢٤).

أكثرهم خرج مع أول حرب الذراع إلى القبتين متجرداً، فحال بينهم وبين أنقاهم جنود الحق، فتخرج عليهم المراتب الإمامية ويخرج مولانا الحسن رضوان الله عليه فلا يزالون بهم حتى يرجعهم القبتين وأهل الذراع إلى الذراع. ولا يزال القتل فيهم والقليل من جنود الحق، وكانت حروباً شديدة، وفي النهار إما حرب تمنع الطرقات وإما كمين ومراتب، وفي الليل يجعل رحمة الله عليه عسكرياً من أهل الشام والمشارق يتفرقون في مظان ما يطمع فيه رسل العجم من الطرقات فلا يكاد يفلت عليهم أحد، وأخذوا جامكية أهل الذراع مراراً وانقطعت الكتب من غالب اليمن الأسفل إلى صنعاء لذلك وضاعت بهم الموارد والمصادر.

ذكر وقعة المقبل (١)

وصفتها أنه كان في زراجة جماعة من الباشلية توابع الباشا وهم من خيار الجند، فكثرت الكتب من الباشا إلى الأمير سنبل [/] في إرسالهم إليهم فأرسلوهم ليلاً وأرادوا الإتصال بمحطة القبتين (١) على حين غفلة، وقد احتالوا في ذلك فما شعر بهم أهل الطرقات والمراتب إلا وقد جاوزهم أولهم وبادروا مشمرين قبل أن تصلهم الغارة من عند مولانا الحسن رحمه الله من الأبيض ومن ذي يسان من عند الشيخ جمال الدين علي بن عبد الله الطير رحمه الله، فما وصلتهم الغارة إلا وقد كادوا يتصلون بمحطة القبتين في أطراف حرمان (٢). وقد أوعب من في القبتين للقائهم فأدركوا من آخرهم فوق المائة نفر فقتلوهم وأخذوا منهم نحو سبعين رأساً ورمي بأكثرهم بيراً هنالك. ووصلت الرؤوس إلى مولانا الحسن رضوان الله عليه مع غارته فازداد يأسهم من الطريق.

وأما الأمير الحسين بن محمد فإنه بقي في بيت اللوذعي كما تقدم وكتبه إلى مولانا الحسن لا تزال، وقد قيل إن بينها مكاتبة قديمة ومواصلة.

قال القاضي العلامة شمس الدين أحمد بن سعد الدين أطل الله عمره: إن الأمير المذكور

(١) في (ب): المقبل. والأصح هي المَقْبَل: قرية من قرى مركز الجرايدي مديرية الرجم، محافظة المحويت.

(المقضي: المعجم، ج ٢، ص ١٦٠٩).

(٢) القبتين: لم أعثر لها على ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(٣) أو جرمان، فقد وردت غير منقوطة.

كان مكاتباً للإمام -عليه السلام- ويعدّه بالموالاة وأبطأ على الإمام -عليه السلام- فأمر إليه بهذا الكتاب وفي طيه هذا الشعر للسيد العلامة صلاح الدين صلاح بن عبد الخالق الجحافي نيابة عن الإمام -عليه السلام-:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى .

ذو المجد الأثيل، والشرف الأصيل، والقدر النبيل، والحسب الجزيل والرتب العالية، والمقامات السامية الأمير الشهير، الماجد الخطير، شرف الإسلام والمسلمين، واسطة عقد الشرف الثمين الحسين بن محمد بن الناصر^(١) حسن الله أحواله، وأحمد أقواله وأفعاله، وأهدى إليه سلاماً يتوالا وإكراماً يتلالا، ورحمة الله وبركاته إكراماً وإجلالاً، وبعد:

فإنها وردت تلك الإشارة الكريمة ناطقة بالعقائد السليمة والصفات الفخيمة، والشيم التي هي إن شاء الله بعقب فضائل الآل تميمة، وأنتم أولى من صفى مشاربها وكمل مناقبها، وأكد الأقوال فيها بالأفعال، وقرن بين ذلك بين من لا يمكن افتراقه بحال، وسارع إلى تشييد أبنيتها الرفيعة المنال وهذا وقت [/] أدائها وأوان فضائلها وحين اغتنامها، وسلك نظامها، وبدا عقدها وإبرامها، وقشع لثامها وتقطير رحامها، وفرصة اغتنامها فليكن ذلك الشرف الشريف والمجد المنيف قطب الرحا، وسيف الوجا وقبله الانتحا، ولتطرح لبت وعسى وتسويف صباح ومساء، وتعليل الحلول بالنسا فإنه شمس أفتها، وغيث برقها، ولسان صدقها، وعنوان حقها وميزان رفقها:

بسم الله الرحمن الرحيم

هل المجد إلا العزم والفتكة البكر

وضرب العدا هبراً وطعنأ لهم شزر

(١) الحسين بن محمد بن الناصر: من أمراء الجوف.

وتركك إرجاء الأمور إلى غد
إذا لم يكن للأمر في تركها عند
ومن يتحير يزدد الشك عنده
ولا ينتظم حتى المهمات له أمر
وعقد صريحات الأمور مضاؤها
بغير انتظار ما يجي به الفكر
كفى المرء عاراً أن يعيش بذلة
ويحكم فيه ناقص وله زبر
كأن لزوم النذل شرعٌ يدينه
وليس عليه في طلاب العلا حجر
أجدك إن المجد أكل وركضة^(١)
وترديد ألحان الأغاني والخمر
وإنفاقك الساعات في عل أو عسى
طويلاً إلى أن يتقضي العام والشهر
أمان كأحلى من نيامك واذب
عليها إذا راعيتها ينفد العمر
فما المجد إلا الكون في سرج سابع
يحف به من حولك العسكر المجر

(١) في (ب): ركة. وهي الأصح.

وأن تلبس الفضفاضة الرعف خائضاً
غمار الوغى مارداك الخوف والذعر
تشيد ببيان المعالي وتقتضي
مآثر آباء كرام لهم ذكر
لهم فوق كل الناس عز ورفعة
فما أن يساوي بحرهم أبداً بحر
أبوهم إذا الآباء تذكرهاشم
وعبد مناف حين ينمون والنضر
ومنهم علي والحسين وجعفر
وزيد ويحيى من علاهم قدر
ويحيى الهمام بن الحسين الذي له
الحجاسة ما بين الورى والندى الدثر
ومنهم إذا عد الكرام ابن حمزة
وهل مثل فخر قد تحلى به فخر
أجل إمام يقتدي خلف به
ويسري على آثاره في الدجى السفر [/]
وأقرهم عهداً من القاسم الذي
لهم همم من دونها البر والبحر

أقام على الأعداء يوم قيامه
ولم يخل من رايات عسكره قطر
وعطل صنعاء وقل بيوتها
كما زلزلت من خوف سطوته مصر
وما قام إلا وحده لم يكن له
نصير سوى الله العلي ولا ظهر
وما كان إلا الشنفرى في زمانه
يوانسه السرحان والبلد القفر
إلى أن محارب الدين كلهم
وأفنتهم الأقياد والقتل والأسر
فهذي مساعيم وهذي صفاتهم
() فلا يكون في اذنيك عن سمعها وقر
أولئك سادات كرام وشيعة
يطيب لهم أن يذكروا في الملا نشر
أبوا أن يساموا الخسف أو أن ينالهم
هوان إلى أن فارقوا العمر أو قسر

(١) البيت ليس في (أ) وتم إثبات البيت من (ب).

فأحيوا من الدين الخفيف رسومه
فكان لهم في سجن^(١) أجبله شزر
وما هالهم أمر العدو وإنهم
إذا عدوا قتل وأعداؤهم كثر
شروا بابتذال النفس مرضاة ربهم
فباءوا بريح لم يشب صفوه خسر
عليهم من الله العلي تحية
مباركة ما لاح في الأفق الفجر
فمن مبلغ عني إلى المجد الذي
يزان من النادي بمقعد الصدر
سمي الحسين السبط من عزماته
يكادها ينهد في الشاهق الصخر
أريد الحسين ابن الأمير محمد
أجل امرئ قد هز من عطفه الشعر
سليل أولاك الأكرمين الذي له
مفاخر لا يأتي على عداها الحصر
سلام كزهرة الروض باكره الصبا
فأفشى إلى أذباله سره الدهر

(١) في (ب): سجل.

ومن موصل يوماً إليه رسالتي
فيعظم في دار المقام له الأجر
يقول له خلّ الهوينا لعاجز
وذي وهن من خوفه يحمر الصدر
وشمر لإنجاز المواعيد إن في الـ
هياج وساعات الوغى يجز الغمر
ولا ترض بالعيش الذي فمركب الـ
هويناً إذا ضيم الفتى المركب الوعر
وحاكم إلى البيض الرقاق فخير ما
تحكم أنظيم القنا البيض والسمر
وفارق سموم القوم واستقر سائماً
من الروح والريحان طاب لها المسر
وإن خلّت أن العسر فيما أقوله
فخفض فإن العسر يتبعه اليسر
على أن موت الحر في حومة الوغى
يقوم مقام النصر إن فقد النصر
قعيدك لا يستجلس العجز مغضياً
على ما العين الحر من مثله الغير
ويبقى زماناً في مداراة معشر
ومن دون ما يلدونه من رضى وغر

وقد أمكنت فيه من الدهر فرصة
وما كل وقت فيه يسعفك الدهر
وجدت معيناً إن يكن ذا حفيظة
وحزباً بماضي عزمه يدرك الوتر
فنتحن وأنتم مثل كف وساعد
وسيف جرى فيه السفسف والعثر
ومن كان منا الليث فالآخر الذي
هو الناب إذ أم الفريسة والظفر
وفيكم لدينا من يرى في جنودنا
هو الدر في عقد العساكر والشدر
كياسين يحمي به ياسين ربه
ويحرسه ما دار في الفلك البدر
وإخوانه من كل أبيض ماجد
يخب به حين الوغى فرس غمر
ولا عذر في تأخير نصرك ساعة
أألهاك طيب العيش أم راقك السبر
لماذا يصاب الهدواني والقنا
ويرتبط الجرد الكريمة والمهر

إذا لم تعين في السرايا ولم يخنت
كما خات للكدرية الحومة الصقر
فلا تعجبين من ضيم خودة شيكه
إذا هو لم يسد به أبداً ثغر
ولم تك ما بين الأسنة ركضة
وتحمده في كرة الذنب والشر
فإن كنت فيما قلت من قبل صادقاً
وأنت امرؤ مستسلم مسعر ذمر
فما ثم من يخشى ويرهب أمره
ولم يبق في ساحاته منهم شفر
فلا تك كالخراستذلت فجبست
وكان سليمان أخان ولم يدروا
وإن كنت لم تفعل فخل مطاعناً
على الآل واهجر كل قول به هجر
فقلد فيهم مبعضهم ولم يكن
به خيرة كي يفصح الخبر الخير
وقد جاء في الأحزاب تطهير خيلهم
وحسبك من قد جاء في وصفه الطهر

وخصوا بعلم مفرد عن أبيهم
فجامعه من ذلك العلم والجفر
ولا تعط أرباب التصوف مقوداً
يضمكم أن تعطهم من لظى قعر
تأمل تجد ما لفق الكل مهرجاً
لدى طيه التعطيل حوشيت والكفر
حذار مقالات الفصوص وما حوى
نظام شروك الكفر قد ينفع الحذر
ونخل مقال الأشعري وما حوى
ذوو الحشو إذ لا خير فيه ولا ذخـر
وعول على ما ذلك العقل أو هدى
إليه الرسول الخاتم الرسل والذكر
ولآل إسناد رصين مصحح
كما لهم لآلي في كتبهم فسر
فإن كنت قد طالعتَه فاغبط به
وإلا فكم هذي القطيعة والهجر
عليك سلام إن قبلت نصيحتي
يحاكي شذاه العنبر الورد والعطر

ولما وصل هذا الشعر إلى الأمير المذكور^(١) مع المراسلة من مولانا الحسن رضوان الله عليه، دبر أمره وخرج بمن معه^(٢) إلى جانب الحق كما سيأتي. وأرسل إلى الإمام كتاباً بسيطاً ضمنه أرجوزة وأشعاراً فيها حماسة تليق به تركناها لقصد الاختصار، وكان لميله إلى جانب الحق موقع عظيم عند القريب والبعيد والولي والعنيد، وقيل في هذا الأمير أشعار.

منها ما قاله الفقيه العلامة الأديب عبد الحميد بن أحمد بن يحيى بن المعافا الشظبي نيابة عن مولانا أمير المؤمنين - عليه السلام -:

كذافليكن صدق الرعاية للعهد

وأمر وفاء بالمروءة والوعد

وتحقيق ما دلت عليه مخائل

مخبرة عن مضمرة من الود

ومثل أحاديث الحسين بن ناصر

وطيب شذاها فليكن نفحة الند

محامديقى ذكرها المدح^(٣) خالداً

ويرجى بهن الخلد في جنة الخلد

سبقت إلى شأو من المدح طامح

وأحرزت غايات المكارم بالجد

وجردت نصراً عن عزائمك التي

تقر بهاعين السيادة والمجد

(١) المذكور: ليست في (ب).

(٢) بمن معه: ليست في (ب).

(٣) في (ب): الدهر.

وقمت بنصر الحق لله مخلصاً
وشدت مناراً للهداية والرشد
وأعزت دين الله حقاً بعزيمة
تركت بها أهل الضلالة في وجد
فأدر كنت عند الله أي مشوبة
وفزت بمنشور الثناء وبالحمد
دعوناك للجلال فأسرعت مقبلاً
لنصرتنا بالمرهفات وبالجرد [/]
وليت صوت الحق إذ جاء داعياً
فبورك في سعي لنصرته يهدي
ومثلك عوناً في الشدائد نافع
وصيتك في غورييسير وفي نجد
وإنك من حزب كرام ومعشر
يغالون في العليا والسؤدد العبد
أمير سمت أوصافه من مماثل
فهيهات أن يلقي لعلياه من ندد
وفي إذا ما قال قولاً أتمه
ولم يك عن نهج الوفا بمرتد

له هممة أربت على الشهب رتبة
فقصر عنها ضابط الحصر والعد^(١)
وفيت لنا بالعهد حق وفائه
وكنت برياً من ملام ومن بعد
وأحببتني في الله طوعاً ورغبة
وذلك قاض بالفلاح وبالسعد
ففعلك عند الله ليس بقاصر
ولا متلقى بالإضاعة والجحد
وتلك يدي يضاء منك أعدها
فما مثلها من منة ثبتت عندي
وإنما جميعاً نطلب الحق والهدى
ونسعى له بالطارفات وبالتلد
ونبذل في إحياء دين محمد
ورفعته ما كان في الوسع والجهد
فدونك أرباب العناد فلا تقل
عثاراً لمن أضحى لتكره يدي
أعد لهم من قوة ما استطعته
وخيلاً عرباً من كفاة ومن نهد

(١) في (ب): الحصن والحد.

وصل فيهم حتى نفل عديدهم
وحتى يسيروا في المذلة والجهد
وحتى تضيق الأرض يوماً برحبها
عليهم ويهون المات فلا يجدي
فإنهم أبناء أعداء أحمد
وإنهم أهل الضغائن والحقود
ولا شك أن الله ناصر دينه
ومرغم أقوام سواسية لـ
فما سعي من يقفو هو هواه برابح
ولا أزر من يغبي الضلال بمشدد
فثق منه بالفتح المبين توكلأ
عليه بحسن الظن في الحل والعقد
تولأك رب العرش بالنصر أيأنا
توجهت في قرب المكان وفي البعد
ودمت حميد الرأي والفعل ماجداً
ولا زلت في ضل من اليمين ممتد

رجعنا إلى تمام أخبار الأمير الحسين ومولاته بجانب الحق، فإنه دبر أمره وأخرج من يخاف عليه من صنعاء، وأرسل [/] إلى مولانا الحسن يطلب منه من يستقيم له خارج المحطة، فأرسل الحاج المجاهد شمس الدين أحمد بن عواض رحمه الله، ثم من كان مقابلاً من المراتب الإمامية وهم السيد العلامة محمد بن أحمد ابن أمير المؤمنين ومن كان معه وهم كما تقدم في غيبان من بني بهلول، وأمر أن يجتمعوا إلى الحاج، فلما تظهروا لهم ركب الأمير وليس

في خواصه وبني عمه، ثم دعا أغوات الترك والأمير عبد الله السلطان، فلما وقفوا بين يديه وقد رأى هو وهم الحاج شمس الدين على أنه متوجه لحربهم قال لهم: قد عرفتم نصيحتي مع السلطنة وكذا وكذا، وكان معاملتي من حيدر كذا وكذا والآن تعزمون صنعاء وأنا أعزم عند الإمام أو بلادي أو كما قال.

وولى عنهم إلى جانب الحاج شمس الدين رحمه الله وهم عزموا جهات صنعاء واستقروا في ريمة ابن حميد مع من فيها من العجم.

ولما قدم الأمير المذكور إلى مولانا الحسن رحمه الله تعالى فأنسه وأعطاه وعد لأصحابه أرزاقهم وكساهم ثم وجهه لحرب دمار ووجهه معه جماعة من أصحابه مع القاضي المكين الحسن بن علي بن صالح الأكوخ رحمه الله^(١)، فوصل إلى الأمير المذكور إلى منقذة^(٢) وحصل بينه وبين أهلها مناوشة وغلبهم عليها وأمسى فيها ليلة، وقد قتل من أصحابه نفران، ومن الغارة من دمار ستة أنفار، ثم خرج منها إلى موضع يسمى ورقة مقابلاً لدمار بالقرب منها، فلما لم يحصل له المطلوب انتقل منها إلى موضع يسمى حُنْضُ^(٣)، وأقام نحو ثلاثة أيام. وقصده العجم الذين في دمار بحرب وقتل من عسكرهم جماعة ومن أصحابه كذلك فقل طمعه في دمار، فتقدم على يريم وفيها محطة عظيمة من العجم أيضاً فخيم في عراس^(٤)، وصنوه الأمير حسن بن حفظ الله في المريمة^(٥) موضعاً هنالك، ودارت الحرب بينه وبين من فيها من العجم، والأمداد من مولانا الحسن رضوان الله عليه تتلاحق إليه والقتل من العجم لا يزال، وانقطع ما بين دمار ويريم.

(١) في (ب): أبقاه الله.

(٢) مَنقَذة: قرية كبيرة شمال مدينة دمار بمسافة ١٤ كيلو، من قراها: يفاع، قبائل رخمة، شوكان، المواهب، الدرب، هجرة منقذة.

(المقحفي: المعجم، ج ٢، ص ١٦٦).

(٣) حنض: قرية من مركز (جبل الدار) جنوب دمار بمسافة ٨ كيلو.

(المقحفي: المعجم، ج ١، ص ٥٢٠).

(٤) عَرَّاسُ: جنوب يريم ومتصلة بها. (المقحفي: المعجم، ج ٢، ص ١٠٣٧).

(٥) المريمة: عين ماء غرب مدينة يريم كان منه شرب أهل يريم إلا أنه جف اليوم.

(المقحفي: المعجم، ج ٢، ص ١٥٠١).

وفيهما قتل أحد أغواتهم المسمى رمضان آغا ، وصل مُغيّراً من ذمار فرماه السيد الشهيد الهادي بن علي الشامي .

وفيهما [/] استشهد الأمير حسن بن حفظ الله، ومن أصحاب مولانا الحسن جماعة منهم الشيخ المجاهد صلاح بن صالح العنسي الأسدي وجماعة من المجاهدين في جملة حروب، ونذكر منها حربين ذكرهما الأمير الحسين في كتبه الأولى: وقعة خاو^(١).

قال: إن الأمير سنبل أرسل زيادة عسكر إلى يريم ثلاثمائة من أهل البنادق وعشرين فارساً، وكان في يريم أربعمائة من أهل البنادق وعشرون فارساً، ثم تقدموا إلى خاو وكان فيها رتبة من جهتنا قليلة زهاء عشر بنادق فقصدوها، فأرسلنا إليهم غارة من عندنا وهم الفقيه شرف الدين الحسن بن علي بن صالح الأكوخ ومن معه وجميع الأصحاب وأهل النفع لدينا. وجعلنا الولد طالب بن الحسين عليهم والخييل التي عندنا جميعاً، فلما التقى الجمعان حملت الخيل حملة هاشمية وطعن كل فارس واحداً من الأتراك والرجال يقطعون الرؤوس، وحققت فيهم الهزيمة حتى دخلوا يريم والرؤوس المقطعة التي وصلت إلينا أربعون رأساً منهم محمد كاشف وعلي آغا ومصطفى آغا (والبيرق دار)^(٢) قتله الولد طالب وأخذ بيرقه وشاوس العسكر وغيرهم، ومن الخيالة خمسة وأخذت خيلهم، وغنم المجاهدون نحو خمسين قسبة بنادق وسيوفاً محلية وغيرها كثير، وغنمت الطاسة والمرفع^(٣). انتهى.

وكتابه الآخر الذي استشهد فيه الأمير حسن بن حفظ الله وتحقيق القضية قال: إن الأمير سنبل لما وقعت في أصحابه القتلة في رعين^(٤)، ثارت حميته وجمع زيادة من قومه إلى يريم حتى اجتمع فيها حول ألف قسبة من البنادق والخييل، وحصل بيننا وبينهم حرب شديد. وكان قومنا على ما عرفتم قليلين معهم ألفاف من خولان وغيرهم، فانهزم الألفاف ودارت رحى

(١) وقعة خاو: وخاو قرية شرق مدينة يريد في الطريق إلى دمت.

(المتحفي: المعجم، ج المعجم، ج ١، ص ٥٥٧).

(٢) البيرق دار: حامل العلم.

(٣) الطاسة: الطبل الصغير، والمرفع: الطبل الكبير، وتستعمل لتجميع الجند أو دقها في حالة هجوم ومباغنة العدو للإنذار.

(٤) رعين: عزلة في يريم. (الحجري: المجموع، ج ١، ص ٣٦٧).

الحرب على أصحابنا الخاصة وقرابتنا وعلى جماعة سيدنا القاضي الحسن بن علي بن صالح عافاهم الله وهم حول ستين رجلاً وجماعتنا البنادقية مثلهم، فثبت الفرسان من أصحابنا الأشراف في القتال وأبلوا البلاء الحسن حتى انجلت المعركة بينهم. وقد أثنوا أصحاب وخيلهم بالجراح، واستشهد [/] الصنو الأمير حسن بن حفظ الله بن ناصر رحمه الله لأنه باشر القتال وحمل الحملات الهائلة حتى كثرت الجراح ورمي هو وحصانه بالبنادق، فلما سقط ما كان همي إلا استنقاذه من بينهم فاعترضت بنفسه حتى حملناه بعد قتال شديد فوصل رحمه الله إلى المحطة ومات شهيداً رحمه الله.

وفي خلال ذلك فلت لي السرج^(١) حتى وقعت على الأرض وسلم الله ببركاتكم، وحصل في الأصحاب جراحات كثيرة في الولد خالد رصاصه وقتلت فرسه، والولد طالب فيه رصاصه وفي فرسه، والصنو عبد الله بن منيف فيه رصاصه وفي درعه وسيفه ثلاث رصاص وقاتل فرسه، والصنو عبد الله بن مطهر بن ناصر فيه رصاصه، والصنو عبد الله بن هادي بن ناصر في فرسه رصاصه.

واستشهد ولده ناصر في المعركة وجملة الخيل المقتولة أربع والمجروحات عشر.

واستشهد من أصحاب القاضي حسن بن علي الشيخ صلاح بن صالح العبسي، وثلاثة جماعة مجروحون وقد أبلوا بلاء حسناً، وبقية قومنا فيهم جراحات خفيفة، وقتل من الأعداء عشرة رجال وجرح ثلاثون. انتهى.

رجعنا إلى أخبار الذراع ومولانا الحسن رحمه الله^(٢) ومحطة الذراع والقبطين

فلما طال الحرب وقد وصل مولانا الحسين ابن أمير المؤمنين رحمة الله عليه من الأهرجر بعسكر عظيم فلا زال حتى أحط في ذي يسان، ثم اتفق هو ومولانا الحسن رحمه الله على أنهم يحملون على الذراع لأخذ الأمير سنبل ومن معه. وتشرعت فيهم الرايات من كل جهة ولم

(١) فلت لي السرج: أي ترك سرج الحصان.

(٢) رحمه الله: ليست في (ب).

يتمكنوا من قطع ما بين المحطة التي في زراجة والذراع، فحصل حرب حتى حجز الليل بينهم ودخل المجاهدون إلى أطراف الذراع وكادوا يأخذونه وعادت المراكب في الليل وقد قتل من الفريقين جماعة أكثرهم من أصحاب مولانا الحسين رحمة الله عليه. وقد حازوا الأمير سنبل ومن معه وهزموا محطة القبتين إلى القبتين، ثم أصبحوا ثاني يوم وقد جمعوا جمعاً كثيرة ، حتى قال من رأى جمعها رحمها الله [/] أنه ما قد رأى مثله، ولقد أحصى الراوي أن الرايات فوق ستين راية وتعرضوا للحرب. فبقي الأمير سنبل ساكناً لم يتحرك ولا لهم إلا مواضعهم، فالتقى عيال الإمام إلى الحذفة من الجهارنة^(١)، واتفق رأيهم السديد على هدمها مخافة أن يستقر فيها محطة ممن في القبتين، فتحتل المراتب التي على الطريق، ثم عاد كل إلى موضعه وطمع أهل القبتين ثاني يوم بإدخال الجامكية وقد جعلوا كمين خيل ويطنون عود مولانا الحسين وأنهم يخلّفوا حي الشيخ المجاهد علي الطير فوافاهم مع غارته فهزموا وقتلوا. وعاد مولانا الحسين رحمه الله إلى جهات حضور ثم بلاد كوكبان، ومع اجتماعها رحمها الله تعالى جعل مولانا الحسين رحمه الله بلاد آنس وما يتصل بها من بلاد ذمار وعممة ووصاب إلى مولانا الحسن رحمه الله. وإني أرسلت إلى مولانا الحسين كتاباً فيها يستورد فيه رأيه رضوان الله عليه، فأرسله مع رسول مختماً لم يقرأه إلى مولانا الحسن، وكتب إلي جملة أن ما عرض لك من كتاب أو مهم فإلى الصنو الحسن حفظه الله فهو البركة للجميع أو كما قال.

وقد تقدم القبض على الشيخ علي بن فلاح الحداي والشيخ زيد بن أحمد، فأما الشيخ علي فتوفي في الحبس، وأما الشيخ زيد فأخبرني أن العجم ندموا على حبسه فصالحوه أن يردوه إلى حاله الأول «وينصحهم فبعد ولم يقبلوا منه»^(٢)، فخرج على أنه ناصح لهم إلى القبتين وبقي ليالي، وهرب إلى مولانا الحسن رحمه الله فأحسن إليه كثيراً، وازداد يأسهم من العرب. ولما عجز العجم من الدفاع عن الطرقات وقد نهكهم الحرب^(٣)، فإنه في كل هذه المراكز لا تزال

(١) الجهارنة: وإد خصيب في منطقة الكميم بالحداء، تشرف عليه قرية النخلة الحمراء المشهورة بآثارها القديمة.

(المقضي: المعجم، ج ١، ص ٣٦٤).

(٢) لعل المقصود من هذه الجملة أن يقوم بدور الجاسوس لدى العثمانيين وينقل لهم أخبار الجيش الإمامي وتنقلاته.

(٣) في (ب): الحروب.

الحرب عليهم والغارات إلى أطرافهم والقتل فيهم. فاتفق رأيهم على عود الأمير سنبل إلى دمار وأنه يحفظ اليمن وكانوا جعلوا له ولاية عامة إلى اليمن والمخا، ومحاط القبتين ترجع إلى ريمة ابن حميد لأجل القرب من صنعاء ، فإن المراتب من مشارق صنعاء ومغارها كادت تضرها، فارتحلوا في ليلة واحدة.

ووصل الخبر إلى مولانا الحسن رحمه الله والمراتب المقاربة لهم ، فأغاروا فوجدوها خالية، وقد خففوا من أثقالهم، [٩٨/ب] فانتهب الناس ما وجدوا، وكان أهل القرى المقاربة للذراع وزراجة قد احتالوا على العجم بالبيع والشراء والمعاونة لهم، فأخذوا منهم أموالاً، فأراد رحمه الله هدم مساكنهم لمظاهرتهم للظالمين ومعاونتهم، فصالحوه على مال مما أخذوه، فكان في ذلك مصلحة. ثم إن الحاج شمس الدين رحمة الله عليه رجح لمولانا الحسن هدم سمسرة القبتين وزراجة مخافة أن يعود العجم إليها لخصانتها سيما سمسرة القبتين، فقل مثلها في الحصانة وحوها مجال للخيل مع الماء الواسع فهدمها.

ثم تقدم مولانا الحسن رحمه الله إلى خدار^(١) من أعمال روس سنحان، وقدم رتباً نحو صنعاء إلى الإلحام^(٢) مع السيد المجاهد المطهر بن ناصر الدين الحمزي رحمه الله، وأخرى إلى مقولة^(٣) مع السيد علي بن عبد الرحمن المسوري الخولاني والأمير الحسين بن محمد مضييق على محطة يريم محاصراً لها، فلما وصل الأمير سنبل دمار، وقد اجتمع إليه عسكرها مع عسكره جهز محطة للغارة على يريم مع رمضان آغا، فقتل الآغا المذكور كما تقدم، ثم غزا بلاد عنس وقتل من أهلها ونهب كثيراً وكادت المغارب ترتجف مع قوة الأمير سنبل في دمار، وكان في صنعه من جهات مولانا حسن رحمه الله الأمير الهادي بن المطهر بن الشويح في عسكر والبلد حصينة ، فلم يطمع فيها الأمير سنبل وبقي في دمار وضرب السكة وكاد يحصل إليه التفات، فألقى الله في قلوب عسكره محبة جانب الحق، وكان أكثرهم من العرب، فكان يهرب في كل ليلة منهم جماعة إلى عند الأمير الهادي، فانكسرت نفسه وخاف، وبقي

(١) خدار: قرية مشهورة في مديرية بلاد الروس جنوب صنعاء. (الحجري: المجموع، ج٢، ص٣٠٥).

(٢) الإلحام: الالتحام.

(٣) مقولة: قرية أثرية في سنحان. (المقضي: المعجم، ج٢، ص١٦٢١).

عند مولانا الحسن رحمه الله في خدار كما أخبرني رحمه الله من فيه.

قال رحمه الله: يشتد علي الحال أعظم من بقائي في خدار فإن المراتب المغربية قد أغرقت في المغرب وفي اليمن، منها أنتم يريدني في الخطاب ثم السيد محمد ابن الإمام الحسن بن علي في جيش من اليمن، وكان أرسله رحمه الله [/] من الأبيض مع جماعة من الحداء وغيرهم، وذلك أنه كان يجتمع معنا في جهات وصاب وعتمة فوق ألفين من ألقاف القبائل، فامتنع أهل حبش^(١) وأسفل بلاد العدين^(٢) على ولايتهم من الظالمين، وكاتبونا ندخل بلادهم وكاتبنا مولانا الحسين رحمه الله، فكان الجواب توكلوا على الله سبحانه، وبادروا، ثم بلغ مولانا الحسن رحمه الله، فممنعنا من ذلك وعظم عليه وقال: لا يحصل فيكم ما يكون وهنا وسفاطاً^(٣)، فتركوها حتى تقرب منكم.

ولما أظهر أهل حبش ونواحيها الخلاف أرسلوا إلى مولانا الحسن حيث لم يحصل من عندنا مدد، وقد اختلف علينا القبائل، فأرسل السيد محمد ابن الإمام الحسن -عليه السلام- كما تقدم، وكان أيضاً خرج جماعة من مشائخ الحداء وسرعانهم، فرأسوا عليهم الفقيه جمال الدين علي بن محمد الحماطي رحمه الله فغزاهم لأجل الطمع نواحي السحول^(٤) ففعلوا، وخرج عليهم عسكر من مدينة إب وذي جبلة، فأحربوهم وقتل الحدا منهم فوق مائة نفر في موضع سمي نجد القرضة وعاثوا في أسفال السحول وفعلوا ما لا يرضاه الله من السيرة، وأخربوا أيضاً في جانب بلاد يريم إلى بيت ابن العبد وقتلوا جماعة من جنود الظلمة، فتبرأ منهم مولانا الحسن رحمه الله، وقد طلع إليه نساء وأطفال من اليمن، وكان رحمه الله أرسل من الأبيض السيد عماد الدين يحيى بن لطف الباري في جماعة يسيرة مع الحداء لقطع طريق الملاوي ما بين يريم وذمار من جهة المغرب.

(١) حُبَيْش: ناحية معروفة في محافظة إب. (الحجري: المجموع، ج ٢، ص ٢٢٨).

(٢) العدين: سلسلة جبلية مترامية الأطراف في الجهة الغربية الشمالية من إب.

(المقحفي: المعجم، ج ٢، ص ١٠٢٩).

(٣) سفاطاً: السفاط المزاح وهي كلمة عامية.

(٤) السحول: حقل واسع يمتد من سفح جبل سبارة شمالاً حتى مدينة إب وهي مركز إداري تابع للمخادر، محافظة إب. وأراضي السحول تشتهر بزروعها ويخصب تربتها.

(المقحفي: المعجم، ج ١، ص ٧٧٦؛ الحجري: المجموع، مجلد ٢، ص ٤١٧).

ذكر الواقعة في ريمة سنحان

قال رحمه الله: اختلج عليّ الأمر أن أعود على صنعاء وما حولها ، وأشتغل بها فقد فرغ الأمير سنبل ومن معه إلى الجانب الغربي، فأخافه على مراتب اليمن، وأن أعود إلى جهات اليمن خفت على المراتب التي حول صنعاء وكانت مُحَاذَةً^(١).

قال رحمه الله: فوصلتني العيون تُخبر أن المحطة التي في ريمة مع كثرتها صاروا يخرجون إلى صنعاء [/] منها وخيامهم باقية جماعة بعد أخرى ليلاً^(٢) وأنهم يجتمعون إلى صنعاء، ثم يخرجون جهات القبلة.

قال: فخفت أشد الخوف على الصنو الصفي حفظه الله وهو إذ ذاك في المضلعة من جبل عيال يزيد كما سيأتي من تفصيل استقراره فيها إن شاء الله تعالى.

قال: وهممت أن أرسل إليه أن يخرج منها إلى بلاد الأقهوم^(٣) وبلاد السود^(٤)، عسى أن العجم يطمعون في تلك الأماكن ليتمكن فيهم فرصة في المواضع التي لم يكن للخيل فيها عمل ويكون من ورائهم وهو من أمامهم. قال: فعرفت أنه لا يساعدي بالانهزام، وإن انهزم ظن من عنده من العجم ومن العرب الظنون، وكان الجميع علينا فرجعت عن ذلك واستخرت الله تعالى، وعزمت على قصد محطة ريمة، فكتبت إلى أهل المراتب المشرقية أن يجتمعوا إلى السيد محمد بن أحمد ابن الإمام الحسن وإلى القاضي أحمد بن عامر ومن إليهم ويفتحون الحرب على ريمة وكتبت إلى المغارب من بني مطر وسنحان أن يجتمعوا إلينا.

قال: وخيلنا قليلة نحو الأربعين الفرس وخيل العجم كثيرة، فتوكلنا على الله وتقدمنا

(١) محاذة: محاصرة.

(٢) ليلاً: ليست في (ب).

(٣) بلاد الأقهوم: لعلها الأقهومي وهي بلدة في منطقة بني المهدي من جبل كحلان الشرف محافظة حجة.

(المقضي: المعجم، ج ١، ص ٩٦).

(٤) بلاد السود: مديرية في محافظة عمران غرب جبل عيال يزيد وتشمل المراكز التالية: هُتَان، بلاد جُنُب، بني طلق، الرحين، العمرين،

بني الحارث، العجيران، قطابه، بيت حبيش، هُمل.

(المقضي: المعجم، ج ١، ص ٨٢٦).

عليهم، وقد أوجهوا إلى جهات غيبان ونواحي المشرق كلهم ولا معهم كل الخوف من جهتنا لأجل الخيل وأنا لا نقدر على قتالها في القاع الواسع، فما شعروا إلا ونحن في أطرافهم، فانهزموا من جهة المشرق وعادوا لحرابنا بقوة عزم وكثرة، فوقع أمر ليس بالهزل فلا زلنا وإياهم. وقد دخلت بنفسي مع العسكر وكنت إلى جانب جدار عنب وبنادقهم تطفني، وحضر وقت الصلاة، فنزلت مع ذلك الجدار للصلاة بالتيمة، وقد أرسلت للخيل تجتمع إلي، وكانت في طريق صنعاء فإننا خفنا المدد من صنعاء، فجعلنا الخيل طليعة لنا، فلما وصلت توكلنا على الله وحملنا فيهم عند غروب الشمس، فانهزموا إلى الحصن واستولينا على المحطة جميعاً لم يبق لهم إلا ما على ظهورهم. وحمل الناس من الغنائم الواسعة، وكان القتل منهم ليس بالكثير لقرب الحصن منهم ولأن أصحابنا أهل الجانب الشرقي لم يحملوا من جهتهم لأننا لم نتمكن من أمرهم بالحملة معنا، فكان القتل منهم فوق المائة نفر، [/] وكان معهم مدفعان صغيران كانوا ضرونا بهما وفتكوا بهما.

قال فوقعت عليها بعد المغرب فناديت في العسكر أعينوني على طمعي، فاجتمع إلي جماعة وجررناهما إلى غيبان.

قال مولانا أمير المؤمنين سلام الله عليه: فيما كتب بالبشارة بهذه^(١) غيرها إلى مكة المشرفة، فقال في صفتها: واستولى جنود الحق على ما في المحطة من المغانم الواسعة من السلاح العظيم على اختلاف أنواعه من الرماح والسناجق^(٢) والسيوف والبنادق، والزبارط^(٣) والخزائن والأموال والدفائن، وكانت وقعة ثلث عرش الظالمين، وزلزلت قواعد ملكهم من شمال ويمين إلى آخر الكتاب.

قال رحمه الله: ثم رجعنا في الليل إلى غيبان، وقد امتلأت أيدي الناس بالغنائم، فلما

(١) في (ب): أو.

(٢) السناجق: السنجق العلم الكبير، وكان من قماش حريري ذي ألوان مختلفة.

(حسين مجيب المصري: معجم الدولة العثمانية، ص ١٠٨).

(٣) الزبارط: ذكرها القلقشندي في قوله: الزبارات وأنها تلحق بالمنجنيق وهي اللوالب والحبال التي تجذب بها المنجنيق حتى ينحط أعلاه

فيرمي بالحجر. (القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٢، ص ١٤٤).

أصبحنا عدنا للتعرض لحربهم فلم يخرجوا إلينا فهدمنا في الأعناب، ثم رجعنا إلى بلاد الروس من سنحان، وأمرنا مراتب المشرك ترجع مواضعها، فلما كُننا في الطريق وأقرب إلى ريمة نظرت إلى رجل يتخلل الناس عليه أثر الكشف من السفر البعيد، فأمرت من ناداه فإذا هو رسول من الإمام -عليه السلام- بكتاب فيه كثرة الشجن على الصنو أحمد حفظه الله وأن المحاط قد توجهت إليه وأنا نخاف عليه وفيه الشجن الكثير ثم قال فتنظروا فيما يفرج الله به كرب المسلمين بوقعة تشتد بها قلوب الأولياء، وترجف منها أفئدة الأعداء، وينظرون هل تمكن فرصة في محطة ريمة أو حدة أو في تلك المواضع.

قال: وكنا أرسلنا بالبشرى الشيخ محمد بن حسن دشلة وهو ثقيل قال: فقلت ليت الرسول غيره يفرج عن الإمام هذه الغمة الشديدة.

ذكر الوقعة في حدة

قال رحمه الله: ثم رجعنا إلى وعلان^(١) من أعمال الروس وقلت قد تفضل الله بهذه الوقعة في ريمة نقصد حدة كما أشار الإمام -عليه السلام- فجمعنا من معنا ومن القبائل وكتبنا إلى الصنو الحسين حفظه الله، ثم تقدمنا إلى جانب حدة، وأرسلنا الخيل طليعة إلى طريق صنعاء وكان آخر نهار، فانتهب المجاهدون أكثر حدة، وتحصن الأمير حسن كور في جانبها والحرب عليه إلى الليل. وقد خرج من صنعاء [/] غارة فوصلوا إلى قريب بيت زبطان^(٢) وتلازموا هم والخيل والرجالة فقتل علي آغا من العجم قتله السيد عبد الله بن حيدرة وأخذ رأسه غيره والسيد صالح بن علي سند من عاينين، وآغا آخر خفي علي اسمه قتله حي النقيب المجاهد جوهر نصابص، وعسكر ممن وصل من صنعاء وولوا هاربيين، وطلع مولانا الحسن رحمه الله حضور وترك في وعلان رتبة عليهم الأمير الشهير ياسين بن الحسن بن ناصر الجوفي، ثم تردد في حضور أربع ليال أو خمس. وقد رجع مولانا الحسين رحمه الله بعد وقعة

(١) وعلان: قرية جنوب صنعاء في ناحية بلاد الروس.

(الحجري: المجموع، ج ٢، ص ٧٧).

(٢) بيت زبطان: قرية قريبة من صنعاء جنوب شرق بالقرب من حدة وسنع.

حدة إلى جانب الأهجر للحدرد أن يحصل في مراربة كيسة. ثم إن مولانا الحسن رحمه الله اجتمع بمولانا الحسين في مسيب^(١)، ثم خرجا إلى خراب السنف^(٢) بلد هنالك وتشاوروا أي موضع يقصدانه وهما يطمعان في بلاد همدان لقطع ما بين صنعاء وكوبان وعمران، فرجح رأيهما قصد محطة أنود^(٣) وكان فيها الأمير عبد الرب بن علي في أهل كوبان، وفيها مزاحم آغا من قبل العجم وقاسم آغا واللهيم والنقيب صالح وغيرهم في نحو ألف نفر، وفي بكر قاسم آغا والجملية^(٤) نحو سبعمائة نفر. وفي كوبان الأمير علي بن شمس الدين، وفي الطويلة محطة فيها ألف ومائتان عليها أمراء، ثم عرفا أن العيون عليهم من العجم. وكان الباشا قد جرد الأمير مصطفى من كبرائهم يدور مقابلاً لمولانا الحسن رحمه الله، فكان في بيت نعامة^(٥) من بلاد همدان مع الأمير الداعي من همدان، فأظهرا أن مولانا الحسن رحمه الله يعود إلى جهات خدار، ومولانا الحسين يعود إلى الأهجر مكانه الأول، فلما وصل مولانا الحسن رحمه الله بيت ردم^(٦) عد للعسكر أرزاقهم وقد أسر إلى كبار أهل الخيل أنهم يغاضبونه ويطلبون منه ما لا ينبغي فإذا لم يعطهم ساروا مغاضبين إلى مولانا الحسين رحمه الله ففعلوا وكانوا قريباً من الأربعين. ثم وصل عقيب وصولهم الشيخ المجاهد قاسم بن علي الكرشاني العذري في اثني عشر فارساً مغاضبين من عند مولانا أحمد ابن أمير المؤمنين من المطلعة وهم على ظاهرهم غاضبون ليسوا كهؤلاء، فأمرهم مولانا الحسن رحمه الله [/] يلحقون أولئك وأسر إليهم أنهم يسرون إليهم وأنه في أثرهم.

(١) مَسِيب: قرية في بني الراعي، مديرية بني مطر، محافظة صنعاء.

(المقحفني: المعجم، ج ٢، ص ١٥٢٧).

(٢) السنف: لعلها سنْفان قرية بالقرب من يريم بالقرب من قرية خاو الأثرية.

(المقحفني: المعجم، ج ١، ص ٨١٩).

(٣) أنود: لم أستدل على موقعها وترجمتها.

(٤) الجَمَلية: هم الجنود راكبي الجمال.

(٥) بيت نَعامة: قرية في مركز (شهاب أسفل) في بني مطر، محافظة صنعاء.

(المقحفني: المعجم، ج ٢، ص ١٧٤٤).

(٦) بيت رَدَم: قرية وحصن في مركز (شهاب أسفل) في بني مطر، محافظة صنعاء.

(المقحفني: المعجم، ج ١، ص ٦٨٣).

قصة قتلة أنود وفتح كوكبان والطويلة وثلا

وذلك أنه لما وصل أهل الخيل إلى مولانا الحسين رحمه الله ولا لأحد خبر إلا أنهم مغاضبون فقرروهم وأحسن إليهم، فلما كان بعد غروب الشمس ثاني يوم وصولهم وصل مولانا الحسن رحمه الله بقوم كثرة حتى ملأ الأهجر، وتلقاه مولانا الحسين وأطلعوا الخيل أول الليل إلى ما يقرب من الضلع^(١) وبقوا إلى الربع الأخير وتقدموا، فطلعوا الضلع قبل طلوع الفجر، فانتظروا الصباح وصلوا ثم تعبوا للحملة على المحطة وكانت في موضع يعرف جملة بأنود والسمتين أيضاً محل الواقعة. وكان مولانا الحسين رحمه الله في جانب المشرق في نصف الخيل، ومولانا الحسن في جانب المغرب في النصف الآخر، وقد عبوا الرايات فتقدم سرعان العسكر الإمامي ودافعهم الأمير عبد الرب^(٢) ومن معه من العجم.

ويروى أن أول من رأى صعودهم الجبل مع طلوع الشمس أخبر الأمير عبد الرب فكساه وقال: هذه بشارة طلوعهم ولا يعرف أن مولانا الحسن فيهم وطمع في مولانا الحسين على أن طلوعه الجبل متوسط ما بين كوكبان وبكر والطويلة والمكان وعمر، فهزموا أول من دخل أطراف محطتهم.

ثم وصل السيدان الحسنان ومن معها من أهل الرايات وحملوا عليهم حتى دخلوا المحطة ونهبوها عن آخرها، وخرج منهم فرسان قبل كوكبان، فتلقاهم مولانا الحسين رحمه الله وجماعة من أهل الخيل فقتلوا أكثرهم وردوهم وفر الأمير عبد الرب والنقيب صالح ومن عندهما من أعيان الترك ورؤسائهم. وكان أمراء جنوده الذين احتازوا في حصن عولي^(٣) النقيب محمود والنقيب فرحان قد حضروا كما سيأتي إن شاء الله من خروجهم، وطلع من

(١) الضلع: الجبل الذي تقوم على ذروته مدينة كوكبان. ويعرف قديماً بجبل دُحار.

(المقحفي: المعجم، ج ١، ص ٩٤٧).

(٢) من أمراء آل شرف الدين: حارب مع العثمانيين في البداية ثم انضم إلى المعسكر الإمامي وحارب مع الإمام وعاضده وحسنت سيرته وقربه الإمام المؤيد إليه حتى أصبح بمثابة العين التي ترسل له كل تقارير المعارك والشئون العسكرية في ذلك الوقت. وقد أوردنا له أخباراً مع بقية أفراد أسرته في الدراسة التي سبقت هذا التحقيق.

(٣) حصن عولي: من الحصون المنتشرة على جبل الضلع الصاعد إلى مدينة كوكبان.

نجا منهم ولم يدركه الحمام حصن بكر. وكان فيه مع رتبته بُلُق^(١) الجميلية عمدة أبلّاق^(٢) العجم وكانوا فوق سبعمائة فدافعوا عن من وصلهم من جند العجم وأهل كوكبان، وأن الأمير عبد الرب من تفاقم الأمر [/] هرب وترك عمامته وإنما حملوه على أكتافهم.

ولقد أخبرني من كان معهم وصار إلينا رجل من بني صريم أنهم وجدوا مكاناً ضيقاً، فهربوا وكان أولهم رجل من عسكر العجم من بلاد الكلبيين فوثب من أعلى إلى أسفل، فوصل الأرض (وليس بأكثر من قامة)^(٣) فتتعتع^(٤) وأراد القيام، قال: وأنا أنظر فوثب عليه الآخر ثم من بعده حتى عجز عن القيام قال: فكان في حكم الدرجة في ذلك المضيق، ولقد رأيت بطونه تخرج من دبره من شدة الوثوب عليه وبعضهم وصل الأمان ومات، وبعضهم فر إلى الطويلة^(٥).

ومما أخبرني الصنو الحسن بن علي وأخوه لطف الله، أنهم شهدوا رجلاً من بني جرموز كان مع الظالمين يسمى محمد العزب وكان نادرة في أصحابه في القوة فقالوا: إنه فر ثم أخذه الخوف في الطريق وهم أن يدخل صنعاء فلم يأمن فوصل بيته ومات ولعل في غيره مثله. وكان عدة القتل نحو سبعمائة نفر والمحتازين في بكر مع الأمير عبد الرب مثلهم، والذين فيه رتبة مثلهم، والذين في الطويلة ومن فر إليهم نحو ألفين^(٦) وأكثر من ذلك كما أخبر غير واحد.

ولما انتهب^(٧) المجاهدون محطتهم وما فيها من المضارب والخيام والأثقال والآلات، واحتزوا الرؤوس وجرت الدماء كما أخبرني بعض من كان مع أهل كوكبان أنهم كانوا يسمعون مع أوليهم أن دماء أهل كوكبان تسيل في هذا الموضع إلى السمتين خرقين في الجبل

(١) بُلُق: المقصود به البلك وهي الكتيبة العسكرية.

(٢) أبلّاق: هي جمع بلك.

(٣) ما بين القوسين: ليست في (ب).

(٤) فتتعتع: أي حاول القيام والنهوض (عامية).

(٥) الطويلة: مدينة على سفح جبل القرائع غرب شبام كوكبان. تحيط بها الحصون من كل الجهات. (المقحف: المعجم، ج ١، ص ٩٦٥).

(٦) في (ب): ألف.

(٧) في (ب): وصل.

المذكور، قال: فوالله لقد رأيت الدم ينصب فيها وله دوي. ثم تقدم السادة رحمهما الله إلى بيت عز^(١) مقابلاً لكوكبان وعشروا^(٢) من هنالك، وتقدم سرعان الناس فنهبوا من شبام^(٣) كثيراً، ووصل أهل المدينة واستأمنوا وأهل الحصن غلقوا الأبواب وقبض المفاتيح الأمير علي بن شمس الدين كما بلغ.

قال مولانا الحسن رحمه الله: فتركنا في بيت عز ومقابل كوكبان جماعة، وتقدمنا إلى القرب من بركة الغرائيق موضعاً هنالك، وفي جانب المكان جلب سبيل^(٤)، فدخلت أنا والصنو الحسين للمشورة فقلت: ماذا نفعل بعد هذه الوقعة التي تفضل الله بها، فالصواب أنك تستقر [/] في هذه المواضع وتقطع ما بين كوكبان وبكر وترجع لحصار من في الطويلة الذي كانوا هنالك وأنا أترك لكم محطة من أصحابي ورئيساً، ونرجع خدار لتتوسط ما بين صنعاء وذمار فقد عرفت أن أصحابي في اليمن وأخاف عليهم مع البطا^(٥) عنهم.

قال: وقلبنا الرأي في مثل ذلك، قال: فبعد عني الصنو الحسين وقال: لا يمكن منه الاستقرار في هذه المواضع، وأنهم يطالبونه بالنفقات وما يقوم بهم وقد صار معهم فمن أين يأتيه المدد؟ وماذا يفعل بل يبقى حتى ينظر ما يستقر لنا من الأحوال.

قال: فغضبت من قوله وقلت: أصحابي الذين أتركهم عندك عهدتي وأصحاب الإمام عهدته وأصحابك عهدتك أو كما قلت.

قال: فأعرض عني مفكراً وأعرضت عنه كذلك، والخدم في الباب يحفظونه علينا، قال:

(١) بيت عز: هو حصن على جبل كوكبان وأكثر قرباً من حصن ثلا، ويُعد من الحصون القوية والمنيعة بعد حصن ثلا وكوكبان.

(د/ سيد مصطفى سالم: الفتح العثماني، ص ٢٨٤).

(٢) عشروا: أي أطلقوا وأبلا من الرصاص والذخيرة.

(٣) شبام: هو اسم مشترك لأربع مدن هي: شبام حضرموت، شبام حراز، شبام سخيم وتسمى شبام الغراس، وشبام كوكبان وهي المقصودة هنا.

وشبام كوكبان مدينة أثرية قديمة. وكانت مقراً للدولة اليعفرية في القرن الثالث الهجري.

(المقضي: المعجم، ج ١، ص ٨٤٤).

(٤) جلب سبيل: لعلها جنب سبيل، بالقرب من سبيل أي سبيل الماء الذي يوضع في الطرقات.

(٥) البطا: لعل المقصود بها التباطؤ أي عدم الإسراع (عامية).

فسمعت رجلاً من ورائهم يطلب الإذن علينا فسألتهم فقال الخدم: هذا من عند الأمير عبد الرب، فإذا برجل حسن الخطاب من أهل الضلع^(١) وأظنه ذكر اسمه، قال بعضهم: اسمه غزوان وإذا معه ورقة صغيرة إلى الصنو الحسين ومعها كتاب مفتوح إلى الأمير علي بن شمس الدين من لفظ الكتاب الذي إلى الصنو الحسين أنه قد جرى ما عرفت والوالد في كوكبان يشجن علينا، فترسلوا تفضلاً منكم هذه الورقة لإعلامهم بسلامتنا، ويكون بيننا وبينكم صلح وتخلون لنا الطريق إلى كوكبان ويخرج معنا أعيان السلطنة ونكاتب إلى صنعاء بصلح وكذا.

قال: فلما رأي الرسول خجل واستحي، وقال: سيدي عبد الرب، والله لا علم له أنك الحاضر هذا الأمر. فأخذت الكتاب وقلت: أما الذي إلى كوكبان فيمضي لبشارتهم، وأما هو فلا جواب له ولا مرحباً ولا عذر من وصوله هو ومن عنده في هذه الليلة إلينا، وإلا فلا أمان له، فقال الشيخ: أمهلني أعود إليه فعاد إليه وأخبره بأني في القوم فقلق وأرسل من ساعته يستغيث بالإمام -عليه السلام- أن يدركه، فأرسل الإمام -عليه السلام- القاضي العلامة شمس الدين أحمد بن سعد الدين أطال الله بقاءه، فما وصل بعض الطريق إلا وقد فتح الله كوكبان.

ذكر فتح كوكبان

وذلك أنه عاد الشيخ المذكور [/] بخطه إلينا بخلاف ذلك على أنه صدر النقيب محمود والنقيب فرحان يخاطبونكم بما فيه الصلاح إن شاء الله تعالى. ثم وصل النقيبان وجرى الخطاب على وصوله إلينا هو وجميع من عنده من أعيان السلطنة وتسليم بكر وكوكبان ومصيرهم من جملتنا وعادا وأمسينا تلك الليلة، فأصبح هو ومن عنده من أصحابه وأعيان السلطنة خارجين إلينا.

إلى هنا رواية مولانا الحسن رحمه الله تعالى، ومن رواية أصحابه أنهم بايعوا وطلع الجميع

(١) من أهل الضلع: أي جبل كوكبان.

إلى كوكبان، فلما انتهوا إلى مقابل الباب المطل على مدينة شبام عَشَرُوا من هنالك بما لا يعلمه إلا الله سبحانه وتقدموا كوكبان. فلما قربوا من الباب وقد أرسل الأمير عبد الرب ليفتحوا الباب وهو بين عيال الإمام، فتلكأ صاحب الباب.

قال الوالد السيد علي بن المهدي رحمه الله^(١): فرأيت السيدين توها فقدمت إليهما وقلت: إنما يريد صاحب الباب ما يعتاد من الكسوة، قال: فاستبشرا وأخذنا من ثياب أصحابهما ما أرضوه به، ودخل الجميع كوكبان حتى امتلأ. ونزل من الناس من نزل إلى شبام وللحصن رجة عظيمة من البكاء على قتلاهم وفيهم من تعلقوا أصواتهم فرحاً بسلامة الأمير عبد الرب وأهاليهم.

وكانت الواقعة يوم السبت سابع عشر من شهر رجب سنة ست وثلاثين وألف^(٢).

ولما استقروا في مجلس الأمير عبد الرب بايع الأمير علي بن شمس الدين ومن كان في الحصن. وقد أرسل الأمير ولده الأمير الناصر بن عبد الرب إلى الإمام -عليه السلام- يستعطفه كما تقدم. فأخبرني من شهد ذلك أن الإمام -عليه السلام- لحقته العواطف الرحمية والمراحم النبوية ولا يصف الواصف تأنيسه له وأنه بكى رحمة له لما رأى^(٣) فيهم من الذل مع ما يعرف من أحوالهم. وكان الأمير محمد بن علي بن شمس الدين قد هم بشقاق أبيه وأخيه وأراد الموالاة لجانب الحق في ابتداء أمرهم فقبضوا عليه وعلى من معه، وأخذوا ما في بيته وتركوه في الحبس مضيئاً عليه، فأمر مولانا الحسن رحمه الله بإطلاقه وإطلاق المحاييس والرهائن^(٤).

(١) رحمه الله: ليست في (ب).

(٢) السبت ١٧ رجب سنة ١٠٣٦ هـ الموافق ٣ أبريل ١٦٢٧ م.

(٣) في (ب): يعرف.

(٤) وقيل: إن الأمير محمد بن شمس الدين لما رأى مولانا الحسن وصنوه الحسين ووقع نظره عليهم ورأى أقاربه من آل شمس الدين محذقين بهم تلا الآية الكرية رافعاً صوته ومشيراً إليهم ﴿هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [يوسف: ١٠٠]. (وردت هذه في حاشية الكتاب ويخط مختلف عن خط المتن).

وهو مع ذلك يلطف بهم ويداعبهم ويلين لهم الجانب ويحسن إليهم وقد بذلوا المجهود في الضيافة مع كثرة الناس وقدموا الخيل العظيمة [/] المحلية. ثم وصل أهل الحيمة المحاصرون للطويلة والذين كانوا في الطويلة ولم يبق لهم في الحصن سعة وفي أهل الحيمة ما لا يحتمله أهل كوكبان، فخاف الأمير عبد الرب من معرفة في الحصن من أهل الحيمة أو يحصل اختلاف، فاستجار بمولانا الحسن منهم وقال: أخافهم وأخاف عليهم أو كما قال. فقال: لا يمسون^(١) في الحصن إن شاء الله تعالى، فلما وصلوا وسلموا صاح الصائح إن مساهم في غير الحصن، فعظم على أهل الحيمة وعلى القاضي يحيى وكبرائهم وقالوا كما قالت الأنصار في أخبار غنائم حنين: إذا كانت شديدة فنحن نُدعى لها، وإن غيرها فكذا أو كما قالوا. وخرجوا وهم يتكلمون بمثل ذلك فرأى مولانا الحسن رحمه الله أن يُطَيَّب نفوسهم بأن أخرج غيرهم مثلهم ولأجل التخفيف عن الحصن وأهله منهم الشيخ جمال الدين علي بن عبد الله الطير رحمه الله وأنه يدخل بلاد همدان، وقد وصل همدان مواجهين ووصل بنو الحارث كذلك.

ذكر فتح ثلا والقبض على الأمير صفر ومن معه

وذكرناه مع فتح كوكبان لاتصاله به وإن كان من أخبار القبلة التي لم قد نكتبها في هذا المختصر^(٢) وذلك أن المقابلين له من أصحاب الإمام -عليه السلام- مع السيد الخبر العلامة عبد الله بن عامر بن علي، والسيد المجاهد أحمد بن محمد الحيداني، والسيد الهادي بن الحسن الكحلاني ومن إليهم من الأعيان، فإنهم لما رأوا الحرب على الضلع تقدموا للحرب على ثلا^(٣) ودخلوا جوانب المدينة، وكان الحرب عليهم ليلاً ونهاراً لا ينفكون. ولما فتح كوكبان

(١) لا يمسون: أي لا يبيتون في الحصن.

(٢) في (ب): وقد لم يتقدم ذكرها، و(التي لم قد نكتبها في هذا المختصر)، وقد أورد الجملتين.

(٣) ثلا: مدينة وحصن بالشمال الغربي من مدينة صنعاء بمسافة ٤٥ كيلو متراً، وهي إحدى مديرية محافظة عمران، مركزها حبابة ومن قراها: وتار وبيت بحر، وبيت هبة، ومركز الخميس. يحيط بالمدينة القديمة سور محكم البناء له ستة أبواب هي باب الفرضة، باب الهادي، باب المشراق، باب السلام، وشوارع المدينة مفروشة بالحجارة. من أشهر مساجدها الجامع الكبير ومسجد المطهر بن شرف الدين.

(المقحفي: المعجم، ج ١، ص ٢٥٨؛ الحجري: المجموع، مجلد ١، ص ١٦٦).

عرف أنه لا قدرة له، فراسل إلى مولانا الحسن ومولانا الحسين رحمهما الله تعالى وطلب وصول مولانا الحسين ليكون التسليم إليه، فخرج من كوكبان في أصحابه وخواصه، فما وصل أسفل العقاب^(١) إلا وقد وصل مولانا أحمد ابن أمير المؤمنين أطال الله بقاءه في جماعة يسيرة وذلك أنه لما صح له أخذ كوكبان خاف أن الكخيا ومن معه في عمران يخرجون إلى صنعاء، فأغار من المضلعة ليلاً حتى دخل بلاد عيال سريح^(٢) وصعد إلى جبل ضين وعشر من [/] هنالك، وقرر محطته في بلاد عيال سريح، وأغار إلى ثلثا فقدم قبيل مولانا الحسين رحمه الله بيسير، فوجه مولانا الحسين رحمه الله الخطاب إليه وأمسوا على صفر^(٣) ومن معه وقد ملكوا المدينة جميعها.

ولما كان اليوم الثاني دخل لقبض السلاح الفقيه الفاضل محمد بن علي بن صالح الأكويع رحمه الله تعالى من قبيل مولانا صفي الدين والذين دخلوا للعهد والخطاب وقبض ما معهم إلى المخازين هم السيدان الأكمالان: محمد بن شرف الدين بن جحاف، والسيد عبد الله ابن أمير الدين^(٤) والقاضيان العالمان الحسن بن سعيد العيزري وعبد الهادي بن أحمد الثلاثي مع غيرهم. ثم خرجوا وقد قتل منهم فوق المائتين في الحرب، فإنهم أحربوهم نحو ثلاثة أيام بلياليها وجلس^(٥) منهم جماعة من أعيانهم مع الأمير صفر والأغوات الذين معه وهم جماعة.

منهم قرا جمعه آغا من عظمائهم وكان في ذيفان، فأغار إلى ثلثا كما سيأتي إن شاء الله تعالى وأطلق جماعة وأرسلوهم إلى محروس شهارة المحروسة بالله.

(١) العقاب: مفردا عقبة، أي عقبات الجبال، والعقبة الجبل الطويل الوعر.

(ابن منظور: لسان العرب، ج٩، ص٣٠٦).

(٢) عيال سريح: قبيلة شمال صنعاء وهي من إحدى محافظات عمران. ومن قراها: حمدة، قهال، غولة عجيب، بيت الضلعي، بيت الزبير، بني ميمون، عمد، جبل ضين، ذيفان.

(المقضي: المعجم، ج١، ص٧٨٨).

(٣) صفر: المقصود به القائد العثماني صفر، وقد وردت أخباره في الدراسة التي سبقت هذا التحقيق.

(٤) عبد الله ابن أمير المؤمنين: عبد الله بن القاسم بن محمد. كانت له ولاية دمار في عهد المؤيد بعد الحسين، بايع أخاه أحمد بعد وفاة المؤيد محمد فعتب عليه أخوه إسماعيل، وانفصل من الولاية إلى أن توفي في سنة ١٠٦٩هـ / ١٦٥٩م. (زيارة: خلاصة المتون، ص٣١٧).

(٥) في (ب): حبس.

ومن هذه الوقعة الأنودية^(١) وما بعدها اجتمع قلوب أهل اليمن إلى جانب الحق وتواترت الفتوح كما سيأتي إن شاء الله تعالى فهي كيوم الفرقان.

أخبرني الفقيه الفاضل صلاح بن علي البريشي أنه سمع مولانا الحسين رحمه الله تعالى، يحدث أنه رأى قبل الوقعة أنه وصله خط من النبي ﷺ وعلامته الشريفة - صلى الله عليه وآله -: محمد رسول الله وفيه الآية الكريمة: ﴿نَصَرْنَا مِنْ اللَّهِ وَفَتَحَ قَرِيبًا وَيَبْشُرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [:]، وسارع إلى الطاعة من كان مخالفاً^(٢) كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

وقيل: في هذه الوقعة أشعار حسنة.

منها ما قاله القاضي الأديب العالم رضي الدين زيد بن علي المسوري رحمه الله^(٣) [١٠٤/أ]

[١٠٥/أ] وقال الأمير الكبير عز الدين محمد بن علي بن شمس الدين رحمه الله تعالى هذه القصيدة الرائقة الفائقة، يخاطب بها مولانا الحسن رحمه الله تعالى وجعلناها في فتح كوكبان، لأنه باب الفتوح الذي فتح الله به البلاد وإن كان أنشأها في حدة:

بلغت بنو الزهراء بك المأمولا

وبطول سيف علاك زادوا طولاً

ورفعت يا حسن البرية مجدهم

وتركت سيف عداهم مفلولا

(١) الأنودية: نسبة إلى أنود التي لم نجد لها ترجمة.

(٢) في (ب): مخالفاً.

(٣) بعد المراجعة مع النسخة (ب) اتضح التالي: من ورقة (١٠٤/أ) حتى نهاية ورقة (١٦٩/ب) أي نهاية الجزء الأول في النسخة (أ)، ارتأت الباحثة أن يتم نقل هذا القسم من السيرة تبعاً لما جاء في الترتيب الزمني في النسخة (ب)، وسوف يكون ترتيبها في بداية الجزء الثاني من النسخة (أ). وقد كتبت ملاحظة في أسفل حاشية الكتاب بخط معاير كالتالي: (هنا بياض في كثير من النسخ، وانتقل إلى الورقة التي فيها وقال الأمير الكبير عز الدين محمد بن علي بن شمس الدين الذي أولها: بلغت بنو الزهراء بك المأمولا، وهي أول ورقة سابعة وستين، ولعله تقديم وتأخير من المصطب (المجلد)، ولعل الله ييسر بتقصه وإصلاحه سنة ٦٧. ثم ملاحظة أخرى أسفل الحاشية (لعل هنا سقطاً فإن وقعة نجد قسيم متأخرة فتحقق هـ).

[بياض في (ب) ومبتورة في (أ)]

وبشدة العزمات نلت من العلى
مجداً وجدك في العلى مانىلا
وخرجت من سجن العلوج مقلداً
سيفاً لسفك دمائهم مسلولا
وهم إليك مقررون نواظراً
زرقة ألغىظهم تراها حولاً
من قصر صنعاء المتيع وهذه
مما تظن لبعدها تخيلاً
خلفتهم أسفاً عليك تصفقوا
وحيثهم مترادفاً موصولاً
كم من أناس فيه قبلك^(١) أودعوا
مرداً وصاروا في ذراه كهولاً
لكن ما كل السيوف بواتر
كلا ولا كل الرجال فحولاً
وافيت دارك واستقر بك النوى
ووصلت يا حسن أعز ووصولاً
ثم اثنت عقيب ذلك ناشراً
علماً لجمع العالمين طويلاً

(١) في (ب) ظن: حبسك.

فأتوا إليك فحال ما شاهدتهم
متقلدين صفائحاً ونصولاً
ورأيت نفسك واحداً كالأنف بل
كالخلق يابن الأكرمين أصولاً
جردت عزمك من نواحي صعلة
وقطعت أرضك عرضها والطولا
وأيتت في جيش عظيم لوبه
سدت مارب ما استطاع مسيلاً
من بعد ما ذللت أهل ديارها
بسيوف بطشك والقنات ذليلاً
وسررت يا حسن بفعلك بالعدا
وبنفسيهم عن أرضنا جنزياً
جعلت محجلة العتاق دماءهم
عصماً وأذهب لونها التحجياً
وجعلت يا ابن القاسم بن علي ما
بخلوا عليه للملا مبنولاً
وتركت عقد نظامهم من بعد ما
عقدوه ياسامي العلى محلولاً

وسطوت في يوم الذراع^(١) فشاهدوا
طول الذراع من المخافة ميلا [/]
وبأنود^(٢) مادت جبال تهامة
وكذاثلا قد خر منك مهولا
شمرت من أرض الذراع فككت من
قد كان في أيدي الخطوب عليلا
ويظبر حدين^(٣) اشتهرت فلم يجد
منك العدو إلى الفرار سبيلا
وكان في يوم الحفا وهذه
جمل ولم ندرك لها تفصيلا
فعلاك يعلو أن يحدو لاله
يا عين عصري تحسن التمثيلا
لو تجعل الأشجار أقلاما له
شخص ويعمل حبرهن النسيلا
ويود أن يأتي بوصفك لم يف
أبدأ فأنت أجل مما قيل
أنت الذي لولاك ما عرف الندى
أنت الذي جعلوا ندادك رسولا

(١) اسم منطقة جرت المعركة فيها بين الجيش الإمامي والعثمانيين.

(٢) اسم منطقة جرت المعركة فيها بين الجيش الإمامي والعثمانيين.

(٣) اسم منطقة جرت المعركة فيها بين الجيش الإمامي والعثمانيين.

يثنى عليك بكل وفد في الورى
وكفى بذاك إلى حماك دليلاً
لو كان يبعث بعد عهد محمد
رجلاً لكنت إلى الأنام رسولا
أنت الإمام ابن الإمام أخو الإمام
سام كم طبت فرعاً منذ طبت أصولاً
ماللوصي أبي حسين في الورى
قسماً يرى أحد سواك مثيلاً
في شدة وفراصة وشجاعة
ودراسة في منزل التنزيلاً
عمت مكارمك البلاد جميعها
فترى العباد دعاءهم ترتيلاً
وتركت حيدر في بحار أجابه
متحيراً متدبراً مخجولاً
ضاق به صنعاء وهي فسيحة
وغدا بجبل سقائه مشكولاً
لا بد أن يأتي إليك مكبلاً
في قيده متذلاً مخجولاً
فشواهد الحالات تنبئ أنها
يلقى بمن الله منك مقبلاً

لو كان ذارأي أتاك مطوعاً
من قبل أن يأتوا به مقتولاً
فلكم أسرت وكم ضربت وكم طعم
سنت وكم تركت من العداء قتيلاً
ولكم بعثت إلى ديار شهارة
ممن أسرت أعاجماً وخيولاً
فلك المناء وللحسين فإنه
أضحى لنصرك ساعداً مفتولاً
ورقى بهمته العليّة في العلى
مجداً عظيماً لا يرام حليلاً
ما كان أجدره بما قد قيل في
بلد بن عمار بن إسماعيل
نطق إذا خط الكلام لثامه
أعطى بمنطقة العقول عقولاً
كم سددتم أبناء دهركم فلا
بكم لنا جعل الإله بديلاً
نكلتم من كان يكتم ما يرى
من معجزات جدودنا تنكيلاً
وتركتكم جثث الأعاجم في الفلا
للطير تأكل بكرة وأصيلاً

وأخذتم من خان عهد ولاتنا
أخذنا شديداً بالسيوف وبليلا
وشددتم أزر الإمام محمد
من فضله ترك العزيز ذليلا
غوث الإمام إمامنا البدر الذي
أضحى إلى دين الرسول ذليلا
الأروع الفطن الذي أحيا الورى
بوجوده والعلم والتتزيلا
الأصل في هذا الفخار حماكم
وحماه ما ذكر الخليل خليلا
رب البرية في الأنام وصاله
فلقد شفى للمكرمات غليلا
ولقد أعاد لنا الفخار وفي العلى
عقدت مكارمه له التبجيلا
ذلت لهيته الملوكة وقبلوا
ساحات مربع سوحه تقبليلا
وأتوا إليه من نواحي مكة
لدعائه فلقد غدا مقبولا
أحيابه سنن الرسول إلهنا
فغدا لنا عوض الرسول رسولا

لم يلف إلا راععاً أو ساجداً
أو تالياً أو رافعاً تشكيلاً
أو مقرياً للضيف أو متقلداً
للسيف أو يالهه مشغولاً
وكان لا تلقاه إلا ضاحكاً
للوافدين إليه جيلاً جيلاً
يرضي الذي يأتي إليه بلطفه
وينيل من فقد السؤال السولا
قد خصه رب العباد برتبة
يعلمو وفصل قدره تفضيلاً
صلى عليه إلهنا ما نحت
عذبات نجد في العراق نخيلاً
وعلى الرسول شفيعنا في يوم لا
من شمسه يجد الأنام مقيلاً
وعلى الوصي أبي حسين ماتلاً
تال بمصحفه وأقوم قياً

وقال الفقيه الأديب جمال الدين علي بن عبد الله المكي^(١) في أول حصار صنعاء ودخول
الجراف رأينا إثباتها مع قصيدة الأمير محمد وأعطاه مولانا الحسن رحمه الله تعالى بزاً^(٢) كثيراً
ودراهم منها سبعون قرشاً:

(١) لم نجد له ترجمة في المصادر التي بين أيدينا.

(٢) بزاً: البز القماش.

[/ يا حادي الأضعان بالله ارفقن]

لا تعتفها واحدها ثم اطرين

قد قال سيدنا لأنجشة الحدا

رفقاً وخذ باقي الحديث من السنن

عمري لقد أشجيت صباً نائياً

وأطرت نومي ثم هيجت الشجن

أو ماترى قلباً يقلبه الجوى

ظهرأ ووطنأ من حنين للوطن

بين الحجون ولعلع أحبابه

في شعب عامر قد حوى كم من أغن

فالعامرة بين هاتيك الربا

ضربت خباها هام قلبي واقتن

قد كنت مجبوراً بكشف لثامها

ويفضلها عني فالات تبرقعن

وأطوف حول خباها وفنائها

والخال في خديقل لي قبلن

وإحاطة الخلخال غمر ساقها

وكذاك حلتها فالات تبرجن

من ذائديها سوى أحيابها
وسواهم من حولها لا يقربين
أجيادها قد أسكتته حماها
وجوادهم كم من جواد يصهلن
والسمهرية والأسنة والظبا
والبيض حول خباثها تلمعن
فهم الحماة وليس حام غيرهم
يحمون ناديمها أولاك بنو الحسن
إن لم أكن منهم فلي في حبيهم
عز وحسي لم أزل أتبعجن
هم سادتي من عزهم أقدامهم
فوق الجباه وليس لأستكفن
من بين أظهرهم خرجت لشقوتي
ولسوء حظي حلت عنهم والوطن
فخرجت منهم خابطاً من حيرتي
ذرعاً مضيئاً لم أزل أترقين
لم أدر شاماً أو تهامة مقصدي
أو غربها أو نحو نجد أنجدن

فسمعت ثم لسان حال قائلاً
أنفاس أهل البيت من قبل اليمين
ناديته صرح وهالك بشارتي
روحي سواها ليس لي ما أملك
فأعادي صوتاً يوبخني به
أومأ ترى ابن الرسول المؤمن
إن الأمين محمد الهادي النبي
ألقى بنفسه إلى روع الحسن
ابن الإمام أخو الإمام المجتبي
وأخي الحسين السبط يالك من من
ألقوه في صنعا بسجن ظالم
ظلماً ولا غرو الأماثل تمتحن [/]
ولو الواء المجد بغياً منهم
لياً وطعناً ثم كان لهم طعن
طويت عنايتهم في طيها
كشفت بنقب السجن يا أهل الفطن
لتبؤن بأمرهم هذا وهم
لا يشعرون بيوسف في ذا الحسن

فقميص يوسف حين لطخ في الخلا
بدم مع الإلقاء في جب الحزن
طويت له أنفاس آل محمد
كدنا ليوسف ثم كدنا للحسن
خروا ليوسف ساجدين كما ورد
إن شئت تحقياً فسورته اقرأن
أسباطنا أسباط آل محمد
كم من رؤوس أسجدوا دون البدن
وسيو فهم صلت عليها كبرت
تكبيرة للقطع ليس لها سنن
ورياح نصر القاسمي تعاصفت
صراً أصابت أهلكت أهل الفتن
وصعوده من صعدة وبصعده
قصد الكواكب ناولوه كوكباً
وهبط بهم منه نواحي جدة
فعدت مراصده لصنعاء اليمن
وأدار دولاب الحصار مديراً
رأياً سديداً أسدها ثم اغلقن

أفرغ عليهم قطره وحديده
لن يظهر وا حتى بصور ينفخن
غلق طوى فيه الفتوح محققاً
فاعجب لغلق قد فتح أرض اليمن
بكتائب أريدت كل كتيبة
بأءوا بقول لن يعود فنظلمن
قد خاطبتك أولوا النهى في قولهم
أحسن في تدبير ملكك يا حسن
وأزلت ظلماً عم كل موحد
وقمعت أهل الشر أرباب الفتن
وأتيتهم بجنود ليس لهم بها
قبل وودوا الحكم فيما تأمرن
ودعوتهم همدان الطغاة ليهتدوا
ثم استجوا للعلماء المهلكن
وبصيحة بالخيال كان صبا حهم
فيها الشهاب إذا أخذ لم يفلتن
القاسمي أحمد شهاب ثاقب
لا يرعوي كلاً ولا يتحيرن

فكأنه في النهـروان كحيدر
وهـم الخوارج في زمان أبي الحسن
حسن لقد حزت المفاخر كلها
فلك الفخار ومن يفاخر من ومن
فالعقد آل محمد وعقيدهم
أنت التميمة وسطه يتالأن
طهرت قوماً عند أخذ زكاتهم
حرصاً عليها حيث لا يبقى درن
وعليهم صليت حيث محمد
صلى وقد جعلت صلاتكما سكن
وصرفتها للقوم أهل براءة
مسكينها وفقيرها ومكاتبين
ابن السبيل وغارماً ومجاهداً
والعاملين ولا مؤلف في اليمن
من ذا نطق حصر النشر مديحكم
أوماترى القرآن فيكم يمدحن
بأخيك مولانا الإمام محمد
الطاهر القدمين مهدي الزمن

محيي رسوم الدين بعد إمامة
فرضاً ونادياً مستحجاً والسنن
اسمع لما ينهي إليك شكيتي
في شأن دين لم يزل لي مثقلن
وأخافني من بلدة قد حرمت
فيها مقام من دخله يأمن
في الأشهر الحرم التي هي أربع
لم يؤمنوا خوفاً وقالوا يسجنن
غرماء سوء لما يالوا عسرتي
قاضيهم أقسم بأن لا ينظرن
أنت المحكم في قضاه بما ترى
إن لم أحكمكم فلست بمؤمنن
حاشا حماك أن تحيب مقصدي
أو أن تحيب بلا ولم ماليس لن
قد نزهت ألفاظ سبط المصطفى
عنها سوى لا حين أن يتشهدن
ماذا يكن سؤلي وبحرن والكم
إن يغترف دلوي فليس يتقنن

أهل القول بنقلهم قد أجمعوا
في حاتم الطائي وما قد أسلفن
قطعوا بأن سخاه عند سخائكم
كسراب قيعة من صدى لا يروين
ففساك ترجعني لمكة أمنياً
إن الذي فرض القران ليخلفن
حلفاً يضاعف أجركم وثوابكم
غرف الجنان وفي الذنا الذكر الحسن
واسلم ودم في نعمة ومهابة
والصيت والذكر الجميل مخلدن
بالمسك ختمي فاختمولي أنعمي
كرماً به وبذا أكون منافسن
وعلى أبي الزهراء ألف تحية
وعليها وكذا الحسين مع الحسن
وعلى أبيك وفرعه نعم الإمام
محمد المولى لمن هو مؤمن
وعليك ثم آل آل محمد
خصوا بتطهير بنص محكمين

مادام يعلن بالأذان مكبر

أوناح طير فوق غصن أو فنن^(١)

فصل

[١ /] ولنرجع إلى جهات القبلة، وقد ذكرنا أن هذه النهضة التي أصلح الله بها عباده وبلاده كانت في شهر واحد، ووقت واحد، وقد منّا أخبار مولانا الحسين رحمه الله لأنها مقدمة القيام والفتوح، ثم أخبار مولانا الحسن رحمه الله لكثرتها وتلازمها في مقدمات أخبار مولانا الحسين رحمه الله.

أخبرني حيي الفقيه الناصح المجاهد هادي بن أحمد العلفي أنه سمع من مولانا صفي الدين أحمد ابن أمير المؤمنين أطل الله بقاه.

قال إن الإمام - عليه السلام - بعد أن عزم على نبذ العهد على الظالمين، قال له بالأمر الذي عرفه الوجه^(٢) الذي صَيَّقَ عليه جهادهم يختار أي الثلاثة الأمور من الجهاد:

إما ودخلت الشام تقوم مقام أخيك الحسن حفظه الله وهو يخرج للجهاد، وتكفيه بما يحتاج إليه من الشام، وإلا عزم الحيمة تفتح الحرب على صنعاء وأهلها وجهاتها من تلك الجهة، وإلا توجهت من ساعتك لجهات الظاهر.

قال فقال له مولانا أحمد تمهلني في النظر في الثلاثة الأمور، فقال لا بل انظرها هنا، فاخترت بلاد الظاهر لعدم قدرتي لعلاج الحيمة ونواحيها، ولما يترتب من كثرة الحركة وأنا بدين، ولما في دخول الشام من الغضاضة بأن أكون غائباً من الإمام - عليه السلام - والحرب قائم في وجهه. فلما تم ذلك خرج مولانا الحسين رحمه الله من تلك الساعة من شهارة

(١) ملاحظة: في الأصل بياض بقية الورقة.

(٢) ظن في (ب): (عزم عليه و-) ثم عرفه الوجه الذي صَيَّقَ. (هكذا كُتبت).

المحروسة بالله كما تقدم، ثم لما وصلت كتبه بوصوله الحيمة أشهر الإمام -عليه السلام- الأمر وبث الدعاة والسرايا [١٠٧/ب] في كل وقت، وأظهر نبذ العهد لكل أحد.

أخبرني الصنو غوث الدين رحمه الله، وكان حاضراً قال أظن أن الذين خرجوا في أول ليلة فوق ماتتي رجل أهل الكتب والرسائل، وخرج مولانا أحمد أطال الله بقاه إلى غربان، ثم تقدم إلى بلاد بني صريم فوصلوا إليه وطرودوا من كان عندهم من ولاية الظالمين، وأقام في خمر^(١) ليال حتى اجتمعت له بلاد حاشد وبكيل، ثم تقدم إلى بني عبد من بلاد الميفاع، واجتمع إليه أهل تلك المخاليف، ثم تقدم إلى جبل عيال يزيد، فأمسى في دعان^(٢)، ثم خرج إلى الخدرة^(٣)، وقد اجتمع إليه عالم من الناس، ووصله أهل البلاد الحميرية من بلاد مدع ونواحيها، وقدم الرتب إلى حواز البون، ثم تقدم إلى المضلعة بالقرب من عمران، ووصله أهل البون وعيال سريح وبنو حجاج وهموا بإظهار أمرهم، فأمرهم بالتأخير حتى ينظر في المحاط المتوجهة من صنعاء، وقد عسكروا خارجها وأعظمهم مع الكخيا عمر وزير الباشا.

وقد تقدم إلى عمران الأمير صفر في جموع كثيرة من العجم، وقد كان فيها آغا يسمى علي في محطة، فحفظ البلد وقاع البون، وتقاتلت المراكز في حارة البون.

نعم وكان الإمام -عليه السلام- قد بعث دعائه إلى كل متعلق بالعجم من العرب وبالغ في تعريفهم هداهم، وعرض عليهم الجهاد معه والموالة الظاهرة كما يجب لله عليهم، وإما خلوا بينه وبين العجم ويخذلوهم ويخذلوه، مثل الأمير علي بن شمس الدين بن الإمام

(١) خمر: مدينة مشهورة في حاشد شمال عمران، وتقوم المدينة الحالية شرق المدينة القديمة، وهي مركز قبائل بني صريم الحاشدية، (المقحفني: المعجم، ج ١، ص ٥٨٠).

(٢) دعان: قرية في جبل عيال يزيد شمال عمران، وفيها عقد صلح دعان سنة ١٣٢٩هـ/ ١٩١١م بين عزت باشا والإمام يحيى حميد الدين بعد سلسلة من الحروب وقعت بين الطرفين، ويعتبر هذا الصلح انعطافاً هاماً من تاريخ اليمن حينذاك، فقد أدى إلى تهدئة الأحوال بها، وكانت الخطوة الأولى نحو تحقيق آمال الإمام يحيى لتأسيس المملكة المتوكلية.

(د/ مصطفى سالم: مقال في الموسوعة اليمنية، ج ٢، ص ١٣٠٦، الطبعة الثانية، ٢٠٠٣/٢).

(٣) الخدرة: من أكبر قرى جبل عيال يزيد شمال عمران، من قراها: بيت ظافر، وادي القصر، بيت قحمة، الشرة. (المقحفني: المعجم، ج ١، ص ٥٦١).

شرف الدين عادت بركاته، ومثل دعاة همدان (١).

فأما همدان ففعلوا بعض ذلك كما أخبرني الفقيه الفاضل صالح بن جابر العلماني، وهو أحد الدعاة إليه وإلى غيرهم.

وأما الأمير علي بن شمس الدين وولده الأمير عبد الرب بن علي فقاربوا في الابتداء ولم يبعدوا، ولم يتعرض الإمام - عليه السلام - بلادهم وكاد أن يؤمنهم.

أخبرني الوالد السيد علي بن المهدي الأنسي رحمه الله أنه لما بلغ الإمام - عليه السلام - وصول مولانا الحسين رحمه الله حضور وأعلى الحيمة أمرني باللحوق به وأصحابي جماعة من أصحاب مولانا الحسين رحمه الله وقال طريقكم مواضع سهاها، ثم قال وطريقكم شبام [١٠٨/أ] ولا حرج عليكم من دولة كوكبان، قال فلما قربنا من شبام بلغنا أنهم أرسلوا إلى صنعاء مدداً خيلاً ورجلاً، وكان مددهم إلى القبتين.

قال فقطعنا بلادهم ليلاً، ولما صح للإمام - عليه السلام - ذلك نبذ إليهم وأمر بجهادهم كالعجم وكتب إلى بلادهم نسخة لكل قبيلة ورئيس من بلادهم ما هذا لفظها:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [:] .

وبعد:

فكتابنا هذا إلى قبائلنا الكرام الأماجد الفخام من بني فلان أو فلان سلمهم الله تعالى ووقاهم وحاطهم وتولاهم، وأهدى إليهم شريف السلام وزليف الإكرام، ورحمة الله وبركاته على الداوم، ننهي إليهم بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة والسلام على نبيه محمد وآل محمد الذي أخرجنا به وإياكم من الضلالة، وأنقذنا ببركته من الجهالة إن شاء الله تعالى وله المن.

(١) دعاة همدان: المقصود بهم الإسماعيليون، فقد كانوا ممن يقدم العون والمساعدة للقوات العثمانية في اليمن.

قد تفضل على عباده المسلمين بالخروج من الذل إلى العزة، ومن الشدة إلى الرخاء، ومن الهلكة إلى النجاة بإعلاء كلمة الحق المبين، وقطع دابر القوم الظالمين، وتشريدهم كل مشرد، وإعداد البلاء لهم من الله عز وجل في كل مرصد بحوله وقوته، وأيدي عباده المؤمنين المخصوصين بالحق ودعوته، وكنا عرضنا على الأمير علي بن شمس الدين وأولاده أن يكونوا للحق أعواناً، ولدين الله أعضاء، ودعوناهم إلى نصره دين جدهم محمد المصطفى، وأهل بيته الأئمة الخلفاء، فما رفعوا للحق رأساً، ولا خلعوا من الباطل لباساً، فعرضنا عليهم أن يكفوا شرهم عن المسلمين، ولا نبدأهم بشيء مما ينقصهم ويشين، فأبوا إلا أن يكونوا للمضلين عضداً، وللمجرمين ظهيراً، وللظالمين نصيراً، وعلى دين الله حزباً وللحق وأهله حرباً، وزادوا في سوم عباد الله الخسف، ومنعهم النصف مع ما هم عليه من المعاصي في قرارهم، وركوب المنكرات العظيمة في بحبوحة دارهم، فخفنا من إقرارهم على ذلك والعياذ بالله من معنى قول الله عز وجل: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءِآبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ ءَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ ؕ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [:].

وسمعناه عز وجل يقول: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ ءَآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا ءِآبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ؕ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ؕ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ؕ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [:].

ويقول عز وجل: ﴿لَنْ نَنْفَعَكُمْ أَرْحَامَكُمْ وَلَا أَوْلَادَكُمْ ؕ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصَلُ بَيْنَكُمْ ؕ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [:].

فناجزناهم الحرب ودعونا الخاصة والعامة إلى جهاد هؤلاء الأروام الظلمة الطغام ومن والاهم من الأنام من الخاص والعام، وأهل كوكبان من جملتهم وحكمهم كحكمهم لقوله عز وجل: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنَّهُمْ ؕ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [:].

والله جدهم الإمام شرف الدين بن شمس الدين (١) - سلام الله عليه - حيث يقول:

وكذا عدو الله لست أقيه ولو أنه ابني أو شقيقي أو أبي

وقد وجهنا إليكم فلان بن فلان، ومن معه من أعلام الهدى المنصورة، وجنود الحق المؤيدة إن شاء الله المفورة، فتلقوهم بما أنتم أهل من الإكرام والطاعة والإعظام، والجهاد في سبيل الملك العلام الذي هو من دين الله كالسنام.

قال الله عز وجل: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذُكُمُ عَلَىٰ تَجْرَةٍ تُنَجِّيكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿١٠٠﴾ تَوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠١﴾ يَغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾﴾ [: -] .

قسم الله لكم من الخير أوفر سهامه، وبارك لكم في الأنفس والأولاد والأموال، وأصلح لكم كل حال، بحق محمد صلى الله عليه وعلى آله خير آل، ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [:] .

وحسبنا الله ونعم الوكيل، ونعم المولى ونعم النصير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وكان ما سيأتي قريباً (١) إن شاء الله تعالى من الفتوح ونصر الله لوليه وولد (١) نبيه.

وأما بلاد شظب وبلاد عفار وبلاد حجة، فإن الإمام - عليه السلام - وجه إلى بلاد شظب [/] الفقيه الفاضل المجاهد علي بن جميل الأهنومي، فأجابه أهلها وحاصروا ابن المعافا، ودخل مدينة السودة، واحتاز ابن المعافا في الحصن المسمى قرن الناعي، ثم إن الشيخ

(١) الإمام شرف الدين بن شرف الدين: من أهم الشخصيات التي ظهرت في القرن السادس عشر الميلادي العاشر الهجري، وقد دعا إلى الإمامة عقب وفاة الإمام المتوكل المحسن بن أحمد الشهاري سنة ١٢٩٥هـ / ١٨٧٨م، ودخل في حروب طويلة ضد العثمانيين قادها

ابنه المطهر بن شرف الدين. توفي الإمام الهادي شرف الدين سنة ١٣٠٧هـ / ١٨٨٩م.

(٢) قريباً ليست في (ب).

(٣) في (ب): ابن.

محمد بن علاو وإلى دولة الحق، فقدمه الإمام -عليه السلام- على بلاده، وجعلها له إقطاعاً^(١)، وصلح حاله، وحاصر الرتبة التي في بيته، وأخذ الآغا الذي عليهم، ووصل به إلى شهارة المحروسة بالله.

وأما بلاد عَفَّار^(٢) فإن السيد الرئيس الهادي ابن الحسن بن الإمام شرف الدين، عادت بركاته وإلى دولة الحق، ووصله من عند الإمام -عليه السلام- الأعوان والعسكر وأظهروا في بلاده الخلاف على الظالمين والميل إلى جماعة المسلمين.

ووصله السيد العلامة شمس الدين أحمد بن محمد بن لقمان رحمه الله مشدداً ومؤكداً عليه، وخطيباً وقاضياً، فحسن حاله، وجعل إليه الإمام -عليه السلام- بلاد عَفَّار مع بلاده بلاد كحلان، وأرسل الإمام -عليه السلام- من حاصر حصن عَفَّار، وحصن جرع بنظر المذكور.

وأما بلاد عفار وحجة ونواحيها، فإن الإمام -عليه السلام- أرسل السيد الفاضل علي بن عبد الله العبادي رحمه الله، فصار إليه أهلها وطرد أهل بلاد عَفَّار من في بلادهم من أعوان الظالمين، وأسروا آغا كان فيها، ثم انحدر السيد جمال الدين علي بن عبد الله من بلاد حجة لحصار من فيها من أعوان الظالمين وقد خالفهم أهلها، وأظهروا الموالاتة لجانب الحق.

ثم إن الإمام -عليه السلام- أرسل السيد العلامة الحسين بن علي بن جحاف^(٣) وجعل إليه بلاد حجة، وأمر السيد علي بن عبد الله بدخول لاعة^(٤) مع أعيان غيره قد وجههم إلى

(١) إقطاعاً: أي أن تكون له العائدات المالية من الزكاة وغيرها من المعونات المالية. فقد اتبع الإمام هذه السياسة تشجيعاً له ولغيره ممن انظم إلى الجانب الإمامي.

(٢) عَفَّار: جبل ومركز إداري في مدينة حجة بالقرب من حصن كحلان تاج الدين.
(المقحفي: المعجم، ج ٢، ص ١٠٨٦).

(٣) الحسين بن علي جحاف: أخذ العلم من السيد إبراهيم بن المهدي جحاف وعن الإمام المؤيد. كان عالماً كاملاً مرجوعاً إليه في علوم العربية والفقه والأصولين. تولى بلاد حجة للإمام المؤيد، ومات ببحور سنة ١٠٥٩هـ / ١٦٤٩م.
(الشوكاني: ملحق البدر الطالع، ج ٢، ص ٨٧).

(٤) لاعة: مركز إداري في الطويلة، محافظة المحويت.

(المقحفي: المعجم، ج ٢، ص ١٣٦٣).

تلك الجهة، فحاصر السيد حسين ومن انظم إليه من السادة والأعيان حصون حجة، انحازوا إليها إلى حصن مَبِين^(١) وهو مصطفى آغا واستقامت حروب عليها، والأمداد من عند الإمام -عليه السلام- لا تزال.

واستشهد السيد الفاضل الهادي بن عبد الله الشظبي رحمه الله فيها ولا زالوا فيها حتى استولوا على حصونها بعد حروب شديدة، وقبض على ولاتها ووصلوا إلى مولانا الإمام -عليه السلام-.

ولما أمر [/] الإمام -عليه السلام- بدخول بلاد لاعة وقراضة^(٢) ونواحيها، وتقدم إليها جماعة من الأعيان، كالسيد المجاهد حفظ الدين بن علي -المعروف بسحله، والسيد العالم الحسين بن علي بن صلاح العبالي، والسيد علي بن محمد بن عيش، والسيد زيد بن علي القراع، والقاضي العلامة عبد الرحمن بن المنتصر العشي، والفقير الفاضل محمد بن علي بن صالح الأكوغ.

وأما السيد الحسين فبقي في بلاد حجة يمدهم، فخرج إليه محطة من كوكبان حتى اتصلوا بمسور، ثم خرجوا إلى جانب بلاد لاعة السفلى، فلازمهم المجاهدون بالحرب، وعظم بينهم، وكان حي الفقيه الفاضل يحيى بن صلاح الثلاثي رحمه الله قد أرسله الإمام -عليه السلام- إلى جهات مسور المتتاب، وهم فيه معرفة وخلطة وهو مجاب لديهم محب إليهم، ولم يكن معه عسكر كثير، فأجابه أهل بلاد مسور ونواحيها، فاستولى عليه وتقدم إلى بلاد عُوَلي^(٣) فالتجأ عسكر كوكبان وكانوا فوق الألف نفر إلى حصن عولي، واجتمع أصحاب الإمام -عليه السلام- ووجه مولانا -عليه السلام- أمر حصارهم والبلاد إلى الفقيه عماد الدين رحمه الله، فوقعت حروب شديدة وقضايا عديدة.

(١) حصن مَبِين: في حجة.

(٢) قراضة: بلدة في جبل مسور المتتاب في محافظة عمران. (المحفي: المعجم، ج ٢، ص ١٢٥٨).

(٣) عُوَلي: جبل فيه زروع وحروث جنوب مدينة حجة. (المحفي: المعجم، ج ٢، ص ١١٤٥).

ولقد أخبرني غير واحد أن في بعض حروبها ضعف أصحاب الإمام -عليه السلام- وكانوا يهزمون، وقد أظهر الشيخ محمد بن علاو وأصحابه جهاداً وصبراً وكذا غيرهم، فأرسل الله سبحانه وتعالى جراداً كثيرة كادت تعمي الظالمين ولا يقدرّون على الرمي بالبنّاق ولم يكن على المجاهدين منها ضرر حتى هزموهم إلى حصن عولي.

وأخبرني مولانا أمير المؤمنين من فيه بمثل ذلك وقد قتلوا منهم مقتلة عظيمة، ثم استقامت عليهم المراتب وعجز الأمير عبد الرب عن التفريج عليهم لما عنده من الأهوال والشدة من جنود الحق كما تقدم.

وكان مدة حصارهم في عولي نحو ثلاثة أشهر ونيف، ثم خاطبوا إلى الإمام -عليه السلام- بإخراجهم على شرائط:

منها أن من أحب أن يصير إلى الإمام منهم فله ما يعتاد، ومن أحب أن يلحق [/] بدولة كوكبان فله ذلك، فاختر ذلك أكثرهم مع النقيب محمود وفرحان، وكان عندهم معظماً فكانوا يسمونه سليل^(١) دولة كوكبان ويتلوهم فرحان وكذا غيرهم من أعيانهم، فأرسلهم الإمام -عليه السلام- إلى كوكبان، وصاروا إلى الأمير عبد الرب فيمن بقي معهم نحو خمسمائة نفر.

وصلحت بلاد لاعة وحجة ونواحيها، ثم سلمت حصونها، وكذلك حصن سودة شظب وأمر الإمام بهدمه، وكذلك حصن جرع أمر الإمام بهدمه، وكان في ميين من أصحاب الأمير صفر فقيه من علفة يسمى أحمد بن قاسم^(٢) فكان يكره جانب الحق ويتنقض ما عقده.

ولما وصل إلى الإمام -عليه السلام- جعله في الحبس مع من وصل من أغواتهم، ثم أمر -عليه السلام- بضرب عنقه.

ولما صلحت بلاد حجة ولاعة تقدمت العساكر الإمامية لحصار كوكبان والحرب عليهم كما تقدم.

(١) في (ب): سيف.

(٢) في (ب): زيادة العلفي.

وأما بلاد مدع وثلا فكان قد تقدم إليهما السيد العلامة فخر الدين عبد الله بن عامر رحمه الله، فأجابه أهلها وغلظ^(١) عسكره، ثم تقدم لفتح مدينة ثلا ففتحها وأقام فيها، وفي الجانب القبلي المراتب من قبل مولانا أحمد، ومن جهة كوكبان السيد الهادي بن الحسن في موضع يسمى بيت الأبدر^(٢)، والسيد المجاهد أحمد بن محمد الحيداني رحمه الله يتردد فيما بين ذلك وبين مراتب مولانا أحمد. وكان له حروب على عمران من جهة بني حجاج، وتقدم من جهة مولانا أحمد محاط مع أعيان من أصحابه فلزموا باب عمران بيتاً يسمى درب الموجمة وحصن بحر أعلى من عمران، وقطعوا طريق صنعاء وضائقوا الأمير صفير، ولا زالت الحروب عليه إلى باب عمران، ويخرج عليهم في غالب الأوقات بالخيال والمدافع.

وكانت قضايا مهيلة وحوادث طويلة، وفيها مكامن^(٣) وحروب قتل فيها كثيرون وتفصيلات هائلة، خفي عليّ بعضها فأجملتها. وكان قد آمد إلى كوكبان الأمير ناصر المحبشي وصار في أنود^(٤)، ثم وصل إلى عمران الكخيا المسمى عمر [/] كما تقدم في أخبار مولانا الحسن رحمه الله، والحرب على ريمة سنحان، فارتفعت المراتب من حصن بحر، ودرب الموجمة، فهدمها العجم وأغارت خيلهم إلى المراتب، وبذلوا الأموال وكادوا يفسدون البلاد الإمامية. هم أرسلوا من أنود الأمير ناصر المحبشي وغيره لغزو مدينة ثلا، فلم يشعر السيد عبد الله بن عامر إلا وهم معه فيها، فانهزم منهم لأن الحصن للعجم، ولهم فيه رتبة إلى بلاد حضور الشيخ، ثم وصلت الأمداد آخر ذلك النهار، وعادوا لحرب ثلاً، فلم يقدرُوا على إخراجهم منه، ثم كثرت الحروب على ثلا، فطلع الأمير صفير في عساكر مختارة لحفظ ثلا فاستقر الأمير صفير في مدينة ثلا، ورجع الأمير ناصر المحبشي إلى عمران، حتى جاء الفرج من عند الله سبحانه وتعالى على يد مولانا الحسن كما تقدم.

(١) هكذا وردت.

(٢) بيت الأبدر: قرية في منطقة بني العباس غرب ثلا.

(المقضي: المعجم، ج ١، ص ١٤).

(٣) المكامن: الكماين.

(٤) أنود: لم أتبين موضعها ولم أجد لها ترجمة.

فصل

وأما أخبار تهامة وما اتفق فيها من الحوادث، وذلك أن الإمام -عليه السلام- أمر إلى تهامة الشام السيد العلامة صلاح الدين صلاح بن أحمد بن المهدي المؤيدي^(١) رحمه الله بالخروج على المحطة التي في أبي عريش^(٢) وبندر جازان^(٣)، وأمر والده السيد الرئيس الكبير أحمد بن المهدي^(٤) بإمداده، فتجهز في نحو ألف نفر وخمسمائة نفر من أهل الشام، والشيخ الرئيس حسن بن أبي زيد صاحب الهيجة، وانضم إليه جماعة من أشرف القطبة فرساناً، ففتح الله عليهم تلك البلاد إلى صيبا، وصاروا في جانب الحق، فانحاز الوالي من قبل العجم ومن إليه، وكان في أبي عريش جمهورهم، وفي البندر آغا آخر نجا بمن معه بأن ركب البحر.

وأما الذين في أبي عريش فحاصروهم وضيقوا عليهم، وقتلوا منهم نفراً، ثم استأنوا إليهم وقبض سلاحهم وخيلهم، وكانت نحو الخمسين الفرس.

فقسم السيد صلاح رحمه الله ما قبضه من الخيل والسلاح وغيرها في أصحابه، فشق على الإمام -عليه السلام- ذلك، وكره أن يكون^(٥) باباً في مثل ذلك، وأن عليهم العمل [/] بما يأتي من الإمام -عليه السلام- فأرسل لاستعادتها من أيديهم الفقيه عبد الله بن عمر المرواحي، وكان في ذلك مكاتبة واعتراض، (والمأموم متعبد بنظر الإمام في الاجتهاديات)^(٦)، كيف والسنة قاضية بما رآه الإمام في قضيتهم^(٧) هذه.

(١) سبق ترجمته.

(٢) أبي عريش: مدينة بوادي جازان كانت حاضرة المنطقة في عهد إمارة الأشراف آل خيرات في فترة إمارتهم بالمنطقة.

(٣) زين الشافعي: الروض الزاهر، ص ٤٨٣.

(٤) جيزان: في منطقة عسير أو ما يسمى بالمخلاف السليبياني وهي عاصمة الأشراف الغوانم والأشراف آل قطب الدين، وتقع معظم أراضي المخلاف السليبياني في تهامة الساحل وهو ما يسمى بتهامة الشام وتمتد إلى ما وراء حرض. (زين الشافعي: الروض الزاهر، ص ٢٧٦).

(٥) سبق ترجمته.

(٦) في (ب): يكونوا.

(٧) ما بين القوسين هكذا وردت في المخطوطة.

(٨) في (ب): أفضيتهم.

وكان الإمام -عليه السلام- أرسل السيد التقي ابن إبراهيم الشرفي رحمه الله، وكان إليه حواز الشرف الأعلى مثل بلاد اللحب، والمحرق ونواحيها أن يتجهز لفتح البلاد المقاربة له من بلاد تهامة، وأمر معه عسكرياً من أهل بلاد الشرف وسادتها ومشائخها، فاستفتحوها البلاد التي ما بين جازان وبيت الفقيه الزيدية^(١) كلها، وأمدتهم الإمام -عليه السلام- بالأمداد المتتابعة حتى صاروا جمهوراً وخيلاً أيضاً، فأجابهم قبائل تهامة.

ولما هرب من في بيت الفقيه الزيدية وكان فيه وال من قبل الظالمين في خيل ورجل وصاروا إلى المراوعة^(٢)، ثم تقدم السيد التقي ومن معه وقد صاروا كثرة، وقد ارتجف العجم لميل أهل تهامة إلى جانب الحق، وقد أغار الأمير خضر، وكان إليه ولاية بيت الفقيه ابن عجيل فالتقوا خارج المراوعة فأحربوه حرباً عظيماً كانت اليد فيه لجنود الحق، وأصيب الأمير المذكور بجراحة في يده فولى هارباً، وقتل من أصحابه جماعة، وغنم المجاهدون ما في مخيمه، ثم تجهز السيد المهادي بن صلاح الشرفي من قرابة السيد المذكور والشيخ الفاضل أحمد بن ناصر المحبشي في عسكر وطرردوا من في بندر اللحية، فركبوا البحر ولا زال العجم يغزونهم من كمران^(٣) إلى اللحية ولم ينالوا خيراً، ثم إنهم قصدوا البندر^(٤) مرة وقد شعر بهم

(١) بيت الفقيه الزيدية: هي الزيدية وتقع شمال الحديدية، سميت باسم قبيلة الزيدية، وهي مديرية واسعة، وتشمل بلاد قبيلة الجرايح وبلاد الحشايرة، وبلاد صليل، وشبه جزيرة الصليف القريبة من جزيرة كمران، وبندر ابن عباس، والمغلاف، والمنيرة، والقنوص، والضحي.

(المقحفني: المعجم، ج ١، ص ٧٥٥).

وهذه المدينة هي غير مدينة بيت الفقيه ابن عجيل، وتقع جنوب الحديدية، وتقع على الخط الإسفلتي بين صنعاء والحديدة.

(٢) المَرَاوَعَة: مدينة واقعة على طريق الحديدية باجل، وتبعد عن الحديدية بمسافة ٣٠ كيلومتراً، يعود ظهورها إلى القرن الثالث الهجري على أثر اندثار قرية الكدراء.

(المقحفني: المعجم، ج ٢، ص ١٤٨٢).

(٣) كمران: جزيرة من الجزر اليمنية في البحر الأحمر، تقع مقابل الحديدية على بُعد نحو خمسة أميال غرباً، كانت هدفاً استراتيجياً للقوات الأجنبية والعثمانية والمصرية من بداية القرن السادس عشر حتى القرن العشرين، وقد اتخذها الأتراك في فترة حكمهم لليمن محجراً صحياً للحجاج مع جزر أخرى منها جزر فرسان. والجزيرة مأهولة بالسكان، حرفة معظمهم هي الصيد. وتتبع إدارياً محافظة الحديدية.

(د/ حسين العمري: الموسوعة اليمنية، ج ٤، ص ٢٤٥٦، ط الثانية).

(٤) البندر: المدينة الميناء التي على البحر.

المجاهدون فثبتوا لهم وهزموهم وهلك منهم في البحر جماعة، واحتز المجاهدون منهم أربعة عشر رأساً، وأهلك الله من بقي بالنار والماء فإنه حرق عليهم البارود فأهلكهم، ثم حرق السنوك^(١) فغرق أولئك ولم يرجع إلى أميرهم إلا العلم فقط.

ووصل شاوش لطلب جلابها غارة إلى دهلك^(٢) فإن القالة^(٣) غلبوا عليها، منقول مما نقل من خط السيد الهادي، والشيخ أحمد بن ناصر بالمعنى، وصاروا في ذلك الموضع، والسيد التقي في المراوعة.

ثم إن الإمام - عليه السلام - جهز السيد العالم رضي الدين [/] هاشم بن حازم بن أبي نمي الحسيني المكي^(٤)، وكان خرج من مكة المشرفة لطلب العلم في أول سنة خمس وثلاثين وألف^(٥)، وكان فيه احتياط وديانة حسنة ورئاسة وشجاعة في أثرهم، وضم إليه الخليل التي في جهات أبي عريش، والشيخ أبا زيد وأشرف القطبة، ثم جعل إليه أمر الجميع، فلما لحق بالسيد التقي وقد انهزم الأمير خضر من بيت الفقيه ابن عجيل إلى زبيد، تقدم السادة بعد تقرير أعمال أهل تهامة.

وقد ذكرنا فيما تقدم دخولنا بلاد وصاب، ومن اجتمع إلينا من سواد بلاد شافعية وصاب وعممة حتى صاروا ألوفاً، ثم اختلفوا علينا وفيما بينهم وقد أشرفنا على تهامة، وانهمزم من في حيس، وكان فيه آغا يسمى مسلي، وتواترت كتب السيد التقي إلينا أن لا نعجل على قصد زبيد حتى يقرب منا ولا علم له أنا في بلاد ورجال غير من عنده، ولا معنا غيرهم من الزيدية ولا يصل إلينا مدد من الإمام - عليه السلام -.

(١) السنوك: ويقال: السنوك، من أشهر مراكب الخليج العربي والبحر الأحمر.

(عمان في التاريخ، ص ٣٤٧).

(٢) دَهْلُك: جزيرة في البحر الأحمر ما بين اليمن والحبشة، وهي شديدة الحرارة، كان بنو أمية ينفون من غضبوا عليه إليها.

(المقضي: المعجم، ج ١، ص ٦٢٧).

(٣) القالة: لعله اسم قوم من أفريقيا. أو قد تكون الجالة إقليم هرر حالياً في الحبشة في القسم الجنوبي.

(موسوعة القرن العشرين، مجلد ٣، ص ٢٩٩).

(٤) سبق ترجمته.

(٥) ١٠٣٥ هـ = ١٦٢٥ م.

ذكر الواقعة الكبيرة في التربة

فتقدم السيدان رحمهما الله تعالى حتى صارا إلى التربة^(١)، وخرج عليهم الأمير خضر مراراً وهزموه، وقد اجتمع إليه خيل ورجل، ثم إن بعض مشائخ التربة أعمل في هزيمتهم والغدر بهم، فخرج العجم على العادة لحربهم ثم انهزموا لهم حتى طمعوا فيهم، ووصل الأول منهم دائر^(٢) المدينة^(٣)، ثم عاد عليهم الأمير خضر ومن معه بحملة شديدة وأحرق شيخ التربة المحطة من خلفهم، فانهزموا وقُتل كثير من المجاهدين والكسيرة^(٤) فيهم لا يلوي أحد على أحد، فانتُهبت المحطة وقُتل من المسلمين قريب من مائتين، ومن ضعفاء تهامة ومن يلّم بالمحطة كثيراً، واجتمع إلى السيد هاشم رحمه الله المجاهدون فدافع عنهم وقاتل قتالاً شديداً قل مثله في ذلك الأوان، حتى اتصلوا بالجبال وقد تقطع أكثرهم، فاستقروا في موضع من تهامة وحدود وصاب يسمى الربوع من بلاد الركب الأسفل، وكان قد خرجنا من وصاب وغلبنا عليه أهله لشرارتهم بعد أن حاصرونا كما تقدم.

وأرسل مولانا الحسن رضوان الله عليه الغارة من الأبيض مع مقابلته للذراع، كما تقدم السيد المقام عز الدين محمد بن الحسن [/] بن علي بن جحاف، وأرسل معه جماعة من الأعيان ومشائخ أنس جميعاً، ومن الأعيان الأمير الهادي بن المطهر بن الشويح^(٥)، فلما انتهوا إلى بلاد أنس وصلتهم كتبنا بالمخرج من وصاب، فأصلح أنس ثم تقدم إلى مغرب ذمار، وأمره مولانا الحسن رحمه الله بتقوية الأمير الهادي بن المطهر بن الشويح بعسكر وما يقوم بهم من محصول المغارب إلى صنعة مقابلاً لمدينة ذمار، فكان فيها حتى فُتحت كما سيأتي إن شاء الله تعالى من أخبار فتحها.

(١) التُّرْبِيَّة: تصغير تُربة قرية كبيرة بالقرب من مدينة زبيد في الجهة الشرقية الجنوبية.

(المقحفي: المعجم، ج ١، ص ٢٢٧).

(٢) دائر المدينة: أي سورها.

(٣) في (ب): دائر التربة.

(٤) الكسيرة: المقصود بها الهزيمة.

(٥) الهادي بن المطهر بن الشويح: توفي سنة ١٠٥٦ هـ / ١٦٤٦ م. وبعد الاستقلال كانت ولاية بلاد نهم إليه. (زيارة: خلاصة المتون، ص ٢٦٣).

ثم تقدم السيد محمد بن الحسين ومن معه إلى عتمة، ثم وصاب، واستقامت له الأمور وكثر عسكره، وسيأتي طرف من تمام أخباره في أخبار حصار صنعاء إن شاء الله تعالى.

وأما السيد هاشم والسيد التقي رحمهما الله فتقدما إلى سوق الأحد، وقد ندم أهل وصاب على ما كان منهم، وقد كثر العسكر عند السيد محمد^(١)، فلم يتعرضوا للسيد هاشم بل أضافوه وأعظموه، ثم تقدم السيد هاشم رمع^(٢) بين عتمة وريمة وبلاد آنس، وأرسل السيد محمد القاضي العلامة أحمد بن علي بن أبي الرجال^(٣) رحمه الله للقاء لأن ما بينهما أوعار^(٤)، فأضافه وأمهه بما أمكن، وعزم جهات خبت سهام حتى عاد لفتح تهامة مما يلي بيت الفقيه، وبقي في تلك المواضع، وحفظ تهامة والإمام - عليه السلام - يمدّه بالعسكر حتى وصل من قبل مولانا الحسن رضوان الله عليه الأمير سنبل بن عبد الله ساعه الله كما سيأتي في ذكر موالاته لجانب الحق إن شاء الله تعالى.

ولنرجع إلى تمام أخبار تهامة الشامية^(٥)

ولما فتح الله تهامة الشامية وبنادرها طمع الإمام - عليه السلام - في إصلاح الشريف الرئيس الحسين بن أحمد^(٦) صاحب صبيبا، وكان له رئاسة عظيمة في قومه محبباً إليهم، وله شجاعة، وقد ظهر في بعض حروبه على أشرف مكة وقد قصدوه إلى بلده، وأن يجعله يداً على أهل الشام الداخل، وأن يجمع الله به شمل الأشراف ويتصدر للجهاد، فراسله وواصله، فلم

(١) في (ب): بن الحسن.

(٢) رمع: واد مشهور في تهامة بين وادي زبيد جنوباً وبين وادي سهام شمالاً، مآتيه من جبال ريمة ووصاين. (المقضي: المعجم، ج ١، ص ٧٠٣).

(٣) أحمد بن علي بن أبي الرجال: كان فقيهاً أديباً أصولياً متكلماً قرأ بصعدة تسع سنين، ثم انتقل إلى شهارة، وله ديوان شعر وخط حسن، ثم أصابته علة فانتقل إلى صنعاء. توفي سنة ١٠٤٠هـ / ١٦٣٠م. (زيارة: خلاصة المتون، ص ١٤٤).

(٤) أوعار: الوعر المكان الحزُن ذو الوعورة ضد السهل، وطريق وعر، والوعر المكان الصلب.

(ابن منظور: لسان العرب، ج ١٥، ص ٣٤٣).

(٥) في (ب): الشام.

(٦) الحسين بن أحمد بن الحسين الخواجي: تسلم الرئاسة بعد والده في صبيبا بعد وفاة والده سنة ١٠٢٨هـ / ١٦١٨م.

(زين الشافعي: الروض الزاهر، ص ٤٥٦).

يَعُدُّ، خلا إنه غافل عن وجوب الإمامة في الجملة وعن التحكم لها والرجوع إليها [/]
فرأى الإمام -عليه السلام- إرسال السيد العلامة شمس الدين وشيخ العترة الطاهرين
أحمد بن محمد بن صلاح الشرفي، نفع الله به إليه، وأن يحسن دعاه ويعرفه هداه وسبيل آبائه
سفن النجاة، فتوجه إليه مع كبر سنه، فلم يقابله بما يحق له من الجلالة والفخامة، وحصل من
وصوله إليه نفس البيعة والخطبة ولم يلتزم الرئاسة للجهاد، وقبل من السيرة الإمامية بعضاً،
وأقام السيد أحمد نحو أربعة أشهر، ثم أمر الإمام -عليه السلام- السيد الفاضل العالم
أحمد بن صلاح الديلمي لملازمته في صيبا، ويكون إليه القضاء، وعاد السيد أحمد نفع الله به،
وستأتي إن شاء الله تعالى أخبار تهامة المتصلة ببلاد مكة وجمال من أخبار الشريف الكبير
محسن بن حسين بن أبي نمي^(١) ومصيره إلى الإمام -عليه السلام-.

ونسخة كتاب الإمام -عليه السلام- إلى الشريف صاحب صيبا للدعوة ثم تعقبه وصول
من ذكرهم الإمام -عليه السلام- من بني إخوته، فجهز معه مولانا السيد العلامة شيخ
العترة أحمد بن محمد الشرفي، نفع الله به كما تقدم، ونسخة الكتاب الذي معه:

بسم الله الرحمن الرحيم وبه أستعين:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [:] .

مَاعِزْرَمَنْ بَلَغَتْ بِهِ أَعْرَاقُهُ

حَتَّى بَلَغْنَ إِلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ

أَنْ لَا يَمِيدَ إِلَى الْمَكَارِمِ بَاعُهُ

وَيَنْتَالُ مَقْطَعِ الْعُلَا وَالسُّؤْدُدِ

(١) محسن بن حسين بن أبي نمي الثاني: شارك عمه إدريس وفهيد في الحكم ثم انفرد به عام ١٠٣٢هـ/١٦٢٢م واستمر حتى عام

١٠٣٧هـ. ثم توجه إلى اليمن لخلاف مع الباشا العثماني أحمد، توفي في اليمن ١٠٣٨هـ ودفن في صنعاء.

(زين الشافعي: الروض الزاهر، ص ١٣٦).

متحلقاً حتى تكون ذبوله
أبد الزمان عمائم للفرقد
أعن المقادر لا تكن هيابة
وتأزر اليوم العصب وارتد

وبعد:

فإن كتابنا هذا إلى الشريف الأكرم ذي القدر المنيف الأعظم، حاز قصب المكارم^(١)، ووارث مآثر الأكارم، وعلوي الهمم والعزائم، شرف الدين الحسين بن أحمد بن الحسين الخواجي وإخوته الكرام الأماجد الفخام أدام الله في الفخار علوهم، وفي ارتقاء المكارم سموهم، والله يهدي إليهم شريف السلام، وزليف الإكرام ولطيف الإنعام، ورحمة الله وبركاته على الدوام، ننهي إليهم حمد الله والثناء عليه على ما خولنا من نعمه، وأولانا من مواهبه وقسمه، وجعلنا وإياهم من زرع نبيه المصطفى، وذرية وصيه المرتضى، واختار لنا الجهاد [/] سبيلاً ولم يزل بنصرنا كفيلاً، وهو حسبنا ولنا وكيلاً، ثم إنه غير خاف على تلك المعالم الفخيمة، والقلوب الطاهرة السليمة، أن أقرب ما توصل به المتوسلون إلى الله، وتقرب المتقربون إلى نيل رضاه، الجهاد في سبيله الذي جعله سبيل رسوله وحائط دليبه، ومصداق تنزيله فقال عز وجل فيه موجباً: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [:] .

وقال عز وجل: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ أَنْتَهُوا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [:] .

وفي آية أخرى: ﴿وَيَكُونُ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِذَا أَنْتَهُوا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [: -] .

(١) في (ب): الأكارم.

وقال مرغباً فيه: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذُكُم عَلَىٰ تَجْرِعَةٍ تُنَجِّكُمْ مِّنْ عَذَابِ إِلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُوْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَرُسُلِهِۦ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللّٰهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللّٰهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِّلْحَوَارِيِّينَ مَن أَنْصَارِي إِلَى اللّٰهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللّٰهِ فَقَامَتِ طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَتِ طَائِفَةٌ ۚ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴿١٤﴾ [- :] .

وقال تعالى مخوفاً للمتقاعدين عن الجهاد: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللّٰهِ أَنَأَقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيٰوةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ ۗ فَمَا مَتَّعَ الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٧﴾ إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللّٰهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨﴾ [- :] .

وقال نبيه ﷺ مرغباً: «من قاتل في سبيل الله فواق ناقة لتكون كلمة الله هي العليا وجبت له الجنة»^(١)، «ولغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها»^(٢).

وقال: «عينان لا تمسهما النار عين بكت من خشية الله وعين بات تحرس في سبيل الله»^(٣).

وقال ﷺ مرهباً للتاركين له: «من لقي [/] الله بغير أثر من الجهاد لقي الله وفي إيمانه ثلثة»^(٤).

وقال: «ما ترك قوم الجهاد إلا عمهم الله بالعذاب»^(٥).

وقال أمير المؤمنين وسيد الوصيين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في الجنة: «أما بعد فإن

(١) الحديث الأول «من قاتل...» ورد في كتاب أنوار التمام للعلامة أحمد بن يوسف زيارة، ملحق كتاب الاعتصام، ج ٥، ص ٤٤١.

(٢) الحديث الثاني «ولغدوة في سبيل الله...» ورد بالفاظ مختلفة عند ابن حنبل، والقرطبي، وعند زيارة، وفي كتاب كنز العمال: للهندي، ج ٤، ص ٣٠٤.

(٣) ورد عند يحيى بن الحسين الشجري في كتاب الأمالي الخمسية، ج ١، ص ٢٠٩.

(٤) رواه زيارة في كتاب: أنوار التمام (الملحق لكتاب الاعتصام)، ج ٥، ص ٤٤٨. وعزاه إلى سنن الترمذي.

(٥) روي في كتاب موسوعة أطراف الحديث النبوي: أبو هاجر محمد السعيد بن بسبوني زغلول، ج ٩، ص ٩٦.

الجهاد باب من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة أوليائه، وهو لباس التقوى، ودرع الله الحصينة، وجنته الوثيقة، فمن تركه^(١) ألبسه الله ثوب الذل وشمله بالبلاء وديث بالصغار والقسا، وضرب على قلبه بالأسداد، وأدب الحق منه بتضييع الجهاد، وسيم الخسف ومنع النصر^(٢).

ولا نعلم من يتقرب إلى الله بجهاده ويتوسل بنكايته أولى ممن هدم دين الله، واستخف بشريعة رسول الله، واستحل جميع الحرمات واستباح شرب الخمر، ونكاح الذكور، والإرتكاب في عباد الله لكل فجور، والظلم لليتامى، والهتك للأرامل والأيتامى - بل لم يعذر الله عز وجل عن جهادهم وقتالهم ولم يرخص في القعود عن نكايتهم ونكالمهم إلا لمن استثناه تبارك وتعالى في قوله: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ﴾ [:] .

وقوله: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعْفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرْجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [:] .

وإلا ما شرع الله من مهادنتهم، ومصالحتهم، وأذن فيه من معاهدتهم ومسالمتهم في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [:] .

وما كان من النبي ﷺ من مصالحة قريش وقريضة وغيرهم جعل الله في ذلك عزة للإسلام وقوة وحى لأهله، وعلى ذلك اعتمدنا وبه اقتدينا فيما كان بيننا وبين هؤلاء الظالمين من المهادنة في هذه المدة الماضية والأيام السالفة، نظراً منا فيما نظره ﷺ من المصلحة، ولم نزل والمنة لله علينا^(٣) بعد عقدها حافظين لعهودها، راعين لحرمتها، ممثلين قول الله عز وجل: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَاتِبٌ مَسْئُولٌ﴾ [:] .

وما زال ممن مضى ممن يتولى لهم قائمين أيضاً بحقوقها راعين لها.

ولما انتهت النوبة إلى الباشا حيدر هذا لم يزل ينقضها عقدة عقدة، وينكثها طاقته وجهده،

(١) رغبة عنه: سقط من الخطبة.

(٢) نهج البلاغة للإمام علي بن أبي طالب، شرح الشيخ محمد عبده، باب الحث على الجهاد، ص ٨٩.

(٣) علينا ليست في (ب).

ونحن في أثناء ذلك نذكره الله واليوم الآخر وما عظم الله [/] عز وجل الوعيد فيه ونباعد عنه الجاهلية من غدر الغادر وهو لا يزداد إلا نفوراً استكباراً في الأرض ومكر السيئ ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله حتى سفك الدم ، وانتهك في ذلك كل محرم، ولما أعيادواه وشرى داؤه وكثر اعتداؤه، علمنا أن الله عز وجل قد رفع تلك الرخصة في المهادنة، وعزم في الجهاد له والنكاية والمنازمة والمباينة لقوله عز وجل: ﴿ وَإِنْ نَكَتُوهُمْ يُبْغِضُوا إِلَيْكُمْ وَيَكُونُوا فِي أَعْيُنِنَا ذُرِيَةً لِلْكَافِرِينَ ۗ وَاللَّهُ يَبْغِضُ الْكَافِرِينَ ۗ ﴾ [/] .

فامتثلنا أمره عز وجل وبعناه الأنفس والأموال، وتجردنا بذلك نحن وإخواننا، وأبناءؤنا، وأشياعنا، وأتباعنا، وأجنادنا رهبة من الوعيد ورغبة في عظيم النوال، واثقين بقوله عز وجل: ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ ﴾ [/] .

وبقوله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [/] .

ثم دعونا جميع المسلمين، وأقمنا الحجة على جميع العالمين، وإن أحق الناس بالإجابة إلى هذه الفضيلة والاعتنام لعظيم هذه الوسيلة، من أنعم الله عليه بنسب النبوة والوصاية، وفضيلة الشرف البالغة منه إلى أقصى غاية، مع ما أتم الله به عليه ذلك من عظيم الرئاسة، وحسن المعاملة والسياسة، وجعل له من الذكر الجميل والفخر الجليل فبادروا تولى الله أمركم إلى ذلك، واستعدوا للأجر بالنصيب الوافر والسهم القامر، فقد قال أبوكم أمير المؤمنين - صلوات الله عليه وآله وسلم - : « ولقد ضربت أنف هذا الأمر وعينه، وقلبت

ظهره وبطنه فلم أر لي إلا القتال أو الكفر»^(١).

نعوذ بالله [/] لنا ولكم أن نتقاعد عن سبيل النبي، أو نرغب عما قال في أمره هذا القول أكرم خليفة وأفضل وصي، وقد وجهنا الأجناد المنصورة المؤيدة إن شاء الله لاستئصال هذه البقية الحقيرة من الظالمين في أبي عريش على يدي السيد شمس الدين أحمد بن المهدي، وهم إن شاء الله تعالى غنيمة باردة لكم ولهم، فقوموا من أمر هذه الفريضة بما يقوم به مثلكم وبادروا إلى ما به إن شاء الله إحياء شريعة جدكم محمد ﷺ وإعلاء كلمة الحق والانتصار لدين الهدى ﴿يَقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُمْ مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ [:].

أخذ الله بنواصينا ونواصيكم إلى ما به صلاح الآخرة والأولى، وجمع شملنا وشملكم على ما فيه العمل الصالح والتقوى بحق محمد وآله ﷺ ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [:].

وحسبنا الله وكفى ونعم الوكيل، ونعم المولى ونعم النصير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وله - عليه السلام - كتاب إليه هذه نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى.

سليل العترة الأطهار، وشريف المنصب والنجار، وكريم الخيم والفخار الشريف الذي سمت همته إلى المراتب العلية، والماجد الذي ما تعلقته إلا بمعالي الأمور نفسه الأبية، شرف الدين، وعين إخواننا الشرفاء الأكارم من آل النبي الأمين حسين بن أحمد بن حسين الخواجي ثبت الله على الخير لسانه وقدمه، وأجرى فيما يجبي شريعة جده سنانة وسيفه وقلمه،

(١) خطبة للإمام علي كرم الله وجهه في الجنة عندما أشار عليه أصحابه بالاستعداد للحرب بعد إرساله جرير بن عبد الله البجلي إلى معاوية، ولم ينزل معاوية على بيعته. في كتاب نهج البلاغة، شرح الإمام محمد عبده، ج ١، ص ١١٧.

وأهدى إليه سلاماً يحكي طيب أصله وكرمه وإكراماً يطهر به عن كل شيء أخلاقه وشيمه
ورحمة الله وبركاته التي ترفع به من الحق كلمه آمين وبعد:

فإنه وافى كتابكم الكريم المقابل بالتكريم والتعظيم مصاحباً لإخواننا وإخوانكم كرام
الأخلاق طاهري الشيم والأعراض مطاعن بن حسين بن أبي بكر بن عيسى الخواجي^(١)،
ومربع بن محبوب العماري، والسيد العلامة إبراهيم بن الهادي النعمي [/] أنعم الله
عليهم، وكان وصولهم إلينا ووفودهم علينا شفاءً للصدور، ونماءً في السرور والحبور، بعد أن
كان الشوق إلى الاجتماع بكم وبإخوانكم الأكارم متأكداً، والانتظار لمشاركتكم أيها الإخوان
الكرام في النفي إلى هذا المحل الذي النفي إليه من أعظم شعب الجهاد متأبداً، ولسان الحال
في هذه المقام لما قال الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة^(٢) - عليه السلام - منشداً:

دعوة يابني علي إليكم
وهي منكم فهل لها من سميع
حار فكري في وقفة الخيل والصيد
إلى أن حمى علي فجـوعـي
أرسلوها شعواء شعناً تباري
في الفيافي بعاسلات سروعي

(١) كان من أعيان الخواجيين بصيبا وكان هو وعمه الأمير أحمد بن حسين، كان كثير التردد على الإمام في اليمن ولذا أصبح لديه مكانة
هامة عنده. توفي سنة ١٠٤٨هـ / ١٦٣٨م.

(زين الشافعي: الروض الزاهر، ص ٤٧٩).

(٢) الإمام المنصور عبد الله بن حمزة (٥٦١-٦١٤هـ / ١١٦٦-١٢١٧م) الحسيني اليمني، أحد عطاء الإسلام ونجوم الأئمة الكرام، إمام مجتهد،
مجاهد مجدد، اكتملت فيه كل جوانب العظمة في شخصية الإنسان الرسالي، وفاق مجتهد عصره علماً وأدباً وجهاداً، قام بالإمامة بتكليف
من علماء عصره وأهل الحل والعقد في زمنه سنة ٥٨٣هـ، فأقام في كفاح وجهاد، من أجل رفعة الدين، وإقامة العدل، وتصحيح الخلل
والاعوجاج، وخاض معارك عديدة ضد المطرفية ومع سلاطين بني حاتم، وضد الغازي طغتكين القادم من مصر، وأخباره كثيرة ومناقبه
غزيرة، وله مؤلفات عديدة شهيرة، له سيرة تسمى السيرة المنصورية (سيرة الإمام عبد الله بن حمزة لأبي فراس فاضل بن دعشم. طبع
الجزء الثاني والثالث، تحقيق الأستاذ الدكتور عبد الغني عبد العاطي). (الوجيه: أعلام المؤلفين الزيدية، ص ٥٧٨)

كحريق الثمام هاجته ریح
حرف في المصيف بعد هزيع
من يقارب حريقها يشي
عنها بوجه من حرها مسفوع
أو تجوز الجياد بأبي سهام
كالسعال محيات الظلوع
يتبارى بالصيد من آل ياسين
المساعين كل غوث مروع
هل أراها مغيرة كبنزة
الطير تردى بكل ليث منيع
حسني ينمي إلي حسن فرعيه
كالبدر الماتم عند الطلوع
غصب الناس حقكم فاطلبوه
بالمواضي فهو^(١) خير شفيع
فلعمري ما أغفل الصد عنكم
غير طعن ضرب وشزر قطوع
وزحام لنا يبابي أزال
صير الكهل منهم كالرضيع

(١) في (ب): فهن.

فتحوا بابها لتحموا حماها
ثم ردوه في زحام شنيع
يشن المغار في كل أرض
ورفعنا المنار في كل ريع
والمواضي عصينا ورماح
الخط فيهم فكم لها من صريع
ولقد ضلّ عنهم كل رأي
ومرام وضاق كل وسيع
وله أيضاً - عليه السلام -:

طال انتظاري لكم والحرب قائمة
والسيف في الكف مني غير منغمد
هذي المنابر لم تعمرب بذكركم
وأنتم الناس في بدر وفي أحد
قالوا الوصي رباعي فقلت لهم
ثاني الرسول بلا من ولا ثمند
حاسيتهم في أزال كأس حستهم
وفي ذمار وردت الموت في كبدي
فلم تشنكم مقاماتي ولا صدرت
سمري ضمأى من الأحشاء والكبد

حتى تركت على الأعواد ذكركم
باد على روم آل البغي والحسد [/]
زمو المطي وقودوا كل سابحة
مثل السحوق تباري الريح^(١) في الجدد
فإرثكم حازت الأقوام دونكم
وطالب الحق يسعى سعي مبتد
أنتم سنام بنبي الزهراء فاطمة
وصيد فهور وأهل المجد والعهد

ولما اتصل بنا الإخوان أكرمهم الله تعالى رفعوا إلينا ما هممكم سامية إليه من الجهاد،
وعزائمكم ظائمة له من نكاية أهل العناد، ونفوسكم الأبية طامحة إليه من مرضي رب العباد،
وما شهد لذلك مما أوجبه الله سبحانه وتعالى من الإعداد، فحمدنا الله سبحانه وتعالى إذ
جعل حظكم الأوفر من ذلك، وسألناه عز وجل أن يجعل سهمكم الأقر من هذه الطرائق
الشريفة والمسالك، ولا غرو فإنكم من أهل بيت النبوة الذي أسس بنيانه على جهاد كل
ظالم، وشيدت أركانه على مباينة كل مجرم وآثم، وتوارث الخلف منهم عن السلف بيع
النفوس والأموال في الله، والله وإن كان فيه حز الغلاصم^(٢)، وركوب الهول المتفاقم ما راع
الآخرين منهم ما أصاب الأولين ولا لأنوا، وما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا
وما استكانوا، حتى قال يحيى بن زيد^(٣) -عليهم السلام- بعد قتل أبيه يذكر ما كان
به يوصيه:

(١) في (ب): الرمغ.

(٢) الغلاصم: رأس الحلقوم بشواربه وحرقدته وهو الموضع الناتج في الحلق وجمعها غلاصم. وقيل: الغلصمة اللحم الذي بين
الرأس والعنق.

(ابن منظور: لسان العرب، ج ١٠، ص ١٠١).

(٣) يحيى بن زيد الشهيد ابن الإمام زيد بن علي. وقد سبق ترجمته.

يا بن زيد أليس قد قال زيد
من أحب الحياة عاش ذليلاً
كن كزيد فأنت مهجة زيد
واتخذ في الجنان ظلاً ظليلاً
وقال النفس الرضية إبراهيم بن عبد الله^(١) - عليه السلام - بعد قتل أخيه النفس الزكية
محمد - عليه السلام -:
سأبكيك بالبيض الرقاق وبالقنا
فإن هم ما يدرك الطالب الوترا
ولست كمن يبكي أخاه بعبرة
يعصرها من جفن مقلته عصرا
ولكنني أبكي عليك بغارة
أحرق في قطري كتابها جمرا
فكيف يكون من أهل البيت التقاعد الآن، وقد أظهر الله وله الحمد دينه وأعلى
كلمته، وأرغم من عاداه، وهتك ببطشه وانتقامه حجاب من ناواه شرقاً وغرباً وبعداً وقرباً؟!
فالحمد لله الذي أصدقنا وعده وأعز جنده، ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده، وصار
الحال كما قال المنصور بالله^(٢) - عليه السلام -:
ألا إن دين الله أسفر وجهه
فلم يعم عنه طالب جاء يطلب [/]

(١) إبراهيم بن عبد الله سبق ترجمته.

(٢) المنصور بالله الإمام القاسم بن محمد.

وهزَّ لواء النصر فاطردت به
قناة لها من عون ذي العرش أععب
لنا في أقاصي الشرق شرق نرومه
وبعد ديار العرب في الغرب مغرب
نروم أمورا وإله ضميننا
بإنجاز ما نرجوه منه ونطلب

نعم وقد عاد إليكم إخواننا وإخوانكم السادة الكرام حماهم الله تعالى بعد قضاء مأرب
الزيارة، والاشتفاء، وبعد أن أنهوا إلينا عنكم مما طابت به النفس^(١) وقر به الخاطر ما فيه إن
شاء الله تعالى كفا، وأصبحناهم والدنا السيد العلامة بقية شيوخنا أهل البيت والذي هو
قدوة للحي منا والميت، حافظ علوم العترة شمس الإسلام، وعين الأوان من الآل الكرام
أحمد بن محمد بن صلاح الشرفي طول الله لنا وللمسلمين في حياته وعمره مؤدياً عنا ما كنا
نحب أداءه مشافهة لولا ما عرفتمونا في الكتاب وعرفنا السادة من الإعدار من النصيحة التي
هي أعظم ما أوجب لمسلم على مسلم، فكيف بالعترة الأطهار؟! وعاقداً سبب الاتصال
الحقيقي بيننا وبينكم ننزل من العترة الأخيار جميعاً منزلة الوالد الشفيق، واختص من علمهم
وفضلهم بكل حبل وثيق، منجزاً إن شاء الله هذا الوعد الصادق من النفير في سبيل الله،
مستنجحاً ما نرجوا أن يكون لنا ولكم عظيم الزلفى عند الله، فقابلوا اختصاصنا إياكم بورود
هذا الرجل الذي حل منا هذا المحل بحقه الحقيقي، وهو المسارعة إلى ما يحثكم عليه من الخير
إن شاء الله تعالى الذي من تمسك به فقد هدي إلى أقوم طريق.

هذا وعرفنا ما أشرتم إليه من طلب الإسعاف إلى ولاية أبي عريش، وبندر جازان
حرسهما الله تعالى، وأنكم بريون^(٢) إلى الله من الرجوع في ذلك إلى شرط يشترط، أو طمع

(١) في (ب): الأنفس.

(٢) هكذا وردت، ومعناها: بريون.

يؤول إلى حيف وشطط، وإن ذكر ذلك ليس إلا لرجاء صلاح وإنما خير للمسلمين إن شاء الله تعالى وفلاح، فذلك هو الذي يقتضيه حال طالب السلامة وعارف حقوق الإمامة.

واعلموا عصمنا الله وإياكم عن الزيغ، ووفقنا جميعاً للخير أنا لا نشح بالولاية على من فيه كفاية، ولا نرغب عن من يقوم بها حق قيامها من أهل الدين والنصحية لله وللمسلمين والهداية، وإنما يمتنعنا عن التبادر [/] إليها في حق من لم نخبره ونعرف أحواله، ونسبره^(١) مراعاة لله تعالى في عبادته، وحفظاً لما أودعناه من الأمانة في بلاده، واحتراماً لقول أمير المؤمنين وسيد الوصيين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في الجنة: «وقد علمتم أنه لا ينبغي أن يكون على الفروج والدماء والمغانم والأحكام وإمامة المسلمين البخيل فتكون في أموالهم نهمته، ولا الجاهل فيضلمهم بجهله، ولا الجافي فيقطعهم بجفائه، ولا الخائف للدول فيتخذ قوماً دون قوم ولا المرتشي في الحكم فيذهب في الحقوق ويقف بها دون المقاطع، ولا المعطل للسنة فتهلك الأمة»^(٢).

نعم فلا نزال نستمد من الله المعونة ونتوكل على الله عز وجل من يرأه الله عن هذه الخصال ونؤثره على غيره وإن كان بعيد النسب، فإنه قريب السبب، إلا ما تلجى إليه والعياذ بالله الضرورة، أو يحمل عليه تضيق الحادثة، فنجره مجرى قول علي -عليه السلام-: «اللهم إني أبرأ إليك من معرفة الجيش وسغبة المضطر أو كما قال»^(٣).

فأما إذا جمع الله لنا خصال الخير، ويسر لنا أسباب الاستحقاق من خلوص النية وصدق الطوية والجهاد في سبيل رب العالمين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والسير بالعدل، والقيام بالقسط وإجراء الشريعة مجاريها، وإنفاذ الأحكام الدينية بمقتضاها في رجل من أهل البيت -عليهم السلام- يجمع بين ذلك وبين حسن السياسة والنفاسة والرئاسة فيا حبذا، وكيف لنا بذا ولا نختر غيرهم إن شاء الله تعالى ولا نؤثر دونه بمعونة الله، فإن لأهل البيت -

(١) في (ب): وسيره.

(٢) قول للإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في كتاب نهج البلاغة، شرح الشيخ محمد عبده، ج ٢، ص ٢٧٨.

(٣) ورد في لسان العرب لابن منظور أن هذا الدعاء لعمر بن الخطاب، ج ١٣، ص ١٤٠.

عليهم السلام- المزية على الناس في كل حال وهم سادة الخلق وخيرة ذي الجلال، ولعظم هذه الأمور وما أخذ الله سبحانه لمن يتولى مثلها وعليه من الشروط تأكدت البواعث على إرسال والدنا هذا السيد شمس الدين العلم العلامة الإمام حمّاه الله تعالى. وقد ذكرنا للسيد مطاعن، والأصحاب رعاهم الله تعالى من ذلك جُملاً وأودعناهم من الحديث غراراً، والحق في ذلك كله لله والوثيقة له والحيطه لدينه، عاندين بالله عز وجل من إثم ما تهدد به ﷺ في قوله: «من ولى رجلاً شيئاً [/] من أمور المسلمين وهو يعلم أن غيره أفضل منه فقد خان الله في أرضه»^(١).

نسأل الله الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ونعم المولى ونعم النصير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

بتاريخ غرة رجب سنة ١٠٣٦هـ^(٢) بمحروس شهارة حرسها الله تعالى بالإيمان وأهله آمين.

وبعد هذه صلح الحال من أهل صيبا وأرسلوا خيلاً للجهاد مع السيد العلامة هاشم بن حازم والسيد التقي رحمهما الله بعد تناقل.

ولما كان السيد التقي والسيد هاشم في مدينة الضحى^(٣) بعد وقعة زبيد بأيام.

قال السيد الأفضل العلامة صلاح بن عبد الخالق بن جحاف القاسمي أيده الله تعالى في تحريض الأشراف أشرف القطبة من آل غانم بن يحيى السليمانيين وهم أهل السلب على الخروج إلى جهة زبيد كما خرج إخوانه من أهل صيبا هذه الأرجوزة:

(١) لم نجده في المصادر التي بين أيدينا.

(٢) غرة رجب ١٠٣٦هـ الموافق مارس ١٦٢٦م.

(٣) الضحى: بلدة في وادي سرمد جنوب شرق مدينة الزبيدية، وفيها مركز قبيلة الجرايح.

(المقحفني: المعجم، ج ١، ص ٩٤٣).

أذمن ذكر الحما وبارق والرقمتين واللوى للعاشق
ومن مقالي في النسب الشائق وذكر أيام الوصال السابق

فوق زراي القز والنهارق

ومن زهور الورد والنراجس والياسمين مشتى المعاطس
وبان ذي الغصن الرطيب المائس والآس ريحان الغزال الكانس

والفل والمنثور والشقائق

أيضاً وأشهى من نسيم السحر حين يهب موقظاً للزهر
في روضة ذات لباس أخضر وطيلسان من لباس أصفر

شاهدة بصنعة للخالق

مبشراً إن جاء يسعى عجلاً يخبرنا بما يشير الجذلا
ومابه يصدق منا الأملأ في الأمراء الكرماء الكمالأ

غصون دوح العترة البواسق

أولي^(١) الحفاظ والليوث الخادره السادة الأكارم الحياره
القطبتين النجوم الزاهره المرتدين بالمواضي الباتره

والضاربي هام العدا في المأزق^(٢)

إذا اعتلوا فوق الجياد الظمر واعصوبوا تحت العجاج الأكر
يمشون من فوق القنا المكسر والموت باد لعيون الحضر

فلا ترى غير فؤاد خافق [١١٧/ب]

(١) في (ب): ألي.

(٢) في (ب): المارق.

أومن تقلصن عن النيوب شفاته لهايل الحروب
ماكان يدعى قبل بالهوب إذ كان فوق ساح يعبوب

أنجب ما يذكر في السوابق

هناك تلقى منهم أسودا يحمل منهم كل ليث عودا
به ترى أعداءه حصيدا بعد الحرير اقترشوا الصعيدا

وخصبوا بالدم في المقارق

قوم نفا فرعهم الوصي أكرم بمن نجاره علي
الهاشمي الأبطحي الأبى صلى عليه الواحد العلي

ما شيم بالليل ضياء بارق

هل تُبلغن عنهم سلامي يامعمل الوجنا بالموامي
وتُشدن بينهم نظامي في مجلس محتفل الزحام

بمقول بما أقول ناطق

سلم عليهم كلما هبت صبا وكلم الغيث الهتون انسكبا
وامتلات منه الوهاد عشا وما استنار فأضاء السحبا

في حنوس الليل سنا العقائق

أبلغ إلى الأمير عز الدين زاكي النجار شامخ العرين
شعري وما قدر قمت يميني وقل له صدق بكم ظنوني

فقم وأسمع كل شهم صادق

ونادى في القوم الأمير الطاهرا من لم يزل على المعادي ظاهرا
واذكر له إن كنت يوماً ذاكرا ما أثراً أكرم بهما ما أثرا

تركن أيدي الأسد كالخرايق

وقلت اسمع أنت يا ابن الصيد يا خير من في آل طه نوذي
قودك للخيل إلى زييد في فتية ترفل في الحديد

لا تستشق السير في الودائق

متى تجازون أبا عريش يصيح في سير لها كمش
أمثال عقيان كواسي الریش بغير تشويش ولا تغويش

يجتزن بالرميل وبالأبارق

متى أراها كسراجين الفضا نحو زييد ماليات للفضا
يلحق منهم من بقي بمن مضى تجري بتدميرهم صرف القضا

فإنه أتباع كل ناعق

متى تقود الشرب الصوادما متى تكون بالجوش قادمما
فيخير الركبان عنك هاشما لكي يكون مستتيراً باسمما

بسابق من خيلكم ولا حق

أما رأيت السيد الخواجي أعد سير الجيش في الفجاج
وكان في الصدق على منهاج حقق ما الأمل فيه راجي

ما اعتل بالشغل ولا العوائق [/]

كنت أظن أن تسيروا قبله أو تفعلوا يا ابن الكرام فعله
حين استحث خيله ورجله وعربه وصحبه وأهله

يطوون عرض اليد والسماق

هم الذين صدقوا ما وعدوا إذ جمعوا جمعهم واحتشدوا
فهم لأجناد الإمام مدد حماهم الله العلي الصمد
مأسرع الحادي خطى الأياتق

فأسمعوني سيركم في عجل وصدقوا فيما وعدتم أملي
خذوا بحظ في الجهاد أكمل وجدوا ما كان منكم قد بلي
وارموا الهوينا عنكم من حالي

فأتم أهل الحفاظ والوفاء والصدق في محظ الوداد والصفاء
ورحمة الله توافي المصطفى وآله المتتبعين الخلفاء

أولئك الحامون للحقائق

قال السيد أحمد نفع الله به: وبلغني أن الأمير الطاهر أو غيره أجاب على هذه ولم أقف
على الجواب.

ثم خرج الأشراف القطبة بعدة خيل وكان المشهور فيهم بالشجاعة هو الأمير الطاهر،
وكان رئيسهم الأمير عز الدين بن أحمد، وخرج الأمير الطاهر المذكور في عدة من أصحابهم
إلى أصحاب الإمام - عليه السلام - إلى جهة زبيد واستقروا في المركز الإمامي.

قلت: وأنا أعرف لهم ذلك واستمرارهم في الجهاد ووضع الإمام - عليه السلام - ولاية
بلاد صيبا لصاحبها الشريف الكبير حسين بن أحمد الخواجي على عادته، وفرض له من جميع
واجباتها الثلث وثلثان بنظره إلى الإمام - عليه السلام - انتهى.

فصل

ولنرجع إلى أخبار مولانا الحسن رحمة الله عليه وفتح كوكبان، وقد ذكرنا فتح ثلا واستئصال من فيه، والقبض على الأمير صفر ومن معه ، ووصول مولانا أحمد لذلك. فلما تم عمل الأمير صفر ومن معه وعزموا إلى عند الإمام -عليه السلام- عاد مولانا الحسين رضوان الله عليه جهات بلاد همدان، وصار في وادي زهير، ومولانا أحمد عاد بلاد عيال سريح وجمع جموعه، وتقدم إلى ذعوان قرية قريبة من عمران، وحاصر عمران محاصرة ضيق عليهم وبلغ القدح الطعام اثنتي عشر حرفاً وله ولهم [/] حروب ولازال عليهم حتى خرجوا كما سيأتي إن شاء الله تعالى، وكان في الجانب الشرقي السيد العلامة جمال الإسلام علي بن إبراهيم الحيداني أطل الله بقاءه، من بلاد الصيد وبني زهير، وقد انضم إليه من عند الإمام عليه السلام الفقيه الأفضل عبد الله بن عز الدين الأكوع، والفقيه الأفضل صالح بن جابر العلماني وغيرهم، وحاصروا ذيفان^(١) وكان فيه الأمير عابدين بن مطهر بن الشويح المذكور في أخبار عيان وإليه من العجم، قرا جمعه من عظامهم، والسيد جمال الدين في عقبات البون، وغزوه إليها، وإليه لجنود الحق ولهم حروب كثيرة. وفي بعض أيامها غدر بعض العرب بالسيد بأن جردوا له خيلاً من خلفه وأنجاه الله بدفاع من حضره من جنود الحق، ولما فتح الله كوكبان تسموا جميعاً إلى مولانا الصفي حفظه الله تعالى، فأما الأمير عابدين بن المطهر بن الشويح فوصل إلى مولانا الحسن رحمه الله فأحسن إليه وضمه إليه، فأمد إلى ثلا وحضر الواقعة مع الأمير صفر، وقبض معه كما تقدم، وأرسلهم إلى شهارة المحروسة بالله.

وأما مولانا الحسن رضوان الله عليه فأقام بعد مولانا الحسين في كوكبان نحو خمسة عشر يوماً، وقد استصلح قلوب أهل كوكبان حتى ما خرج من حصنهم إلا وهو أحب إليهم من أهاليهم، ويقال إنه خطب منهم زوجته الشريفة الطاهرة زكية بنت الأمير عبد الرب، وكان زوجها الأمير حسن بن حميد الدين المقتول في الضلع قبل أنود، وكان التمام بعد أن أراح

(١) ذيفان: مركز إداري في مديرية ريدة في محافظة عمران. (المقحفني: المعجم، ج ١، ص ٦٥٧).

العجم من اليمن الأسفل والأعلى كما سيأتي إن شاء الله تعالى، وكان مواعده لهم كما قال المنصور بالله عبد الله بن حمزة في كلمة له في مثل ذلك:

فإن يطهر الأفاق من دنساتها

أناكم سوادى عاجلاً وخيامي

وخرج معه الأمير عبد الرب بن علي، وابن أخيه الأمير شمس الدين وكبراء أصحابه وجميع جنوده، وقد وضع لهم مولانا الحسن بلادهم وراء ذلك، وقد كان فيها ولاية من قبل الإمام عليه السلام، فلم يكذب يسمع الإمام بعودها إليهم وطالت [/] المراجعة في ذلك، والإمام - عليه السلام - يقرب ويبعد فإنه يخافهم على الرعية الذين نصره واجتهدوا في حربهم، ولأن الأمير عبد الرب أخلف الإمام ما وضعه في ابتداء القيام، فإن الإمام - عليه السلام - وضع له ولوالده أنهم يحفظون بلادهم ويخلوا ما بينه وبين الترك ونحو ذلك من الشروط، ثم أخلفه وأعانهم وأرسل محاطه معهم إلى القبتين وغيرها كما تقدم.

ذكر دخول حدة

نعم ولما وصل مولانا الحسن رضوان الله عليه إلى وادي زهر، ومولانا الحسين رحمه الله فيه كما تقدم الجميع وقصدوا صنعاء، وقد عبأ الناس تعبئة حسنة ولا يحصرهم قلم، وقد اجتمع إليه بنو الحارث^(١) مع همدان، وكان في الروضة الأمير محمد - المعروف بكاني شلبي - من عظمائهم ويقال: إنه ناظر السلطان وقيمه الباشا مقامه في حركاته وكذا غيره، ففر عقيب ما اتفق من فتح كوكبان وصار إلى صنعاء، ثم اجتمع القبائل من بني الحارث، وبني حشيش، ونهم وغيرهم إلى الروضة، فانتهبوها وحفظوها، ورأسوا القاضي الهادي بن عبد الله الحارثي

(١) بنو الحارث: منطقة و قبيلة شمال صنعاء وتمتد منازلها إلى بلاد أرحب شمالاً، وتشمل عدة قرى وعزل منها: الروضة، الجراف، شُعب، صرْف، وهذه ضمن ضواحي صنعاء الشمالية حالياً، ثم قرية القابل، عُلَمان، نُقْبَان، دُهْبَان، عُنَّان، السنينة، بيت دُعَيش، جِدر، بيت حنظل، بني حوات، الحدود، العروق، الحتارش، بني زياد، الملكة الحما، بيت الخاوي، بيت هارون، بيت سنهوب، بيت الحللي، بيت القُاسي، المحجل، ثم بني جرموز والحرة، والمجرة، الحنشة الغراس، زجان، الغولة، بيت الذيب، الرحبة، وكلها مناطق زراعية مختلفة. (المحفي: المعجم، ج ١، ص ٣٨٦).

على أصحابه، والفقير عبد الله بن عز الدين بن علي ومن وصل معه من ذبيان وبنو زهير والفقير صالح العلماني وغيرهم، وخرجت عليهم جنود العجم خيلاً ورجلاً وقد أصابهم الفشل لما بلغهم فتح كوكبان وما إليه، فلم يقدروا على إخراج بني الحارث ومن إليهم من الروضة، ودخل الشيخ صالح قحيم الحارثي وأنفار إلى الجراف^(١)، وأحاطوا به وأجأوه إلى أسفل البيت، وملكوا عليه أعلاه ووسطه ودافع كثيراً وقتل أنفاراً، وأصاب الأمير مصطفى برصاصة ثم استأمن إليهم ودار الخوض ووصله الأمداد، فأفرجوا عنه وقد أشفي والحمد لله رب العالمين.

وأرسل مولانا الحسن رحمه الله السيد عز الدين محمد بن أحمد بن الإمام الحسن إليهم وجعل أمر الجميع إليه، فاستقام الأمر ومولانا الحسن في كوكبان، ثم وصل كما سبق. ولما قابل مولانا شرف الدين رحمه الله صنعاء [/] مما يلي السبحة^(٢) عشرًا من هنالك وانتظروا خروج خيل العجم ومن في صنعاء فلم يخرج منهم أحد فإنهم اتهموا بعضهم بعضاً.

وكان مولانا الحسن رحمه الله قد كاتب كثيراً من أمرائها سراً وهو في كوكبان، يدبر الحيلة معهم على فتح صنعاء فسكن الباشا وحفظ الأبواب وجعل الدوائر رتباً وقسم الخيل في أرباع المدينة، وقد أغار من سرعان الناس كثيرون إلى باب السبحة، ودخلوا البستان وانتهبوه وفيه كثير من آلة المطبخ حق الباشا، (ويقال: إن كثيراً من أمراء العجم طلبوا من الباشا فتح الباب والناس في الانتشار)^(٣) وقد صاروا قريباً من أبواب المدينة فلم يجبههم مما تمكن في قلبه من الخوف والوهم فيهم، فلو خرجوا مع انتشار الناس، وقل الخيل النافعة لكانت القضية العظمى والله ولي التدبير لأوليائه. وكان في صنعاء جماعة من أصحاب الأمير عبد الرب فرسان نحو العشرين، وقد خرج أحد أمرائهم إلى باب اليمن^(٤) وأقام بجملته من الخيل مقابل الباب، وخرج أولئك من أصحاب الأمير المذكور فأمكتهم

(١) الجراف: قرية شمال صنعاء صارت اليوم مع التوسع العمراني جزءاً من العاصمة صنعاء.

(٢) السبحة: أحد أبواب صنعاء القديمة، وقد سبق ترجمته.

(٣) ما بين القوسين: غير واردة في (ب).

(٤) باب اليمن: أحد أبواب صنعاء القديمة. ومن معالمها الأثرية والسياحية حتى اليوم.

الفرصة للهرب، فهربوا إلى جنود الحق وصاروا إلى الأمير عبد الرب رحمه الله، فانكفى أمير العجم راجعاً وأغلق باب المدينة، وخاف على من معه من مثل ذلك.

ووصل مولانا الحسن حدة بجميع من معه من الجنود ومولانا الحسين معه في حدة، فلما استقر في حدة وصل السفير من صنعاء وهو السيد صلاح بن عبد الله السراجي الحاضري^(١)، وكان في آخر شعبان سنة ست وثلاثين وألف لطلب الصلح، ولو شهر رمضان كما وصل بخط مولانا الحسن رحمه الله، (وقد كتب إلينا البشارة)^(٢) بوصوله حدة وحصار صنعاء، وأنه وصل من الباشا مع رسولنا كتاب يطلب الصلح شهر رمضان، فكان الجواب عليه:

فإنك والخطاب إلى علي

كدابغة وقد حلم الأديم^(٣)

ولما استقر مولانا الحسن رحمه الله في حدة جعل رتباً في حواز^(٤) صنعاء منها في عطان^(٥) وبيت زبطان^(٦)، وفي مذبح^(٧)، وفي السواد^(٨) من سنحان، وفي دار سالم من وادي الأحبار^(٩)، ومن جهة المشرق رتباً مع الروضة ومن فيها، وفي علمان من أسفل ضهر، [/] وفي ذهبان، وفي جدر لقطع مواد صنعاء، وأخرج الباشا أمراء وخيلاً لمقاتلة حدة حتى صاروا قريباً من

(١) صلاح بن عبد الله السراجي الحاضري: كان المذكور على اسمه حاضري يتحضر الإجابة، ويوافق بأقواله وألفاظه المراد منها، كان أديماً أليماً طريفاً حسن الأخلاق، وكان له وجاهة عند الولاة العثمانيين، توفي سنة ١٠٤٦هـ / ١٦٣٦م. (ابن أبي الرجال: مطلع البدور، ج ٢، ص ١٧٧؛ يحيى بن الحسين: المستطاب، ق ٢٦٥؛ ويحيى بن الحسين: بهجة الزمن، ج ١، ص ١٠٧).

(٢) ما بين القوسين: ليست في (ب).

(٣) لم أستدل على قائله.

(٤) حواز: الحواز الحصار. عامية.

(٥) عطان: منطقة كانت خارج صنعاء وأصبحت اليوم من ضواحيها.

(٦) زبطان: منطقة كانت خارج صنعاء وأصبحت اليوم من ضواحيها.

(٧) مذبح: منطقة كانت خارج صنعاء وأصبحت اليوم من ضواحيها.

(٨) السواد: منطقة كانت خارج صنعاء وأصبحت اليوم من ضواحيها.

(٩) دار سالم من وادي الأحبار هذه أيضاً من ضواحي صنعاء التي توسعت العمران إليها.

ماجل الحفاء^(١)، فركب مولانا الحسن ومولانا الحسين رحمهما الله للحملة عليهم على غير تعبئة فانهزموا حتى اتصلوا بالمحاريق^(٢) قريب الباب وناوشوهم الحرب، وقد عاد الناس لظنهم أن العجم قد دخلوا المدينة فأدركت خيلهم جماعة من المجاهدين فقتلوا منهم السيد قاسم بن محمد من قرابة الإمام، والسيد داود بن علي من عاين، والنقيب المجاهد جوهر بصابص كلهم فرسان وقريباً من العشرين النفر رجالة، وعاد الناس إلى حدة، وكان مع الباشا أعوان من أشرار العرب منهم الشيخ أحمد الشامي من الفصيرة من غشم، ومحمد أبو عفراء، وعلي بن شايح، وكان وقع منهم إلى الأمير علي بن المطهر بن الشويح كيد وغدر حتى اعتقله الباشا كما مر، فسعى فيهم الأمير عابدين على رأي مولانا الحسن رحمه الله بأن أدخل إليه مكاتبة، ووعدوا أن يفسدوا عسكر صنعاء، وجعلوا من يوقف الباشا على ذلك وقد عظم عليه الوهم في العرب، فقطع بذلك فضرِب أعناقهم، وكفى الله المسلمين شرهم.

فصل

نذكر فيه الفتوح بعد كوكبان وثلا وما إليهما، وقد ذكرنا وصول الأمير سنبل إلى ذمار وهزيمته من الذراع، وأنه لما وصل ذمار وأخرج محطة مع محمد آغا الذي كان فيها وكان من كبراء العجم، ويقال إنه قريب للباشا إلى يريم وضرب السكة^(٣)، وقد جعل له الباشا ولاية أنه يستمد من اليمن والبنادر، وجعل له أوراقاً مطبوعة يطلب ما شاء ويضع لمن شاء من أعمالهم، فألقى الله سبحانه وتعالى في قلوب كثير من عسكره المحبة إلى جانب الحق، فكانوا يفرون من عنده إلى صنعة^(٤) وإلى غيرها، فانكسرت نفسه وخاف.

(١) ماجل الحفاء: الحفا منطقة جنوب صنعاء بالقرب من حدة، والماجل برك الماء التي تحجز مياه العيون والأمطار، ومن ثم يتم توزيعها على الأراضي الزراعية.

(٢) المحاريق: هي أفران صنع الطوب الأحمر أو ما يسمى بالياجور في اليمن.

(٣) ضرب السكة: ضرب عملة.

(٤) صنعة: قرية أسفل بلاد جهرا شمال غرب ذمار.

(المقضي: المعجم، ج ١، ص ٩٢٢).

وأخبرني عبد الهادي بن دفعان الثلاثي وهو من خواصه وكشافه وولاته، وكان شريكه في أموره أنه دخل عليه هو وكتبه الفقيه عبد الباقي السنحاني، وقالوا له فيما قالوا: إذا هرب العسكر ما نفعك أغوات الترك ولا أمراؤهم بل يبيعونك ويذكرون عليك [/] ما سبق من قهرهم وترجع نفراً، فكاتب الإمام سراً وكذا فبعد عليهم، ثم إنهم اجتمعوا عليه مرة وكتبوا خطوطاً إلى الإمام - عليه السلام - وإلى مولانا الحسن رحمه الله وانتهبوا عليه الخاتم، فلما صح لهم خبر كوكبان بعث الرسل إلى مولانا الإمام - عليه السلام - وإلى مولانا الحسن واستوثق لنفسه.

وأخبرني القاضي إبراهيم بن علي الصعيري الذماري أنه أخبره الأمير سنبل من فيه أنه كاتب وهو في الذراع، وذلك أنه رأى أنه يصلي إلى غير القبلة مراراً فرأى رجلاً صورته تشبه الإمام - عليه السلام - فعرفه القبلة فكاتب الإمام لذلك والله أعلم.

فأرسل إليه مولانا الحسن رحمه الله الأمير محمد بن علي بن شمس الدين من كوكبان، وأرسل معه جماعة من أعيان السلطنة فكانوا نحو خمسمائة نفر، ولما وصلوا إلى صنعة وفيها الأمير الهادي كما تقدم، أظهر الأمير سنبل أمره للعسكر ومن عنده من أغوات الترك وتلقى الأميرين وأضافهما وأحسن إليهما.

ولما استقروا في ذمار رجح من حضر من أهل كوكبان أن الأمير محمد يتصرف في المدينة، وأنه الوالي فقال أصحاب الأمير الهادي: بل لهم التصرف واختلفوا فحصل بينهم حرب ومصاويب^(١) من الطائفتين، فأخبرني أصحاب الأمير سنبل أنه لما بلغه ذلك توهم وظن الظنون، فأمر خيله بالركوب وأن تغدروا بالطائفتين فهون عليه أصحابه الأمر وأخذوا رأسي بقر وعقروهما بين أصحاب الأميرين وسدوا أمورهم وغطوها، وكتبوا إلى مولانا الحسن رحمه الله إلى حدة مع وصوله، وكان قد أرسل من عنده الشيخ الرئيس حسن بن علي بن وهان العذري، والقاضي عبد الله بن حسن البشاري يستحلفان الأمير ويقبضان ما هو للعجم الذين في صنعاء وما هو لبيت المال كما سيأتي إن شاء الله تعالى، وطلب الأميرين وجعل ولاية ذمار للأمير سنبل على العادة، وأمره أن يقبض ما هو للترك وأمرائهم الذين في

(١) مصاويب: أي إصابات.

صنعاء، ثم أمر الأمير سنبل أن يستخلف على ذمار ويصل إليه إلى محروسة حدة، فوصل وتلقاه المسلمون واستبشروا بوصوله، وكان طلع معه القاضيان [/] العالمان صارم الدين إبراهيم بن حثيث، وصلاح الدين صلاح بن محمد الفلكي رحمة الله عليهما، فكانا مسددين له مُعرفين فخلع عليه مولانا الحسن رحمة الله وعلى كبراء أصحابه، وقد ترك من يخافه من الترك في ذمار عند خليفته عليها عبد الهادي دغان المتقدم ذكره.

وأما المحطة التي في يريم والأمير الحسين بن محمد بن الناصر الجوفي فإنه لما صح له ولهم الاستيلاء على كوكبان وموالاة الأمير سنبل، خرجوا مواجهين إلى الأمير الحسين، وكانوا قريب الألفين عليهم عدة أغوات مع محمد آغا، فاستحلفهم الأمير الحسين على الطاعة ووضع لهم عن أمر مولانا الحسن رحمة الله معتادهم، وجمعهم مع أصحابه وتقدم إلى اليمن، وكان قد أرسل مولانا الحسن رحمة الله إلى الأمير الحسين السيد المجاهد الشهيد الهادي بن علي الشامي رحمة الله في محطة من خولان العالية، فحضروا معه في حروبه على يريم، ثم أمرهم الأمير الحسين بالتقدم إلى جانب اليمن، وهو باق لمحاصرة يريم ففتح الله عليهم، وتقدموا إلى بلاد ذي جبلة^(١)، واجتمعوا بالسيد المقام محمد ابن الإمام الحسن رحمة الله، وقد تقدم صفة وصوله إلى بلاد حبيش من بلاد الزوم، وحاصروا ذي جبلة من كل جهة، وضيقوا عليها، وقتلوا من أغوات الترك علي آغا هندي، والشريف محمد من أغواتهم أيضاً مع كثير من جنودهم في عدة حروب، ولم يلتفت السيد الهادي إلى رأي الأمير الحسين، ولما ضاق بأهل ذي جبلة الحصار كاتبوا الأمير الحسين وطلبوا وصوله ليخرجوا إليه ويسلموا له المدينة. وكان في مدينة إب أمير يسمى كشك بيه يقال: إنه من بيت السلطان، ومحطة من العجم تحصن فيها، وقد خرج إليه الشيخ مقبل القاتفي ومن صار إليه، كما سيأتي من صفة موالاته، فأخرج مائة نفر من خيار عسكره إلى الشاحي^(٢) أعلا من إب ووصلهم قافلة، فقتلوا منهم فوق الخمسين النفر، وأسروا كبيرهم المسمى محمد آغا الجراح في نحو أربعين نفراً، وفر

(١) ذي جبلة: مدينة مشهورة جنوب غرب مدينة إب، أول من اختطها علي بن محمد الصليحي، وصارت جبلة عاصمة الدولة الصليحية في عهد الملكة السيدة بنت أحمد الصليحي والمشهورة بالملكة أروى.

(المقضي: المعجم، ج ١، ص ٢٨٥).

(٢) الشاحي: قرية في وادي الحار في مديرية عنس محافظة ذمار.

(المقضي: المعجم، ج ١، ص ٨٧٥).

الباقون إلى إب، وكاتب الأمير الحسين عسكر ذي جبلة، وكذلك الأمير كشك ومن في إب، وشكوا السيد الهادي ومن إليه أنهم كثرة ألفاف [/] قبائل ما يتحكمون لصاحب أمرهم وكذا من عدم نظام الأمر فراسلهم الأمير الحسين بن محمد سرّاً أنكم لا تسلمون إليهم حتى نصل، ثم تقدم وقد غلظ عسكره وقبض أموال العجم وصار ملكاً، فلما وصل إلى رباط المعائن أقام فيها وأمر السيد الهادي بالوصول إليه لتحصل المفاوضة في فتح ذي جبلة، فوصل بنحو الألفين من ألفاف المشارق فوقف لهم الأمير للسلام حتى وصل السيد الهادي وأمر بإدخاله الفسطاط^(١)، ثم أخذه إلى الحديد وانتهب ما معه وصاح الأمير في أصحابه أن من وجد أحداً من أصحاب السيد الهادي كان هدرأً، فنهبوا من وجدوا وطردهم، ثم أركب السيد الهادي على جمل على تلك الحالة ليرى أهل اليمن ما فعل ودخل ذي جبلة به على تلك الحال. ووصل من في جبلة وكانوا فوق الألف وعليهم أغوات وأعيان، ثم خرج من مدينة إب الأمير كشك ومن معه وكانوا فوق ألف وخمسمائة نفر أيضاً كذلك، وقد أرسل مولانا الحسن رضوان الله عليه الشيخ المجاهد جمال الدين علي بن شمسان الجبري^(٢) رحمه الله لقبض بيوت الأموال، وما هو للعجم فلم تطب نفس الأمير الحسين وقد عظم عند نفسه وعلى المعهود من كبر^(٣) أشراف الجوف، وكان في هذا الأمير وأهله زيادة، وأنه قبض ما في ذي جبلة لكونه الأكثر وترك للشيخ ما في إب وأخذ منه أيضاً، ولم يكن من مولانا الحسن رحمه الله مشاحة في ذلك، ولاظهر له ذكر.

ولما بلغ مولانا الحسن رحمه الله ما اتفق مع السيد الهادي أرسل السيد المجاهد عبد الله بن مهدي حيدرة الغرباني بنفاعه ولام الأمير الحسين، وكان حي الحاج المجاهد شمس الدين رحمه الله قد نزل قبل فتح كوكبان من عند مولانا الحسن رحمه الله لإصلاح الشيخ الرئيس عبد الله آغا السرحي صاحب سمارة^(٤)، وقد جرى بينه وبين الحدا حروب كثيرة، وقتل منهم كثيراً، وخاف وطلب وصول الحاج ليكون بنظره، ويأمن من الحدا لما قد سلف بينه وبينهم،

(١) الفسطاط: بيت من الشعر أي: الخيمة. (المنجد: ص ٥٨٣).

(٢) علي بن شمسان الجبري: كان وزيراً للحسن ومن المقربين إليه، وقد وردت سيرته وأخباره في فصول الدراسة.

(٣) هكذا وردت، والمقصود كبراء.

(٤) سمارة: قلعة في رأس جبل صيد وإليها ينسب نقييل سمارة.

(الحجري: المجموع، ج ٣، ص ٤٣١)

فكان هنالك حتى صلح الحال، ونزل الأمير الحسين، ووصل يعني الحاج ذمار [/] وَعَيَّرَ منكرات وأصلح أموراً فيها وهَمَّ بالخروج منها يريد مولانا الحسن رحمه الله، وبلغه قضية السيد الهادي فغضب وكتب فيما بلغنا إلى الأمير الحسين ولامه ثم إلى مولانا الحسن رحمه الله، ثم إلى الإمام - عليه السلام - ثم عاد يريد الأمير فبلغه إطلاق السيد الهادي، وأن الأمير المذكور جَيَّرَ^(١) ذلك بأن أعاد على السيد الهادي ما أخذوه وأضعفه له، واعتذر وأظهر خطأ من مولانا الحسن رحمه الله في شبهة من ذلك، فيه أن من لم يقف على الرأي فافعل ما يزرجه، وبقي السيد الهادي معه كما سيأتي إن شاء الله تعالى من تمام أخبار الأمير الحسين.

وأما المحطة التي كانت في رداع^(٢) مع أمير من العجم يسمى بازادة فإنه بقي فيها، وقد أعطى الشيخ مقبل بن أحمد القائفي وأصحابه، وثقلوا عن موالاة الإمام - عليه السلام - حتى بلغهم تسليم مدينة ذمار ويريح فتسلموا إلى الشيخ مقبل وأخذ ما معهم من الآلات، وقتل جماعة منهم وأسر آخرين.

وأخبرني بعض الترك الذين أخذهم أنه وقع في حصّة امرأة من البدو في حصن يسمى المعسال، فكانت تستخدم به في الماء وغيره، وأخبر أن غيره كان كذلك وأخذ ما معهم من الآلات والغنائم.

وأرسل مولانا الحسن رحمه الله إلى رداع السيد محمد بن عبد التواب ابن الإمام شرف الدين عادت بركاته، وصارت رداع وبلاد خبان^(٣) وما إليها للشيخ مقبل وقائفة حتى قبضها منهم مولانا الحسن رحمه الله كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

ووصل كتاب من الأمير الحسين بن محمد بن ناصر الحمزي الجوفي وهو في اليمن يلتمس من الإمام - عليه السلام - كتباً إلى من توسم فيهم نفعاً للمسلمين وعلى أيديهم إجابة غيرهم من رؤساء اليمن، وأنه أجاب بعض الأشراف الذين غمض الخوف والغربة أوليهم في طريقة

(١) في (ب): جَيَّرَ.

(٢) رداع: مدينة مشهورة جنوب شرق ذمار وهي ضمن محافظة البيضاء.

(الحجري: المجموع، ج ٢، ص ٣٥٩؛ المقحفي: المعجم، ج ١، ص ٦٨١).

(٣) خُبان: صقع معروف من ذي رعين جنوب شرق يريم يُعرف اليوم بمديرية الرضمة ومديرية السدة. (المقحفي: المعجم، ج ١، ص ٥٥٨).

التصوف، ولعلمهم من الأشراف آل أبا علوي^(١) وهم من ولد الحسين بن علي صلوات الله عليها ومن فرع موسى الكاظم^(٢) سلام الله عليه، وفهمت من جوابهم على الأمير المذكور كما حكاه الإمام عنه أنهم يعتقدون أن سلفهم كانوا كذلك ديناً واعتقاداً وجهلوا إنما ذلك لما قاسوه في أيامهم من القتل والتشريد، وقطع الإمام - عليه السلام - [/] [معذرتهم بقوله: فما تراه من الجواب على الأمير فإن اقترح أن يكون ذلك من كتب رأيه خلاف مذهب العترة - عليهم السلام - لوثوق السيد المذكور بهم وسوء ظنه في سلفه رضي الله عنهم التزمنا له هذا الشرط وبسطنا بعض البسط إن شاء الله.

قلت: ومجارة الإمام - عليه السلام - لمثل هذه الطائفة، ومثل مراسلته إلى الظالمين واللين لهم كما تراه في كتابه إلى الطاغية قانصوه وحيدر إنما ذلك لوجهين إن لم تكن وجوه:

الأول: البيان والحجة فإنهم لا يجدون له جواباً إلا السيف وليس هو جواب قرين وفي الخصام مبین، فمن أجاب إلى السيف فقد انقطعت حجته وظلت محجته، والنصر والدولة لمن يعز من يشاء ويذل من يشاء، وأهل الحق إنما هي إحدى الحسينيين وفيه تأدب بأدب الله: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْتِنَا﴾ [:].

ولهذا ترى في كتب الإمام - عليه السلام - إلى الملوك الطغام ما ظاهره التولية والقرب، وقد علقه بها لا تبلغه أفهامهم ولا تناله قواهم لما فيه من الألفاظ المحتملات.

الثاني: يدل على دهاء وبعد غور، وخصيصة لمن خصه الله وأمده بمواده اللطيفة وحكمته الباهرة الخفية أنه إذا جاراهم بما يراه وأنسهم بما ذكرناه، وقد رأوا من شدة إخوته وأصفيائه وأمرائه وأولياه، ما ملأ القلوب رعباً وصير صميمها هباء، أيسوا وطالت الفتنة وأورثت ضعفاء المسلمين المحنة وغير ذلك، وهذا جواب الإمام - عليه السلام - على الأمير المذكور:

(١) آل با علوي: من أشراف حضرموت.

(٢) موسى الكاظم بن جعفر الصادق، أبو الحسن، أحد عظماء الإسلام وسادات أهل البيت الزهاد العباد النساك. ولد في الأبراء قرب المدينة سنة ١٢٨ هـ / ٧٤٦ م. حبسه هارون الرشيد في البصرة سنة واحدة ثم نقله إلى بغداد، وقتل فيها مسموماً سنة ١٨٣ هـ / ٧٩٩ م. (الوجيه: معجم رجال الاعتبار وسلوة العارفين، ص ٤٣٤).

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى .

مطلع شمس الكمال، ونبوع معين المجد ومحمد الخلال، الأمير الأكرم الأجد الأفخم،
فرع الشجرة الزكية، وطراز العصاة العلوية، شرف الدين عمدة المجاهدين: الحسين بن
محمد بن ناصر حفظه الله تعالى حفظاً عاصماً عن الأسوى، وبلغه من مرضيه ما يجب
ويهوى، وأهدى إليه من السلام أشرفه، ومن الإكرام أزلفه، وبعد:

فإنه وصل كتابكم [/] الكريم، وخطابكم القويم، تذكرون أنكم أنفذتم الرسالة التي
أرسلناها إليكم لتبلغها إلى من رجونا أن يأخذ الله بناصيته إلى التوفيق، ويهديه إلى سواء
الطريق، وأنه قابلها بالقبول الكبير، والإجلال الجم الغفير، وأنكر كثيراً منها أعظم نكير،
وكان من الطائفة الأخرى السيد الذي اشتهر بالتبجيل (ونظر بعين التجليل)^(١) عند أهل
حضر موت زين العابدين بن عبد الله ابن الشيخ العيدروس^(٢)، وأنه وصل إليكم منه
الجواب الذي أرسلتموه إلينا وأوفدتموه علينا، فالجواب المذكور وقفنا عليه، وتأملناه ولاح
لنا من فصوله ومما قرره من أصوله أن السيد المذكور، لم يكن له من جودة التحقيق وصحة
النقل من الثقات ما يعتمد عليه؛ لأنه زرى^(٣) على سلفه الصالح قدس الله أرواحهم وقال
فيهم بغير يقين، وجعل أحوالهم فيما أثره عنهم عظيم، ولم يعلم أن قيام القائم منهم لموجب
شرعي وسكون الساكن منهم لمانع شرعي مع تلهفه على عدم الأعوان، واعتذاره إلى الله
بعدم القدرة على الحرب العوان، ثم عد السيد المذكور نفسه في الساكنين منهم متأسيماً
والقافين لهم مقتدياً، وليس المذكور من أولئك في غير ولا نفير، ولا قبيل ولا دبير، ولو
كشف الحقائق واستوضح الطرائق لعلم سبب تركهم قتال الظالمين ومناوذة الفاسقين،
فأعاده الله أن يكون ممن قال فيه أمير المؤمنين -عليه السلام- بعد أن ذكر حال العلماء

(١) ما بين القوسين: ليست في (ب).

(٢) زين العابدين بن عبد الله ابن الشيخ العيدروس: لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي.

(٣) هكذا وردت.

المهتدين ما لفظه: (وآخر قد تسمى عالماً وليس به فاقتبس جهائل من جهال، وأضاليل من ضلال، ونصب للناس أشراكاً من حبال غرور، وقول زور، قد حمل الكتاب على آرائه، وعطف الحق على أهوائه، يؤمل العظام ويهون كبير الجرائم، يقول أقف عند الشبهات، وفيها وقع، ويقول أعتزل الفتن وبينها اضطجع، لا يعرف باب الهدى فيتبعه، ولا باب العمى فيصد عنه). وقد صدر من الجواب عن السيد ما اقتضاه الحال على جهة الإيجاز والإجمال، فإن كان يؤنس من المذكور إنصاف وقبول للحق فيما عزا [/] إلى أولئك الأسلاف الذين هديهم أضواً من القمر في الأسداف، وأبهى من الجواهر في الأصداف، وسعنا له دائرة الإبانة ومن الله نستمد الاعانة، ونقلنا حقائق الأمور من مظانها معلومة صحة برهانها، وإن اقترح أن يكون ذلك من كتب من رأيه خلاف مذهب العترة - عليهم السلام - لوقوف السيد المذكور بهم وسوء ظنه في سلفه رضي الله عنهم التزمنا له هذا الشرط وبسطنا بعض البسط إن شاء الله تعالى والحق ما شهدت به الأعداء. انتهى.

وأما أخبار عدن ولحج ونواحيها، فإنه كان في بندر عدن وال، وفي لحج وال ومعهما عسكر كثير، وكان الأمير عبد القادر بن محمد^(١) صاحب أبين^(٢) وآبأؤه من ملوك اليمن لهم عوائد من عدن وعليهم طرقات يحفظونها، فكان حيدر باشا قطعهم شيئاً مما يعتادونه، وطلبهم ما لا يعتادونه، وطلب من الأمير عبد القادر الوصول إليه إلى صنعاء، ولم يعتد ذلك ممن سبق قبله ممن ولي اليمن وأطلععه رسوله إلى جانب قعطبة^(٣)، وبلغه خروج الإمام - عليه السلام - فعاد بلاده، ولما بلغه الظهور وفتح كوكبان بعث إلى مولانا الحسن يطلب من يصل إليه يستخلفه على القيام مع الإمام، وجمع جموعه وأخذ عدن ثم لحج وظهر سلطانه في تلك

(١) الأمير عبد القادر بن محمد: وردت له أخبار في الدراسة.

(٢) أْبِين: صنع في الأطراف الشرقية لمدينة عدن، وهي محافظة واسعة وعاصمة المحافظة زنجبار، وتشمل العديد من القرى والمدن والوديان الخصبة التي تزرع مختلف المحاصيل الزراعية.

(المقضي: المعجم، ج ١، ص ٢١).

(٣) قَعْطَبَة: مدينة جنوب شرق يريم، وتتبع حالياً محافظة الضالع.

(المقضي: المعجم، ج ٢، ص ١٢٨٧).

النواحي، وضرب السكة وانتشر ذكره وضرب به المثل، وكان يروى فيه محبة صادقة للإمام - عليه السلام- وفي الأشراف عموماً، وفيه نزاهة مما أهله عليه، ووضع قاعدة لمولانا الحسن رحمه الله لم يتخلف عنها، وكان يأتيه رسول مولانا الحسن كل عام للحصنة من البندر، ويعين بالأموال والخيل كما سيأتي في أخبار حصار تعز والمخا وزبيد إن شاء الله تعالى.

وكان السفير إليه السيد الفاضل عز الدين محمد بن حميد الدين بن عاهم من المدائر، وكان هذا السيد من أهل الكمال فأحسن دعاه وعرفه الصواب.

فصل

ولنرجع إلى حصار صنعاء وحروبها [/] وما اتفق فيها من الحوادث ذكرنا أول حرب ومن استشهد فيه.

ذكر الحرب الكبير الذي استشهد فيه الشيخ الفاضل جمال الدين علي بن عبد الله الطير ومن معه رحمهم الله تعالى

ولما كان أول شهر رمضان سنة ست وثلاثين وألف^(١) خرج الباشا إلى باب اليمن وقدم خيله، وصف رجاله قريباً من الباب، فلما وصل أولهم ماجل الحفا قريباً من حدة، ركب مولانا الحسن رحمه الله وجمع عسكره، وكانت خيله قليلة ما تجاوز الأربعين، وخرج ضبر حدين^(٢) ثم حازة نغم^(٣)، فانكفأ العجم إلى الباب، وقد خرج مولانا الحسين رحمه الله كذلك بعسكره إلى ماجل الحفا، وخرج معه الأمير عبد الرب وأصحابه أهل كوكبان، وصاروا مركزاً عظيماً، وخرج الأمير سنبل بمن معه كذلك، وكانوا في جانب الحفا وفج

(١) رمضان ١٠٣٦هـ = مايو ١٦٢٦م.

(٢) ضبر حدين: هو الجبل الواقع أعلى دار الرئاسة جنوب صنعاء، ويقال له: النهدين.

(المقضي: المعجم، ج ١، ص ٩٣٨).

(٣) حازة نغم: هو الجبل المطل على مدينة صنعاء.

عطان^(١)، وقد أمر مولانا الحسن رحمه الله من في نقم بالحرب على القصر^(٢) فاستقام حرب عظيم في المقابر التي تلي وهب، وقتل من الفريقين جماعة، وكادت جنود الحق تهزمهم إلى الباب، وخرجت خيلهم إلى الماغل المسمى ماجل ذنب الدمة^(٣)، وتوجهوا على مولانا الحسين رحمه الله إلى الماغل، فلما رأهم مولانا الحسن رحمه الله خاف على أخيه ومن معه ولم قد يثق بنصيحة الأمراء الذين عنده وأصحابهم، فترك على الحرب الشيخ المجاهد علي بن عبد الله الطير رحمه الله، وعارضهم من طريق ضبر حدين، فلما رأوه في القاع في جماعة يسيرة قصدوه ولا يعرفونه، فدخل فيهم وأرسل لصنوه الحسين يمدده، فأحاطوا به، وقاتل عن نفسه ومن معه قتالاً شديداً ولا يعرفونه فإنه تحت المغفر والحديد^(٤)، فوصل صنوه الحسين وكان أمر ليس بالهزل وغطاهم العجاج وظن من رأهم أن لا يخرج منهم أحد، فتأخر فرسانها ولقي شدة ومن معها من الرجالة يدافعون ويدافعان عنهم حتى خرجوا من بينهم إلى جانب بيت زبطان^(٥) وتعلق رجال مولانا [/] الحسن رحمه الله ضبر حدين، وقد أبلوا بلاءً حسناً وقتل منهم جماعة، ولولا دفاع الله سبحانه والحسنان رحمهما الله تعالى، فإن فرسان العجم كانوا قطعوا مولانا الحسين رحمه الله وقد غاص بهم وأظهر نفسه ووقع فيه صوائب لم يصبه منها مكروه، واحتوشته فرسانهم فعاد عليهم مولانا الحسن رحمه الله وأزاحهم عنه، وطعن فيهم حتى خرج مولانا الحسين رحمه الله ثم أحاطوا بالحسن رحمه الله، فعاد عليه الحسين، فكان ذلك دأبها حتى شغلهم عن من معها من الرجالة فلم يُقتل ممن بين أيديهما، إلا القليل ثم لحق بأصحابها، فلحق أحد فرسان العجم مولانا الحسن رحمه الله، فزجه بالرمح فلم يقدر على أخذه في الانهزام فعاد إلى السيف، وضرب ذلك الفارس فقطه نصفين، وأخذ سلاحه ورمحه ودفع الحصان إلى السيد شرف الدين بن مطهر بن عبد الرحمن وهو من رجالتهم. ثم أقحم العجم خيلهم بعدهما فقل طمعهم في مولانا الحسين رحمه الله فإن تحته

(١) فيج عَطَان: الفج الفتحة التي بين الجبلين وهو جبل عطان غرب مدينة صنعاء وقد شقته الطرق الحديثة اليوم وهو طريق الجسر المختصر إلى حدة.

(٢) القصر: المقصود به القصر الذي يقع تحت جبل نقم ويطلق عليه قصر السلاح.

(٣) ماجل الدمة: منطقة جنوب باب اليمن.

(٤) تحت المغفر والحديد: يبدو أنه كان يلبس قناعاً حديدياً يقيه الضربات والرصاص.

(٥) بيت زبطان: قرية جنوب غرب صنعاء.

الحصان الأدهم المعروف وكان منظوراً بهياً كبيراً، وطمعوا في مولانا الحسن رحمه الله وتحتة حصانه الأشقر المشهور وهو أصغر في العين من الأدهم بكثير، فلحقه فرسانهم وهو ينحى رماحهم عن ظهره بالسيف.

قال رحمه الله مما سمعته منه: وقد ذكر كرام الخيل أني لم أعرف ما بين يدي الحصان مع هذه الهزيمة لاشتغالي بدفاعهم عن ظهري، فرأيتهم وقفوا عني وإذا بيني وبينهم بير^(١) وقد جاوزها حصاني وقصرت خيلهم.

وأما الشيخ جمال الدين علي بن عبد الله الطير رحمه الله فإنه أصيب فحمله أصحابه وتعلقوا به نغم، وانهمز العسكر الذين معه إلى نغم، وقتل منهم جماعة منهم السيد الفاضل العالم الحسن بن داود القطابري، واحتز رأسه وغيره، ثم عادت خيل العجم والرجالة إلى المركز الذي فيه الأمير عبد الرب والأمير سنبل فهزموهما بعد أن دافعوا كثيراً، وقتل جماعة من أصحابهما، وأصيب حصان الأمير سنبل، وأطلعوهم جبل الحفا فركب الأمير سنبل حصاناً آخر فنجا.

قال الأمير المذكور: وذكر كرم حصانه [/] أنه أحيط به في الجبل ولا موضع للحصان، فرأيت صخرة أسفل الجبل تسع الحصان إذا قام عليها فاقحمته فوقع عليها قائماً، ووثب منها إلى الأرض ونجا وهزم الناس إلى حدة. وقتل الشيخ المجاهد هادي بن ذياب الزغافي، ونحو أربعين نفرًا من أصحاب مولانا الحسين رحمه الله، فإنهم فشلوا حيث لم يكن معهم صاحب أمرهم، وقتل من غيرهم كثير، وكانت قضية هائلة وهم من في المحطة بمفارقتها والطلوع جبل حضور، فوصل الحسنان رحمة الله عليهما فاجتمع إليهما الناس ورأوهما يضحكان ويتحدثان كما أخبرني من سمعها وهما يخلعان درعيهما ويقولان: هذا يوم بيننا وبين هؤلاء الكلاب، وهما كما قال كعب بن زهير^(٢) رحمه الله:

(١) بير: بئر ماء.

(٢) كعب بن زهير بن أبي سلمى المازني، أبو المضراب: شاعر عالي الطبقة، من أهل نجد (له ديوان شعر)، كان ممن اشتهر في الجاهلية، ولما ظهر في الإسلام هجا النبي ﷺ وشبب بنساء المسلمين، فهدر النبي دمه، فجاءه كعب مستأماً وقد أسلم، وأنشده لاميته المشهورة، فغفا عنه النبي ﷺ وخلع عليه برده، وهو من أعرق الناس في الشعر أبوه زهير بن أبي سلمى. (الزركلي: الأعلام، مجلد ٥، ص ٢٢٦).

لا يفرحون إذا نالت رماحهم

قوماً وليسوا مجازيع إذا نيلوا

ثم أمر بالشهداء فصلى عليهم مولانا الحسن رحمه الله تعالى، وأمر بدفنهم، وكذلك الشيخ الشهيد الفاضل علي بن عبد الله الطير رحمه الله صلى عليه ودفنه وعقر عليه العقائر، ثم أرسل إلى مولانا صفي الدين أحمد ابن أمير المؤمنين حفظه الله، أن يرسل الشيخ المنتصر بن عبد الله الطير، وكان عنده فوصل، ولما وصل خلع عليه وضم إليه عسكر أخيه وأقامه مقامه، وجعل إليه ما كان إلى أخيه، ثم إن صنعاء ومن فيها خرجوا إلى الروضة بعدها ودخلوا بعض بيوتها، فوصلت الغارات من بلاد بني الحارث وما إليها، فهزموهم وقتلوا من العجم كثيراً واحتزوا رؤوساً، ثم عاد العجم صنعاء. وكان مولانا الحسن رحمه الله جعل في نغم رتبة وعندهم زبارط فينظرون الخيل في صنعاء فإن يخرج الروضة ضربوا واحداً وإن خرجوا باب اليمن ضربوا باثنين^(١)، فما يسمع أهل المراتب المقابلة للباب إلا وتأهبوا، فكانت الخرجات إلى حدة لا تزال في الأسبوع مرة أو مرتين، والحرب سجال وفي الروضة كذلك، ولا يزال الحرب والقتل من الفريقين في رمضان وشوال والقعدة والحجة، وفيها قضايا مهيلة، والقتل لا يزال في كل موضع من الجهات الأربع، وفي بعض حروب حدة أسر النقيب صالح بن نهشل سعدان، وعفا عنه [/] الباشا وقال: أسروك ثم أسرنك وأقامه على عادته.

وفيها حرب جدر^(٢) وذلك، أن الترك قصدوه وكادوا يأخذونه وقتل من أهله جماعة، ووصلت الغارات من كل جهة، وكانت خيل صنعاء تقرب من ذي مرمر^(٣) ويهزمها جنود الحق إلى صنعاء.

وفيها قضايا منها قضية تالي آغا وكان من فرسانهم المشاهير، فإنه دخل الرحبة^(٤) ولقيه

(١) في (ب): بائنتين.

(٢) جَدْرُ: قرية في بني الحارث بالأطراف الشمالية من صنعاء فيما بينها وبين الروضة، وهي ثلاث قرى: جدر السفلى، جدر العليا، وكولة جدر. (المقحفني: المعجم، ج ١، ص ٢٩٩).

(٣) ذي مَرْمَر: حصن تاريخي شهير في وادي السر من مديرية بني حشيش.

(المقحفني: المعجم، ج ٢، ص ١٤٩٤).

(٤) الرَّحْبَةُ: هناك مناطق عديدة في اليمن تحمل تسمية رحبة من رحابة أرضها واتساعها.

رجل من بني الحارث يسمى قطران الخدمة، قل مثله في الخفة، فقتلوا جماعة من أصحابه، وأخذوا فرسه ونجا على بغلة قل مثلها، ولحقه هذا قطران فطعنه وهو في حال العدو وأخذ عليه بندقاً بلغ ثمنها مائتي حرف وعاش من الطعنة، ثم إن شرار العرب طمعوا في مال العجم فجلبوا لهم الحبوب في الليل، وكان مولانا الحسن ومولانا الحسين رحمهما الله تعالى يجعلان حرساً في الطرقات فقد يظفرون بجماعة ويقتلون منهم، فلا يمضي الأسبوع إلا ويقتل مولانا الحسن جماعة من أهل الإمداد إلى صنعاء والعقوبات إلى جميع الجهات، وكان كثيرها من جهة الحيمة وحضور وبلاد همدان.

وفيهما قتل جماعة من أصحاب مولانا الحسن رحمه الله في غيل عصر^(١) كانوا هنالك أغارت عليهم خيل من بستان صنعاء فأخذتهم واحتزوا رؤوسهم.

وفيهما خرج مولانا الحسن رحمه الله إلى جانب عصر، وكانت طريقه فج عطان، فخرج جماعة من فرسان كوكبان والشريف علي الدالي صاحب المشرعة طريق ماجل الحفا، فأغارت عليهم خيل كانت مقابلة لهم من خيل صنعاء فلم يثبت لهم أهل كوكبان، وفروا إلى الجبل وتركوا خيلهم، فساقها العجم وقتلوا جماعة منهم والشريف الدالي واحتزوا رأسه مع غيره فلم يكدر يركن عليهم بعدها مولانا الحسن رحمه الله تعالى.

وفيهما خرج مولانا الحسن رحمه الله إلى ريمة ابن حميد^(٢) وعاد ما بين بيت بوس^(٣) وضبر

والمقصود هنا رحبة صنعاء: وهي قاع فسيح يمتد من شمال صنعاء حتى قرية أرحب، وهي من حقول اليمن المشهورة بزراعة الأعناب، ويقال بأنها كانت غابة كثيفة الأشجار والأغصان في عهد الملك سيف بن ذي يزن. (المقحفني: المعجم، ج ١، ص ٦٧٧).

(١) غيل عصر: جبل في الطرف الغربي من مدينة صنعاء يتخلله وادٍ خصيب فيه الفواكه من البرقوق والتين الشوكي، وتحت جبل عصر من الجهة الشرقية قرينا عصر السفلى والعليا وقد اتصل بناياتها بمدينة صنعاء.

(المقحفني: المعجم، ج ٢، ص ١٠٧٦).

والغيل في هذه المنطقة كانت من الغيول السائلة لكنه حالياً لم يعد له وجود.

(٢) رَيْمَة ابن حميد: من قرى سنحان بالغرب من صنعاء جنوباً.

(المقحفني: المعجم، ج ١، ص ٧٢٤).

(٣) بيت بوس: تقع في الطرف الغربي لمدينة صنعاء تحت جبل عيبان.

(المقحفني: المعجم، ج ١، ص ٢٠٤).

حدين، واستقامت لهم خيل من العجم قليلة وقد حصل رذاذ مطر تفرق الناس من حوله فحملت عليه خيل العجم فاستقام لهم، وقد عرفوه فهابوه وقتلوا ممن خلفه ممن فر عنه ثم رمي من عنده ببنادق [/] فارسين فقتلوهما وعادوا منهزمين، وكان فيمن قتلوا الشيخ حسين بن ناصر بن راجح وشريفاً من مكة يسمى حسين بن راجح أيضاً، وكان مولانا الحسين رحمه الله طلع بمحطة إلى بيت عذران^(١) من أعلى عصر فكان لذلك موقع وقل طمعهم في حدة، فإنه كان إذا خرجوا للحرب حدة قطعهم من عطان، وهان على أهل حدة أمرهم، وكان مولانا الحسن رحمه الله في بيت الذيبة من أسفل حدة لم يكن بينه وبين صنعاء بيت إلا رتبة تقدمهم في كل ليلة إلى البستان القريب من الحفا ومحطته وأسواقها أعلى منه فهو في حكم السور عليهم.

وله في هذه المحطة مقامات تشهد له بالشجاعة والثبات، وكان العجم قد جعلوا في سمسرة وهب أميراً وخيلاً، وفي البستان في السبحة كذلك وفي قرية الدجاج من باب شعوب كذلك، فيأتي إليهم الأشرار كما تقدم في الليل بالحبوب وغيرها على سبيل المخاطرة ويصبحون الصبح يدخلون سوق صنعاء بما وصلهم، ويقوم أولئك الأشرار عندهم إلى الليلة الأخرى ويخرج معهم الخيل إلى مأماتهم، وقد وصل غيرهم وأعظمه من بلاد همدان ومن جده مولانا الحسين منهم ربما يقتله وربما يرسل به إلى مولانا الحسن رحمه الله فيقتله، ومن علموه خرج من صنعاء جعلوا عليه آداباً بقدر ما خرج به وزيادة، فكان همدان، بعدها يتركون أهل الآداب ويذهبون إلى صنعاء ويسلمون ما عليهم منها، وعظم الأمر وطمع الباشا من جهة همدان وجانب الحيمة، وكان القاضي يحيى المخلافي في علمان فاتهم أنه غير محترس واتهم أيضاً أنه مكاتب.

وكان في بلاد همدان الأمير جعفر الداعي ومعه فرسان من العجم ممن صار إلى الإمام - عليه السلام - على أنه رتبة، فلما كثر على قبائله القتل والآداب وعرف أنه قد اتهم بموالاته العجم فانسحل إلى صنعاء وصار معهم.

(١) بيت عذران: قرية في بني مطر غرب مدينة صنعاء. (المقضي: المعجم، ج ٢، ص ١٠٣٣).

ذكر خروج الترك إلى بلاد همدان

ثم استدعى محطة مع الأمير حسن كور وكان من عظمائهم فأجابه همدان إلا القليل من أصحاب الأمير إبراهيم، ودخل العجم مع همدان [/] إلى وادي ضهر وإلى الحمرا من بلاد الحشب وإلى ضروان^(١) (من وادعة وبني مكرم)^(٢).

(وخاف مولانا الحسن رحمه الله على الروضة)^(٣) وقد جالت الخيل حولها وأخذت المواد إليها من ورائها، ونجم مع ذلك أوائل أخبار اليمن التي سيأتي إن شاء الله تعالى.

وعظم الأمر وكان في الوقت شدة وغلاء، فهمّ مولانا الحسن رحمه الله أن يرسل محطة أعلى جبل نقم لتشغل صنعاء بالحرب عليها كل يوم فلم يقدر على تحصيل ما يقوم بهم، وقد فكر في ذلك طويلاً وأنا حاضر لأننا طلعنا إليه -سلام الله عليه- في ليالي العيد كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

ذكر دخول الجراف

ثم إنه رحمه الله استعان الله سبحانه وتعالى وجعل في حدة الأمير عبد الرب بن علي بن شمس الدين وجماعة من الرؤساء من أصحابه الكرام، وأخذ المختار من قومه أهل حرب الذراع، وتقدم إلى بيت عذران وكان هو أولهم كما أخبرني من شهد ذلك، ووصل إلى مولانا الحسين رحمه الله وتعشى عنده وجمع أصحاب مولانا الحسين رحمه الله سبياً أهل الحيمة، وكان قد كثرت فيهم القالات وازدادت التهمة في القاضي يحيى كما أخبرني مولانا الحسن من فيه قال: قلت للسنو الحسين اجمع لي كبار أهل الحيمة، فلما حصلوا قلت لهم وقلت لهم: بما يطول من ذكر سوابقهم وجهادهم، وما هم عليه حالها من الثاقل.

قال: فاعترفوا واستحيوا وأشاروا أن ذلك من كبرائهم، ثم قلنا: تأهبوا وقد أظهرنا لهم ولغيرهم أننا نقصد بلاد همدان، ولما اختصرنا المجلس وبقي جماعة منهم القاضي يحيى

(١) ضَرَوَان: قرية وواد في بني مكرم من مديرية همدان صنعاء، شمال غرب صنعاء بجوار جبل ضين. (المقحفى: المعجم، ج ١، ص ٩٤٥).

(٢) ما بين القوسين: ليست في (ب).

(٣) ما بين القوسين: ليست في (ب).

واستشرناهم عموماً والقصد أن يكون الجواب من القاضي يحيى فإن يشتر بالتأخير وعدم النصيحة فقد صح كل ما نقل عنه، وقد دركنا من يضرب عنقه في ذلك المجلس، فكان أول من أجاب القاضي المذكور وقال ما معناه: « أن لا عطر بعد عروس ولا نجبا بعد بوس »^(١) إن تكن عزيمة حسنية علوية فما نقطع صنعاء ومن في همدان إلا دخول الجراف، والمقاربة لباب صنعاء فينقطع هؤلاء وهؤلاء.

قال: فعرفت نصيحته وحملنا أمره [/] على السلامة غير أنه قال: فيكون لقابلة^(٢).

قال: فقلت: بل هذه الساعة إن شاء الله تعالى، وتوجهنا من طريق ضلع، وأنا ألتفت لأهل الحيمة، ثم تقدمت المحاط الإمامية إلى الجراف فوصلوا قريباً من نصف الليل ورتبهم في البيوت، فجعل السيد العلامة صلاح بن أحمد بن المهدي المؤيدي رحمه الله في بيت الأمير علي بن الشويح، وكان قبلها في ذهبان^(٣)، والقاضي يحيى بن أحمد المخلافي وأصحابه في بيت وكذا غيرهم، منهم السيد الفاضل عبد الله بن محمد الشرفي، والشيخ المجاهد المنتصر بن عبد الله الطير، والسيد عماد الدين يحيى بن لطف الباري، والسيد شرف الدين بن المطهر بن عبد الرحمن وغيرهم من العيون، ولما أكمل الرتب في بيوت الجراف عاد إلى الروضة وفيها رتبها من خولان الشام مع السيد العلامة عز الدين محمد بن أحمد ابن أمير المؤمنين رحمه الله، وبني الحارث، وبني حشيش وغيرهم من المجاهدين ومولانا الحسين رحمه الله رجع إلى ذهبان.

ولما أصبح الصباح وبلغ الباشا دخول الجراف بعد طلوع الشمس أرسل طليعة فصح له ذلك فخرجوا من صنعاء بقضهم وقضيضهم^(٤) حتى قابلوا الجراف ثم فرقوا راياتهم ولا هموا المجاهدين الحرب، وكادوا يدخلون عليهم البيوت، وقد أمرهم مولانا الحسن بلزم

(١) مثال ورد في: الميداني: مجمع الأمثال، ج٢، ص٢١١.

(٢) القابلة: الليلة المقبلة.

(٣) ابن منظور: لسان العرب، ج١١، ص١٩.

(٤) ذهبان: قرية في مديرية بني الحارث شمال صنعاء ما بين ثقبان والجراف، وقد طغى عليها العمران واتصلت بصنعاء. (المحففي: المعجم، ج١، ص٦٥٣).

(٤) بقضهم وقضيضهم: جاء القوم بقضهم وقضيضهم: والقضض الحصى الصغيرة.

(ابن منظور: لسان العرب، ج١١، ص٢٠٥).

البيوت حتى يأتيهم رأيه، ثم سرحوا خيلهم حتى قطعت ما بين الجراف والروضة، وخرج مولانا الحسن رحمه الله بالخيال وقد عبأ من عنده، فلا زالوا بالخيال حتى هزموهم وتلازم الحرب الشديد، ووصل مولانا الحسين رحمه الله فهزموهم بعد الملاحمة الشديدة، وقتل من الفريقين جماعة وافرة أكثرهم من الظالمين، ولما أغرقوا في القاع مما يتصل بصنعاء استقاموا وأرادوا معاودة القتال فلم يقدرُوا عليه فرجعوا صنعاء.

وأما الأمير حسن والداعي ومن معها في همدان فإن همدان نصحوا معهم فطلعت رايات مولانا أحمد ابن أمير المؤمنين أطال الله بقاءه من أعلى ضروان، وأرسل مولانا الحسن رحمه الله الحاج الفاضل شمس الدين أحمد بن عواض، [/] والسيد الفاضل أحمد بن الهادي بن هارون الهادوي إلى بني الحارث، فاجتمعوا لهم وفتحوا الحرب على الجاهلية^(١) ولم يقدرُوا عليهم.

وفي اليوم الثاني دخل بنو الحارث بيتين خارج الجاهلية، وقتلوا أهلها^(٢) واحتزوا رؤوسهم، وأرسلوا جماعة أسرى إلى مولانا الحسن رحمه الله، فأمر بضرب أعناقهم، وتقدم السيد العلامة علي بن إبراهيم الحيداني إلى الحمراء وفتح الحرب على همدان من ذلك الجانب. ثم إن الأمير إبراهيم الداعي تقدم صحبة السيد العلامة أحمد بن علي الشامي إلى طيبة^(٣) فأخذوها، وخرج الأمير جعفر منها هارباً وقطع جماعة من أصحابه واستأنوا إلى الأمير إبراهيم.

وفي اليوم الثاني تقدم الحاج شمس الدين ومن معه للحرب وقد سقط في أيدي همدان، فأرسلوا إلى مولانا أحمد (بن أمير المؤمنين)^(٤)، وطلبوا منه الأمان، فأرسل الشيخ محمد الصعر العمراني إلى الجاهلية وإلى غيرها محطة وتقدم إلى ضروان، فوقع في نفوس بني الحارث

(١) الجاهلية: قرية في بلاد همدان شمال صنعاء وبمسافة ٢٠ كيلو متراً.

(المقحفني: المعجم، ج ١، ص ٢٧٥).

(٢) في (ب): أهلها، وقد تكون الأصح.

(٣) طَيْبَة: قرية مطلة على قرية القابل من جهة الغربية في وادي زهر، وهي منطقة حصينة وفيها قلاع وحصون، وكان اسمها القديم: جبل دروم.

(المقحفني: المعجم، ج ١، ص ٩٦٨؛ الحجري: المجموع، ج ٢، ص ٥٦٠).

(٤) ما بين القوسين: ليست في (ب).

من سلامة البلد من الخراب، وقد قتل من بني الحارث عليها أنفار وهم رأس الباطنية^(١) وعسر عليهم الحرب لأصحاب مولانا أحمد فالتزم لهم الحاج شمس الدين خرابها ووفى لهم بذلك كما سيأتي قريباً إن شاء الله تعالى.

وعاد أمير العجم بنخيله ورجالته إلى العرة^(٢)، وخرج مولانا الحسين رحمه الله إلى جدر فحال بينهم وبين الجراف، وطمع العجم في رجوع أصحابهم صنعاء، فعادوا الحرب على الجراف كل يوم، وطمعوا في إخراج أصحاب الإمام - عليه السلام - من الجراف، ولما يئسوا طمعوا أن يخرجوا أصحابهم الذين في همدان.

فلما كان اليوم الثالث راسل هذا الأمير إلى مولانا الحسين رحمه الله وهو في جدر كما تقدم، بأنه يخرج إليه وطلب منه الأمان وكان إذ ذاك وقت غروب الشمس، وكان الموعد لخروجهم الصبح ولا علم لمولانا الحسين ولا لمولانا الحسن، أن تمَّ طريقاً لهم غير التي بين أيديهم، فلما كان الليل خرج هذا الأمير ومن معه طريق الرحبة مواضع بعيدة من الحي وخرجوا إلى طريق ذي مرمر ثم طلَعوا من أعلى الحشيشية^(٣) [/] ودخلوا صنعاء، وقد تقطع منهم جماعة فاستأمنوا إلى مولانا الحسين رحمه الله، وكان مع الأمير المذكور أنقال على جملين فلم يدرك الجمال الخيل، فلم يشعر مولانا الحسن رحمه الله إلا وهي في الباب بما عليها وأخبره بخروجهم، فأسف وعرف أنهم خدعوا مولانا الحسين رحمه الله، ثم عادت المراتب على حصار صنعاء وقد يئسوا من الجراف، وخرجوا بعدها إلى حدة وفيها الأمير عبد الرب وأعيان من أصحاب مولانا الحسن رحمه الله، وعادوا لم ينالوا خيراً، واشتد عليهم الحصار وغلا الطعام حتى بلغ القدح عشرة حروف وأكثر، والرأس البقر خمسين حرفاً وأكثر، وقد قسم الباشا الآبار والبساتين في صنعاء وجعلها قصباً وشعيراً وكانت خيلهم صحيحة لذلك.

(١) الباطنية: هم الإسماعيلية ومن مذهبهم أن من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية. ولهم دعوة في كل زمان، ومقالة جديدة بكل لسان، وأشهر ألقابهم الباطنية، وإنما لزمهم هذا اللقب لحكمهم بأن لكل ظاهر باطناً ولكل تنزيل تأويلاً، ولهم ألقاب كثيرة فيسمون الباطنية والقرامطة والمزدكية والتعليمية، وهم يقولون عن أنفسهم الإسماعيلية لتمييزهم عن فرق الشيعة. (الشهرستاني: الملل والنحل، ص ١٩١).

(٢) في (ب): العر.

(٣) الحشيشية: قرية في شمال شرق صنعاء وقد امتد العمران إليها الآن.

فصل

وقد تقدم دخول الأمير الحسين ذي جبلة وما اجتمع إليه من العسكر وأنه قبض خزائن السلطنة، ثم صادر التجار.

يروى أنه عاقب أحدهم باثنين وسبعين ألفاً، وأساء السيرة وصادر آغا من كبراء العجم الذين في أمانه وضربه حتى مات، ثم هرب محمد آغا المذكور في حرب يريم إلى تعز، ثم كشك بيه وخافوه، ثم إنه أرسل جمهور العسكر مع ولده الأمير طالب، والأمير وهاس بن حفظ الله وهو ابن عمه، والسيد الهادي بن علي رحمه الله حتى دخلوا ثعبات^(١) من أسفل صبر^(٢)، واستقروا هنالك، وقد ولي على البلاد. وكان في تعز آغا من العجم يسمى علي من عظمائهم وذوي تدبيرهم، فإنه جمع عسكره، ولما وصل إليه محمد آغا صاحب يريم ضرب عنقه على المدفع الكبير وقال: هذا جزاء من يسلم إلى عدوه، يريد في يريم وربما خاف أن يعارضه في أمره.

ذكر الواقعة في ثعبات

ولما استقر الأمير طالب ومن معه في ثعبات طمع كما بلغ في شيء من سلاح العسكر وأهمل حقوقهم، فكاتبوا إلى صاحب تعز فوعدهم وجرى بينه وبينهم موعد أنهم إذا تقابلوا للحرب عاد العسكر إليه، فلما تقابلت الرايات وكاد عسكر الأمير حسين أن يهزموا أولئك، فالتقوا وتصافحوا وعادوا على من بقي من أصحاب الأمير فقتلوا [/] من قدروا عليه وانتهبوا المحطة، وقتل الأمير وهاس وجماعة من الأشراف، وتقطعوا في الطرقات، وربما قتل

(١) ثَعْبَات: منطقة أعلى مدينة تعز من الناحية الشرقية في جبل صبر، وأصبحت اليوم جزءاً من مدينة تعز بعد اتصال العمران بالمناطق المعروفة باسم، الحبييل، الجحملية، ثعبات، وصالة.

(المقحفي: المعجم، ج ١، ص ٢٥٦).

(٢) جبل صبر: جبل مشهور تقع تعز على سفح منحدره الشمالي وهو جبل هرمي على ارتفاع ٣٠٠٠ متر من سطح البحر في أعلاه حصن العروس، وتغطي جوانبه المزارع التي تنتج مختلف أنواع الفواكه والبن والحبوب.

(المقحفي: المعجم، ج ١، ص ١٩٤).

منهم أهل اليمن لما رأوا منهم من سوء المعاملة مع بعضهم لدولة الحق، ولما انتهوا إلى بلاد القاعدة^(١) ونواحي ذي السفال وصلهم عسكر من عند الأمير الحسين، وأرسل مولانا الحسن رحمه الله الفقيه علي بن محمد الحماطي المتقدم في أخبار الحدا، وكتب معه إلى الحدا أنهم يمدون الأمير الحسين فوصلوا إليه ثم الشيخ المجاهد محمد بن صلاح البحش الأسدي، وكنت حاضراً وذلك قبل دخول الجراف، وقد قلت لمولانا الحسن رحمه الله يحتاط برتبة في سمارة فأمور الأمير الحسين ربما تنتقض لما يبلغ من عسفه وجوره، فأرسل أخرى عبد الله آغا الدقة المومري من بلاد مسور المتتاب، وكان رئيساً صادقاً في المحبة.

ولما استقرت مراتب الأمير الحسين تقدمت محطتان من تعز عليهما أعيان من عند صاحب تعز، فانهزم من كان عند ابن الأمير حسين ومال بعضهم إلى العجم، وكان الفقيه علي بن محمد الحماطي في موضع يعرف بدار ذمار من بلاد ذي السفال وعنده جماعة من عسكر الأمير حسين في بيت آخر، فلما وصلهم العدو صار أولئك منهم وأحربوه من جملتهم، وبقي في جماعة من الخلفاء منهم الشيخ حسن بن ناصر الوادعي والشيخ سعيد النصير السلامي الأنسي وجماعة، فاحتازوا يومين وخرجوا بأمان إلى تعز وبقوا في الأسر كما سيأتي، وقد انهزم أصحاب الأمير حسين إلى قريب من جبلة وكثر جند تعز بمن يصير إليهم من أصحاب الأمير حسين.

ذكر هزيمة الأمير حسين من ذي جبلة

ثم إنهم قصدوا الأمير الحسين إلى ذي جبلة وكان مفرقاً عسكره في بيوتها، فطلبهم في الليل وأظهر أنه يعد لهم أرزاقهم فوصله القليل وبعضهم لم يصله الداعي، ثم خرج قبل طلوع الفجر وقد أرسل للشيخ علي بن شمسان يلقاه إلى رباط المعائن، وكان في إب وقد تصايحت عليه قبائل اليمن ولازمه بعض العسكر بالحرب فاستقامت لهم خيله، وطردتهم حتى وصل

(١) القاعدة: جبل وبلد في الشرق الجنوبي لمدينة موزع غرب تعز.

(المقحفني: المعجم، ج ٢، ص ١٢٤٠؛ الحجري: المجموع، ج ٢، ص ٦٤٥).

قرية النقييل^(١) من سهارة، وتلقاه عبد الله الدقة من سهارة فشده وقال: لا تمض من موضعي هذا أو كما قال.

وأما الذين في جيلة وإب من أصحاب الإمام -عليه السلام- [/] فمنهم من صار مع الظلمة وأظهر نفسه بموالاتهم وصار من جملة أولئك العسكر الخائنين، ومنهم أمراض وضعفاء فقتلوا ولقد قتل سفهاء ذي جيلة جماعة.

ويروى أنهم كانوا يذبحونهم بالشُّرم، وكان ممن أسر الأشراف بنو الوزير نحو أربعة أنفار من كبارهم^(٢) وماتوا في السجن بالقاهرة.

ذكر نزول مولانا الحسن رحمه الله اليمن الأسفل

ولما بلغ مولانا الحسن أخبار الأمير الحسين عظم عليه وكبر لديه، وعرف أن ما بعدها إلا هزيمة الأمير المذكور ويتصل العجم بدمار، ثم يفرجون عن صنعاء، فأرسل لصنوه مولانا

(١) قرية النقييل: وهو نقييل سهارة وهو ما يعرف بنقييل الصيد بين مدينتي إب ويريم في منتهى حقل قتاب. (المتحفي: المعجم، ج ٢، ص ١٧٦٠).

(٢) [لم يخلص عن أسار القلعة غير السيد عز الدين محمد بن عبد الإله بن أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إبراهيم بسياق عجيب وهو أنه ما زال في مضيق الطابق الذي حبس فيه مع غيره من قرابته يكرر التلاوة والرواتب لرجاء الخلاص، فلم يلبث أن وصل إليه ولده علي بن محمد إلى محل الرسم في غير هينته المعروفة، وأوهم الأغا أنهم من الذين يصلون إلى القلعة لبيع ما يحتاجه أهلها وأهل الحبس من الأرزاق ونحوها، ثم أفهمه أني قد وصلت من أجلك وأعددت لك المركوب الفاره في المدينة فخذ فرصة من الأغا ثم انج بنفسك، وأنا في انتظارك في أسفل القلعة لصبح غد إن شاء الله أو كما قال.

ثم فارقه على ما بينها والسيد محمد رجع إلى ذلك المضيق، وكان الأغا ربما أمن جانبه فنأدى له بالخروج إلى باب الحبس أحياناً، ولما كان الوقت الذي واعد له ولده الخروج فيه أخذ عصاه وكان قد غلب عليه الضعف، ودخل في السن أخذ يشتد نحو طريق القلعة مبادراً حتى توسط طريقها فإذا بالأغا قد فطن به وتبعه وهو يكلمه بأنواع من التهديد ويعدده بالفتك به بعد العود به إلى بين أصحابه، فتحير السيد ولم يدر ما يعتذر به إلى الأغا، ثم رجع صحبته حتى بلغا إلى محل فيه صعوبة، فقال سيدي محمد: ليتقدم الأغا حتى يصعدني إليه. فتقدمه ليلفت ويأخذ بيده فاغتنمه سيدي محمد قبل أن يلتفت وغرز العصا في ظهره واعتمده به إلى جهة هواء القلعة، فكأنها اجتذبت الرياح أو طار بغير جناح، ولم يصل إلى الأرض إلا سرعاً وأكسار عظام، ثم انحدر سيدي محمد رحمه الله في مدرج القلعة حتى وافى ولده هناك، فأركبه ونجا به والحمد لله.

كتبه عبد الله بن علي بن محمد بن عبد الإله بن الوزير عفا الله عنه.

كتبت هذه الفقرة في حاشية الكتاب وهي متأخرة ويخط حديث ومغاير لخط ناسخ المخطوطة.

أحمد ابن أمير المؤمنين أطال الله بقاءه، فوصل إليه وكان في بلاد همدان كما تقدم، وأمره بالمقام مقامه في الروضة على حصار صنعاء وترك معه السيد الأفضل عز الدين محمد بن أحمد بن الإمام الحسن رحمه الله، وتواترت الأمداد من الإمام -عليه السلام- وقد بعث الرسائل إلى كل جهة عموماً يستنفرهم للجهاد، فمما كتبه إلى خولان الشام^(١) وغيرهم من بلاد صعدة ما هذا نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى.

كتابنا هذا لقبائلنا الكرام، وأنصارنا الفخام، حفاظ حق أهل بيت الرسول، وأعوان أبناء الوصي والبتول من بني فلان كافة، رعاهم الله تعالى ووقاهم وحاطهم وكفاهم، وأهدى إليهم شريف التسليم وزليف التكريم ورحمة الله وبركاته.

وبعد:

فإنكم رعاكم الله ممن منحه الله في الجهاد الحظ الأوفر، واختصه من النصرة لأئمة أهل البيت -عليهم السلام- بالنصيب الأكبر، والمقام الأشهر وورث ذلك الخلف عن السلف، وتلقاه الأبناء عن الآباء، وسيرت^(٢) بذكر آبائكم الأسفار، ولم يكن إمام من أهل البيت إلا و لخولان بن عامر في نصرته والجهاد في سبيل الله معه الأيام المشهودة، والمقامات المشهورة في السهل والجبل، والبعد والقرب حتى نهضوا مع حي الإمام [/].

وقرئت الرسائل في الأسواق والمحافل.

وكتب -عليه السلام- إلى مشائخ اليمن الأسفل^(٣) إلى عامتهم وخاصة منهم ما هذه

نسخته:

(١) المقصود بخولان الشام: المناطق والمدن والقبائل الشمالية التي في شمال صعدة.

(٢) في (ب): سيرته.

(٣) اليمن الأسفل: وهي المدن والأقاليم الوسطى والجنوبية من اليمن.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى .

الشيخ الجليل الأوحى النبيل، عمدة المشائخ الأماجد، وعين الرؤساء الأراشد، ذو المحبة الصادقة، والمودة الخالصة ضياء الدين....^(١) أصلح الله شأنه، ورفع قدره ومكانه، وأهدى إليه شريف السلام، وزليف الإكرام ورحمة الله وبركاته على الدوام، وبعد:

فقد عرفتم رعاكم الله تعالى بما كان من هذه الحيسة^(٢) الواقعة مع المجاهدين الذين كانوا على مأخوذ تعز التي اقتضته ترحمهم عن مراكزهم، وتحول الأمير شرف الدين الحسين بن محمد ومن لديه عن أماكنهم بمخالفة أولئك الظالمين لمن كان مقاتلاً لهم إلى ما وراءهم من البلاد، لا لقوة في الظالمين فقد رماهم الله تعالى بسهم البوار والانتقام، ولا لسبب من الجهات اليمينية، فقد عرف الجدد والاجتهاد في نكايه الظالمين من الخاص منهم والعام، وقيام المشائخ الكرام في الجهاد في سبيل الله أتم قيام، وإنما هذا أدب من الله وتمحيص وبلوى لما كان صدر من الأمير شرف الدين الحسين بن محمد من التسامح في الإرضاء لهم، الذي هو من أعظم أسباب التقوى والغفلة عن مظاهره من كان لهم من المجاهدين مقابلاً وبيزائهم منازل على تكرار الكتب منا إليه تحريضاً، وشحناً وتحريضاً، حين أحسننا منه بعض غفلة، وعلمنا أن الله سبحانه وتعالى لا يعذر عن أخذ الحذر من العدو وابتغائه في كثرة كان أو قلة، كيف وقد كرر في غير آية الأمر بل تابع في آية واحدة فرض أخذ الأسلحة والحذر في ثلاثة مواضع منها قال عز وجل لنبيه ﷺ: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ [/ وَأَسْلِحَتَهُمْ] وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أذى مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ

(١) بياض في (أ) و(ب).

(٢) الحيسة: الحيص الحيد عن الشيء؛ وحاص يحص، ما عنه محيص؛ ما عنه مهرب، وحاص حاد. (ابن منظور: لسان العرب، ج٣،

ص٤١٨).

تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ^ط وَخُذُوا حِذْرَكُمْ^ط إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِمًا ﴿١٠٠﴾ [:] .

حتى قال عز وجل: ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ^ط إِنْ تَكُونُوا تَأْمُونًا فَإِنَّهُمْ يَأْمُونُ كَمَا تَأْمُونُ^ط وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ^ط وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠١﴾ [:] .

فمن قرعت سمعه هذه الآية الكريمة وعلم أن الله سبحانه، لم يبح ترك الأسلحة والحذر عند صلاة ركعتين، أو عند أذى من مطر أو مرض لم يرخص لنفسه ساعة واحدة ولم تنم عينه بل لا تبرح لعدوه راصدة، ومن ترخص في ذلك من أهل الحق وغفل أدب بمثل هذا الأدب، ثم يعود عليه بالتوكل على الله عوائد نصره عز وجل، وكذلك قال الله تبارك وتعالى لأصحاب نبيه ﷺ: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَهُمُ النَّارُ^ط وَبئس مأوى الظالمين ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُونَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ^ط حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّا بَعَدَ مَا أَرْسَلْنَاكُمْ مَا نُحِبُّونَ^ط مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ^ط ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ^ط وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ^ط وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَانِكُمْ فَأَتَيْتُكُمُ غَمًّا بَعْدَ غَمٍّ لَكِيلًا تَخَزِنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَبَكُمْ^ط وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٠٤﴾ [: -] .

وقال عز وجل: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبْتَكُمْ^ط كَثُرْتُكُمْ^ط فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحَبَتْ^ط ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ ﴿١٠٥﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا^ط وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١٠٦﴾ [: -] .

نعم وقد عودنا الله من فضله في هؤلاء المخذولين في كل مقام، أن احتراكمهم عن مراكزهم واغترارهم ومطامعهم سبب النكال لهم إن شاء الله والانتقام.

فلما بلغنا ذلك ألزمتنا الصنوشرف الإسلام الحسن ابن أمير المؤمنين حفظه الله تعالى أن ينهض إن شاء الله تعالى إليهم بنفسه، وبالمجاهدين مستعيناً بالله مفوضاً إليه أمره، رافعاً إليه سره [/] وجهه، مستترلاً من عنده تبارك وتعالى فتحه ونصره ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٠٧﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا^ط مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ ﴿١٠٨﴾ [: -] .

فيجب منكم رعاكم الله تعالى أن تنهضوا للقاءه بمن لديكم من قبائلكم الأنجاد، وأهل الجد والاجتهاد، فهذه إن شاء الله تعالى ساعة الفرصة للقوم الظالمين، والنهضة التي تخلفهم بها أجناد الحق إن شاء الله إلى ما وراهم من تعز فالمخا فما حولها ليكونوا إن شاء الله لأرضهم وديارهم وأموالهم من الغانمين، فإنهم إن شاء الله تعالى لم تبق لهم ریح ولا أديم صحيح، وقد صاروا كما قال الله عز وجل: ﴿بِأْسِهِمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ [:] .

وكما قال عز وجل: ﴿وَالْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [:] .

وكل مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر يعلم وجوب هذه ويضيق فرض جلاده؛ لأنه أخذ على أيديهم من معاصي الله وذنب لهم عن الإفساد في دين الله، ودفع عن النفوس والأموال في عباد الله، ووجوب ذلك متفق عليه بين الأمة ومجمع عليه عند من يرجع إليه في كل مذهب من الأئمة، وكيف لا وقد قال ﷺ: «إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل أنه كان الرجل يلقي الرجل فيقول: يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك بما تلقاه، ثم يلقاه من الغد وهو على حاله فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض ثم قال: لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم إلى قوله فاسقون، ثم قال رسول الله ﷺ: كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهين عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق أطرا، ولتقصرنه على الحق قصرا، أو ليضربن الله قلوب بعضكم ببعض ثم لا ليلعنكم كما لعنهم»^(١) .

فكيف إذا كان جهاد هؤلاء مع أهل بيت رسول الله ﷺ الذين قال فيهم ﷺ: «مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف [/] عنها غرق وهوى»^(٢) .

وقال ﷺ في الجهاد معه والمحبة له: «ذخرت شفاعتي لثلاثة من أمتي: الضارب بسيفه بين

(١) سبق تخريج الحديث ورواته.

(٢) سبق تخريج الحديث.

أيدي ذريتي، والقاضي لهم حوائجهم عندما اضطروا إليه والمحب لهم بقلبه ولسانه»^(١).

وأنت أيها الشيخ الكريم ممن قد منحه الله إن شاء الله ذلك كله وجعله أهله، فاغتنم فرصة الجهاد ورضا رب العباد، بل العز في الدنيا والفوز في المعاد، وتظفر إن شاء الله بأقصى المراد في الدنيا ويوم يقوم الأشهاد بحق محمد وآل محمد ﷺ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ونعم المولى ونعم النصير.

بتاريخ شهر ربيع....^(١) ١٠٣٧هـ سنة سبع وثلاثين وألف^(٢) بمحروس شهارة حرسها الله.

رجعنا إلى نهوض مولانا الحسن رحمه الله تعالى

وقد جعل مقدمته الأمير عبد الرب بن علي بن شمس الدين في نحو ألف، وأمره أن يتقدم ولا يبرح حتى يتصل بالأمير الحسين وبقي بعده ينظم حصار صنعاء، ويُعرّف صنوه أحمد أطال الله بقاءه ما لم قد يعرفه من أحوال صنعاء، ثم خرج بجماعة ليسوا بالكثير من خلف نُقم، ثم وصل وادي الأحبار والأمداد تتلاحق به، وأرسل الكتب إلى الأمير الحسين وإلى الشيخ عامر الجماعي، وقد وصله خولان العالية وغيرهم، ثم كتب إلى المغارب وكان قد أرسلنا إلى بلاد عتمة قبل دخول الجراف بليلتين وطلب الغارة من عندنا فوجهنا نحواً من خمسمائة نفر، واجتمع إليه الحدا جميعاً، فلما وصل إلى زراجة وجد الأمير عبد الرب لم يجاوزها فلامه، ثم تقدم إلى منقذة^(٣)، فلقي الشيخ المجاهد علي بن شمسان رحمه الله فيها متجرداً من عند الأمير الحسين، فلامه مولانا الحسن وقال فيها قال: ما رضيت مع خروجي من صنعاء أن أترك الهرة مخافة أن يقال: هرة ابن الإمام وأنتم تركتم نساءكم، وكذا فإنهم كانوا قد تزوجوا في إب وجبله منهم الأمير حسين تزوج بنت الأمير محمد الزوم، ثم تقدم إلى ذمار

(١) ورد في كتاب: تيسير المطالب في أمالي أبي طالب: يحيى بن الحسين الهاروني، ص ٥٩١.

(٢) بياض في الأصل.

(٣) ١٠٣٧هـ الموافق ١٦٢٧م.

(٤) منقذة: قرية في شمال ذمار، وهي إحدى مديريات عنس.

(المقحفني: المعجم، ج ٢، ص ١٦٦٢؛ الحجري: المجموع، مج ٢، ص ٧٢٢).

وزار الأئمة وبات فيها، وقدم الأمير عبد الرب إلى جبل رباب وبقي يومين [/] في ذمار يستلحق الغارات ويستنهض الشيخ مقبل بن أحمد القائفي وقائفة^(١)، ثم تقدم إلى يريم فوجد الأمير فيها فلامه أيضاً، وتقدم بمن معه إلى محل يعرف بالنبي شَعِيب، ثم أرسل السيد عماد الدين يحيى بن لطف الباري وحي السيد الشهيد الهادي بن علي الشامي وغيرهم من الرؤساء والحداد من طريق السحول وبلاد حبيش، وكان في حبيش أولاً السيد محمد ابن الإمام الحسن رحمه الله، ثم السيد العلامة المهدي بن الهادي النوعية، فانهما إلى جانب القفر^(٢)، ثم عادوا وكان قد تقدم محطة من العجم إلى جبل رأس من أعلى حبيش فلاحهم المجاهدون الحرب ووقع أمر ليس بالهزل، فقتلوهم وكانوا نحو سبعمائة نفر لم يبق منهم إلا القليل فروا إلى ذي جبلة، وكان في موضع يسمى الحوطة رتبة قريب المائة أخذهم جنود الحق وصاروا إلى ذي جبلة.

ومن عجيب ما كان من البشارة بنصر الله لأوليائه أن بعض مشائخ الجبال المرتفعة من عتمة شهد لنا ذلك اليوم بالقتلة العظمى وقطع بكونها فسألناه فقال: رأى نسوراً يتلو بعضها بعضاً حتى وصلت حبيش، فما ذاك إلا لتأكل من أعداء الله، فكان كذلك والحمد لله رب العالمين.

وأما من جهات المشرق فكان قد طلع من ذي جبلة وإب محطة أخرى إلى سوق الثلاثاء من بعدان^(٣)، فأرسل لها مولانا رحمه الله مع إرساله على حبيش عسكرياً، وقائفة، عليهم الأمير الكبير شمس الدين بن يحيى بن علي بن شمس الدين^(٤) والسيدان الأفاضلان أحمد بن الهادي بن هارون الهادوي، والسيد محمد بن عبد الله القاسمي العياني، فاستولوا على أكثرهم

(١) قائفة: من قبيلة الصبيد، إحدى قبائل خارف، ديارهم في أطراف قاع اليوم، ومن قراهم المشهورة: كانط، قوارة، بناعة. (المقحفني: المعجم، ج ٢، ص ١٢٣١).

(٢) القفر: أرض واسعة في منطقة محصب السفلى. تمتد من جبال يريم شرقاً حتى جبال وصاب العالي غرباً، ومن مغرب عنس شمالاً حتى المخادر جنوباً، ويقال له قفر حاشد وهو من محافظة إب.

(المقحفني: المعجم، ج ٢، ص ١٢٩١).

(٣) بَعْدَان: جبل مشهور يطل على مدينة إب من الجهة الشرقية، وهو من الجبال ذات المزارع والأنهار والعيون وفيه قرى وحصون كثيرة، وهي إحدى مديريات محافظة إب. (المقحفني: المعجم، ج ١، ص ١٨١).

(٤) أضاف في (ب): وهو ابن أخ الأمير عبد الرب.

قتلاً وأسراً، وفر الباقون إلى إب، ثم انهزم العجم من ذي جبلة، وتقدم مولانا إلى أعلى من إب واستأمن إليه أمير كان فيها ومن معه، فأمنهم ووصل إليه أحمد آغا ابن الأمير محمد الزوم وأهل ذي جبلة، فأمنهم وولى عليهم الزوم وعلى إب الشيخ عامر الجماعي، وقد ظهر صدق موالاته فإنه استقام لموالاته جانب الحق وحفظ بلاده من الترك وجنودهم، وأوى من وصله من أصحاب الإمام - عليه السلام - وذكر له في ذلك فخر [/] ولا زال هذا الشيخ وأخوه وبنو إخوته في جانب الحق ولأجل ذلك تزوج منهم مولانا الحسن رحمه الله، ثم مولانا الحسين رحمه الله كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

وكان الرعايا في اليمن قد أذلم العجم وقل منهم من يستحي فضلاً أن تكون له مسكة في الدين، وكانوا ربما يفترون على أعيان العسكر ما لا يفعلونه، فيكاد مولانا الحسن يصدقهم، فعرفه هذا الشيخ الجماعي بأحوالهم كما أخبرني غير واحد، ثم تقدم مولانا شرف الإسلام رحمه الله عليه إلى قرية أذن من النجد الأحمر وعسكر هنالك وقد ولي على البلاد وترك للأمير الحسين جمهور اليمن وقد ضعفت البلاد وأخربتها الفتن وجور الأمير المذكور.

ووصلت الكتب من الإمام - عليه السلام - بالتواصي بالعفو عن أهل اليمن سيما أهل ذي جبلة لما سلف منهم، وفي جملتها أن قال مخاطباً لمولانا الحسن رحمه الله تعالى: وما أحقك بقول من قال تحدثاً بنعم ذي الجلال وما فيها من الحكم والأمثال:

أينكر حسدي فضلي عليها

وإحساني وإجمالي بـبـري

ألست مجيرها من كل شرٍ

ومعتتها بإقـدامي وصبـري

ومحيي مجد أولها بمجدي

وجابر عظمها من بعد كسر

رأت لي جود حاتمها عياناً
وهمسة سيفها وجلاد عمرو
وزدت عليهم بالصفح عم من
ظفرت به من الكاوين صدي
أنا ابن القابلين لكل عدل
أنا ابن المنكرين لكل نكر
أنا ابن السابقين إلى المعالي
أنا ابن الضارين بيوم بدر
أنا ابن المانحين لكل فضل
أنا ابن الفاتحين لكل ثغر
فلا وزر لمن ألقاه إلا
استلام براجمي وقبول أمري
إذا عوديت كنت الصل حتى
إذا ما صدت أعدائي بقهر
عظفت عليهم كرمًا كأن لم
يروموا عفتي بقنا وبتتر
فكم ملك أسرت فلم أهنيه
ولم ألبسه مسكنة بأسر

ولكن زدتَه شرفاً وعزاً
تفيؤه لـدي بظـل قـصري
ضمنت له الوفاء فقـر عيناً
وأصبح أمنأً في الدهر مكـري
علوت سطوت صلت عفوت لما
قدرت فمن له فخرٌ كـفخري
وفيت بديت عدت وصلت من لم
يصلني سدت جدت بكل وفر [/]
فإن ير ذلك الأعداء عجزاً
فلست بجـارح جـلدي بظـفري
أصون رعيتي ما استطعت جهدي
وأعمل حسب شاكـلتي وقـدري
وأُنزل من أجرت على الثريا
بعيد الـدار من ذل وقـقر
ليذكر بعدي الـراون حلـمي
وكظـمي الغـيظ في سرِّ وجهـر
أنا ابن محمد أـضيق صـدري
بـذنب لا عـضدت إذأ بنـصر

سموت إلى المفازة في رعيـل
أجش من بني الزهراء زهري
مفازة صيهد وحنان قوم
بكفرهم جزوا منها بسدر
لبؤسهم السوابغ معلـمات
على راياتهم تطريـز فخري
فلما أن رأونا قد دلفنا
إليهم بين أسياف وسمـر
أتوننا طائعين بما أردنا
وقادوهـا لنا غراً بغير
وعدت مؤيداً والنصر يقضى
بنجح القصد من حج ووتر
وسوف أزور أهل البغي عمداً
وأرباب الغواية والتجـري
وأنزل من صياصـيها رجلاً
عتوا عما نهوا وأتوا بنكر
سلام الله ما هبت رياح
عليّ وما تليح ضوء فجر

ورأيت إثبات هذا الشعر لما فيه من البلاغة والحكمة الموافقة لبعض صفات مولانا الحسن
رحمه الله، ولا أعرف قائله وإنما أرسله الإمام - عليه السلام - في طي كتاب يتضمن ذلك.

ولما استقر مولانا في قرية أذن، وقد توفر عسكره استرجح طيافة شرق اليمن ليعرف أهله

ولثلا يجهل ما خلفه فتجرد في نحو ثمانمائة نفر وخواص من أصحابه، وقد كتب الأمير علي بن حيدر السلمي، فلقبه إلى نواحي بلاد الحيفي واستخلفه وكساه وطلع العذارب^(١)، ثم إن الأمير الحسين أراد دخول إب للطيافة والحمام وكان فيه الشيخ عامر الجماعي، كما تقدم فمنعه الدخول ورماه ووقع بينهم اختلاف.

وكثرت المكاتبة إلى مولانا الحسن - عليه السلام - فتخوف عليهم الافتراق فسارع الرجوع إلى المحطة وكان مغيبه عنها نحو نصف شهر، وكان بين الأمير حسين والشيخ عامر الجماعي إحن متقدمة، ولم يصل إليه ويلتزم له بالطاعة بل كتب إلى الإمام - عليه السلام - يتضمن الموالة الصحيحة وهو كما قال كان من المحبين وممن يكره الترك هو وصنوه حي الأمير جعفر، وقد [/] تقدم بعض صفاتهم، وكان عنوان الكتاب إلى الإمام - عليه السلام - : ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [:] ، وإلى مولانا الحسن كذلك، هذا والأمير الحسين محاصر ليريم وطلب عيناً لدخول بلاده، وقد تقدم أن الأمير الهادي بن المطهر بن الشويح في صنعاء، فأمره مولانا الحسن أن يسير مع.....^(١) من أصحاب مولانا الحسن يلقي الشيخ المذكور ويقرر.....^(١) في بلاده ثم يعود إلى مرتبته ففعل، وتلقاه الشيخ المذكور باللقاء الحسن والإحسان الأعم والوالاه أكثر اليمن فهذه مما كان بينهما.

ولما وصل رحمه الله نجد أيب بيت الجماعي، كتب إلى الأمير عبد الرب أن يتقدم مقدمة له إلى القاعدة من أعلى صعيد الجند^(١) وأن يسير معه السيد الفاضل أحمد بن هارون وغيره من أعيان المجاهدين نحو ألفين فلم يحصل مساعدة، حتى وصل مولانا الحسن رحمه الله وغطى ما وقطع بين الجماعي والأمير الحسين، وقد وقع في نفس الأمير حسين بلية وكان يتجارى^(١)

(١) العذارب: قرية ومركز إداري من مديرية بعدان، محافظة إب.

(المقحفي: المعجم، ج ٢، ص ١٠٣٢).

(٢) بياض في الأصل، وفي (ب).

(٣) بياض في الأصل، وفي (ب) أضاف: أعماله.

(٤) الجند: مدينة مشهورة شمال شرق مدينة تعز. كانت قديماً مدينة اليمن الأولى، وبها جامع الجند وهو أول مسجد بني في اليمن.

(المقحفي: المعجم، ج ١، ص ٣٥٩).

(٥) يتجارى: يظلم.

على أهل اليمن كما رأيت ذلك في ذي جبلة، فإننا أمسينا فيها وأصحابه يسطون العذاب على بعض أهلها بما لا يرضي الله سبحانه من السيرة، ومولانا الحسن يُحسَّن في المنع مرة ويلين أخرى مع شدة الأعداء.

وأخبرني مولانا أمير المؤمنين المؤيد بالله -سلام الله عليه- أنه بلغه أن الأمير الحسين قد كاتب إلى الظالمين أخرى وهم بالصدر، وقد استوحش كثيراً من مولانا الحسن رحمه الله.

قال: فلما بلغنا ذلك كتبنا إليه كتاباً مضمونه أنك اخترت الدخول معنا والكون على طاعة الله سبحانه وطاعتنا، فإن كنت كما قلت فدع ما في نفسك وسر إلى الصنو الحسن حفظه الله واقفياً على رأيه معترفاً بحقه وكذا، وإن أغلق دونك الباب ولم تجد السبيل إليه وقفت في الباب حتى تجده وإن وجدت الدخول عليه من كوة فادخل وعامله معاملة الأخ الشقيق، وعاتبه فيما عرض ويعاتبك وكذا، فإن يَحتمل هذا أو يكون باطنك كظاهرك فهو الأمل فيك والظن بك والأحق بمنصبك، وإن لم فلا يَحتمل حالنا الخيانة، ولا ينبغي أن تخالطنا وأنت كاره سيرتنا غير قابل لأمرنا.

فصدر خط إلى الصنو الحسن حفظه الله أنك تقف أنت وهو الرسول موقف مناصفة وإما موالاته صادقة وإلا [/] افترقتم وعدت حيث شئت من الجوف أو غيره وكما دخلت خرجت.

قال -عليه السلام-: وقلت للرسول تبدأ بالأمير حسين ولا يعرف الصنو الحسن حفظه الله إلا وقد دخلت أنت والأمير حسين عليه.

قال: فعاد جواب الأمير بما يشفي وتاب وعاد إلى المحبوب، وأنه دخل على الصنو الحسن هو والرسول كما وصفناه ثم وصل كتابهما بالاتحاد.

نعم ولما وصل مولانا الحسن رحمه الله، أمر الأمير عبد الرب بن علي ومن معه، والسيد أحمد بن الهادي بن هارون، والسيد عبد الله الشداددي، والقاضي معوضة الحماطي والغارة التي من عتمة وغيرهم بالتقدم إلى القاعدة، وبقي مولانا الحسن نحو الشهر في قرية أذن، وقد جعل بلاد تعز إلى

الأمير عبد الرب وظن أنه يكفيه ويتقدم لحصار تعز كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

وما أخبرني به رحمه الله من موجبات توليه الأمور كلها بنفسه من بعدها، فلما لم ينهض الأمير عبد الرب من القاعدة وقد أمره بالتقدم إلى الجند، وكان ربما تخرج خيل من تعز فتروعه وينال من أطرافه، تقدم بنفسه الكريمة، ونزل معه الأمير الحسين، وقد قدم إلى الأمير عبد الرب أنه يتقدم بمن معه إلى الجند، فلم يحصل ذلك حتى وصل مولانا الحسن رحمه الله وتقدم بالجميع إلى الجند وقد غلظ عسكره وبقي ثلاثة أيام فقط، ثم إنه تقدم إلى قرية من أعلى الحوبان تسمى السفنة^(١) وأمسى فيها ليلة، ثم جهز الأمير عبد الرب ومن كان معه في القاعدة أن يطلعوا جبل صبر من طريق ثعبات، وكان صاحب تعز أخرج محطة إلى خارج تعز فمنعوا الأمير ومن معه من صعود الجبل واستقام بينهم حرب عظيم، فأغار مولانا الحسن رحمه الله بنفسه وهو مع أول عسكره وقطع طريق الحوبان، فلم يشعر أهل تعز إلا وقد أطلت راياته المنصورة^(٢) الحوض^(٣)، فانهزم جنود تعز وقطعهم سرعان العسكر المنصور، وقتلوا جماعة منهم وانتهب المجاهدون جميع محطتهم والحضيرية وما فيها، وأغلقت أبواب المدينة كلها ولم يفتحوا لأصحابهم إلا بعد مشقة [/] ودلوا بعضهم بالحبال، وكان دخوله إلى الحوض الأشرف وقت صلاة العصر والمدافع تمضي عليه والبنادق البالغة تصل إلى أطرافه، فأمر أصحابه بالخطاط^(٤) على تعز، وكان ذلك في شهر رجب سنة سبع وثلاثين وألف^(٥).

وقال الشيخ الأديب أحمد بن ناصر الحميضة المصي في ذلك:

يا مليكاً من بني الزمن

مثله في الدهر لم يكن

(١) السفنة: بالقرب من تعز في وادي خنوة، مديرية ذي سفال. (المتحفي: المعجم، ج ١، ص ٧٩٤).

(٢) المنصورة: ليست في (ب).

(٣) الحوض: المقصود به حوض الأشرف في داخل تعز ومن حوارها.

(٤) الخطاط: الحصار.

(٥) رجب ١٠٣٧ هـ = مارس ١٦٢٧ م.

قد حشدت الجنود حاشداً
قاصداً في السير لليمن
قاصداً للعلاج تقتله
تاركاً^(١) للفرض والسنن
يحیی الأفق قاطبة
بعد طرح العلاج في الكفن
بجنود قد أتيت بها
تصدع الأذان في أذن
أفعد الباغی بقاعدة
خمرت الهامات للذقن
جنود الأجناد في جنود
تترك الأتراك في المحن
أركب العبادین في سفن
عند قتل التارك في السفن
وتعزین تعزتری
سطوة من سطوة الحسن
سطوة يملو بهما صبر
وتجول الخيل في عدن

(١) في (ب): ظن ذا مجيباً.

عند تعفير المعافير قد
ذبح الذبحان ذي الفتن
لا ترى الجبارين غدا
من يد الجبار ذي المن
غير أن يدعن لدولته
فهو من الناس في السفن
من تسلّم سوف يسلم من
نار أيار وممن فتن
يا بن خير الخلق قاطبة
لا تكن في القلب ذا شجن
كن من التمكين في ثقة
ومن الأهواء في شطن
وصلاة الله في سنن
تبلغ المختار ذا السنن

ذكر حصار تعز

فجعل - عليه السلام - محطة في الباب في الشيخ موسى^(١)، وقد يجعل معه غيرهم في
النوبة لقربه من الباب، وكان أكثرهم أهل الشام والسيد أحمد بن هارون، وفي المداجر^(٢) محطة

(١) الشيخ موسى: باب من أبواب تعز.

(٢) المداجر: باب من أبواب تعز.

فيها السيد محمد العياني وغيره من الرؤساء، والخضيرية^(١) جعل فيها الأمير عبد الرب بن علي وأصحابه، وفي أعلى من القاهرة^(٢) من أسفل صبر رتبة من أهل عتمة وغيرهم، والرمي على المدينة ومن فيها ليلاً ونهاراً من الجهات الأربع، وعمر المحطة الحسنية^(٣) واجتلب إليها الأرزاق من كل جهة ونظم [/] أسواقها وولى عليها وعمر مكانه المعروف، وجعل بينه وبين المدافع ما أمكن من العمارة، وجعل مكانه في جانب يأمن فيه من المدافع، وطوال البنادق والأسواق كذلك في جانب، وشدد المحارس، وطلب من عدن مدفعين من الأمير عبد القادر والمدد، فوصلت المدافع والمدد بالمال والرجال، ولم يستجز الرمي بالمدافع لما كان في المدينة من الضعفاء، وبقي الحصار والحال هذه رجب وشعبان ورمضان وشوال والحرب ليلاً ونهاراً، وفي بعضها خرج أهل تعز وكبسوا المحطة الحسنية، وقتل فيها جماعة من المجاهدين، وحمل فيهم جنود الحق حتى كادوا يدخلون معهم الباب، وأغلق أهل تعز على من خارج الباب وفي أخرى كذلك، وقد خرج مولانا الحسن رحمه الله متمشياً بالخيال إلى جانب الحوبان^(٤)، وترك الأمير الحسين والأمير عبد الرب مع أهل المراتب، فلاح لمن في تعز أنه قد غاب، فخرجوا نهاراً ووقع أمر ليس بالهزل، واستشهد جماعة منهم مملوك مولانا الحسن المسمى عبد الله بن ريجان، والفقيه الخازن لبيت المال، فأغار عليهم بالخيال حتى طلع من طريق الشجرة وكادوا يقطعون من خرج، ثم رمت عليهم النوب^(٥) وعادوا وقد قتل كثير منهم، ثم إنه لم يستخلف بعدها أحداً فأمر - عليه السلام - بعمارة نوب كبار على سقفين وأكثر مقابلاً للقاع التي خرجت منه خيلهم، وجعل فيها عسكرياً، والقتل لا يزال من الطائفتين وعظم الأمر.

(١) الخضيرية: باب من أبواب تعز.

(٢) القاهرة: قلعة حصينة تشرف على مدينة تعز. يرجع تاريخ بنائها إلى القرن الخامس الهجري.

(المقضي: المعجم، ج ٢، ص ١٢٤٢).

(٣) المحطة الحسنية: المقصود بها المعسكر الذي أقامه الحسن خارج أسوار تعز لحصارها.

(٤) الحوبان: هو القاع والمضاب الواقعة شرق مدينة تعز، وقد امتد العمران إليها.

(المقضي: المعجم، ج ١، ص ٥٢٦).

(٥) النوب: مفرد نوبة، وقد سبق شرحها.

وفي أيام حصار تعز المرة الأولى حدث خلاف بعض المخلاف من العديين وأرسل عليهم مولانا الحسن رحمه الله السيد الهادي بن علي الشامي رحمه الله فقبض على الشيخ محمد العواضي وأمنه وأطفى تلك الثائرة.

ذكر نزول الأمير سنبل

ثم إن مولانا الحسن رحمه الله أمر الأمير سنبل بنزول تهامة من وصاب، ولندكر الموجب لوصوله، قد تقدم أنه وصل (إليهم حَضُور)^(١) إلى مولانا الحسن رحمه الله [/ إلى حدة، وأن الأشرار من همدان ومن صار إليهم من حَضُور والحيمة وغيرها واصلوا العجم بالطعامات وغيرها إلى صنعاء للمال، وأن القتل لا يزال من القبائل والآداب، وكثر ذلك كما تقدم.

وقد تقدم ذكر التهمة للقاضي يحيى المخلافي فخاف فخرجت مكاتبة إلى الأمير خضر إلى زبيد على يد بعض ولاة حصون ريمة فإنهم مع العجم وهو حصن يفعان وحزر وحلبة، ودسوا إلى ريمة بأن يظهر الخلاف.

وكان مولانا الحسين رحمه الله أمر السيد المقام جمال الدين علي بن إبراهيم بن جحاف إلى ريمة، وكان في أهلها ضعف بعد العجم مع شدة الوقت، ولم يكن معه أيضاً عسكر وإنما هو معهم على ما يقولون، والمراد حفظ البلاد لمولانا الحسين رحمه الله إن فرج الله سبحانه، فأظهروا الخلاف.

ولما بلغنا كتبنا إلى مولانا الحسن رحمه الله إلى حدة، وكان قد أمر الأمير سنبل أن يتقدم إلى الحجرية^(٢) وبلاد تعز فلم يحصل من الأمير الحسين إجابة على معاونته بل كتب إلى مولانا الحسن بالبراءة من سنبل، وكان عنوان كتابه الآية الكريمة: ﴿يَنُوبُ لِيَأْ أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ﴾ [:].

(١) ما بين القوسين ليس في (ب).

(٢) الحجرية: إقليم كبير وواسع جنوب مدينة تعز. كان يُعرف قديماً بالمعافر ومركزها التربة من ذبحان.

(المقحفني: المعجم، ج ١، ص ٤٢٢).

فخاف مولانا الحسن رحمه الله أن يختلفا، وكان الأمير الحسين قد عظم حاله كما تقدم وبينه وبين سنبل إحن وعداوة لم يعرف مولانا الحسن جملها، فإنه قد تقدم أن الباشا حيدر ولى سنبل على جميع أمراء العجم والعرب، وإنه وقع بينه وبين الأمير حسين^(١) بعض اختلاف، فوصل إلى مولانا أيده الله ما وقع من خلاف ريمة، فأمره بالوصول من ذمار إلى بلاد عتمة، فخير في موضع يعرف بالمنصورة وأغرنا لما وقع في ريمة من قبل السيد محمد بن الحسين فأوقعنا بأهل ريمة بعد شدة حصار، ثم هزمناهم وقتلنا منهم فوق العشرين نفر، فكتبنا إلى مولانا الحسن بالبشرى وإلى الأمير سنبل، فوصل ثالث الوقعة وبقي في السلف من أعمال يفعان^(٢)، وكان مولانا الحسن رحمه الله عين له ولعسكره ستة آلاف حرف تحويلاً على السيد محمد بن الحسين ثم أربعة آلاف أخرى، فترك السيد محمد بن الحسين البلاد، ووصلت الولاية للأمير سنبل [/] في وصاب مع ذمار وبقي في وصاب، وطلع السيد محمد بن الحسين إلى حدة وأمرنا مولانا الحسن رحمه الله إلى عتمة فكنا فيها والأمير سنبل في وصاب.

نعم ولما طال حصار تعز المدينة أمره مولانا الحسن أن يقدم بعسكره إلى أسفل بلاد وصاب إلى الموضع المسمى ربوع المرثاة، وبقي فيه أياماً ثم انتقل إلى المنجية من أعمال بلاد حيس^(٣)، ثم دخل حيس وقطع مواد زبيد من الجبل.

وأما السيد هاشم بن حازم رحمه الله والسيد التقي ابن إبراهيم أيضاً فقد تقدم أنهما عادا إلى تهامة من جهة الشام، فاستعاداها بعد الهزيمة وبقي في بيت الفقيه ابن عجيل، حتى نزل الأمير سنبل إلى تهامة، وأمر الإمام -عليه السلام- السيد هاشم أن يتقدم إلى قريب من بلاد زبيد من حيث يمد الأمير سنبل ويمده الأمير كذلك، فصار في موضع يسمى اللاوية وبقي أياماً وغزاه الأمير خضر ووقعت أمور اليد فيها لجنود الحق، وكذا غزا أعني الأمير خضر الأمير سنبل من زبيد، وبقيت المراكز في تهامة.

(١) حسين: ليست في (ب).

(٢) يفعان: حصن في ريمة بشكل في أعماله مركزاً إدارياً من مديرية السلفية.

(المقحفني: المعجم، ج٢، ص ١٩٢٠).

(٣) حيس: مدينة مشهورة جنوب زبيد بمسافة ٣٥ كيلو، وهي أقدم مدينة تهامة. تشتهر بصنع الأواني الخزفية البراقة التي تسمى الحياصي.

(المقحفني: المعجم، ج١، ص ٥٤٦).

ومولانا الحسن رحمه الله في الحوض الأشرف كما تقدم، وقد طمع في الاستيلاء على تعز ودبر في استئصالها كل التدبير، فمن ذلك أنه أمر بإحضار النجارين والخشب، وأن يحصل سلايم فحصلت لنحو ثلاثة أشهر، فلما حصلت جعل في أعلاها صفة مترس يمكن أهل السلم أن يرموا من أعلاه ويقاتلوا، وجعله عريضاً بحيث إنه يكون في أوله أربعة أنفار، ثم جمع أهل نجدة وقسم بينهم تلك السلايم، وكان رحمه الله لا يعرف قدر طول الداير حقيقة ولا يمكن أحد يتصل به ليعرف قدر طوله من البنادق، فلما أخذ العسكر السلايم وقد جعل عليهم رؤوساً حملوا وركبوا السلايم، وقد أمرهم بالحملة من آخر الليل، وجعل لحملةهم أمانة وهي أن تضرب المدافع ويحملوا دفعة^(١) واحدة، فقصرت السلايم ووصل القليل في جانب المداجر، فقاتلهم العجم قتالاً شديداً، وردوهم ضرباً بالسيوف وقتل جماعة من الطائفتين، والكثير من المجاهدين ولم يتم ذلك التدبير. ثم إنه طلب من صعدة من له قدرة أن [/] يجعل نفقاً تحت الأرض حتى يشرف من المدينة وطلب كثرة باروت ليحرق الدائر فلم يتمكن لكونه على صحيح الجبل، ودبر أخرى أن أرسل النقيب علي بن يحيى الدريهم من أهل ظليمة، وكان فاتكاً صحيح الموالاة، يهرب إليهم وعلى أنه قهره فلان وحصل في جانبه نقص فدخل إلى تعز إلى الآغا المذكور، وكان هذا الآغا فيما يقال أشد بأساً من الباشا وأعظم حيلة ودهاء، فلما وصل إليه أعظم قدره وجعله عند شرار العرب الذين عنده، وقد جعل مولانا الحسن رحمه الله بينه وبين النقيب أنه يشكو على الآغا من الشيخ علي بن شمسان وزير مولانا الحسن رحمه الله وملازمه، وإني أنا وجماعة على مثل رأيي نريد نستوثق منكم ونصير إليكم مع الحرب لأننا لا نحسن ندخل إلا معه فتقدم نحن وأصحابنا على إنا حاملون عليكم، وبينهم وبين مولانا الحسن رحمه الله أنهم إذا وصلوا الباب استقاموا لمن بعدهم من المجاهدين في الباب، وقد اختار مولانا الحسن رحمه الله خمسين رجلاً ليدخلوا مع المذكور لذلك.

نعم ولما أخبر الآغا بذلك لم يثق به وجعل عليه العيون^(٢) وأخفاه في المدينة ليلتين، على أنه محتف لا يعرف مولانا الحسن كونه في تعز فلان له بعض العرب وقال له فيما قال: نحن

(١) في (ب): جملة.

(٢) عليه العيون: ليست في (ب)، ثم بعدها أضاف حرف: من.

نطلب الفرار إليكم وأنتم تدخلون تحتازون معنا والمحتاز مغلوب، فطمع فيهم وأظهر لبعضهم أمره، وقد أمره الآغا أن يرجع في الليل إلى محطة مولانا الحسن رحمه الله يأتي بتوقيع الهاريين، ففعل وعاد في الليلة الأخرى وقال قد عاقدهم على ذلك، وقد ظهر خبره من أولئك الأشرار الذين أخبرهم بخبره، فما وصل إلا وقبض^(١) عليه وأمر بضرب عنقه فوق المدفع ولم يتم ذلك.

ذكر الصلح على مدينة تعز

قد تقدم ذكر حصار صنعاء وأن مولانا الحسين رحمه الله بقي في حدة على حصارها من جهة المغرب واليمن، وفي جانب المشرق رتباً، وفي الجراف السيد العلامة صلاح بن أحمد بن المهدي، والشيخ المنتصر الطير والسيد عبد الله بن محمد الشرفي، وغيرهم، [/]، وفي الروضة مولانا أحمد والمواد إليهم من الإمام - عليه السلام - والحرب لا تزال وخيل الترك تغزو إلى جهات سنحان والرحبة، وغيرها والقتل في الطرقات من الكمين لا يزال، والحرب على ساقه، وإذا عظم على حدة، أمده مولانا أحمد وإذا عظم في الجراف أمده مولانا الحسين رحمه الله.

ولما كان في شهر رمضان سنة سبع وثلاثين وألف^(١) طلب الباشا من مولانا الإمام - عليه السلام - هدنة ثلاثة أشهر حتى ينظر في أمره فأجاب - عليه السلام - إلى ذلك وأن يكون الصلح على صنعاء وتعز وزبيد، فعقد لهم الإمام - عليه السلام - ذلك وأرسل الباشا شريف أفندي إلى الإمام - عليه السلام - وإلى مولانا الحسن رحمه الله سكندر آغا وشريف آغا، فكره الصلح وقد طمع في فتح مدينة تعز، فلم يجد بداً من الإجابة امتثالاً لأمر الإمام - عليه السلام - وخرج من في تعز من الأسرى مع الفقيه علي بن محمد الحماطي، والشيخ حسن الوادعي، والشيخ سعيد النصير وجماعة ممن كان معه، ومات الأكثر جوعاً وكانوا قريب الثمانين نفر.

(١) قبض: ليست في (ب).

(٢) ١٠٣٧هـ = ١٦٢٧م.

قال الشيخ حسن بن ناصر الوادعي رحمه الله: استقمت مقابلاً لمولانا الحسن رحمه الله بعد الخروج من الحبس على مشقة وقد خالطني الضعف الذي لا وراءه، قال فرأيت يرق لنا ويرثي وقال مقسماً بالله: إني لما رأيتم هان علي الصلح وإن كنا له كارهين، وخرج من في تعز وأكلوا مما في المحطة وقد كادوا يهلكون، وشرط عليهم أن يجعل في محطته في الحوض والياً فترك الفقيه المجاهد عبد الله بن عز الدين الأكوغ، وارتحل عنهم وترك في الباب فقيهاً وجبا يأخذ القانون ممن دخل إليه وجعل عليهم حفظ عمائره.

وأخبرني الشيخ شرهان بن محمد الرازحي وسمعت كذلك من غيره ممن حضر عقد الصلح، أنه لما خرج مولانا الحسن رحمه الله لصلاة العيد إلى المصلى المعروف بالحيناد ارتفع أهل تعز على السور للنظرة إليه رحمة الله عليه وهم كثيرون حتى كبرواهم وعلي آغا، ثم وصل حصان عظيم عليه حلية عظيمة لها قيمة غالية هدية من صاحب تعز، وأن الواصل يمنح به كثيراً في حضرة مولانا^(١) رحمه الله وعول [/] عليه بالركوب عليه ليراه صاحب تعز.

قال: ففعل وأخبرهم من سمع أن الآغا ينظر ويدعو الله بالقبول لهديته ثم عاد إلى الجند. وأما زبيد فأرسل الإمام - عليه السلام - من عنده شاوشاً يسمى عمر من أهل حجة وأربعة أنفار معه ومن قبل الإمام والباشا السيد صلاح بن عبد الله السراجي من سادة صنعاء، ومن قبل الباشا رسلاً وأختين من العجم، وعلى أن الحاج يسير من زبيد على العادة، ولما وصلوا الباب ثار عليهم عسكر زبيد فقتلوا أصحاب الإمام - عليه السلام - ورفقوا أصحاب الباشا على أنهم استجاروا بهم، وكذلك السيد صلاح السراجي ولم يقبلوا الصلح على زبيد، وكان الإمام - عليه السلام - مع حلول ميقات الحج يكتب إلى صنعاء وغيرها بما معناه أن الخلاف فيما بيننا وبينكم في أمر غير الحج^(٢) فإننا وإياكم والحمد لله متفقون عليه دائنون به.

وكتب إليهم بما هذا نسخته ليقم عليهم الحجة ويبلغ إلى الله المعذرة:

(١) بعد كلمة: مولانا زيادة في (ب): الحسن.

(٢) بعدها زيادة كلمة: فأما الحج، في (ب).

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى .

محمد علي فاطمة الحسن الحسين صلوات الله عليهم وعلى آلهم وسلام وبعـد:

فإن من حق من نيّطت به في المسلمین الرئاسة، وربطت به عرى الأمر والنهي في الأمة المحمدية والسياسة، أن لا تنسى حق الله عز وجل في معالم الإيمان، ولا تغفل عن المذاكرة بما يجب من أركانه المشيدة البنیان، ولا سيما مثلنا ومثلكم ممن له غيرة على بيت الله الحرام ومشاعره العظام، وحرّم نبيه الأمين عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة والسلام، ويرى أن إحياء تلك المناسك الشريفة العظيمة عند الله الزليفة والمقام، وكيف وقد اختصاصتم من ذلك بما لم يدركه غيركم من العناية، وتشرفتم من خدمة تلك المشاعر الشريفة، لما جرى لكم به الذكر الحسن إلى أقصى غاية، وقتمم منه في الأعوام العديدة بما لكم به الفخر العظيم ومشكور السعاية، لما طلعت من شهور حج بيت الله الأهله، وصدعت أنوارها بما توجه من المسارعة إلى مسقط رأس رسول الله الأدلة، وطارت إلى زيارة تلك البقاع الشريفة الأبواب، ومُدت للاتصال بها من أذان الله على لسان خليله إبراهيم صلى الله عليه وعلى آله الأسباب، وجدت إليها [/] العزائم الماضية من رجال وركاب، لم نر إغفال ما لم يزل بذاكرته من نيّطت به أمور السلطنة القاهرة أعز الله بها الإسلام في أيام الحرب والقتال وانقطاع الاتصال في عام بعد عام بأن هذه الفريضة العظيمة ليس عنها إن شاء الله من جهتنا ولا جهتكم حاجز، وإن قصدها والمضي في سبلها أمنه وسلامة إن شاء الله لكل جائر المتوجه إليها من كبير وصغير، ومأمور وأمير، مرعي الجانب، والسالك لها حيث شاء في بر أو بحر لا تلم به إن شاء الله الشوائب، وأن السبل بفضل الله ولطفه ممهدة مُيسرة، والمناهل إن شاء الله ورحمته غير منزورة^(١) ولا مكدره، ونرجو إن شاء الله أن تكونوا عوناً لمن لديكم ممن انقطع عن الحج في هذه الأعوام الماضية مع إشعارنا بالأمن وتكريرنا المذاكرة لمن في زبيد والمخا، وقبل ذلك لمن كان في مدينة صنعاء وعمران وتعز، والحرب قائمة أن لا يخلو بذلك الركن وأن

(١) في (ب): منزورة.

تخرضوهم عليه وتشعروهم بأن المتوجه إليه إن شاء الله مضمون النفس والمال ممن كبر وصغر ومن أمر وأمر، فلسنا إن شاء الله ومعاذ الله ولا يرانا ممن يصدُّ أمين البيت الحرام، ولا من شيمتنا وخلقنا غير الدعاء إلى الله وإلى تشييد أركان الإسلام، فقد بقي إن شاء الله من وقت ذلك ما يسع جهاراً، ومن مدته بإعانة الله ما يسره الله لهم إن شاء الله أهبة ومجازاً، فاجعلوا ذلك قربة إلى الله عز وجل، فقد آذنا أهل السُّبُل في جهتنا بذلك، وتوسلوا به إلى ما عند الله، فإننا قد قضينا بكتابنا هذا حقه في رعاية ذلك الحرم والمسالك، فإنكم تنالون به إن شاء الله من أجر الإذن لهم والتيسير، كما نرجو أن ننال إن شاء الله من أجر الحُض على ذلك والتذكير، وتمموا لهم تلك المساعي التي كنتم عنيتم بها سنين؛ (لأن هذا صاحب زبيد الأمير خضر كان أمير حاج اليمن بضع سنين)^(١) ومن ذلك ما طال حرصكم عليه من تعظيم الحرم الأمين، فما أشبه الليلة بالبارحة، وما أحق من تاجر الله بمثل ذلك أن تكون التجارة الرابحة، وأن يبلغ عن الله وعن رسوله الصادق الأمين مثل قوله ﷺ في الحديث الصريح بالنقل الصحيح والسند المتين: «خمس لا يقبل الله منهن شيئاً دون شيء: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله [/] وإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسوله والجنة والنار والحياة بعد الموت هذه واحدة، والصلوات الخمس عمود الإسلام لا يقبل الله الإيمان إلا بالصلوة، والزكاة ظهور من الذنوب لا يقبل الله الإيمان ولا الصلاة إلا بالزكاة، من فعل هذه ثم جاء رمضان وترك صيامه متعمداً لم يقبل الله منه الإيمان ولا الصلاة ولا الزكاة، ومن فعل هؤلاء الأربع وتيسر له الحج ولم يحج ولم يوص ولم يحج عنه بعض أهله لم يقبل الله منه الإيمان ولا الصلاة ولا الزكاة ولا صيام رمضان لأن الحج فريضة من فرائض الله لن يقبل الله شيئاً من فرائضه بعضها دون بعض»^(٢).

جعلنا الله جميعاً ممن حرص على الخير فأمه، وجهد في صلاح الإسلام وأهله فأتمه، ونميت تقيته وسعدت على هذه الأمة بحق محمد المصطفى ﷺ.

ولما بلغ الباشا حيدر ما اتفق عليه الرُّسل عظم عليه وكتب إلى الإمام -عليه السلام-

(١) ما بين القوسين: ليست في (ب).

(٢) ورد الحديث في: كتاب تيسير المطالب في أمالي أبي طالب: يحيى بن الحسين الماروني، ص ٢٣٦. بسنده عن ابن عمر في باب الإيمان.

بمخالفتهم له، ثم أعطى الدية في المقتولين من أصحاب الإمام -عليه السلام- كما رأيت ذلك من جواب بسيط للإمام -عليه السلام- إلى حيدر، وقد طلب لصاحب المخا أن يكون داخلاً في الصلح، فقال في كلام طويل يتضمن الحكم الجامعة، والحجج القاطعة، والمواعظ النافعة، حتى قال في صفة صاحب المخا: حتى إذا لاحت له الفرصة وثب غير مبال بحقكم، ولا بحق عهد ولا غيره، حتى قال: وحملوكم ما يشق عليكم، وينهضكم ثقله أقرب ذلك قضية الدية هذه الذي سترتم أمرها عليهم وأزحتم عارها عنهم... إلخ.

وأما مولانا الحسن رحمه الله فلما وصل إلى الجند، وهو يريد أن يطلع النجد الأحمر كما أخبرني رحمه الله من فيه بلغ إليه خروج عابدين باشا^(١) من الحبشة وكان واليها فأمره السلطان بالمدد إلى اليمن فخرج في نحو ألف وخمسمائة إلى المخا، وانضم إليه من في المخا مع الأمير عابدين من عظماء الترك، فرفعت رعايا اليمن رؤوسها وظنوا إنما ارتفع مولانا الحسن من الخطاط على تعز إلا لخروج هذا الباشا الواصل من الحبشة، فأقام في الجند شهر القعدة على ضجر كما أخبرني رحمه الله قال: إنه أرسل إلى الحجرية السيد الشهيد^(٢) الهادي بن علي الشامي رحمه الله مع عسكر ممن صار إليه من عسكر العجم [/] في كوكبان فغيروا ما بين السيد وأهل الحجرية، ولم يعرف السيد علاجهم فقصر الحال على العسكر، وبلغهم خروج هذا الباشا فهرب إليه جماعة أرسلوا حتى كانوا قريب الأربعمائة، ثم إن السيد الهادي^(٣) لما قصرت عليه النفقات وخاف على من بقي ترك المركز في يفرس^(٤) محل الشيخ

(١) عابدين باشا: وصل إلى اليمن لنجدة العثمانيين فيها، ووصل إلى المخا على رأس ألف جندي في أواخر سنة ١٠٣٧هـ/ ١٦٢٨م، وفور وصوله إلى اليمن قبض على والي حيدر باشا وسجنه في جزيرة كمران واستولى على كل أمواله، وقد حاول عابدين باشا القيام بعدة طلعات عسكرية كان منها معركة نجد قسيم سنة ١٠٣٨هـ/ ١٦٢٨م، فهُزم فيها وكانت النتيجة إضعاف معنويات الجنود العثمانيين في اليمن.

(د/ سيد مصطفى سالم: الفتح العثماني، ص ٣٩٩).

(٢) الشهيد: ليست في (ب).

(٣) الهادي: ليست في (ب).

(٤) يفرس: مدينة كبيرة في الحجرية جنوب غرب تعز وهي إحدى مدن جبل حبش.

(الحجري: المجموع، مج ٢، ص ٧٨٥؛ المحضني: المعجم، ج ٢، ص ١٩١٩).

أحمد بن علوان^(١) ووصل إلينا من غير أمره فكان سيلاً لمن لم قد أظهر الخيانة من أهل الحجرية، وخفنا تعطل البلاد الحجرية فيسري إليها العجم الذين في المخا والصلح على تعز بمنع الرجوع عليهم. وبلغ أن جماعة من الحجرية نزلوا المخا وكان الأمير علي السلمي يظهر الموالاتة لنا وهو منقبض عنا، ويمدنا بأمداد دون المعتاد، ثم لما فسدت الحجرية منع كثيراً وكان العيد ولم يحصل من البلاد مدد تقوم بالعسكر، وكاد ينقطع، ولقد امتنع كثيرون من البيع والشراء في المحطة.

ذكر غزاة الزغارير^(٢)

قال رحمه الله: فخرجت من دار الجند إلى المسجد، وعلوت مرتفعاً أنظر في العسكر فقام أمامي هذا العبد وهو من أهل الخلاعة يتفقر للشيخ أحمد بن علوان على قاعدة أهل اليمن الأسفل، وناداني بصوت مرتفع: يا سيد حسن هذا اليمن إن تحكم في أهله بالسيف وإلا خدعوك وكذا.

قال: فقلت في نفسي: قد تكلم هذا بما عندي فما لنا إلا الرجوع إلى الحجرية نستعيدها ونقيم أياماً ونقطع طمع من في المخا عن الجبل.

ثم وصل في تلك الساعة عسكر قد سلبهم قوم أشرار من الزغارير غربي تعز وهموا بهم وأظهروا الخلاف، فأمرنا العسكر والأمراء بالتهيؤ فغزوناهم وطمع العسكر كثيراً من مواشيهم ورجعنا على يومين، وكان طريق أهل الشام من العسكر باب تعز من غير قصد وإنما أخرجتهم الطريق إليه فرأى من في تعز الوقعة في المخالفين وما أخذ عليهم من الأنعام الكثيرة وقد طمعوا فيهم وأرسلوهم سراً فكان لذلك موقع.

(١) أحمد بن علوان: عالم عارف بالنحو والفقه، له شعر غالبه في التصوف، كان صاحب طريقة صوفية، وقد فتن به العامة في عهده وبعد وفاته. (الأكوع: هجر العلم، ج ٢، ص ٧٥٠).

(٢) الزغارير: هناك مناطق وقبائل أخرى تحمل نفس الاسم، ولكنها ليست المقصودة هنا.

ذكر الاستيلاء على بلاد السلمي ومحطته وخلافه

قال: فأرسلنا إلى الأمير علي السلمي أن طريقنا عليه الدمنة^(١)، وأنه يصبر علينا في الضيافة يوماً أو يومين، ثم يقرضنا ما نستقيم عليه من الطعام في يفرس^(٢) ولو مائة زبدي، فبعد علينا وتعزز^(٣) [/] وقال: بلده لا تحتملنا، وأخذ يماطلنا ونحن نرفق به فلم يزد إلا بعداً من الحق وجوحاً في الباطل، ثم إنه بلغ إلينا أنه أرسل كاتبه إلى المخا، وأرسل غيره إلى صاحب تعز سراً، وقد طمع صاحب تعز فينا وإن كان يظهر لنا النصيحة والاستقامة ونحن نعرف ما يظهر منه، فلم نقبل من السلمي بل قلنا الطريق عندك.

فلما صح له ذلك اعتذر أنه لا يجد آلة للضيافة فقلنا له: نرسل لك بما تحتاج إليه وهو يظن أنا لا نعرف ما هو عليه، وإنما مراده تقرب منه محاط العجم ثم يظهر الحرب والخلاف، ومرادنا ندخل بلده^(٤) ليتهمه العجم مع الاحتراز منه، ولما وصلنا قريباً من الدمنة هرب وترك جميع ما في بيوته وقد جمع عسكرياً وخيلاً بحيث إنه لو استقام لنا فعنده أضعاف ما عندنا من الخيل والرجل، ثم صار إلى جبل شرقي الدمنة يسمى الركب، وعسكر هنالك ووصله مشائخ الحجرية وقد اصطنعهم وأعطاهم وأرسل إلى المخا من يستنهض المحطة فلم يشعر إلا برسول مع وصولنا الدمنة من صاحب تعز إلى الأمير المذكور وإلينا، وقد ظن أنا لا نقدر ندخل الدمنة فوصلنا رسوله بكتابه وقد انهزم السلمي إلى الركب وأعطانا كتاب صاحب تعز فغلط الرسول بأن أعطانا كتاب السلمي، فقرأناه فإذا فيه ما نكره من الغدر وأنتك تلازم الحرب من أمامه ونحن من ورائه أو كما قال.

قال: وقد أرسلنا إلى الباشا إلى المخا أن يبادر الغارة أو كما قال.

(١) الدُّمْنَةُ: دمنة خدير، وهي بلدة كبيرة جنوب شرق تعز على خط الطريق إلى تعز.

(المقحفني: المعجم، ج ١، ص ٦٢٢).

(٢) يَفْرُسُ: مدينة كبيرة في الحجرية غرب مدينة تعز وترجع شهرة هذه المدينة لوجود قبر أحمد بن علوان.

(المقحفني: المعجم، ج ٢، ص ١٩٩).

(٣) في (ب): وأرسلوهم.

(٤) في (ب): بلاده.

قال: فلما وقفت عليه ضحكت إلى الرسول وقلت: ليس هذا إلينا، هات الآخر فتغير لونه وخاف، فأنسته وقلت: لا عليك ولا تُعرّف صاحبك بذلك أو كما قال. ثم قرأنا الكتاب الذي إلينا وإذا فيه غير ذلك، بل إذا أردت الإعانة على السلمي أرسلنا إليك عسكرياً فنحن في عهدكم وصلحكم وكذا، فأعطيت رسوله خمسة حروف وقلت: هذا جوابك والحق بالسلمي وخذ جوابه، وأصلحنا له الكتاب حتى عاد كما كان، وقلنا لصاحب تعز: إن الأمير علي خاف من العسكر وإلا فهو منا وإن أردنا غير ذلك فلا نحتاج مدداً وكذا، وبقينا في الدمنة وجعلنا على حصنه ودوره الأمان ونظن أنه يعود ونأخذ منه إعانة ونتركه ونمضي لقطع طمع صاحب المخا من تعز فلم يشعر إلا بالعيون تخبرنا بطلوع المحطة من المخا وقد أظهر السلمي الخلاف واجتمع إليه فوق خمسة آلاف ويريد غزونا إلى بلده.

قال: فطلبنا من عندنا من الأعيان مثل الأمير عبد الرب والأمير عابدين بن المطهر بن الشويح، والسيد محمد بن أحمد ابن الإمام الحسن، والقاضي أحمد بن عامر وهما كما وصلا من بلاد صنعاء مدداً وكانا على حصارها وغيرهم، وسألناهم الرأي فلم يحصل الموافق، وقمنا في الحال وأحضرنا الشموع والمشاعل وقصدنا السلمي، وأصبحنا عليه فوجدناهم غير متأهبين، فأغارت عليهم الخيل والرجل وانهمز مولياً، وانتهت جميع محطته وأثقاله، وقتل من أصحابه قريب الخمسين النفر وأسر مثلهم، ولولا أن الأمير عبد الرب منع من لحقوهم شفقة علينا وقد التزمنا بيده لما فات عدو الله فإن الخيل قصرت عنه عليه قليلاً، ثم عدنا إلى الدمنة بالغنائم والأسرى، وقد تفرق أصحاب السلمي وفر بنفسه ولحق بلحج من أعمال عدن لما بلغه ما كان من خبر نجد قسيم كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

وللقاضي العلامة صلاح الدين صلاح بن محمد الفلكي الذماري^(١) رحمه الله قصيدة في ذلك وهي:

هي المرام وإن لام العدا فيها

فالراح والشهد ممزوجان في فيها

(١) صلاح الدين بن محمد الفلكي: كان قاضياً في مدينة جبلة. توفي سنة ١٠٧١هـ / ١٦٦٠م.

(زيارة: خلاصة المتون، ص ٣٣٠).

وأعجب الأمر أن الأسد تقتلها
ألحاظها وسيوف الهند تحميها
أعيذها قامة هيفاء مقبلية
وللمراح نصيب من تنيها
لو مثل الحُسنُ شخصاً كان خادمها
بُرهان دعواي أن البدر يحكيها
لا يعمل السحر ما تجني لو اظنها
السحر ما ترجمت عنه أماقيها
زارت وسادي^(١) وآساد الشرى حرس
وأقبلت وقميص الليل يخفيها
أحيت فؤادي كما أحيى الهدى ملك
له الفضائل قاصيها ودانيها
أعداؤه قد غدت من خوف سطوته
تفر على الجبال الشم تنحيها
وكيف ينجو شريد وهو طالبه
لو فر منه إلى أعلى صياصيها
لم رأى المسلمي الجيش بان له
ما كان يزعم وسواساً وتمويهها

(١) ظن في (ب): جادت.

ظن البليد بأن الركب يمنعه
ممن يدك الصياصي حين ينويها [/]
هيهات أن يمنع القيفا التزيل بها
ممن تدانت له قيفا وممن فيها
فيابن طه وباسبط الوصي ويا
فخر الفواطم يا مفني أعاديها
ليهنك النصر إذ صبحت ممن نكثوا
بغارة أييد الرحمن داعيها
فأصـبحوا لا ترى إلا مساكنهم
ظلت نفوس وخانتها أمانيتها
ولتهنك السنة الغرا التي وردت
فأنت للسنة الغراء محيها
دامت معاليك في أمن وفي سعة
مكرماً تأسر الأعداء وترديها

وقوله: ليهنك السنة إلى آخره، فإن الوقعة هذه وما بعدها في ليالي عيد النحر من العام المذكور.

ذكر الوقعة المشهورة في نجد قسيم

قال مولانا رحمه الله: ثم أخبرت أصحابي بخبر المحطة الطالعة من المخا وقد نظرت في
العسكر وأنهم قد قتلوا ولحقهم المرض الشديد، وكان الوباء^(١) في أيام الوخم، وفيهم المتهم

(١) في (ب): الوقت، بدلاً من كلمة: الوباء، وتم حذف (في) من (ب).

كأصحاب الأمير عبد الرب وغيرهم وأن الذين من الخلصان ما يبلغون ثمانمائة نفر والمتهمون مثلهم.

وكان رحمه الله قد طلب المدد من الحدا فغاضبه مشائخهم وهما الشيخ محمد بن علي بن فلاح والشيخ صالح بن علي بن فلاح وذهبوا بغير رأيه؛ فدعا عليهم فهلكوا في الطريق، وأمر برفع الأمراض إلى إِب وكان الأمير الحسين في الجند.

قال رحمه الله: فأمرنا السيد محمد بن أحمد والقاضي أحمد بن عامر أن يسيرا بأصحابهما وكان معهما نحو الخمسمائة نفر إلى أعلى صبر المشرف على مدينة تعز المدينة فإن خوفنا من صاحب تعز أكثر ممن قدم من المخا ومن أهل الحجرية. وقلنا لهم يكونون هناك بحيث ينظرهم أهل تعز فإن يخرجوا لاقين لمن وصل من المخا شغلوهم عنا ما أمكن، ثم سرنا في ليلتنا فأصبحنا قريباً من المداح وهو موضع أسفل من نجد قسيم، وقد أرسلنا للسيد محمد بن أحمد، والقاضي أحمد بن عامر فنام الرسول فلم يصلها إلا وقد فات المراد من نفعها ولم يدركوا الوقعة، وكان في يفرس السيد شرف الدين بن مطهر بن عبد الرحمن [/] رتبة بعد قضية السيد الهادي، وقد أمرناه أن يستقر في يفرس ولا يتحرك وأنا واصلون إليه، فلما رأيناهم في الموضع المذكور وهم قدر ألف نفر وأربعمائة والذين معنا قدر ثمانمائة نفر فيهم الأمراض، فلاحمهم المجاهدون واستقاموا لهم، وعظم الحرب وقتل من الفريقين جماعة منهم الأكثر وتعالى النهار وحميت الشمس فنصب العجم خيامهم للمحط في نجد قسيم^(١) فلو أنهم مضوا لنجا أكثرهم إن لم ينج جميعهم.

قال رحمه الله: فملنا جانباً وقد أكثرنا من التواصي للعسكر بأنكم إن لم تصدقوا في عدوكم الجهاد فتنظروا أين مهربكم وأين أنتم، وهذه المراكز من الحجرية إنما هي لنهبكم إن لم ينظروكم غالبين، ثم كنا في خرابة مرتفعة وقد أرسلنا لأثقالنا تلحق بنا وعلى الجمال ست خزائن للتعشيرة^(٢) فأمرنا بأن نضرب^(٣) في موضع خفي لا يراه العجم ثم نَصَّر^(٤) العسكر،

(١) نجد قسيم: معركة بين الجانب العثماني واليميني في مكان ما بين تعز والمخا، بقيادة عابدين باشا سنة ١٠٣٨هـ/١٦٢٨م.

(٢) للتعشيرة: المقصود بها الرصاص والذخيرة.

(٣) نضرب: أي يقام بها الخيام وتضرب في مكان ما.

(٤) نَصَّر: أي أشعل النار، والتنصيرة معناها إشعال النيران على قمم الجبال للإبلاغ عن أمر ما.

وقالوا: هذا الحسن وصل، فحملت عليهم المراكز من الجهات ففشلوا وركبنا وحملنا فاستسلم أهل بirq^(١) نحو أربعائة وفر صاحب تدبيرهم المسمى إسماعيل آغا ونحو أربعة وعشرين فارساً، وقد أخذ من المال ما قدر عليه، فوضعنا فيهم الرايات فقتل منهم نحو سبعائة نفر وأسر الباقون ومنهم من فر حتى استجار في قبة الشيخ أحمد بن علوان.

قلت: وقد حاز الناس من الغنائم ما لا رأينا ولا سمعنا بمثله؛ فإن هذه الواقعة وقعت ونحن في جانب الطريق إلى الجند نريد اللحق به - عليه السلام - وقد اجتمع لنا غارة قريباً من المائة منهم أصحابنا الذين معنا ومنهم عسكر جمعناهم من الطريق، وقد ارتجف اليمن ورجعت القوافل من الطريق وشاع الخبر في اليمن أن مولانا الحسن غزا ولم يعرف أين صار وقائل يقول: قتل وقائل غير ذلك من المرجفين.

ولما وصلنا الجند وجدنا الأمير الحسين وأصحابه على خيولهم وقد شد أكثر أثقاله وظن الظنون فما استقر بنا عنده إلا ووصله كتاب من صاحب تعز على: أنه بلغكم طلوع هذه المحطة [/] من عند صاحب المخا ولا لنا في ذلك رأي وإنما واقفون على الصلح وكذا، وأنهم لو وصلوا ما فتحنا لهم الباب فاستروحنا النصر ولم نعرف أين مولانا فنلحق به فكنا مع الأمير حسين حتى صح الأمر ووقع النصر والحمد لله رب العالمين، ثم قدم^(٢) مؤيداً منصوراً إلى الدمنة ومعه الأسرى نحو خمسمائة نفر، ثم إنه تفقدتهم فقتل من وجده قد عاب وخان مراراً ونكث أسفاراً، وكانوا مائة وعشرين نفرًا منهم أربعة من أغواتهم، وكان بنظرنا منهم جماعة، وقد حمل الناس من الغنائم ما لا يحسب لأنهم أطلعوا معهم البزوز^(٣) على أنواعها لفتح اليمن، وجوامك العسكر الذين في تعز والذين معهم، وكان كثيراً من النقود في أحمال القش^(٤) وغيره، وكان السيد الهادي بن علي قد أضعفه المرض فقعد على جمل قش وكذا عبد الله الدقة والسيد محمد بن جعفر والسيد شرف الدين، فوجد كل واحد منهم في حملة أربعة آلاف قرش وفي أفراد العسكر كثيراً، ولقد شاركهم مولانا الحسن رحمه الله في بعضها

(١) بirq: البيرق العلم.

(٢) في (ب) بعد كلمة قدم زيادة: مولانا.

(٣) البزوز: القماش.

(٤) أحمال القش: القش هو قشرة البن، فاليمينيون يغلون قشر البن ويشربونه كالحقوة، أما البن فيتم تصديره خارج اليمن.

وهم يقسمونها، فصار إليه حصته منها ألفا قرش من غير الأخصاس.

وأخبرني الشيخ شرفان الرازحي أنه حضر عند حي الأمير سنبل وعنده آغا من أصحاب الباشا عابدين في أخبار المخا، فسأله الأمير، كم الخزانة التي نهب في نجد قسيم؟ فقال: إنها تسعون ألف قرش ومع العسكر والرؤساء مثلها وزيادة، وقد تجرد مولانا - عليه السلام - للقتل بيده حتى كلت سواعده وضعفت، وأشهد لقد رأيت ثلث الواقعة وقد دعا حالقه، فلما أتم حلق رأسه حلق إبطه فرأيت في زنديه عصابتين من شاش شاداً لهما، فلما رأيت ذلك أكثرت النظر إليهما وقد حصل معي الشجن عليه، وظننت أن تلك صوائب في يده وأنه مخفٍ لهما، فقال: ما لي أراك تكثر النظر؟ فقلت: يا سيدي ما هذا الشد في يديك وهما فوق العضدين، فقال: لحقني منهما وجع لأنني أكثرت من حمل الرمح وأحوجوني إلى أن أكثرت النخز^(١) بهذا اللفظ - عبارة كان تستحسنها وهي بالخاء المعجمة الساكنة - لأن الجماعة لم يشخنوا في العدو بل صاروا ينهبون ويأسرون فصحت فيهم اقتلوا عدوكم، ثم فعلت حتى كل ساعدي.

[/] قال: وكنت أخاف رجلاً يسمى علي فقيه الحيمي ما أعرف أثبت منه في الرمي بالبنديق، وقد غاب علينا ولحق بعدونا، فهو يعلم أني أقتله إذا وجدته فأخافه وبنديقه فلم أجده في القوم، ثم رأيت بعض أصحابنا يسير إلى غرائر^(٢) فيها قشر وغيره إن استتر وأومى إلى بعض عيون أصحابه ولم يسمه.

قال : فسألته فقال: لا شيء، فقلت: ما يكلم الحي جماداً، ثم عدت إلى مقابل الغرائر وهي على بعضها بعضاً فلم أر أحداً وهي في موضع أسفل مني.

قال: فوجهت الرمح إليها وقصبتها على أني قد رأيت من تحتها فإذا به يستجير وبنديقه في

(١) النخز: نخزه بحديدة أو نحوها، أو جعه.

(ابن منظور: لسان العرب، ج ١٤، ص ٨٣).

(٢) غرائر: الغرارة الجوالق ومفردها غرارة وهي للتبن.

(ابن منظور: لسان العرب، ج ١٠، ص ٤٦).

يده وهو مركب للفتلة فيها قطعته قبل أن يرمي فقتلته وأخذ يحدث من مثل ذلك فقلت مما وقع في نفسي والله ما هذا المراد من ثبات الملوك وإن هذا يعد فيهم نقصاً فرأيته يغير، وقال: نعم هذا قولك وأنت شاهد، وأما الذين هناك يريد شهارة وجهاتها فيقولون: حسن ابن الإمام نُشَف - بسكون الشين المعجمة - عبارة كان يستحسنها في ذكر خفة العقل، أنا والله أعلم أن تدبير ما ذكرت ولكن ما وجدت من يتقدم، ثم حدث بأني أردت أن أجعل الأمير عبد الرب مقدمة لي وأقوم به فلم يتفق إلا أن أوجهه فأجده في انتظاري كما تقدم في زراجة ويريم والنجد الأحمر^(١) وفي القاعدة، ولما صرت في هذه الأوهاط^(٢) لم يبق إلا أن ألي أمري بنفسي وإلا ضاع هذا الأمر.

وأما الأسرى فأرسلهم رضوان الله عليه إلى شهارة مع السيد شرف الدين وقد أثنى على ثباته كثيراً في يفرس، وكذلك السيد الأعلم الحسين بن علي العبالي وكان إليه البلاد، والسيد شرف الدين العسكر، فقتل السيد شرف الدين في الطريق منهم أنفاراً من غير نظر، فتبرأ منه مولانا الحسن رحمه الله وخطأه فيما بلغني، ثم أخذ يفتح خزائن السلمي فوجد من الطعامات ما يضرب به المثل، وكان في اليمن ضعف من الفتن والجدب فأحيا الأسواق وأقرض الرعايا، وأنفق على الجنود ثم تتبع طعاماته فيقال: إنها بلغت أربعة وعشرين ألف زبدي من غير ما نهبه الناس مع اشتغال مولانا رحمه الله بالحرب.

ومما قيل فيها من الشعر قول الأمير بدر الدين محمد بن علي بن شمس الدين [/]:

لمع البرق في السحاب السواري

وتذكرت نازحاً في الـديار^(٣)

(١) النجد الأحمر: جنوب مدينة إب ناحية تعز.

(المقحفي: المعجم، ج ٢، ص ١٧١٩).

(٢) الأوهاط: الوهط المكان المظلم من الأرض المستوي ينبت فيه العضاة والسَّمُر والطلع والعُرْفُظ.

(ابن منظور: لسان العرب، ج ١٥، ص ٤١٥).

(٣) في الأصل بقية الورقة ١/١٤١ أ بياض، والورقة [١٤١/ب] بياض، وفي المخطوطة الثانية (ب) أيضاً.

[/] وقال السيد العلامة ناصر بن محمد صبح بعد هذه الواقعة:

هنيئاً بما أولاك ريك من يسر
وما نلت من نصر وما حزت من أمر^(١)
وما نلت يا ابن الأكرمين أبوة
من الشرف الأعلى على كل ذي فخر
وما قهرت يمناك من مال غاشم
غنيمة حق من عييد ومن حر
فأنت سليل المرسلين وخير من
تسنم في العلياء على جهة^(٢) النسر
وأنت شبير^(٣) الدهر من نسل أحمد
أمير جنود الحق من نفر غر
عزمت كعزم الليث لا زلت غالباً
لمن صد عن نهج الهداية بالقهر
وذكرتنا أفعال حيدر و ما
تولاه من قتل الكهانة ومن أسر

(١) في (ب): أجز.

(٢) في (ب): جهة.

(٣) شبير الدهر: الشبرة العطية، وشبرته وأشبرته وشبرته أعطيته وهو الشبر العطاء.

(ابن منظور: لسان العرب، ج٧، ص١٦).

وسقتهم سوقاً بعزم وهممة
إلى أن لجأ الطاغون في جهة البحر
وحكمت أسياً فاداً وذبلاً
بيوم الوغى في هام طاغ وفي نحر
نقمت بثأر الدين والله شاهد
وخضت لظى حرب أحر من الجمر
توليت إغلاق الثغور وفتحها
فكافك رب الناس في موقف الحشر
وأسكنك الفردوس يا خير هاشم
ولقاك ما تهواه في أمد الدهر
فيا حسن ما أحسن الذكر عنكم
وما جاء من نفع كمغتيق^(١) العطر
مألت بلاد الله صيتاً لك البقا
تسمنت عليا المجد ناهيك من فخر
وأنت حسام الأل درع حصينة
حكيت غمام الجود في سنة العسر

(١) كمغتيق: غبى الرجل يغيبه فاغتيق هو اغتباقاً وغبى الإبل سقاها أو حلبها بالعشي. وتغتيقها واغتيقها حلبها في ذلك الوقت، والغبوق

شرب آخر النهار، مقابل الصبوح.

(ابن منظور: لسان العرب، ج ١٠، ص ١٤).

عليك سلام الله ماذر شارق

وماسجعت ورق الحائم في الوكر

وصلى إليه الخلق ما هبت الصبا

على أحمد المختار والنفر الغر

ولما فرغ مولانا الحسن رحمه الله من وقعة نجد قُسيم^(١)، وقد أرسل البشرى بالظهور إلى الإمام -عليه السلام- وإلى مولانا الحسين رحمه الله، ومولانا أحمد ابن أمير المؤمنين أطال الله بقاءه وغيرهم ممن على صنعاء وإلى صعدة وإلى ولده مولانا العلامة عز الدين: محمد بن الحسن ابن أمير المؤمنين أطال الله بقاءه، واجتمعت القلوب وقل النفاق، [/]^(٢) وكان قد تغير كثير من رؤساء اليمن سيما المشارق كالشيخ الرصاص الجرهمي، وكان يأخذ العطاء من الترك أخذهم الله ويأتيه معتاده من مولانا أيده الله.

فلما فتح الله بهذه الوقعة أرسل إليه مولانا البشارة مع رجل من أهل الشام يسمى الشيخ علي بن الهتلة فأخبرني المذكور قال: لما وصله استبعد ذلك وعنده من يكره الحق، ومن شرار الصوفية من يكره ظهور الإسلام، فكذبوا بذلك حتى حملوه أن قبض على الشيخ المذكور، وجعله في حبسه في يد بعض العبيد على حالة غير معهودة، وبقي أياماً حتى ظهر الأمر وكثر وعرف خطأه، قال: فأعطاه شيئاً واعتذر مما فعل بأن ما أراد بذلك إلا لتتحقق البشرى.

ولما وصل إلى مولانا الحسن رحمه الله تعالى وأخبره ووقع في نفسه كثيراً، ثم إنه وصل عقيبه عده يعني الرصاص للمعتاد له من الجامكية والكسوة، قال: فأبقاه مهملاً لم يسأله عن كتابه، ولا أمر من يقوم به على العادة، فلما استتب له أمره وعزم على الركوب لنزول المخا كما سيأتي وقد صلى المغرب، وحضرت المشاعل للمسير ليلاً وقف على حصانه وأرسل لعبد الرصاص فلما رآه وسلم عليه، قال: الجواب لسيدك أنا عازمون على عدونا إلى المخا

(١) نجد قسيم: سبق شرحها.

(٢) عند نهاية هذه الورقة كُتِب في الحاشية ملحوظة بخط مغاير التالي: (لعل هنا سقطاً سيأتي خبر نجد قسيم في أثناء هذا الكتاب مستوفاة كما ترى)، (وقد قامت الباحثة بجمع هذا السقط واستيفائه).

وتركنا اليمن خالياً، وعلى حصار حصن حب^(١) السيد أحمد بن محمد الطويل في جماعة يسيرة إذا هو يقدر يفرج عن حصن حب، ويأخذ اليمن فلا أبقى الله عليه إن أبقى علينا أو كما قال. وأقسم بالله ما أكتب إليه بعدها ولا أعطيه شيئاً مما يعتاد ثم ولى وتركه، وبقي مقطوعاً من عوائده حتى أعادها عليه مولانا الإمام - عليه السلام - كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

نعم وكان قد أرسل رحمة الله عليه بالبشرى إلى الأمير سنبل سامحه الله إلى نواحي حيس وأخبره أن ما بعد ذلك إلا التوجه إلى المخا^(٢)، فخرج من حيس مبادراً إلى بلاد الزهاري^(٣) موضعاً يسمى السمطين قريباً من المخا، واشتغل مولانا الحسن رحمه الله بنظم ثمار اليمن وقد قربت ففرق الولاة واشتغل بصاحب تعز يستوثق منه، وجعل على الحجرية السيد المقام محمد ابن الإمام الحسن أعاد الله من بركاته، وكثر المرض في عسكره حتى دق وضعف.

وتوفي في ذلك الوقت الأمير الحسين في يفرس فدفنه، وأقام ولده مقبل [/] مقامه، ثم توفي الأمير عبد الرب بن علي^(٤) وكثير من أصحابه وعيونه مثل السيد محمد بن عبد التواب بن الإمام شرف الدين والنقيب محمود والنقيب فرحان وغيرهم ودفنوا بالجند، فاشتغل مولانا الحسن رحمه الله لذلك، وتتابعت رسل الأمير سنبل يستنهض الغارة إن لم

(١) حصن حب: حصن شهير في جبل بعدان، يعتبر من أمنع حصون اليمن وهو مناوح لجبل التعكر من الشرق. وقد تكرر ذكره في التاريخ لوقوع كثير من الأحداث فيه. منها عندما سكنه الأمير علي بن الإمام شرف الدين، فأعمل له العثمانيون الخيلة ودسوا له السم من طريق أحد عبيده خاصة حين فشلوا في الاستيلاء على هذا الحصن، ثم استولوا عليه بهذه الخيلة.

(المقحفي: المعجم، ج ١، ص ٤٠٠؛ د/ سيد مصطفى: الفتح العثماني، ص ٢٩٩).

(٢) المخا: من الموانئ المشهورة على البحر الأحمر، غرب مدينة تعز، وترجع شهرته إلى أنه من أهم الموانئ التي تصدر البن اليمني الفاخر. (الحجري: المجموع، ج ٢، ص ٦٩٤).

(٣) بلاد الزهاري: وادي ومركز إداري من مديرية المخا جنوب غرب تعز، وتكثر فيه أشجار النخيل والباباي. ومن قراه: ينجل، الكديجة، الشاذلية، والرويس.

(المقحفي: المعجم، ج ١، ص ٧٤٧).

(٤) الأمير عبد الرب علي بن شمس الدين ابن الإمام شرف الدين، كان أميراً شقيقاً سخياً تقياً يقطع أكثر أوقاته بتلاوة القرآن والرواتب، ولا يفتر عن ذكر الله، ولأه الحسن بن القاسم ولاية تعز بناء على أوامر الإمام المؤيد محمد، وقد توفي في القاعدة الغربية من تعز ودفن في مدينة الجند، ومات في نفس الفترة عبد التواب من آل شرف الدين، والسيد الحسن الهادي من آل شرف الدين أيضاً. (زيارة: خلاصة المتون، ص ١٣٦).

يصل مولانا بنفسه وخاف مولانا على الأمير سنبل، وكان فيما أخبرني أصحاب الأمير سنبل يقدم كل ليلة خيلاً عليها المرافع إلى طريق زبيد، وكان فيها الأمير خضر كما تقدم في عسكر كثير ونحو ثلاثمائة فارس ومثلهم إلى طريق المخا، وخاف كثيراً، فأرسل مولانا الحسن رضوان الله عليه الأمير الكبير عابدين بن مطهر بن الشويح ونحو أربعمئة نفر من العسكر وخمسين فارساً، فأرسل معه أهل الحجرية ومشائخ مشرق اليمن فكانوا فوق الألف وصاروا في موزع^(١) مقدمة له، وذلك في شهر محرم سنة ثمان وثلاثين وألف^(٢).

ذكر حصار المخا والمخرج إليه

ولما استتب لمولانا الحسن رحمه الله ما ينبغي تقديمه ووصله الإمداد من عند الإمام - عليه السلام - مع السيد الفاضل صالح بن ناصر الثقيل الغرباني ليسوا بالكثير وإنما هم من خواص الإمام - عليه السلام -.

ووصل أيضاً السيد المطهر بن عبد الرحمن محطة عظيمة، ثم السيد الهادي بن الحسن ابن الإمام شرف الدين كذلك^(٣)، وقد صح بعض أصحابه من المرض ثم أخذ مشائخ اليمن معه، ووصله أيضاً مدد من الأمير عبد القادر بن محمد صاحب خنفر^(٤) خيلاً وما يحتاج إليه من آلة الماء للسفر، واستعان الله سبحانه وتعالى، وتوجه إلى موزع، فتلقاه الأمير عابدين بن المطهر ومن كان عنده، فأمسى ليلة وأصبح مغزاً وهو في أول عسكره يريد المخا، وكان قد وصله الأمير سنبل من موضعه الأول، يلتبس رأيه في المصير إليه فلم يجده في موزع بل كان قد تقدم إلى المخا، فلم يدركه إلا والحرب على المخا، فأمره أن يلحق بمن معه إلى خارج [/] المخا وتوكل على الله سبحانه وتقدم للحرب، وذلك في أول شهر ربيع الأول سنة

(١) موزع: صقع متسع جنوب شرق ميناء المخا، يشكل إحدى مديريات محافظة تعز.

(المقضي: المعجم، ج ٢، ص ١٦٨٣؛ الحجري: المجموع، ج ٢، ص ٧٢٤).

(٢) محرم ١٠٣٨هـ = أغسطس ١٦٢٨م.

(٣) كذلك: ليست في (ب).

(٤) عبد القادر بن محمد صاحب خنفر، ويقال له صاحب أين، وخنفر سبق ترجمتها.

ثمان وثلاثين وألف، وكان مع مولانا أيده الله^(١) آغا من العجم اسمه محمد كان فر إليه إلى حدة فأقره معه وولاه السوق فنظمه غاية وظهر نفعه، ولما وصل موزع^(٢) لحقته الرقة على قومه فهرب إلى الباشا عابدين إلى المخا، ولما وصل المخا هول بمن وصل مع مولانا وأمرهم بإحراق العُشش^(٣) في المخا، وأن لا يتركوا إلا الدور الكبار والحصن الذي كان أسسه فضلي باشا، فإنه حصنه وجعل فيه رتبة ومدافع وهي ترمي إلى البحر وتمنع من قصد البندر من جهة البحر وتمنع خروج من في البندر من المضي إلى البحر إلا برأي صاحب الحصن، وقد عمروه وحصنوه.

وتقدمت المحاط كما تقدم، وصار مولانا الحسن بموضع يسمى الخناني وترك الأثقال فيه، وأمر السيد عز الدين محمد بن أحمد ابن أمير المؤمنين رحمه الله أن يتقدم من جهة العدن لدخول المخا فأخذ بيوتاً كثيرة.

ذكر الوقعة في المخا

ولما استقر الحرب كما سيأتي عاد مولانا رحمه الله إلى المحطة المعروفة بعسلة على غير ماء، وكان العجم قد كبسوها وألقوا فيها الجيف، ولم يتمكنوا من أخذ بير الشاذلي المعروفة لأن مولانا أيده الله تقدم قبل وصول الأمير سنبل كما تقدم، فعبى راياته المنصورة فجعل السيد محمد بن أحمد بن أمير المؤمنين في جانب والسيد أحمد بن هارون في جانب ثم غيرهم من الرؤساء وهم كثيرون.

قيل: كانت الرايات تقرب من الثلاثين الراية، وحمل أهل اليمن وغيرهم من العسكر، فدخلوا المدينة وهي وسيعة يقال: إنها أوسع من صنعاء فكل طائفة دخلت بيتاً وقتل نفعهم وإنما صار من في البيت حافظاً له فقط، ثم وصل الأمير سنبل وكان هو وأصحابه في جانب الشاذلي، ووقع الحرب في جانبه وقتل حامل رايته واثنان عشر نفرًا من أصحابه، وصار الحرب

(١) في (ب): رحمه الله.

(٢) في (ب): المخا.

(٣) العُشش: هي بيوت بسيطة، تُصنع من سعف النخيل والقش، وكانت معظم منازل نهماء وخاصة القرى الحارة تُبنى من العُشش.

على الذين في القلب، وعظم الأمر على الباشا ففر إلى خلف [/] الحصن يريد الركوب بحراً، وكان قد هرب إليه كثيرون من شرار العرب كما تقدم، من الذين هربوا من يفرس من أصحاب السيد الهادي فصاروا كثيراً وصار إليهم علي زايد الهمداني من أصحاب الأمير سنبل ومزاحم آغا أيضاً من أصحاب الأمير سنبل، فكان علي زايد هذا معظماً عندهم وجعلوه من كبار أغواتهم، فكرهوا الهرب على الباشا فأعادوه مكانه بعد أن هموا به وحملوا، فهزموا من دخل من جنود الحق، وقد تفرقوا في الشوارع وقتلوا جماعة من المجاهدين، وخرجت خيلهم إلى مقابل مولانا الحسن رحمه الله وكان قد ركب فحمل فيها فهزمها في جماعة من خواصه منهم السيد يحيى بن لطف الباري، والأمير محمد بن علي بن شمس الدين وغيرهم فعدت منهزمة، وقد أصيب حصان مولانا الحسن رحمه الله وأصيب جماعة بين يديه منهم الفقيه المؤذن أخذته رصاصة مدفع وكذا حصان الأمير سنبل، ووقع أمر ليس بالهزل، ثم أرسل رحمه الله على من في البيوت بالخروج، وعرف أن التعبئة اختلطت، فخرج الناس وقد قتل منهم فوق المائة نفر، وأسر جماعة كانوا في البيوت لم يعرفوا بعود أصحابهم، ولا عرف مولانا بقاهم وعاد إلى موضعه بحيث إن المدافع تطف عليه وقد جعل فسطاطه من وراء كتيب من أجل المدافع، وبقي الناس من غير ماء إلا ما حملوه من الغرافي وموزع وضج الناس من العطش، فلما كان بعد العتمة وإذا بالصائح يقول: السيل فركب أهل الخيل وسرعان الناس وظنوه الخضم فإذا بالسيل قد وصل من بلاد الحجرية على مسيرة يومين، فلم يسمعه الناس حتى خالطهم، فكان مولانا رضوان الله عليه يباشر مضاربه بيده وخزائنه، ثم أخذ كثيراً من القصب وخندق به على ما عجز عنه وامتألت الغدران^(١) ماءً عذباً سمهجا^(٢) وكان غياثاً للمجاهدين وكرامة لولد سيد المرسلين وضرب بذلك المثل، ثم إنه -عليه السلام- احتفر البئر المساه [/] الحسنية وتسمى العسلية لعذوبة مائها، فكفت جنوده ومن يلم بمحاطه كفاية يضرب بها المثل، ويقال إنها يعهد ما رأوا من كثرة مائها فإنها كفت المحطة ومن يلم بها حتى ارتحلوا عنها.

(١) الغدران: الغدير مستنقع ماء صغيراً كان أو كبيراً. (ابن منظور: لسان العرب، ج٦، ص٢٢).

(٢) سَمَهَجاً: السمهج السهل، وأرض سمهج: أرض واسعة سهلة.

(ابن منظور: لسان العرب، ج٦، ص٣٧٧).

ولما عاد مولانا الحسن رحمه الله تعالى إلى الموضع المذكور عقيب الحرب وخرج السيد عز الدين محمد بن أحمد رحمه الله من المخا إلى الخناني، وهو محط الأثقال كما تقدم، وخاف عليه مولانا الحسن^(١) فركب في الليل واستخلف على المحطة الأمير سنبل والسيد أحمد بن هارون وأهل الشام حتى نقل المحطة إلى موضعه المذكور، ولم يتعرض له أهل المخا وإنما كانوا يرمون بالمدافع والله سبحانه وتعالى عنه وعن أصحابه يدافع.

ثم إنه - عليه السلام - عبأ الناس للحملة مرة أخرى، وقد استقر في الموضع المذكور فوقع في رأسه الكريم وجع وأعظمه في آذانه من الفوج^(٢) المعتاد في تهامة مع حركاته والعرق في الحرب الأول، مع أنه وقع مطر عظيم فانتظر ذلك حتى صح.

ذكر الصلح على المخا

ولما فرغ مولانا الحسن رحمه الله من توزيع أصحابه للحملة والتعبئة من آخر الليل وصلت الكتب من الإمام - عليه السلام - بالتماس حيدر باشا لها بالصلح على المخا، وكان في أيام الصلح على صنعاء وتعز كما تقدم، فأراد أن يجعل المخا كذلك لأنه خاف أن يستولي عليه مولانا الحسن رحمه الله وفيه خزائن جمة لحيدر كما سيأتي بعض ذكرها قريباً إن شاء الله تعالى، وقد شدد عليه وكان يدخل إليهم مدد من الساحل فقبض طلائعه بعضهم فأمر بضرب أعناقهم، فانقطع عنهم المدد وهم ألوف لا تحصى يعني من في المخا.

وفيها خرج جماعة من أصحابه إلى الساحل منهم الشيخ محمد عجير السريحي فقبض عليه العجم وعلى ثلاثة فرسان معه، (وقتل نحو عشرة أنفار ممن كان معه وفر الباقون، ولما وصلت الكتب من الإمام - عليه السلام - كما تقدم اغتم مولانا الحسن رحمه الله ومن معه)^(٣) وقد أشرفوا على فتح البندر ودارت المراجعة حتى انعقد لهم صلح كصلح صنعاء، وشرط عليهم مولانا الحسن رحمه الله حفظ محطته وأن لا يتجاوزوها [/] وجعل لوالي موزع من

(١) في (ب): بعد اسم الحسن: رحمه الله.

(٢) الفوج: لم أستدل على المعنى. ولعلها الريح الحارة التي تميزت بها تهامة.

(٣) ما بين القوسين ليست في (ب).

قبله نجبا في هذا الموضع وعلى أنهم يسلمون له مالا، فصالحوه على عشرة آلاف قرش وعلى ثياب كثيرة وخمسة أحمال من الرماح الهندي وغيرها، وعلى إخراج المحابيس الذين في البحر من العرب والعجم سواء كان حبسهم بجزيرة دولة الحق أم غيرها، وتوسط في الخطاب الأمير سنبل وخرج إلى مولانا الحسن رحمه الله مسلى آغا مرتين وغيره من كبارهم وخلع على المتوسطين من الجانبين، ودخل الشيخ علي المنامة كذلك من غير الرسل وللعرب على العجم حامية^(١) والكلمة العالية، وأرسل مولانا الحسن رحمه الله للسيد المقام المهدي بن الهادي النوعة لقبض مال الصلح كما أخبرني مولانا الحسن رحمه الله من فيه وقد ذكر السيد المهدي فقال: أرسلناه لقبض مال الصلح في المخا فتحكم فيهم في التقويم والتبديل وأسمعهم ما لا نحبه فخفنا عليه من شرهم، فأرسلنا إليه سرا أن قبض ما أعطوك فلم يفعل بل تحكم فيهم أكثر، فأعدنا عليه أخرى، فكان الجواب: إن أول من يقتلون أنا وأنتم القاهرون فدعوني وإياهم.

ولما خرج قلنا له بذلك وقد خفنا عليه من جنودهم إذا لم يأنف باشتهم (من تحكمه)^(١) فقال: ما فعلت ذلك إلا لما رأيت ذلم فهم أذل من النعال أو كما قال.

وعقد الصلح وأراد مولانا رحمه الله أن يرتفع وقد خرج في هذا الصلح جميع أهل المخا ومن فيه من العوالم على أجناسهم لينظروا إلى مولانا رحمه الله، وقد أقام السوق بجميع أنواع المجلوبات حتى صار حكم مدينة عظمى، ورخصت الأسعار فيه رخصاً يضرب به المثل، فاستغاث من في المخا بذلك، وأطلق لهم شراء ما شاءوا وكثرة الهدايا من الباشا المذكور.

قال القاضي المجاهد العلامة أحمد بن عامر بن محمد الذماري رحمه الله: وقد ذكرنا نحن وهو ما ينبغي من المشاورة وأني رأيت والده رحمه الله وقد حضر عند مولانا الإمام في الشدة المتقدم ذكرها بعد وفاة مولانا الإمام المنصور بالله سلام الله عليه، وقد أطعموا الناس الحاصل حتى كمل ثم الزبيب ثم الدقيق ثم الحب، ثم بقي جماعة من كثرة العوالم، فطلب

(١) في (ب): خاصة.

(٢) من تحكمه: ليست في (ب).

مولانا الإمام - عليه السلام - لهم الدراهم فلم يجدها فاقترضوا [/] عشرة حروف من بعض أهل السوق، فقال الإمام - عليه السلام - : وهذه فرقوها على بقشة بقشة لكل نفر. فقاموا لذلك وصاح سيدنا عامر رحمه الله إلى الذي معه الدراهم ليعود فعاد فقال: أعرف المتأخرين كم قدرهم ثم أعطهم صبرة وقل هذه لكم يا بني فلان أو يا هؤلاء الذين في المكان ولا يقال هذه بقشة وعدوكم ينظر تصرفاتكم.

قال القاضي أحمد رحمه الله: فقال مولانا الحسن رحمه الله يعطى كل من وصل هذا الموضع من عسكري وخادم وأهل السوق حرفاً حرفاً عطاء من غير حساب قال فقلت له: انظر كم هم؟ ثم قل بما رأيت من المال، هذا لمن وصل هذا المكان ألف أو آلاف عطية بينهم على سواء فأنت في بلد المخا ومحل الأموال، فلم يفعل، ولما بلغ الباشا عطية الحرف لكل نفر جعل لكل نفر من عسكريه وهم أقل من عسكري مولانا، خمسة قروش أو قال عشرة قروش، وأخبرني الشيخ جمال الدين على بن ناصر النحري فيما قال أن مولانا رحمه الله ثقل عليهم من الارتحال فأعطوه لكل نفر من كل من وصل محطته قرشاً قرشاً وأنه صار إليه قرش وإلى غلامه مثله فكانت اثني عشر ألفاً غير الأولى، وثقل أيضاً عليهم فزادوه مالاً نقداً أيضاً كثيراً.

وصحح هذه الرواية الشيخ شرفان بن محمد وغيره، وارتفع مولانا الحسن رحمه الله وعرف أن المال قد أفسد عليه من كان أصله من جند العجم وصار في جنده، فأمر برفع المحطة وهو باق.

ولما ارتفعت الأثقال وبقي العسكري ركب وأمر الشيخ المجاهد علي بن شمسان رحمه الله أن يتأخر في جماعة من الخواص فوجدوا من يتسلل إلى المخا فقاتهم بعض، وقتلوا نفراً واحداً واحتاط الإمام بديته، فامتنع الأشرار وخرج الأمير سنبل وأصحابه جانباً، وكان آخر من خرج بالمحطة.

ولما وصل مولانا أيده الله موزع جعل فيه الأمير الهادي بن المطهر بن الشويح فإن صنوه الأمير عابدين كان توفي فيه وجعل معه عسكرياً وخيلاً وجعل إليه ولاية البلاد المذكورة، ثم وجه الأمير سنبل لأصحابه وزيادة من أصحاب مولانا خيلاً ورجلاً عليهم الأمير الشريف

عبد الله بن صلاح العفاري وغيره وعادوا إلى حيس وتقدم مولانا إلى يفرس من بلاد الحجرية.

قال رحمه الله: ولما أعطينا من بقي مع الأمير [/] الهادي ومن كان مع الأمير سنبل وغيرهم لم يبق لنا شيء، وقد أردنا أن نعطي العسكر في وادي الغيل شيئاً.

قال رحمه الله: فقلت لمن عندي أرخوا^(١) أن صاحب هذا الجيش الذي أوله في موضع كذا وآخره كذا، لا يجد مصروف نفسه، ثم قال رحمه الله: ووصلنا في تلك الحال بعد هذا القول منكم نريد من عندنا دفعة فأعطينا من بقي.

ولما صار -عليه السلام- في يفرس وذلك في شهر ربيع الأول سنة ثمان وثلاثين وألف^(٢) وبقي فيه أشهراً حتى تم عقد^(٣) الصلح الذي لصاحب تعز وقد استقال مع الصلح وشحن تعز، وكان تصل إليه مادة من المخا وطريق الزغارير فتقدم مولانا أكمة مقابلة للباب وجعل في الحوض محطة وفي الحضيرية وفي المذاخر، وفي أعلى من القاهرة مما يلي صبر، ولا زال الحرب عليهم ليلاً ونهاراً وكان فيهم من يسمعه المكروه من شرار العرب الذين معهم فإن منهم من قد غدر مراراً ومنهم مرتين وقليل من غدر مرة، فأمر بالكف عن مكالمتهم والجواب عليهم، وأهلك الله واحداً منهم كان أشدهم عداوة وفحشاً تردى من أعلى السور فقتله سلاحه وكان يسمى هادي القيامي لعنه الله من بلاد عتمة وغيره، وذلك أن مولانا لما كثر من عدو الله ذلك بذل على يد بعض أعوانه من احتال في وضع خط شاهد^(٤) في جيب هذا الفاجر، وجعل أيضاً من يوهم عليهم حتى يفتشوه، فلما وجدوا معه الخط أقاموه حتى يحضر العسكر، وقد جعل طاغيتهم هذا قاعدة لا يقتل أحداً إلا بمراضاة العسكر، فانفلت من موضعه حتى استجار بتربة الشيخ عبد الهادي، ثم احتال بعض أصحابه على أنه يهرب إلى

(١) أرخوا: أي اكتبوا تاريخ هذا الحدث.

(٢) ١٠٣٨هـ = ١٦٢٨م.

(٣) عقد: ليست في (ب).

(٤) خط شاهد: أي رسالة صغيرة تُدينه على تأمره مع الطرف الآخر.

مولانا الحسن، فدلّ نفسه بحبل فلما توسط السور انقطع الحبل وكان عدو الله قد طرح مزارقاً^(١) محلياً وأمتعة إلى أسفل السور فهو إلى فوق المزارق حتى يجره ويكسر فيه، وخرج أهل تعز فاحتزوا رأسه، وآخر يسمى المعصوبة من همدان أهلكه الله بما لا أتخفقه فقل بعدها الفحش بالكلام لأنهم اتهموا من أفحش أنه خائن لهم ويتستر بالسب لعنهم الله جميعاً.

وقد صاروا أبعد من العجم من سماع الحق والقرب منه، وقد أصلح الله سبحانه وتعالى اليمن وثاره واستاقت البلاد إلى ذلك المحل واستراح العسكر الإمامي.

ذكر فتح تعز [/] العدينة

ولما هبّ الله سبحانه وتعالى أسباب فتح تعز أرسل الباشا حيدر مع الصلح إلى تعز شيئاً كثيراً مما لا يحملها^(٢) إلا أهل البسالة ممن اشتهر وشهد له بذلك العسكر وهي معروفة إلى هذا علي آغا، وكتاباً أنه بلغنا أن العسكر في تعز فعلوا وفعلوا ومدحهم، وقال: يجعلون هذه في شجعان العسكر وإن كانوا كلهم قد وقد كما أخبرني بذلك عثمان آغا صاحب القاهرة كما سيأتي من خبره، وأرسل للآغا بريشة من حق الباشا الذي لا يلبسها في عرفهم إلا الوزير ففرقوا الريش ولم يجعلوا لأهل حصن القاهرة شيئاً وهم رتبة الحصن وعليهم آغا، ثم فرقوا بعد ذلك بغشياً أيام الحصار الآخر لكل نفر خمسة حروف عطية من غير ما هو معلوم له، وأعطوا أهل الحصن لكل نفر حرفين على أنهم أهل بيوت وحلل في الحصن، فأخبرني عثمان آغا المذكور وهو الأمير عثمان بن أحمد فإن أحواله صلحت وارتفع ذكره وولي الحجرية كلها مدة وصار أميراً كبيراً، قال: كنت كخياً^(٣) هذا الحصن والمختلف بحوائج صاحبه، وكان ميل الرتبة معي وهوهم عندي ولا يخطر ببالي الميل إلى دولة الإمام.

(١) مزارقاً: نوع من الأسلحة العثمانية.

(د/ يوسف نعيسه، محمود عامر: التشكيلات والأزياء العسكرية، ص ٧٧).

(٢) في (ب): لا يحملها .

(٣) الكخيا: نائب الوالي.

قال: فرأيت في النوم أني في موضع كله نجاسات من جنس أبوال الحمير ونحوها، ولا أجد شيئاً طاهراً وإذا قائل يقول لي وقد رأيت صورته: وكم يا فلان تبقى في هذه الحالة؟ هل لك أن تغتسل وكذا؟ ثم دلني على ماء عذب فاغتسلت وهو يعلمني كيف أفعل، ثم تنبهت وأنا على تلك الحالة، وقد تحرك في ذهني أني أحتال في الهرب إلى مولانا الحسن رحمه الله، قال فأعطى صاحب تعز العسكر بغشيشاً خمسة خمسة، وأعطى أصحابي حرفين حرفين، فطلعت من عنده مغاضباً لا أعرف الطريق من الغضب، فوصلت الباب وأمرت صاحب الباب الذي إلى تعز بإغلاقه وأخذت المفتاح ومن لقيته من الرتبة أمرت بأخذ سلاحه وبالمسير معي وأخبرهم بالذي اتفق، ثم وصلنا إلى الآغا صاحب الحصن، ووثبنا عليه وقتلنا له: إلى كم هذه الإهانة من هذا الكذا يهملنا وقد بلغ وقد بلغ بنا الحال إلى التلف؟! وأخذنا الآغا [/] وأدخلناه منزلاً وأخذنا المفتاح وجعلنا عليه الرّسم^(١) ولا عرف أكثر أهل الحصن ما المراد إلا أنهم يقولون هذه على سبيل الزبزية^(٢) والاضطراب، ثم احتلت فيمن أخافه منهم فجعلته في جانب بعيد مني ومن الباب وجعلت ممن يساعدي بنادق ترمي أهل تعز. ودليت فلاناً إلى مولانا الحسن رحمه الله أن أدركنا بالرجال، قال: فماجت المدينة وحملوا علينا فرميناهم وقتلنا منهم ولم ينصر للإمام ليلاً يفترق علينا أهل الحصن حتى وصلت الغارات من عند مولانا الحسن وقد جارينا أهل تعز بخطاب حتى تقرب منا الغارة الحسنية.

قال: فأغار من عند مولانا نحو أربع أو خمسمائة نفر فأرسلت لهم حبلاً تعلقوا به ولما غلظ العسكر عندنا توجه الجميع^(٣) لحرب تعز، ولما كثر أصحاب مولانا في الحصن فتحنا لهم الباب فملكوا بعض البيوت.

قال: وكان هذا علي آغا من شرار العجم وفتاكهم، فعالج أن يجتمع إليه العسكر ويحفظ أعلى المدينة حتى يعبّي أصحابه ويفتح الباب ويخرج إلى بلاد الزغارير ثم إلى زبيد.

قال: ومن عظم خبثه رضي أن يتقطع في الطرقات ونسي من في حيس إذا اشتغل أهل تعز

(١) الرّسم: الحرس.

(٢) الزبزية: هكذا وردت. وقد تكون الذبذبة وقد كتبها المؤرخ كما سمعها على حسب نطق اللسان التركي.

(٣) في (ب): توجهوا.

عن إدراكه ولا يتسلم، قال: فلم يجتمع له العسكر بل فشلوا فخطب وطلب الأمان من مولانا الحسن رحمه الله فدخل له بالأمان الشيخ المجاهد علي بن شمسان وبقي عند الأغا إلى اليوم الثاني، ولما فتح باب المدينة دخل أصحاب مولانا الحسن رحمه الله على غير نظام وصاروا في البيوت وخرج كبراء العجم، والعسكر الذين قل مثلهم في جودة الرمي والشجاعة والبغض لجانب الحق، فقابلهم للسلام في جماعة فوق العشرين نفر فقط فيهم بعض خواصه وقد داخلهم الفزع من فتك الأشرار، فسلموا عليه وأيديهم ترتعد وقد قذف الله في قلوبهم الرعب ثم أزاحهم عنه جانباً، وأرسل لأصحابه فاجتمعوا إليه على مشقة وقد اشتغلوا بدخول البيوت فوقع في نفسه وحبس جماعة منهم وجلد آخرين ولا مهم وقال فيما قال: هؤلاء أنصح منكم يعني الخصوم، وكان الذين خرجوا من تعز ألفاً وثمانمائة نفر كما وصفنا، ولما قررهم في مواضع من المحطة وكان وجه ليل ركب للعساسة^(١) كما أخبرني الأمير عبد الله [/] السلطان وأنه الذي أشار عليه فصار في الخوض مخافة من مكرهم مع نفر من أصحابه.

ولما كان ثاني يوم دخل المدينة وذلك لإحدى عشر من شوال سنة ثمان وثلاثين وألف، وطلب الأغا إلى عنده فأمنه وكساه، ثم أرسله وكشك بيه وغيرهما إلى شهارة المحروسة بالله، وقرر أهل تعز وأحسن إليهم، وكذا كبار العسكر كساهم وقررهم على ما هو لهم من الجامكية وعفا عن جميعهم، وطابت نفسه عليهم لما تفرق أصحابه كما تقدم ورأى منهم عدم الخوض في الغدر وعرف أن للعفو مجالاً.

وأما عثمان آغا فألحقه بخواصه وعرف له حقه ولا زال يذكرها له حتى مات رحمه الله وهو في كل يوم يتابع له العطاء والجاه، واستقر في المدينة وعمرها وقبض الجوار من الطواشي الذي كان فيها للسلطان، وذلك كما أخبرني الأمير عبد الله بن محمد الرومي الواصل إلى مولانا الإمام المؤيد بالله من جهة حيدر باشا كما سيأتي إن شاء الله تعالى، أن جماعة طلبهم السلطان مراد بن أحمد ممن خان أخاه عثمان وأعان على قتله، ففروا في الأقطار ففر هذا

(١) للعساسة: عسس، عسَّ يَعْسُ أي طاف بالليل، والعسس: الحرس، وعن عمر بن الخطاب كان يعس بالمدينة أي يطوف بالليل يحرس الناس. (ابن منظور: لسان العرب، ج ٩، ص ٢٠٤).

الطواشي إلى اليمن، فكان في تعز في أخبار طويلة ذكرها الأمير المذكور.

ولما فتح الله تعز كما ذكرناه قبض مولانا الجوار في جملة الغنائم واصطفاهن لنفسه، وفعل للطواشي زاداً مبلغاً، وخطاً في قبض ذلك منه وفسح له كما أخبرني بعض أصحاب مولانا الحسن رحمه الله، وعمّر تعز وأحسن إلى سكانها، فكانوا إذا أقسموا مبالغين أقسموا برأسه الشريف، وتسلم بعد ذلك حصن حب والتعكر^(١) وولى عليهما وصلاح اليمن جميعاً والحمد لله رب العالمين، والمذكور من فتح تعز وحروبها في العامين أكثر مما ذكر تفصيلاً ومما يحتاج إن رُقم^(٢) شرحاً طويلاً وفي نسخة كتاب مولانا الحسن رضوان الله عليه إلى الإمام -عليه السلام- من تلخيص ذلك ما هذا لفظه:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى على محمد وآله أجمعين، صلوات الله وسلامه وتحياته وإكرامه، وروحه وريحانه، وبركاته وإنعامه، ورحمته ما أم مأموماً إمامه، وسجع بأيك حمامة على الحضرة المقدسة التي هي على قواعد تقوى الله مؤسسة، [/] لسيدي وسيد المسلمين أمير المؤمنين المؤيد بالله رب العالمين مد الله مدته إلى يوم الدين وبعد:

فإنها صدرت من محروس مدينة تعز حرسها الله تعالى بعد ورود كتبكم الكريمة جواباً في الكتب المتضمنة لبشرى فتحها المبارك إن شاء الله تعالى، واقتضى الحال حينئذ الاختصار منا في خبرها، والاختصار على المقصود من أمرها، وما نحن الآن بإعانة الله نشرح لكم جملها، ونوضح لكم فرع القضية وأصلها، لنظفي الأوام، وتنشفي الأوهام، نعم أنعم الله على أهل الإسلام بطول أيامكم ليتقرر عندكم أولاً أننا لم نلاق فيما سلف منا من قتال العدو الذي قد أراح الله منه العباد والبلاد منذ تصدرنا لقتاله بدعوة والدنا صلوات الله وسلامه عليه سابقاً، وبدعوتكم المباركة الميمونة لاحقاً بعض ما لقيناه من التعب والنصب باطنياً وظاهراً في

(١) التَّعَكَّرَ: جبل في العدين تقع في سفحه مدينة جبلة، وفي أعلاه قلعة حصينة كانت إحدى معاقل الصليبيين خاصة الملكة أروى. للمزيد

انظر (المحفي: المعجم، ج ١، ص ٢٣٣).

(٢) رقم: بمعنى كتب.

حصار من كان في هذه المدينة المحروسة إن شاء الله تعالى، ومقاتلتهم ومصاوتهم، بل ولا سمعنا فيما مضى من سير الأولين بمثل أمرها، وذلكم أنه لما حصرناهم في العام الماضي كما عرفتم ما زلنا نعمل الحيل والمكائد، ونبذل الأموال الجلييلة على أن تتمكن من نوبة واحدة من نوبها، أو نستميل أحداً من الذين كانوا بها، لم نزل كذلك ليلاً ونهاراً ورواحاً وإبكاراً وهي تزداد صعوبة وانغلاقاً لأسباب تم ذلك لهم معها منها عزة دائر هذه المدينة^(١) المحروسة إن شاء الله وتحصنه التحصن الذي لا نعلمه في غيرها.

ومنها أنها كانت شحنت بشياطين العرب والعجم والتمردين على الله سبحانه، واتفقت كلمتهم واتحد رأيهم وتعاهدوا على زعمهم، وترابطوا على المحافظة على طاعة عدو الله إبليس لعنه الله، وتسلب بعضهم على الآخر بصدده عن سبيل الله، ويهدده فإن بقي في علم الله منهم من يمكن منه الرجوع إلى الله سبحانه وتعالى لم تبق له قدرة على أن ذكر ذلك بقلبه فضلاً عن لسانه لأنه إذا رآه ساكتاً مفكراً عاقبوه واتهموه، وعزموا على لزوم هذه المدينة وإن تزلزلت الجبال، ومنها أنا أشفقنا على مراتبنا المحروسة إن شاء الله بتهامة فكثيراً ما أعطيناهم المهل، ووسعنا لهم الأجل، ونحن مع ذلك نروم من أيهم الميل أو الوعد بالميل فما قدرنا على شيء [/] فيما طلبناه، ولم نجد في أميرهم ومأمورهم موضع شعرة واحدة لله^(٢) إلا أناساً كانوا وعدوا بأنهم سيمكنونا من نوبه ثم اعتذروا بعد بأنهم لم يتركوا حيث يريدون من ذلك بل لا يزالون يحولون من رتبة إلى أخرى.

ومنها أن هذا الآغا الذي كان متولياً أمرهم لم يمكن أن يوجد بالناس أشد منه شكيمة ولا أحد منه عزيمة، ولا أدهى ولا أمكر ولا أسخى ببذل المال، ولا أشد جرأة على الله وتمرداً، وله من الأقوال والأعمال الكفرية ما لم يعلم في غيره من شجرته الخبيثة، حكى أنه كان إذا عذب أحداً فيستغيث بالله أو يذكر الله يتشظى من الغيظ ويقول: إيش يفعل لك الله ينفعك من علي آغا، وكان إذا سمع من يذكر الله أو يتلو القرآن يهيم أن يبطش به، والصيام

(١) عزة دائر المدينة: المقصود به سورها.

(٢) الله: ليست في (ب).

اشتهر عنه أن من اتهمه^(١) بأنه يصوم عاقبه، وكان يتجسس في الليل على من يصوم، وأما الصلاة فلا تذكر عنده البتة؟ وكيف يمكن من مثل هذا أن يهتدي؟ أو يطمع فيه سيباً وقد انضم إليه من أبناء جنسه من العجم والعرب من ساعده على أمره، ووالاه على كفره، وصفا له في سره وجهره، وساروا طوع يده، وعاشروه معاشرة أفلاذ^(٢) كبده، حتى أنهم في آخر المدة لما رأوا أنه قد ازدادت عليه الشدة وعجز عن استعداد العدة قالوا له: لن ترع نحن نبذل جوامكنا فيما تحتاج إليه من المتاع، ونبذل أرواحنا دونك في القراع، وأعد كل لنفسه ما يكفيه مدة طائلة فمن قال لكم: إنه كان فيهم من يرضى الموالة لكم وهو يقدر على غيرها يبذل ماله وروحه، فقد ادعى باطلاً وكذب كذباً هائلاً إلا هذا الرجل الذي أجرى الله هذه النعمة على يديه وقصر السعادة في أولئك القوم عليه عثمان آغا كخيه آغة القاهرة، فإنه كان عندنا منه خبر لطيف على لسان رجل حامل ضعيف، وكنا نحمله على ما يحمل عليه غيره من النفاق والخداع والتملق وهو يعتذر بعذر واضح، هو أنه جعل عنده من أبناء الترك نحو مائة نفر رتبة ليلاً ونهاراً ولم يكن رتبة القاهرة الذين هم طوعه إلا نحو ثلاثين نفرأ في غاية الضعف والركة وقد كنا آيسنا من أنها ستأتينا من لديه النصره والله سبحانه بالغ أمره، فلما حل بالقوم غضب ربههم، وحق ما أراده من حلول الخزي والبوار بهم، يسر أسباب ذلك وأعمالهم عمى [/] كانوا أبصر به من المسالك، فأصبحوا يوماً من الأيام يجتمعون إلى صنمهم لعدد البغشيش، فكان فيمن حضر عثمان هذا من رتبة القاهرة فقيل: أما أنتم فليس لكم شيئاً من هذا فرجع إلى أصحابه مكسور خاطر، ووجد الطائفة الموكلة بحراسة القاهرة قد لحقوا بالعسكر لطلب حقهم فقال لأصحابه: يقول لكم الأمير لا شيء لكم من ذلك فقالوا: هذا جزاؤنا منه على ما لقيناه من البلاء في خدمته، فلما وجد الفراغ في قلوبهم قال: لستم عنده شيء قالو: فكيف؟ قال: تحلفون لي، فلما حلفوا له قال: نحبس الآغا ونغلق الأبواب وهذا الملجأ حاضر قالوا: نعم فقام بنفسه قيد آغته وغلق الأبواب وأرسل إلينا أخاه فوصل إلينا

(١) في (ب): اتهم أحد.

(٢) أفلاذ: ليست في (ب).

وقال: الأمر فيه وفيه، وهذا أنا رهينة أخي في ذلك حتى تبلغوا مرادكم، فيينا^(١) نحن نتردد في الأمر ونجيل الفكر لم نشعر إلا بالمرامة فيما بين أهل القاهرة وأهل المدينة، فخرجنا في الحال أمرنا من أمرنا من السادة إليهم مع رتبة في أول^(٢) الأمر، وكان أهل المدينة يطمعون في رجوع المذكورين ويبدلون لهم الرغائب حتى قالوا لهم: لكم خمسون خمسون محلقاً وأهل القاهرة لا يجيبون إلا بالرمي والتنصير لإمامهم أيده الله، ثم ما شعر أهل المدينة إلا بالأعلام تخفق في أعلى قصور القاهرة، ونحن مع ذلك نشاهدهم ونرى ما يأتون وما يذرون، وقد رتبنا الأجناد المنصورة إن شاء الله حول المدينة خشية من أن يحملهم الإياس على بذل نفوسهم والإلقاء بها إلى التهلكة فلا يهلكون حتى يبألون، فلما عاينوا الخبر وتيقنوا نزول القدر حاصوا إلى مواضع في المدينة وأخرجوا إلينا جماعة من أعيانهم وأعيان أهلها يلتمسون منا حقن دمائهم في ذلك الوقت، ولنا منهم ما نريد بعد، وقد كنا طلعنا على ضعفاء من أهل المدينة وأطفال وحرم لا ينحصرن، فعلمنا أنه لم نوصل إلى الغرض في العدو حتى يهلك هؤلاء في الوسط فأعطيناهم ما طلبوه من ذلك، وخرجوا في حال مستسلمين غير راضين والله لا باطناً ولا ظاهراً، وكيف نظن بهم الخير ونحن حولهم منذ سنتين نتردد ونقبل إليهم وندبر عنهم، ونرغب ونرهب، ولا يزيدهم ذلك إلا عتواً ونفوراً، فلا يظن أمير المؤمنين سلم الله عليه أن لأحد في هذه النعمة التي أنعم الله بها عليه وعلى أوليائه منةً أو يداً غير الله، فله الحمد والشكر والثناء على سوابغ [/] نعمه وبوالغ حكمه.

هذا ولا نقدر على أن نصف ما انتهت إليه هذه المدينة من الضعف والخراب الذي لم يمكن جبره إلا بعد أحقاب، ولكنها بحمد الله لما استقر بها ركاب هذه الدولة المسعودة انثالت إليها الركبان ووفدت العربان، فمع قوة الحركة في البيع والشراء فيها يرجى قرب عمارتها إن شاء الله تعالى، وسنفعل إن شاء الله ما أشرتم إليه من الأفعال الموصلة إلى حياتها إن شاء الله، ولا نألوا جهداً إن شاء الله ومن الله نلتمس الإعانة والتوفيق، فهذا خبر المدينة

(١) هكذا وردت، والمقصود: فيينا.

(٢) في (ب): في أول الأمر. وهي الأصح، وقد أثبتناها ليستقيم المعنى.

الذي لا يجوز لأحد أن يروي غيره وقد رأينا عدم التأكيد على أهل الذنوب العظيمة من العسكر راجياً^(١) أن يكون ذلك داعياً لمن بقي متمسكاً بعروة الضلال إلى الطمع في قبوله والعفو عنه، فيكون ذلكم معيناً على هلاك العدو إن شاء الله، وندخر مالنا عندهم من المبالغ عند الله، ونتقرب بذلك إليه، ونؤثر مراده على هوى أنفسنا لينظر إلينا بعين عطفه، ويمدنا بمواد لطفه والسلام.

قلت: ذكر رضوان الله عليه شدة ما لقي في محاصرة تعز المدينة ومن اجتمع إليها من الأشرار، فإن أيامها وطولها وقوة مراس صاحبها كما وصف وأشد، وما درى بما سيأتي بعدها من العسرة في محاصرة زبيد وطول المدة مع الأحوال الآتية والامتحانات المتتالية فيما يعظم الله به له الأجر العظيم، فإنها شدائد طامة وأحوال كما ستره فيها، وفيما بينهما مصمة وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين إن هذا هو البلاء المبين، وهو في كلها واضح الجبين، قليل في الصبر عليها القرين، فرحمة الله ورضوانه عليه آمين.

نعم وفي هذا الكتاب إلحاق من لفظه: فهم صنوكم جميع ما أشرت إليه في شأن الباشتين^(٢) وما يكون الجواب عليهم في مكاتباتهم وسيكون الأمر كما أشرت إليه إن شاء الله في شأن حيدر.

وأما عابدين فإنها اتفقت القضية ورسوله سليمان أفندي حاضر، ومُطلع على حقيقة الأمر، فبادرنا بعد ذلك إلى إرساله وإرسال إسماعيل آغا الذي كان أمير أهل نجد قسيم، فلما وصلا إليه وأطلعاه على حقيقة الأمر لم يشعر إلا برسول آخر منه يطلب منا تمام ما سمحتم به من الهدنة ويطلب منا إطلاق بعض الأغوات، فرأينا أن في إجابته إلى المهادنة هذه الأيام مصالح حجة إن شاء الله تعالى، سيما مع ما وصفتكم [/] من تفرقهم في الباطن فإن أمنهم من هذا الجانب داع إلى اشتغال بعضهم بالآخر، وتفرق رأيهم، ثم إننا أردنا تشدد مراتبنا المحروسة بالله في تهامة إلى قوله: وقد أكدنا ذلك بإرسال السيد العلامة شمس الدين

(١) في (ب): ظن راجين.

(٢) الباشتين: مثنى باشا وهما باشا تعز، وباشا قلعة القاهرة.

أحمد بن محمد القطابري^(١) لما طلب ذلك رسول عابدين.

هذا لفظ الكتاب وتركنا إحقاقات وإن كان فيها من علائق ذلك. انتهى.

وكان خروج حيدر من صنعاء لثالث عشر من رجب من السنة المذكورة.

وفي شرط حيدر أن علي آغا وأهل تعز يخرجون إلى زبيد ويلقونه، فوصل زبيد في أول شعبان ولم يصل هذا الآغا ولا قبل ما وضع له، وعتا واستكبر وطغى وتجبر، وأراد أن يكون بذلك أعظم وأكبر من مخدومه حيدر فكان عاقبة أمرهما خسراً، ومن أعظم من الله سلطاناً ومكراً، فسبحان مزيل المتكبرين ومهلك المتجبرين، ومصدق وعده في أن العاقبة للمتقين ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ﴾ [:].

وربما وهما في ذلك الرأي متحدان في الباطن فكان الله عليهما رقيباً هو حسبنا وكفى ونعم الوكيل.

ومما قيل في ذلك من الأشعار ما أظنه للفقير العلامة الأديب مطهر بن علي بن محمد الضمدي:

مرامي فيك أن تهوى ملامي

فلي مرمي بعيد في المرامي

لقيت العاذلين بـودخل

لأن العذل حقق لي غرامي

ومن شوقي إلى نجد وغور

ظهرت بزني نجدتي تهامي

وصاحبت الهوى طفلاً وكهلاً

تقي العرض من دنس وذام

(١) سبق ترجمته: فهو من القادة في عصر الإمام القاسم وابنه المؤيد محمد.

وسل عن عفتي حزوى ونجداً
وربات الملاحاة والوشام
فإن رمت الهوى فاسلك سبيلي
فهذا الحب يؤخذ عن إمام
وحاذر أن تيمّل إلى خلافي
فتبلى بالبواتر والسهم
وهنا قد محضتك صفون صحي
فهيه رمية من كف رام
فألحاظ الغواني قاتلات
تعادي كل صب مستهام
ولا تكلف بأجفان مراض
يميلن^(١) الصحيح إلى السقام
وأحوى أهيف تحلو قواماً
وحتف الصب في ذاك القوام
تروك في التمايل والتمشي
وتمعن في التجني والصرام
وإن لم تركب الأخطار شوقاً
ولا تنزل بتيك الخيام

(١) في (ب): مميلي.

ولا تلممهم بغزلان المصلى
فإن لحاظهما مثل الحسام [/]
فإن جراحة العجما جبار
ومالك والتعرض للحمام
عليك الصمت واخلص من هواهم
وحدت عن كرامات الإمام
أمير المؤمنين أبي علي
محمد المؤيد بدباعتزام
مجلي ظلمة النوب العظام
وكاشف أزمة الكرب الجسام
وعين من عيون الله يدي
إلى النهج القويم بلا انكسار
هو البر الرحيم بمن يوالي
وللاءعداء كالأعداء العقام
أمات الجور في شرق وغرب
وأحيا العدل في يمن وشام
وسل على العدا سيفاً حرازاً
فلم أر مثله سيف انتقام

يروع به الطغاة إذا اتضاه
ويغمم ذلك في قلل وهام
فأبدل خوفنا أمناً وأبقى
بقاع الأرض من وصم اللثام
وأزعج حيدر أعن عُقر صنعاء
وأنتقنا من القوم الطغام
فيا صنعاء طيبي واطمأني
فقد شرفت بالغر الكرام
وعين المدن أنت فإن تباهي
فأنت الخود واضحة اللثام
وإن قالوا العروس لعسقلان^(١)
فأنت خريدة^(٢) ذات ابتهام
وأول حطة ظهرت وفاقته
فما مصر تسامي قصر سام
فقد جمعت محاسن شاردات
وصارت للمحاسن كالنظام

(١) عسقلان: مدينة في بلاد الشام وهي عروس الشام. (ابن منظور: لسان العرب، ج ٩، ص ٢٠٨).

(٢) خريدة: الخريدة: البكر من النساء، الحية الطويلة السكون، الخافضة الصوت حياءً، وصوت خريد لين عليه أثر الحياء. (ابن منظور:

لسان العرب، ج ٤، ص ٥٦).

رأيت الفتح في نومي قديماً
وهذي يقظتي صدقت منامي
ووفانا البشير فقلت هذا
أبو ذري صدق في الكلام
بأن تعز قد أعطت قياداً
وقد غرت فقيدت بالزمام
ورواح جندها حسن وعادى
وأشعل فيهم نار الضرام
لقد شرح القلوب بخير فتح
وكان حصوله أقصى المرام
فكم فتح وكم نصر منحننا
وأنف معاندينا في الرغام
فبعداً للعلوج كبعده عاد
وقل لتهميمهم^(١) صمي صمام
وقد شالت نعماتهم وثلت
عروشهم وريعت بانهم دام
طغوا ويغوا جهاراً واغتيالاً
وخانوا في العهد وفي الزمام

(١) وقل لتهميمهم: أي صاحب تهامة من التهام.

فوافاهم بلاءهم وشيكا
ومكسر الغادرين إلى انصرام
وشن عليهم غارات حتف
إمام لا يرخص في الحرام
غزير علمه جهم نداءه
كثير حلمه رحب المقام
عليه الله صلى كل حين
فصولته شفاء للأوام
فيالك هممة شمخت وطالت
تباط على الثريافي مصام [/
ولم أرقادة كرموا وطابوا
كإخوته القساورة الفخام
أجابوا ناصروا سمعوا أطاعوا
أغاروا صابروا حين التحام
أعانوا باكروا واسوا أغاثوا
أهانوا ناجزوا نضلوا المرامي
وزد عن راكب الأهوال منهم
عظيم السطوة الحسن المهام

طوبل الصيت مجتاح الأعادي
مزيل الروع مصباح الظلام
ومن سطواته راعت عداه
بما جلبت من الموت الزؤام
وكل كريهة عظمت وحلت
فليس لها سوى الليث المحامي
يحل الويل بالطاغين حتماً
إذا ما سار في الجيش اللهم
فإن وافى على جيش كئيف
سقاها وإبلاً ملموت هامي
وقاه الله أعين حاسديه
وأسقى سوحه جود الغمام
أرح بحديثه قلبي وصفلي
بقايا حائطاً للدين حامي
أبا يحيى قوام الدين حقاً
وهل دين يقوم بلا قوام
ولن تحصي فضائله بحصر
وهل يغني دواتي أو قلامي

وإن صفاته الغراء تقضي
بمنظم الشعر للعدم العبامي
أمولانارعاك الله فينا
أثني دعوة تشفي سقامي
فمذ فتح الإله أجل فتح
بكرت مهنيالك في نظامي
بقيت لنا أبايحي ملاذاً
نلوذ به ونقه من يسامي

وهذه للفقير العالم الأديب عبد الحميد بن أحمد بن المعافا بعث بها إلى مولانا الحسن
رحمه الله عقيب فتح تعز^(١):

أذكي مسك في البسيطة فاحا
أهدت لنا منه الصبا أرواحا
أنفاسه تحيي النفوس وتشرح الصدر
الكئيب وتمنح الأفراحا
أم نشر روض فتحت أزهاره
فغدا النسيم يعطره نورا
كلا ولكن ذاك طيب ثناء من
بهرت شجاعته وفاق سماحا

(١) هذه القصيدة: ليست في (ب).

الملاجد الحسن الذي عزماته
كانت لليل الحادثات صباحا
ومحمت غيابات الضلال وأطلعت
في كل أفق للهدى مصباحا
شهدت بنجدته لسان عدائه
لما غدا الجموعهم مجتاحا [/]
بطل أهان دم العدو وماله
وحماه أرخصه فصار مباحا
سل عن وقائعته مشاهده التي
تروي أحاديث الفخار صباحا
فعلاه بين مقيد ومكبل
ومطرد ترك النفيس وساحا
لله درك من كمي فارس
سطواته تستغرق الإمداحا
أعمدت في هام الكماة صوارما
وغرزت في ثغر العداة رماحا
وقطعت طيب معاشهم أبدا فما
شربوا للهو بعد ذلك راحا
كم مسح سرحت خيولك فيهم
حسنت مراعيه وطاب مراحا

وفتحت أقطار البلاد بهمة
أضحت لمنغلقاتها مفتاحا
وشهرت سيفك في سبيل الله لا
ترجو سواه ولا تخاف جناحا
وقتلت أهل البغي حتى لم تدع
لنفوسهم بعد اللقاء فلاحا
ونفيتهم عن أربع ومدائن
ومعاقل كانوا بهن شاحا
وملكت كل البر فاضطرب النبي
في البحر منك واهب الألواحا
وغدا معاديك الأذل على شفا
هاريسائل جودك الإصلاحا
فإذا جنحت فلا لأنك عاجز
كلا وهل أسديميل كفاحا
بل كان ذلك إجابة لله إذ
أمر الجنوح لمن بذلك باحا
ونشرت أريدة الهداية والتقوى
وأرشدت للدين الحنيف جناحا
فزهت بسيرتك الأراضى واكتست
بسناك من بعد الفساد صلاحا

وحلت معاليك الزمان محاسناً
وغدا بعدلك وجهه وضاحا
فرع نمامن دوحه نبوية
أكرم به نسباً أغر صراحا
أحيا الإله به شريعة جده
وأمات كل ضلالة وأزاحا
وإذا تجرد عزمه لمهمة
فكأنما برق السحابة لاحا
وإذا تبسم للنوال فعراض
هطل سحائبه تصوب نجاحا
إن كنت تبغي الجود بل تبغي الغنى
فعليك ذاك السيد الجحجاحا
أعلى الملا شرفاً وأبعدهم مدى
في كل محمده وأندى راحا
شغفت بذكر علاه ألسنة الورى
أفلا أكون بمدحه مرتاحا
ياسيداً كسبت مساعيه العلى
وجلست وجوهاً للكمال صباحا
ما إن أقوم بحق وصفك جاهداً
هيهات أنى أحسن الإفصاحا

لا أستطيع بلوغ أقصاه وإن
نظمت للأسفار منه وشاحا [/
بَدَّتْ (١) محامدك المديح فلم يطق
رب البيان لحرصها إيضاحا
لا زلت في كنف الحراسة كائناً
سيفاً لسفك دم البغاة متاحا
تسمو إلى غاي السعادة لا ترى
لنعيم ربك من لديك براحا
وجميل ذكرك لا يريم مراكب الر
كبان تنشر عطره النفاحا
حتى يقول الناس تعظيماً له
أذكى مسك في البسيطة فاحا
وقال الشيخ الأديب شهاب الدين أحمد بن ناصر الحميضة المصي رحمه الله:
يا ابن النبي أتاك فتح القاهرة
هذي عنايات وآيات ظاهره
جاءت إليك مجيبة لسعادة
وفضائل ومكارم لك باهره
حكم الإله بفتحها مقهورة
وإذا ملكت قيادها فالقاهرة

(١) بدت بمعنى: غلبت.

(مصدق فعلك في تعز ترى غداً
في مصر فتكاً مالكاً للقاهرة)^(١)
في صدر الاثنين القريب تنالها
يابن النبي بشدة وبفاقره
وبفتك جنـد كالليوث ضراغم
نصروا الإله بنصركم للآخره
نصروا الشريعة بالصوارم والقنا
أكرم بهم من فتية لك ناصره
قصدوا الإله بحر بهم وبحبهم
وغدوا لآل محمد كالقنطرة
يابن الإمام القاسم بن محمد
من باسمه نادى الهواتف زاجره
أبشر فأنت مملك ومظفر
بأحابش وقياصر وأكاسره
فليهن هذا الدين قومة قاسم
أحيا المآثر بالعلوم الزاخره
وليهننا حسن الذي دانـت له
شوس الملوك وأذعنت متصاغره
طيبى تعز تزينى وتدملجى
لمليك عصر ذي الخصال الطاهره

(١) البيت بين القوسين: ليس في (ب).

تحظي بـدين محمد وسـليله
والسعد في الدنيا معاً والآخره
ثم الصلاة على النبي محمد
مالاح برق في السماء الزاهره
وقال الفقيه العالم الأديب وجيه الدين عبد الحميد بن أحمد بن يحيى بن عمرو بن المعافا
أيضاً يهني بفتح اليمن في أيام فتح صنعاء وتعز:
بهـن تحاصل الفتح المبين
فقد قرت به كل العيون
وألق لطيب الأخبار سمعاً
عن الحسن الكمي وعن حسين
وأحمد كلهم أضحو^(١) فريداً
يجل عن المشابهة والقرين [/]
فقد شادوا الدين الحق أسأ
ووفوا للمعالي كل دين
وكم من غارة شنوا صباحاً
لنصرته وحيناً بعد حين
وكم صالوا وجالوا واستطالوا
برغم من عدوهم المهين

(١) في (ب): أضحي.

وكم من مشهد وقعاته قد
كتبن من الزمان على جبين
وكم ضمنت لهم بالنصر يوماً
عزائم كالشهاب المستبين
وكم قد أغمدوا في الخصم سيفاً
وكم قد أوردوا دمهم الرديني
وفكروا من مخالبه رقاباً
تعاني في المحابس والسجون
أزاحوا عنهم غماً فكهم من
حبس أطلقوه وكم رهين
ثلاثة أنجم طلعت فأضحت
أشعتها تضيء الخافقين
رمت برجومها في كل أفق
شياطين الخلاعة والمجون
كأنهم إذا صالتم عليهم
خشاش صادفت أسد العرين
وأيمن مفرهم في وقت زحف
وقد صاحت بهم غريان بين

غدوتهم من جموعهم سباعاً
وطيراً كل معلوف سمين
وكل ممزق مزقته وهم
فأضحوا رهين مسكنة وهون
قتلك ديارهم تملئ كأن لم
يكن من مؤنس بين الحجون
ودستهم أرضهم شرقاً وغرباً
وجلستم في السهول وفي الحزون
وألقيت من مهابتكم إليكم
مقاليد الذخائر والحصون
وغادرتهم دم الأعداء فيها
يسيل مسائل الماء المعين
وقابلتممو واليكم بعين
يحاكي فيضه ينبوع عين
فأسستم بذلك أي فخر
وتأسيس العلاب بالأحمرين
وأذللتممو عدو الله حتى
غدا مشروبه ماء الشؤون

يود لو أنه يفدي حياة
وتقبل منه بالثمن الثمين
وكان ممعاً لوصان عهداً
فعدا لشؤمه صفر اليدين
وخان ولم يجد من بعد رجياً
كذلك جزاء ذي الغدر الخؤون
وعقبى ناكث الميثاق هلك
يتاح معجلاً وحلول حين
وغاية أمره إن صار فرداً
يظن بصحبه سوء الظنون
فهذي منكم عزمات فتك
يشيب لولها قود الجبين
وما إن رمت ملكاً ولكن
ظهـور شريعة وعلـودين
ونهي المنكرات ونشر عدل
ونصر عصابة الحق المبين [1]
كملت نجلدة وسخى وريـا
وقلس مجدكم من كل شين

ليهـنكم المفاـز بطيبـب ذكـر
ونيل مشوبـة وحصون صـوني
وإن جميع ذاسر سري مـن
أمير المؤمنـين بغير مـين
مؤيدنا إمام الحق دامت
معاليه تـسامي الفرقـدين
وحسن سريـرة منه جـرى في
صلاح أموره جـري السفين
بقيتم كلكم فخرأ وذخرأ
وللدين الخيف أجـل عـون
ولا زلتم جميعأ في محل
من العلياء متسع مـكين

فصل

ولنرجع إلى أخبار صنعاء قد ذكرنا غارة مولانا الحسن رحمه الله إلى اليمن الأسفل وما اتفق فيها من الحوادث، وأنه استخلف لحصار صنعاء صنويه السيدين الأفضلين مولانا الحسين رحمه الله ومولانا أحمد أطال الله بقاءه في شهر محرم سنة سبع وثلاثين وألف^(١)، فكان عليها إلى شوال من السنة المذكورة، وطلب الباشا الصلح من الإمام -عليه السلام- بأن أمر

(١) محرم ١٠٣٧هـ = سبتمبر ١٦٢٧م.

السيد صلاح الدين صلاح بن عبد الله السراجي المتقدم ذكره من سادة صنعاء أن يكتب إلى الإمام -عليه السلام- في صلح ثلاثة أشهر حتى ينظر لنفسه، فأجابها الإمام -عليه السلام- بما هذا نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم

رب صل على محمد وآل محمد ويسر، اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلاً وأنت تجعل الحزن سهلاً إذا شئت.

الحضرة الحاوية للكمال والمناقب، الراقية من الرئاسة إلى أرفع المراتب، ذات المجد الرفيع والمحل المنيع، والفناء الرحب الواسع، حضرة الوزير الأعظم والباشا الأكرم، واسطة عقد كبراء السلطنة المنظم، الوزير حيدر أسعده الله بوروده وصدوره، وأصلح في كل حال شأنه وأموره، وأهدى إليه سلاماً ضياه يلوح، وإكراماً عرفه يفوح بالعبوق والصبوح، وبعد:

فإنه وافى كتابكم الكريم وتحققناه وذكرتم هذه الفتنة التي دقت الأمة، دق النوى، وطحتهم طحن الرحي، وما توجه الديانة والتخلص في هذه [/] العهدة لحفظ الأمانة التي بها حقن الدماء، وتسكين الدهماء والفئات لا كلام فيه، والكلام في تدارك الأمر وتلافيه، بأن يتحرى الوجه الذي به تأمن السبل ويحصل به الإسعاد في ألفة العباد، ويتصل كل بما هو له من غير تهوين ولا تشديد، فلم يتجدد عندنا من الرأي غير ما قدمناه، ولا من النصح غير ما بذلناه، وإلا الإسعاد إلى ما أفهمه كتاب السيد صلاح بن عبد الله من هدنة شهرين ثلاثة تتضح لكم فيها الأمور، وتتصل بمسامعكم الأخبار وتتوارد على كل منا ومنكم الرسولان، ويمكن كلاً منا ومنكم النظر، وأسباب الوحشة منقطعة، وموانع النصح مرتفعة، على أن يجل على هؤلاء المحابيس والرهائن في القصر الاعتقال، ويفك خناق الشدة بإطلاق من هنالك من الضعفاء والأرامل والأطفال قربة منا ومنكم إلى الله بين يدي النجوى، وسبباً حاصلاً لنا ولكم إن شاء الله بأسباب التقوى، ونيل الرجوى، فإذا رأيتم هذا إن شاء الله صواباً وفيه إلى الله اقتراباً، فشاهده منا وهذا الكتاب، ومنكم الإفراج عن أولئك المعتقلين جميعاً من غير تريث إن شاء الله ولا إضراب، وبذلك نرجو من فضل الله أن يفتح

لنا ولكم إلى اليسر كل باب، ويجعلنا وإياكم ممن وصل له بسلامة الدارين الأسباب فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وكتب -عليه السلام- إلى السيد صلاح المذكور:

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد العلامة العلم صلاح الدين صلاح بن عبد الله السراجي، أسعده الله تعالى وأتحفه بشريف السلام والإكرام ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فإنه وصل كتابكم الكريم الذي ذكرتم فيه عرضكم جوابنا على صاحب السعادة أدام الله سعده، وأنه لم يزل مستغرق الفكرة في الليل والنهار كيف يكون الخلاص من هلاك^(١) الأمة المحمدية بين يدي الملك الجبار، لكنه وجد مخلصاً من ذلك الأمر بأن زمامه بأيدينا، وأنا أقدر على حل هذه العقدة وتدارك هذه الشدة، وأفهمتم إلى أن مقصده لهدنة شهرين ثلاثة يتضح لهم فيها الأمر، ويتصل منا ومنه السبب، وتتوارد عليه الأخبار [/] ويعرف مواقع من موانع المضار، وأسباب الوحشة المقطوعة وقلوب الأمة المحمدية مجموعة، فقد عرفتم رعاكم الله تعالى أنا لم نقدم ما قدمناه من النصيحة، وعارضناه من وجوه النظر الصحيحة إلا إغذاراً إلى الله وإبقاء عليه، وعلى من عنده من الضعفاء، ورعاية لما سلف بيننا وبينه من الصفاء لا لأمر يوجبه، ولا لحادث اضطر إليه، فقد علمتم أولاً مقصدنا ومطلبنا، وأن الآخرة مغزانا ومرغبنا، ثم إن الله سبحانه وتعالى من فضله وعوائد رحمته، لما أراد الحيلولة بين اليمن وبين هذه الدولة تولى الأمر^(٢) فيمن وراهم هنالك، وأوقع من رام منهم النهوض فيما علمه الخاص والعام من المهالك رحمة منه عز وجل لنا، ورأفة منه تبارك وتعالى بنا، وعلماً منه أنا لم نقصد إلا وجهه ولم نبيغ إلا رضاه، وهذا الذي أشرت إلى أنه له مطلب، وفيه له مرغب لا نظن به عليه إن كان له فيه نظر يرجع إليه على أن يجعل عنوان صحيفتنا وصحيفته، وأول قربة إلى الله منا ومنه حل العقاد عمن اشتمل عليه القصر من المحاييس والرهائن

(١) في (ب): هذه.

(٢) الأمر، ليست في (ب).

والضعفاء والأرامل والأطفال، فإن رغب في هذا والله يريد به خيراً فحفظ الدارين أدرك،
وموجب الأجرين نال^(١)، وكان هذا الكتاب منا علينا بذلك شاهداً، وجعل حل وثاق
أولئك من عندهم جميعاً إن شاء الله لهذا المطلوب عاقداً، وكان ذلك سريعاً كما سارعنا
بالجواب ما دامت العيون عن صنعاء نائمة وأيدي الحساد والرقباء غافلة، وإن تكن الأخرى
فالعياذ بالله والأسباب تقود إلى ما تصفحت^(٢) إذ يتعذر تلافيه لعدم قبول النصح في وقت
الإمكان فقد أبلغنا في النصحية، وأنهينا في المعذرة، ولم ينفع في أصحاب القلب العتاب بعد
انقطاع الأسباب، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

نعم وكان الجواب ما ذكره الإمام -عليه السلام- وتزايدت الهدنة إلى ما تقدم به القول
والإشارة، وكان بعدها تمام الأمر وانفصال زيد من عمرو كما تراه إن شاء الله تعالى، وكانت
نسخة الكتاب الذي وضع في ذلك:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى أما بعد:

حمداً لله الذي أمر بالوفاء [/] بالعقود، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له
شهادة هي أوثق العهود، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الموعود بالمقام المحمود، صلى الله
عليه وسلم وعلى آله وأصحابه الركع السجود.

فهذا بيان العهد والميثاق الذي التمس منه الوزير الأعظم الخطير الأفخم، حيدر باشا دام
سعدته على يدي رسوله السيد الأجد الأعلم الأوحى الشريف محمد بن محمد ثبتته الله وسدده،
بهدنة أربعة أشهر أولها هلال ذي القعدة الحرام من عام سبع وثلاثين وألف، وآخرها سلخ
صفر الخير من عام ثمان وثلاثين وألف، لمن في مدينة صنعاء ومدينة تعز، ومدينة زبيد وبندر
المخا، وما بقي حولها حكمه حكمها مما لم يبلغه ولاتنا، ولا وقع فيه الاعتزاء إلينا يغدون
ويروحون ويذهبون ويحيؤون، ويدخلون ويخرجون آمنين على أنفسهم وأموالهم، وجميع

(١) نال: ليست في (ب).

(٢) ظن في (ب) أنها: تصعب.

أحوالهم، على أن يكون في أثناء هذه الشهور الأربعة إطلاق من في هذه المدائن من المحابيس والرهائن وتسليم مدينتي تعز وصنعاء إن شاء الله إلينا.

وعزم الوزير الأعظم قابله الله بكل خير أولاً في أولها وأوسطها أو آخرها يلي^(١) بندر المخا إن شاء الله، وعلى طريقها إن شاء الله من جهة تعز لمن أحب أن يصحبه ممن فيها وبما شاء من خزائنها، محفوظاً إن شاء الله هو وجميع من معه وما معه في طريق الجهات الإمامية حتى ينفصل عنها، ويبلغ مأمنه منها، ومضموناً ومن صحبه نفوساً وأمواً، وأعطينا على ذلك عهد الله عز وجل الذي يقول فيه: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ۗ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَتْ مَسْئُولاً﴾ [:].

ولنا من الوزير دام سعده من عهد الله وميثاقه مثل ذلك على الوفاء.

نعم ومما تشتمل عليه هذه القاعدة الشريفة، أن المختلف من الفريقين من عسكر وغيرهم إلى الفريق الآخر على وجه لا يستقر لخدمة أو نحوها وأنه غير مقبول، فليعلم ذلك لتاريخه وكفى بالله شهيداً ووكيلاً، وهو حسبنا ونعم الوكيل هو مولانا فنعم المولى ونعم النصير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

حرر لغرة ذي القعدة الحرام من عام سبع وثلاثين وألف^(٢) بمحروس شهارة عمرها الله بالعدل.

وكان أول خطاب [/] أجابه الإمام -عليه السلام- فيما رأيته في بعض مكاتبتة أن له ثلاثة خيارات: إما يمضي إلى مصر والروم في خواصه، وأمان من أحب البقاء في اليمن، وإلا يجعل له موضعاً يقيم فيه في اليمن في عدة من خواصه وألا يدخل في الإمامة ويكون له ما للخاصة وعليه ما عليها، وطال الخطاب حتى خرج إلى زبيد كما سيأتي إن شاء الله تعالى، بعد أن أرسل شريف أفندي من أصحابه إلى الإمام -عليه السلام- فأجابه الإمام -عليه السلام-

(١) في (ب) ظن الناسخ (إلى) بدلاً من يلي.

(٢) ذي القعدة ١٠٣٧هـ = يوليو ١٦٢٧م.

وطلب الإقالة لأهل تعز كذلك كما تقدم ولأهل زيد، فلم يقبلوا وفعلوا ما تقدم من مخالفة باشتهم والمحاط على حالها، وكان في ذلك الصلح خير، وخرج محابيس كانوا في صنعاء منهم الأمير: مطهر بن عبد الرحمن، وكان لحيدر باشا في المخا أموال وقد وصل الباشا عابدين إلى المخا^(١) فأرسل له ببعض على يد بعض تجار صنعاء، وقبض مولانا الحسين رحمه الله على مال التاجر في طريق صنعاء لأنه لم يشرط في الصلح وإنما الصلح على صنعاء وأموالها.

وفي محاصرة صنعاء حروب مهيلة، وحوادث طويلة، والقتل الذريع منها في بيت الكبش خارج دار سلم^(٢)، وكان فيه رتبة تقدمت خيل العجم حتى قابلت أرتل^(٣)، وخيل قابلت دار سلم ورجالتهم تقدموا على هذه المرتبة، وأغار مولانا الحسين رحمه الله بنفسه فلم يقدر على إخراج الخيل من القاع لكثرتهم، وقلة خيله وطال الأمر حتى أخذوهم وقتلوهم وغزوا أخرى إلى المحاقرة^(٤) موضعاً من سنحان، ففعلوا قريباً منها، وانتهبوا قافلة من ضبر خيرة، وذلك أنهم كانوا يرسلون الخيل في أول الليل ثم يخرجون من آخره يتناوشون الحرب فلا يبقى من القوم من يقطعها للاشتغال حتى يعودوا بالنهب، ولقد جعل مولانا الحسين رحمه الله رتباً في مواضع بعيدة من سنحان.

وفي جانب الروضة كذلك حوادث ومكامن، وكان ربما يخرج الباشا بنفسه حتى يدور على الروضة بكثرة خيله، ومولانا أحمد وأهل الجراف ومن إليهم يدافعونهم وفي الجانبين قتل كثير منها: أن قطعة فوق ثلاثمائة من عسكر مولانا أحمد أطل الله بقاه لازموا الحرب أعلى من الحشيشية ثم قطعتهم الخيل في أكمة مقابلة لأعلى الروضة، وكان على العسكر جماعة من

(١) إلى المخا: ليست في (ب).

(٢) دار سلم: قرية في القاع الجنوبي الشرقي لمدينة صنعاء.

(المقحفي: المعجم، ج ١، ص ٥٥٦).

(٣) أرتل: قرية جنوب غرب صنعاء، تقع على سفح جبل عيبان شرقاً، جوار بيت بوس، ويكثر فيها التين الشوكي، ومنها كان ينبع غيل

آلاف الذي كان يسقي صافية صنعاء قبل أن يجف الغيل.

(المقحفي: المعجم، ج ١، ص ٥٠؛ الحجري: المجموع، مجلد ١، ص ٦٤).

(٤) المحاقرة: بلدة حصينة من مديرية سنحان، جنوب صنعاء، بجوار حزيز.

(المقحفي: المعجم، ج ٢، ص ١٤١٧؛ الحجري: المجموع، مج ٢، ص ٦٨٩).

الرؤساء منهم [/] السيد الحسن بن لقمان وسعيد الينغمي المشهور في أهل كوكبان ومشائخ من بني الحارث^(١) وغيرهم فأحاطوا بهم من أول النهار إلى بعد الزوال، وكادوا يأخذونهم قبضاً، وقد جعلوا الخيل فرقتين أعظمها في طريق بني الحارث لقطع الغارة، والأخرى فيما بين الأكمة المذكورة وبين الروضة، وخاف مولانا أحمد من فرسان كانوا عنده من العجم الذين خرجوا إليه من عمران فلم يخرج.

قال أطال الله بقاءه: فلما عظم الأمر خرجت بعد أن فرقت أولئك المتهمين وقد اعتاد مكاناً يقف فيه حال الحرب، وقد بلغ جماعة من فرسانهم فكمنوا من وراء الروضة من الليل وخرج من في صنعاء لحربه، فلما صار في ذلك الموضع^(٢) حملوا من الكمين فوجدوه قد ارتفع منه ودافع الله عنه ومن حضر من المسلمين وعادوا خائبين.

قال: ثم جعلنا مراكز من أهل البنادق ترمي كل طائفة على الأخرى، وقد قلت خيلهم التي في جانبنا التي قاربتهما البنادق التي من جانبنا، ولتوجه أكثر خيلهم للقاء الغارة التي من بني الحارث، وكان لبني الحارث قاعدة في مدة حروب صنعاء وهي في نحو ثلاث سنين أن غاراتهم تجتمع في أطراف بلادهم فإذا حضروا تفرق شيوخهم، وأهل الرأي منهم في أطرافهم يجمعونهم كردوساً^(٣) واحداً لا يخرج واحد من واحد، والبنادق في أطرافهم فإذا حملت عليهم الخيل وهم كرة واحدة رموها بالبنادق وعردوها بالمعايريد^(٤) ورجمها بعضهم فلا بد من هزيمتها مع ذلك حتى يفرجوا عن الروضة والجراف، وكان هذا دأبهم وظهر لهم بذلك ذكر فخيم ومقام كريم.

نعم ولما وصلت الغارة وقد كادت الكتيبة المحتازة تهلك، وخاطبوا العجم وذهب البشير

(١) بني الحارث: من نواحي صنعاء في شمالها ومتصلة بالروضة والجراف وصرف وشعوب.

(الحجري: المجموع، مجلد ١، ص ٢٠٨).

(٢) الموضع: ليست في (ب).

(٣) كردوساً: الكردوس الخيل العظيمة، والكرايس الفرق منهم.

(ابن منظور: لسان العرب، ج ١٢، ص ٦٣).

(٤) المعايريد: جمع معراد، والمعراد قطعة من القماش عريضة الوسط توضع بها الحجر ثم ترمى (وهي المعروفة بالوظف). (المصدر: الأستاذ

عبد السلام الوجيه، مشافهة).

من العجم إلى الباشا ويلتمس وصوله كان ما ذكره مولانا أحمد حفظه الله من المراكز التي فعلها، ثم وصلت غارة بني الحارث على الحالة التي ذكرناها فانهمزمت الخيل التي هي سور على الغارات وسلم الله المجاهدين.

وأما صفة حروب الجراف^(١) فإنهم لزالوا يخرجون إليه حروباً كثيرة وجنود الحق تهمهم بوصول الغارات من الروضة ومن بني الحارث وكانوا يجرون [/] عليهم المدافع فيقربونها، فكانت تضر البيوت، وقتلت جماعة، وإذا سمعها مولانا الحسين رحمه الله بعث من عنده الغارات وفي بعضها أغار بنفسه لعظم الحرب على الجراف وقتلت المدافع صاحب لوائه.

وأما الحفائر التي اصطنعها أهل الجراف فأخبرني الصنو السيد الحسن بن علي بن محمد أنهم تذاكروا ضررها، وقد كادت تهدم البيوت وقد عمروها يعني جددوا ما خرب منها، وقد ذكرنا أول دخول الجراف أيام وصول مولانا الحسن رحمه الله من حدة، وبلغ أن الباشا كان يشدد على الأمير محمد كاني شلبي الناظر في خراب الجراف لئلا يلزم عليهم فقال: هذا كاني شلبي وكيف يقدر على الوصول وإن دخلوا إليه أخذناهم أو كما قال.

فلما عظم ضرره غضب الباشا على الأمير المذكور فقتله.

قال الصنو الحسن: فأول من تكلم فيها رجل من بني جرموز يسمى هادي بياله، فقال السيد صلاح والمجاهدون: سيروا بنا نفعل حفائر ونقدمها أمامنا بعيدة من البيوت ونجعل فيها البنادق ثم فعلوا بعضاً، وصفتها أنهم يحتفرون في الأرض طويلاً عرضاً ما يسع العشرة والعشرين نفر يكمنون.

قال: فأول ما فعلوها خرجت الخيل على العادة فما كادت تعرف ما تحت الأرض إلا وقد رمتها البنادق، فقتلت من فرسانهم جماعة فأزاحوا الخيل من أن تقرب إلى المحطة الإمامية، ثم زادوا فيها فمئعت المدافع من أن تكون في مكانها المعتاد، وتأخرت إلى حوالي سمسة درويش فقل ضررها وصلح حال المرتبة الإمامية، ولا زال ذلك حتى وقع الصلح كما تقدم.

(١) في (ب): الحرب على الجراف.

ولتهور أهل الفساد، والطمع في أموالهم كانوا يخاطرون بنفوسهم ويجلبون إليهم الطعامات وغيرها حتى العسكر الإمامي، وكثير من الأعيان استرسلوا في ذلك كما تقدم، وعظم على الإمام -عليه السلام-، فكتب إليهم هذه الرسالة نسختها، وبعد:

فإن الله سبحانه وتعالى قد رزقكم من الجهاد في سبيله النصيب الأوفر، ومن نصرة الحق الحظ الأكبر، ومن نكاية أعداء الدين السهم الأقر حتى شرق العدو المبين بريقه، وكيد بغيضه، وكبت بأمره، وقد أظهر الله سبحانه أثر [/] جهادكم وثمرات جلاذكم في شرق البلاد وغربها، وشامها ويمنها، وقطعتكم عن الظلمة كل مدد، وأوهنتهم بمعونة الله كل جلد، حتى إذا لم يبق من ضرع شجرتهم إلا^(١) قد زلزل الله أصولها، وقطع بسيف نقمته فروعها، إلا هبوب أدنى ريح أو حركة أضعف عزيمة مع ما أسمعكم الله سبحانه مما أنزل^(٢) من صواعقه، وأحل بهم من قوارعه في البحر والبر واليمن والشام كفاية منه لشركهم منكم، وكفى من قدرته لبأسهم عنكم ورحمة منه تعالى لكم إذ كان دليلكم الكتاب المبين وقودتكم الرسول الأمين، وأئمتكم من أهل البيت الطيبين، وأمراءكم من آل الأنزع البطين، ومن ذرية إمامكم الأعظم وهاديكم الأعظم القاسم بن محمد الذي شد الله به أزركم وأيد وانتقم لدينكم، ولكم من عدوكم الذي سامكم الخسف وأذلكم، بلغنا أن جماعة ممن يريد كيدكم وطائفة ممن^(٣) هم إحباط عملكم، ورهطاً ممن طلبه فساد أرضكم. إما من جهلة قبائلكم أو من غيرهم من أعدائكم، استرسلوا هذه المدة في الجلب إلى الظالمين والدخول إلى الآثمين ليميتوا ذكركم الذي شرق وغرب، ويوهن مجدكم الذي أتهم وأنجد، ويبقوا رمقاً لعدوكم الذي قام في نكايتكم وقعد، وأبرق وأرعد، وصوب وصعد، من هؤلاء الأتراك الظلمة الذين عرفتم سيرتهم واختبرتم ضلالهم، وشاهدتم اعتداءهم وأحسستم ظلمهم ونجاكم الله منهم ببركة أهل بيت نبيكم وخلصكم من حبالهم بطاعة أئمتكم، وصرتم

(١) في (ب): التي.

(٢) حاشية جانبية في (ب) كتب: أنزله فيهم في نسخة أخرى.

(٣) في (أ) من الصحيح ما أثبتناه من (ب).

كثيرين بعد قلة وأعزة بعد ذلة ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [:] .

أبعد أن بلغتم بفضل الله ما بلغتم من نكاية الأعداء وانتهيتم إلى ما انتهيتم إليه من الظفر بأهل الاعتداء تتركون مثل هؤلاء الجهلة يجبطون أعمالكم ويبطلون جهادكم، ويقوون أعداءكم^(١)، وأنتم لهاميم العرب وحماة القبائل، وأهل الأنوف الشم الذين يضرب بهم الأمثال، وما مثلكم في العزة والبأس والرفعة في الناس ممن يتخطى الغير أرضهم أو يكشف الكائد عورتهم، أو يتجاوز الماكر حدهم، وقد رأيتم من هو أضعف [/] منكم ممن ينسب إلى العربية وأنتم منه^(٢) أعز بحمي ذماره عن كل طارئة، ويمنع دياره عن كل كف عادية وكل عذر تتعللون به من عجز أو وهن غير مقبول منكم، ولا مرضي عند الله ولا عندنا، ولا عند أحد من قبائل المسلمين لما نعلمه من عزة أنفسكم، ومنعة دياركم، وحفظ حوزتكم ومكافئتكم لمن ناوأكم، فأحيوا الذكر واغتنموا الفخر والأجر، واستنزلوا من ذلك بركات السموات والأرض في الأنفس والأموال والأولاد، وشفاعة محمد - صلى الله عليه وآله خير آل، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وكتب - عليه السلام - أيضاً إلى من في الجانب الشرقي ومراتب مولانا أحمد:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى .

كتابنا هذا إلى من يشتمل عليه حضرة الصنو صفى الإسلام أحمد ابن أمير المؤمنين حفظه الله تعالى وتحتوي عليه المراتب المنصورة والجهات التي بنظره من المشائخ الكرام الأماجد الفخام من خاص المشائخ العام وقرييهم والبعيد، سلام عليكم فإننا نحمد الله إليكم ونسأله أن يوزعنا وإياكم شكر ما منَّ به علينا وعليكم من ارتفاع الأيدي الظالمة، وقطع دابر الفرقة الآثمة بامثال أمره والمسارة إلى ما رغب إليه في كتابه من حصر الظالمين

(١) بعد أعداءكم أضاف في (ب): عليكم.

(٢) منه: ليست في (ب).

في كل مقعد، والقعود لهم كل مرصد.

وبلغنا في هذه الأيام تهور كثير من جهلة الناس بالدخول إليهم والجلب^(١) ليبتلوا بذلك ذرركم وشرفكم وجهادكم الذي ملأ الشرق والغرب، ولستم والحمد لله عن منع ذلك بعاجزين، ولا أنتم ممن يُتهم في دينه، فيقال: إن لكم في ذلك مشاركة أو منكم لهم في ذلك ممالا، ولا ممن لا يهتدي إلى ما به رفع الدرجات وحفظ الأعمال الصالحات، فضلاً عن أن تتركوا من يجبط أعمالكم ويبتل جهادكم، ويقوي أعداءكم، ويرد الرمق إلى من همه مضاركم وذلكم وانتقامكم من هؤلاء الأتراك الذين قد ذقتهم مرارة ظلمهم، واطلعتهم على حقائق إثمهم، وأنتم والحمد لله رؤوس العرب والذين يضرب بهم الأمثال في حفظ الحوزة ومنع الذمار، فإننا إنما قمنا هذا المقام لنعز الإسلام ونمضي شريعة محمد عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام، ونحن أهل بيت نبيكم [/] وأعظم الناس حقاً عليكم، ووصية الله ورسوله فيكم، فما حق امرئ مسلم ذي دين يسمى عربي النسب خالص السبب يوتر على آل رسول الله ﷺ علوج العجم، ومن رماه الله بسهم النقم وبنا أهل البيت أعزكم الله، وعنا تفرع ما أتاكم من خير الله، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾ [:].

فهل يدعي قربي^(٢) رسول الله ﷺ من يعين عليهم عدوهم ويقوي عليهم مباينهم، ويجلب المصالح إلى من يريد هدم الشريعة المطهرة ويحرب الأئمة البررة، وهتك أستار العرب وإلباسهم لباس الجوع والخوف، فاتقوا الله سبحانه وأنكروا هذا المنكر، واعقدوا عليه القلوب والأيدي فأنتم على ذلك قادرون، وعنه عند الله غير معذورين، والمقر على المنكر كفاعله قال الله سبحانه وتعالى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ

(١) جلب: الجلب: سؤق الشيء من موضع إلى آخر.

(ابن منظور: لسان العرب، ج ٢، ص ٣١٣).

(٢) ظن في (ب): مودة.

دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن
مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٦٩﴾ [: -] .

فاجتهدوا في دفع هذه المفسدة ولا يبلغ عملكم إلى غايته ثم تبطلوه .

نعوذ بالله من إحباط الطاعات وارتكاب السيئات، على أنه لم يبق إن شاء الله تعالى إلا
الحمد أو الذم، وعض المتسهل في هذا الأمر لكف الندم، فقد أذن الله تعالى بقلع جرائم هذه
الشجرة الخبيثة واقتلاع أصولها المجثومة .

اللهم هذا بلاغ إليك وإعذار لديك، فمن أعان على إقامة أمرك وإحياء دينك تول كفايته
ويسر معونته، ومن عصاك أو مالى عاصياً لك وهو يستطيع الإنكار عليك ويمجد سبيلك إليه
فانتقم منه عاجلاً، وأهلكه سريعاً فأنت على كل شيء قدير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي
العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم .

بتاريخ جمادى الأولى سنة سبع وثلاثين وألف من محروس أفر^(١) .

ولما انعقد الصلح استرجح مولانا الحسين رحمه الله طيافة حضور وبلاد الحجره وأعلى
الحيمة، فإنهم أهملوا كثيراً من أوامره الشريفة مع اشتغاله عنهم بحروب صنعاء، وكان
القاضي يحيى كما تقدم مهتماً بمكاتبة الباشا وأن [/] في نفسه بلية من تعظيم الشيخ
جمال الدين علي بن عبد الله المنامة الأجبوني، وقربه من مولانا الحسين رحمه الله فطلب من
مولانا الحسين الإذن إلى حصنة بناع الحيمة وأنه يريد ختان أولاده وكذا، ثم بقي في حصنه
وجعل على أصحابه ولده، وكان يهمل أوامر مولانا الحسين ومن يخالطه وكثر ذلك، فخرج
مولانا الحسين فتلقاه إلى جانب المخلاف في كثرة وما توهم^(٢) أنه خائف من مولانا رحمه الله
فجاراه مولانا ولم يظهر له شيئاً ولا تعرض لبلاده المخلاف وما إليه شيء إلا الضيافة وقد
اتهمه كثيراً، وذكره آخرون من مشائخ الحيمة عنده بالخيانة فلم يظهر له إلا البسط .

(١) ١٠٣٧هـ = ١٦٢٧م . وأفر في شهارة وهي تسمى اليوم القابعي .

(٢) في (ب) بدلاً من وما توهم كتب: أيوهم .

ولما صار مولانا في بلاد الحناتف من الحجرة وهم وإن جاروه في المحق لأجل أغراضهم فلا يثق بهم كما يثق^(١) بقبائله من أعلى الحيمة وحضور، فعاد إلى حصنه، وأخذ مولانا يتفقد الحقوق التي منعها أهل الحجرة والأوامر التي أرجعوها وخالفوه فيها وعاقبهم وأخذ ذلك منهم، والقاضي يظهر للناس قبح السيرة ويوحش عليهم من جانب مولانا الحسين رحمه الله (حتى أجابوه على أنهم يمنعون بلادهم لا يدخلها مولانا الحسين رحمه الله)^(٢) وخالفهم على ذلك وهو يسيره ويظن أن ذلك يخفى على مولانا الحسين، وقد بلغ الإمام ذلك فكتب إلى القاضي يطلب وصوله إليه أو يذهب إلى مولانا الحسين رحمه الله فاعتذر عليه: إني أخاف من الحسين وأخاف منه في الطريق إليك أيضاً ولكن إتركوني في بيتي، وهو على ذلك قد استوحش فأكثر من طلب المفاسد على مولانا الحسين ليأمن منه مع اشتغاله بغيره كما أخبرني القاضي بنفسه وقد أقسم أنه لا يريد ما بلغ إليه من العصيان، وإنما حمله الخوف وأنه بلغه أن الإمام قد أمر بقتله والقضية المتقدمة في بيت عذران^(٣) بلغت.

ولما فرغ مولانا الحسين من أعمال الحجرة أراد الرجوع إلى جهات بني مهلهل^(٤) حوالي يناع وهم عيبة نصح القاضي^(٥) وقد كثر الشاكي عليه من الشيخ علي بن صبري المخلافي من موضع يعرف بقرن ذاكر، وفي هذا الشيخ علي وأهله رئاسة وشجاعة، فأراد القاضي أن يجعل فتح الحرب على مولانا الحسين رحمه الله على يد الشيخ المذكور فأمره أن يحفظ نفسه وبلادته [/] وأن لا يترك أحداً يدخلها.

أخبرني غير واحد من أصحاب القاضي، وقد كتب مولانا الحسين إلى القاضي على العادة

(١) كما يثق: ليست في (ب).

(٢) ما بين القوسين: ليست في (ب).

(٣) بيت عذران: قرية في بني مطر غرب صنعاء.

(المقحفي: المعجم، ج ٢، ص ١٠٣٣).

(٤) بني مهلهل: مركز إداري من مديرية الحيمة الداخلية محافظة صنعاء، وهو جبل شاهق، في أعلاه قلعة خاربة، أهم قرى: التآبات،

الفايشي، الجوهز، بني هاجر، اللكمة، الناصرة، الأريم، القرانة، سوق الربوع، بيت جهلان، قشاع، الزواهره، حصن سويد.

(المقحفي: المعجم، ج ٢، ص ١٦٧٧).

(٥) عيبة نصح القاضي: موضع سره ومحل ثقته.

أنكم تلقوننا ولا أظهر له شيئاً فوصل بكثرة جموع أكثر من الأولى، حتى كانوا أكثر من أصحاب مولانا الحسين رحمه الله وقال له: لا تدخل بيت ابن صبري، بل يكون طريقك المخلاف وأضيفك في بيتي وكذا، فقال مولانا: لا بد من بيت ابن صبري ولم يلتفت إلى قوله، فوقف قليلاً ثم صاح بمن معه انتهبوا المحطة، وكانت أثقال الحسين قريبة منه فأغار عليها أصحابه فنهبوا ونهبوا أهل السوق، وقد مضى مولانا الحسين رحمه الله الطريق كما أخبرني السيد المجاهد عبد الله بن مهدي حيدرة الغرباني عافاه الله وغيره أنهم أخذوا مركوبه.

قال: فأغرت إلى مولانا الحسين مترجلاً والمخبرون يقولون: قد نهب مركوب السيد عبد الله، فقلت لمولانا: كذبوا ولا شيء من هذا، وإنما أعطيت القاضي المركوب عارية وأخبره بالحقيقة سراً، وأن هذا الموضع ليس بموضع للقتال لانقطاعه عن الإمداد وكذا.

قال: وهو رأي مولانا فأظهر ذلك وأرسل كاتبه الشيخ فارح بن خيران وغيره وتقدم مولانا إلى خارج بيت بن صبري فتلقاه الشيخ المذكور نادماً تائباً وقد ترك أهل بنادق في بيته من أصحابه ومن أصحاب القاضي.

قال الفقيه الأفضل محمد بن علي الخیراني الحيمي وكان حاضراً: إنه بلغه أن امرأة اسمها رقية رأت بعض أهل البنادق أراد الرمي لمولانا الحسين وقد تمكن منه فأطفت عليه النار وأنه الذي أخبره من فيه.

قال: وعرف ذلك مولانا الحسين رحمه الله وكان لهذه المرأة كسوة مستمرة، فلما بلغه خروج ابن صبري - يعني القاضي - ندم وتعيّب^(١) فيما جرى وأخذ يسترجع الأطماع، ويظهر أن ذلك وقع من القبائل بغير أمره وأنه معيب في كل ما وقع وضامن لكل ما فات، وأنه يرجعه وزيادة عليه، ووصل مولانا إلى القاضي مع الشيخ فارح والسيد عبد الله وغيرهم من المتوسطين في الصلاح يقوم كثرة، وكان في جانب لم يواجه مولانا على أنه مستحي منه، وقد خاف الفتك به، وأرسل عقيب أخذ الأثقال بخاتمه مع أمين إلى ولده محمد بن يحيى وكان على عسكره في حدة عند خليفة مولانا الحسين رحمه الله، وهو السيد العلامة [/

(١) هكذا وردت.

شمس الدين أحمد بن علي الشامي أطال الله بقاه أن انج بنفسك إلى صنعاء وادخل عند الباشا؛ لأنه كان قطع أنه إذا لم يحصل المراد في الحسين رحمه الله في الطريق والشعاب الضيقة ما سلم من ابن صبري والبنادق التي عنده وأنه يخاف على ولده، فلما أصبح اليوم الثاني وصل إلى مولانا الحسين إلى بيت ابن صبري في جماعة من أصحابه كثيرين، وكان مولانا فعل له أماناً.

قال السيد عبد الله: ولما قابله للسلام عليه تمثل:

أياماء العذيب فأنت عذب

تعرض دونك الماء الوخيم

وأخذ في الاعتذار يستر ذلك الواقع، وكتب إلى الإمام -عليه السلام- كما وقفت عليها من خطه قطعة صغيرة مع البريد ما لفظه:

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

السلام على حضرة مولانا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، أما بعد:

فإني قد أنهيت إليكم شكية بعد شكية من صنوكم واستماعه أقاويل أهل الخدع والمكر ورجوت منكم الإنصاف فأبطأتم بالنظر في شأني، وإنها قد حدثت نكتة من السفهاء على سبيل الخطأ وهي بالنظر إلى ما تولد منها هينة فإن تداركوني فأنا صاحبكم القديم واليوم أقرب من غد وأنتم أعظم من خلق الله ثباتاً في معالجة الأمور، وقد رتقتم^(١) وأطفيتم ما هو أعظم من هذا وإن يكن وحاشاكم وتهملوا فما علي عتب بعد الفزع إليكم، ولو حصلت لي إقالة من أول هذه الأمور لَوَصَلْتُ إليكم بنفسي، وما درج مني قلم بقرطاس وعلى تقدير^(٢) أنني المخطئ وأني المتعدي فلا إله إلا الله ماذا على من أساء غير الإنابة والرجوع، وإذا استوت

(١) رتقتم: الرتق: ضد الفتق، الرتق إجماع الفتق وإصلاحه.

(ابن منظور: لسان العرب، ج ٥، ص ١٣٢).

(٢) تقدير: ليست في (ب).

حالتني بالجهل والخطأ وحالتكم بالمؤاخذه وعدم الإغضاء^(١) فأين الفضل وأين المقام الذي استحققتم فيه كون يديكم فوق كل يد إلا يد الله؟! فانظروا في هذه وداركوها بحلمكم وكما لكم وبعد شريف السلام ورحمة الله وبركاته ولا تستصغروا وتسهلوا بوسع وعندكم ما يحسمها. انتهى.

وجواب الإمام - عليه السلام - ما لفظه بعد حذف طرة الكتاب فقال: وبعد:

فإن كتابكم الذي ذكرتم فيه أنها حدثت نكتة من السفهاء فيما بينكم وبين الصنو شرف الإسلام حفظه الله وأنها هينة وصل وتحققناه ويا سبحان الله متى كان نهب المسلمين في قارة طريقهم لا لذنوب جنوه [/] ولا وزر أتوه في حض واليهم وشيخ بلدهم ومتحمل عهدهم، وفي بياض النهار وكونهم في معسكر خليفة إمامهم وابن إمامهم هيناً أين لبك ومتى زال حسك؟! وذكرت أنا نتداركك عن تلك الورطة، ونخلصك منها وأنا لا ننظر إلى سالف فالتدارك من عندك بالغضب لله عند معاصيه وتوريك الذنب على جانبه، والمسارة بالأخذ على يديه إلى الشرع يحكم فيه وله، وعليه فاستعن بالله على ذلك وتوكل عليه فهو الميسر لما هنالك، وإنا نسأله لنا ولك أن لا يكلنا إلى أنفسنا فنعجز ولا إلى الناس فنضيع، وأن لا يؤاخذنا بما فعل السفهاء منا فنهلك، وقد سبق إليك في الكتاب الأول ما فيه إن شاء الله كفاية، وحسبنا الله ونعم الوكيل. انتهى.

ولما وصل إلى مولانا الحسين كما تقدم أيضاً قال: طريقك يا مولانا المخلاف بيتي فقال: عظيم، فلما وصل المخلاف، وبلغ مولانا لحوق ولده بالباشا ترك الضيافة وخرج اقتضاباً من غير أن يلتفت إلى أحد، وأظهر لمن عنده أنني قد حلفت من ضيافة المخلاف لما وقع من التشاجر عليها، والخصام بين القاضي والشيخ صالح بن مذيور وأنه شيخ المخلاف وفي جانب الحق ومتبري^(٢) من أعمال القاضي، فأراد القاضي أخذ المحطة وأثقالها فخاف ممن في جانب ابن مذيور من أهل المخلاف ولثلا يفترقوا كما بلغني والله أعلم.

(١) الإغضاء: وصحتها الإغضاء، وهي من غض، غض طرفه وبصره.

(ابن منظور: لسان العرب، ج ١٠، ص ٨٢).

(٢) متبري: أي بريء من أفعاله وأعماله.

ولما صار مولانا أيده الله في بيت المفضر من بني سوار وقد خاف على حدة من الباشا، حيث قبل من القاضي ولم يراعِ الصلح، فأرسل عسكرياً إلى حدة وأخبرهم أنه في أثرهم، وكتب إلى الإمام -عليه السلام- يطلب رأيه السديد في حرب القاضي المذكور، ويستمد الغارة ووصل إليه الحاج الفاضل شمس الدين أحمد بن عواض، ومعه القاضي العلامة عبد القادر بن علي المحيرسي أطال الله بقاءه من المراتب التي شرقي صنعاء فإنه -يعني الحاج رحمه الله- كان يتردد فيها وتقدم إلى القاضي يحيى وطلبه اللقاء فلقيه، وأظهر توبة، وقد أرسل من أصحابه جماعة بعد أخرى إلى الباشا يستنجده ويقول له: اغتنم الفرصة وتكون من عندك ونحن من عندنا، والكتب والأموال تخرج إليه من الباشا. ولما وصل الحاج أحمد رحمه الله أراد القاضي أن يخدمه بصلح [/] حتى ينزل مولانا الحسين حدة فلا يشعر إلا وهو أعلى من حدة، والباشا يخرج من صنعاء، وتكون نعوذ بالله العظيمة كما أخبرني القاضي المذكور من فيه، وقد ذكر أن ما اتفق ليس بإرادته وقد أقسم لي مراراً وإنها أراد القعقعة^(١) ليترك له رأيه وحاله وبلاده، وأن الباشا عاجله كثيراً قبل عقد الصلح.

قال: وأجبتة في بعضها وقد أفسدنا البلاد بالمال والعطاء إلى جميع المغارب حتى لقد وصلت المعاقدة إلى جانب أنس وريمة وغيرها، وأني كتبت من يناع أنا نقصد الجبل المشرف على حدة ونعشر من هناك، وأنتم تخرجون من صنعاء وتأخذ الحسين ومن عنده.

قال: فلما كان الليل تذكرت ما يكون وأنه يقتل هذا ابن رسول الله العالم المجاهد وما يكون الحال، فأقسم بالله أنه صاح باكياً^(٢)، ثم كتب عقيب الكتب الأولى بما ينقضها ورجع عن ذلك.

نعم ومما كان خدع به الحاج رحمه الله أن أرسل إلى مولانا الحسين رحمه الله بسبعة رؤوس

(١) القعقعة: أصوات السلاح، والترسة والجلود اليابسة والحجارة والرعد والحلي وغيرها.

(ابن منظور: لسان العرب، ج ١١، ص ٢٤٦).

(٢) حاشية في (ب) أضاف الناسخ ما يلي: (هذه من القاضي رحمه الله توبة خالصة، وقبل. التوبة إلا الندم، كيف وقد انضم إليه النجيب. انتهى).

بقر عقرت في محطته اعترافاً له بالحق وحصول الخطأ وكذا، فلم يلتفت إليها مولانا الحسين ولا ترك أحداً يقربها، فلما بلغه ذلك خاف كثيراً فجمع أصحابه، وغزا مولانا الحسين إلى بيت المقصر ليلاً فخرج إليه المجاهدون فكسروهم وطردهم، وقد قتل من أصحاب الحسين نفراً وفارساً كان معه من العجم صار إليه، له وقعات في الجهاد ونصيحة.

ولما أصبح أمر مولانا الحسين رحمه الله بالمحطة إلى ريمة بني السياغ^(١) مكاناً مرتفعاً، وقد جعل القاضي مراتب من أعلى بني سليمان وفي يناع وفي أسفل بني السياغ وأرسل إلى الباشا الرُّسل المترادفة بأنه يخرج على حدة، وقد جمع مولانا الحسين رحمه الله العسكر المنصور بالله، والغارات من جميع القبائل ومن الحدا وخولان وغيرهم، واستقام حرب عظيم من أعلى بني سليمان إلى قريب من حصن يناع، مسافتها قدر فرسخين^(٢) حتى حجز بينهم الليل، وقد قتل من أصحابه جماعة ومن المجاهدين أقل، ولما كان الليل ندم القبائل الذين أجابوه وخافوا وتذكروا، فأرسلوا إلى أصحابهم ومشائخهم الذين عند مولانا الحسين رحمه الله فوصلوا في الليل، ثم جعلوا على كل مرتبة مثلها حتى أخرجوا مراتب [/] القاضي من بني سليمان في ليلة واحدة، وكان هو في حصن بني سليمان فأخرجوه، وأمر مولانا الحسين بهدمه فهدم، ثم تقدم إلى يناع فعفا عن أولاد القاضي والمنحازين إليه وقبضه منهم وأخرجهم بلادهم وأحسن إليهم كثيراً ورق لهم سلام الله عليه، وكان قد أخرج أموالاً من صنعاء وأعطاهم فلم تغن شيئاً، وصار إلى أعلى المخلاف وهم أن يقيم الحرب فيه فدخل الشيخ صالح بن مذيور إلى المخلاف فلم يجيبوه، ونحاه عن موضعه وبقي متخفياً في جانب المخلاف، ثم خرج بلاد خولان وصار إلى بني جبر متجوراً بهم ووقى الله شره^(٣).

(١) ريمة السياغ: قرية في الحيمة الداخلية غرب مدينة صنعاء.

(المقضي: المعجم، ج ١، ص ٧٢٤).

(٢) في (ب): ميل، والفرسخ: ثلاثة أميال أو ستة.

(ابن منظور: لسان العرب، ج ١٠، ص ٢٢٣).

(٣) كتبت ملحوظة أعلى حاشية الكتاب هي: (قال السيد: القاضي الحافظ العلامة جمال الدين علي بن محمد بن يحيى بن سلامة حفظه الله في سيرته الدر المنثور فيما حفظه من سيرة المنصور بعد أن ذكر معنى ما ذكره السيد ضياء الدين المطهر بن محمد عافاه الله تعالى، أن =

فصل في ذكر فتح صنعاء

ولما ضاق بالباشا الموارد والمصادر، وتزلزلت به البوادي والحواضر، ونزل به البؤس من كل باب بعد الطراد والوثاب والطعان والضراب، والملاحم التي يشيب لها الرضيع، والوقائع التي لا يقوم لها صريع، خاطب بتسليم صنعاء وخروجه إلى زييد، وأرسل شريف أفندي والسيد العالم صلاح بن عبد الله الحاضري السراجي من سادة صنعاء، وقد قل عليه المال وضرب الحلي وأدخل في الضريبة^(١) النحاس الكثير لكثرة مخارجه فإنه ربما يشتاط^(٢) القدر الطعام بعشرة حروف وأكثر، وطال عليه إطعام من معه والحسيك لخيولهم، فعقد له الإمام -عليه السلام- ذلك وأرسل ولده مولانا علي ابن أمير المؤمنين أطال الله بقاءه، وسيدنا العلامة القدوة الصمصامة جمال الإسلام والمسلمين عامر بن محمد رحمة الله عليه فإن الباشا اشتراطه كذلك، وحي السيد العلامة مفتي الفرق محمد بن عز الدين ويكون معهم في دخول صنعاء، وهو إذ ذاك في ذهبان وجماعة من السادة ومشائخ الأهنوم، وغيرهم فكانوا نحو خمسمائة وأكثر، وأرسل معه أيضاً الأمير ناصر بن علي المحبشي، وكان قد خرج من عمران كما تقدم وهو من أهل الدهاء والكمال في محاوراة الكبراء ومخالطتهم، وله أخبار في ذلك كثيرة ومع ذلك كان ذا مال واسع.

القاضي المذكور رجع إلى الله سبحانه وتعالى وتاب، وتذكر ما تقدم له من الجهاد مع الإمام المنصور بالله عليه السلام فخشي فساد ذلك فأتاب ووالى الموالاتة الصادقة التي هي لما تقدم من الإساءة ماحقة. ولم يزل رحمة الله عليه يظهر التوبة، ولقد تعب من خلافه حتى دमित شفاهه، وقال: هان عليّ حرب الترك ولم يهن عليّ خلاف المخلافي؛ لأنه من خواصنا، وأهل المعرفة بمضارنا ومنافعنا، ولم يزل القاضي المذكور على الطريق المستقيمة حتى دعاه الله إلى جواره لعشر بقين من شهر رمضان سنة ستين بعد الألف، وقبره بخزيمة في مدينة صنعاء رحمه الله رحمة الأبرار. انتهى من السيرة المذكورة. أما في النسخة (ب) فقد كتب في الحاشية التالي: (هذه نسخة ملحقه من السيرة المذكورة احتسبنا ذكرها مسطراً وهي)، ثم أدخل كل الملاحظة السابقة في متن الكتاب.

(١) الضريبة: المقصود بها: سك العملة.

(٢) يشتاط: يشترى الحبوب وتقال للحبوب فقط، وهي عامية.

فلما وصل مولانا علي نواحي جبل عيال يزيد وعمران^(١)، بلغه نكت الباشا وخروجه على حدة مع الحرب المذكور للقاضي يحيى كما أخبرني كثير ممن كان حاضراً [/] في حدة، أنه وثق بنصرة القاضي يحيى له وقد وصل إليه من أهل الحيمة كثيرون ممن دخل في ذلك الفساد، ووصلت عطاياه إلى جهات المغارب وإلى بلاد عتمة وريمة على يد الشيخ علي بن ناصر بن راجح، ووقفت على ذلك، فكتبت إلى مولانا الحسن رحمه الله وكان يومئذ في فرس من الحجرية بعد طلوعه من المخا كما تقدم، وإلى مولانا الحسين رحمه الله، فوافي رسولنا ومولانا الحسين في بيت المقصر كما تقدم، وغزاهم القاضي يحيى والرسول حاضر.

قال الرسول: ولما أصبح الصباح دعاني مولانا الحسين وقال: كن معنا واحضر الحرب لتكون البشير إن شاء الله بنصر الله سبحانه، فكان كما تقدم من النصر، ووصل البريد بالشارة.

صفة الحرب على حدة

ولما عزم الباشا على قصد حدة أرسل قريباً من غروب الشمس فارساً من أصحابه وقف قريباً من البستان الذي بين يدي حدة ونادى: إننا نبرأ من الصلح وعاد إلى صنعاء، فأرسل السيد أحمد بن علي الشامي أطل الله بقاه إلى مولانا الحسين وإلى مولانا أحمد وإلى الرتب بذلك وبقي محترساً، وقدم إلى البستان عسكرياً من الأهنوم ممن وصل من عند الإمام - عليه السلام - عليهم النقيب المجاهد سعيد بن صالح من هنوم، وأمرهم بحفظ نفوسهم في موضعهم، وأصبح الباشا عليهم وجعل على البستان من حصره، وقد أخرج المدافع من صنعاء، فأخربت كثيراً من سوره ولقي المجاهدون المشقة، وقدم الأكثر على حدة فلزم لها^(٢) العسكر البيوت ودافعوا الدفاع الشديد، وجاهدوا في الله الجهاد الأكيد، حتى أهل السوق ومن يجتمع إليه، ووصلت الغارات من المراتب، ولما كان آخر النهار وصلت غارة شعواء من عند مولانا أحمد ابن أمير المؤمنين أطل الله بقاه من الروضة وتأخرها لبعده المكان وأن

(١) عمران: ليست في (ب).

(٢) في (ب): لهم.

طريقهم جدر ثم ذهبان ثم مذبح^(١) ثم حازة عَصْر ثم فَجْ عَطَّانُ، ولما وصلوا قصدوا المركز الذي فيه الباشا فانهزم العجم ورجعوا خائبين لم ينالوا خيراً، ووصله الخبر بهزيمة القاضي يحيى كما تقدم، وكان قد دخل إليه لعقد الصلح قبل خروج مولانا على الشيخ المجاهد واصل بن علي السيراني الأهنومي، وكان عمل الباشا هذا وهو عندهم لم يتركوه [/] يخرج ولا جرى إليه منهم شيء غير الإعظام والإكرام، وكتب الباشا إلى الإمام -عليه السلام- وأمر الشيخ واصل أن يكتب أيضاً أن هذا الواقع ليس من الباشا وأنه على العهد والعقد كذباً محضاً وأن هذا عمل العسكر ولا للباشا رأي في ذلك، وكان قد كتب مولانا علي إلى الإمام -عليه السلام- من الطريق بما بلغه من الحرب فعاد الجواب عليه أنك تقدم إلى الجِراف، ويدخل الأمير ناصر صنعاء للخطاب فإن تم الصلح وإلا كنتم مع أهل الجراف حتى يُمكن الله منه أو كما قال.

وقد أرسل الإمام -عليه السلام- من فوره رسولاً إلى صنعاء كما أخبرني القاضي صفي الدين أحمد بن سعد الدين حفظه الله إلى الباشا وإلى الشيخ واصل بن علي أن هذا الذي وقع ليس عن قصد ولا ولا، وإنما هو من ضنك الحال، والآن مثل هذا يقع فاحسموه بتمام الصلح وإراحة الجميع ونحو ذلك، فلما وقف الباشا على ذلك طلب الشيخ واصل بن علي وكان قد أرضى عسكره بأن قال: هو محبوس واستدعى التهام وهو الذي أراد الإمام -عليه السلام- من تطفئة الفتنة.

ولما وصلت مطالعة الباشا والشيخ واصل إلى الإمام -عليه السلام- أجابها مجارة للباشا بأن العسكر هذا حالهم، وقد وقع التعب عليهم فيما بلغنا وما قصدنا بهذا الصلح إلا إراحة الفريقين وكذا، وتقدم مولانا علي إلى الجراف وأرسل الأمير ناصر المحبشي كما أخبرني بعض أصحابه الذين دخلوا معه صنعاء أنه كلم الباشا والأمراء الذين عنده، فلما عرفوا منه الصدق وأظهر أنه أسير في نصرتهم، وأن الإمام أحسن إليه وإلى الأمراء الذين عنده وكذا.

(١) مَذْبُحٌ: منطقة شمال غرب صنعاء على خط الطريق إلى وادي زهر وقد امتد إليها العمران وأصبحت من ضواحي صنعاء، وفيها كلية الطب التابعة لجامعة صنعاء.

(المقضي: المعجم، ج ٢، ص ١٤٧٢).

ثم خرج الباشا وقد حصّل له الإمام جميع ما يحتاج إليه من الزاد والجمال وأنه يحمل من ما معه في صنعاء ما قدر عليه إلى حد الرؤوس المقطعة وقد سلخوها وجعلوها في سور المدينة، وقال -عليه السلام-: إذا أمكن^(١) تحمل صنعاء وحجارها فلك، وتذهب فحمل جميع أثقاله، وما عسر عليه حمله من ذلك جمعه إلى مخزان كبير في القصر وجعل عليه رجلاً من أصحابه، وقال للإمام -عليه السلام-: هذا وديعة أربع سنين إن وصل رسولي له فيها فهولي وإن لم يصل فيها [/] فهو لك. فلم يفتحه -عليه السلام- إلا بعد ست سنين ووجد فيه وطاقات وآلات ونحاسات يقل مثلها.

وفي سنة اثنين وخمسين وألف^(٢) وصل الأمير عبد الله بن محمد الزومي «طالباً فضل الإمام لحيدر»^(٣)، وشكى له اختلال حاله، فأعطاه الإمام ستة آلاف قرش، وأعطى رسوله أربعمائة قرش وأركبه، وأعطاه من المخا تفاريق نفيسة، وأرسل معه من أخرجه البحر، وطلب الباشا من الإمام -عليه السلام- أنه لا يقبل من تأخر عنه من أصحابه وأن من بقي من الترك وأغواتهم وأمرائهم ومن يتعلق بهم في صنعاء فله الجلالة والأمان في نفسه وماله فوضع لهم نسخة هي هذه:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى.

المؤيد بالله إن شاء الله أمير المؤمنين محمد ابن أمير المؤمنين لطف الله به آمين. والحمد لله الذي أمرنا بالتعاون على التقوى والتراحم، وجعلنا من أهل بيت نبيه الذين هم أحنى الناس على عباد الله، إذ اختارهم الله واصطفاهم، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له رب الخلق أجمعين ومولاهم، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إلى العالمين يأمرهم بالمعروف وعن المنكر ينهاهم، صلى الله عليه وعلى آله الذين اجتباهم وصحبه الذين ارتضاهم، أما بعد:

(١) في (ب): أمكنك.

(٢) ١٠٥٢هـ = ١٦٤٢م.

(٣) هكذا وردت ولم أتوصل إلى المقصود بها.

فهذا ميثاق وأمنة وشاهد لمن تمسك به يهدي إن شاء الله من القول أحسنه لمن أذن له الوزير الأعظم والباشا الأكرم الخطير الأشهر، الوزير حيدر دام سعده، في التخلف في مدينة صنعاء عنه في سفره الميمون الذي هو إن شاء الله بالصلاح والفلاح مقرون من الأمراء والكبراء والأغوات وسائر العساكر والتوابع للوزير أو غيره ذكر أم لم يُذكر، وأهل التعلقات على أنفسهم وأولادهم وأموالهم أينما كانت وحيث تثبت أنهم منا وإلينا، ومن جملة من تحوطه شفقتنا وترعاه بمعونة الله رغائبنا لا نُغيّر عليهم إن شاء الله تعالى حال ولا نكدر لهم بال، ولا يروعون إن شاء الله في نفسٍ ولا مال، وعليهم النصيحة الصادقة لله ولرسوله ودينه وأئمة المسلمين وعامتهم والاستقامة على ما أمر الله به، والمعونة على البر والتقوى [/] والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن من صحبه في سفره الميمون إن شاء الله وانتظمه على ذلك دفتره المصون، فهو بذلك وعلى ذلك مصون مكفول، وإن أراد مرید القلب والرجوع فهو غير مقبول بل هو مردود إن شاء الله، والله المسئول وهو خير مأمول، أن يتم لنا سعيانا وبيارك لنا فيه وبييض وجوهنا في الأولى كما نرجوه لذلك في الآخرة بحق محمد وآل محمد - صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم - وحسبنا الله ونعم الوكيل ونعم المولى ونعم النصير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

حرر لإحدى عشرة ليلة خلت من شهر جمادى الآخرة عام ثمان وثلاثين وألف^(١) بمعمور أقر من أعمال شهارة عمرها الله بالتقوى آمين. انتهى.

وكان في خروج الباشا من صنعاء على ما تقدم المصلحة العامة للمسلمين، ورأى - عليه السلام - ذلك لإراحة المسلمين من شره وأنه لا يأمن مع بقاءه أن يصل إليه مدد من الروم كما كان من خروج قانصوه باشا الآتي ذكره، وكان قد لحق بلاد صنعاء وأهلها مشقة وقتل منهم كثير ممن أعان الظالمين، وواصلهم بالحبوب وغيرها، فخاف الإمام - عليه السلام - من عاقبة ذلك فخرج الباشا يوم الخميس ثالث عشر من شهر رجب سنة ثمان وثلاثين وألف، وذلك قبل تسليم مدينة تعز المدينة بنحو شهر ونصف أو شهرين كما تقدم ذكره، وذكرناه

(١) شهر جمادى الآخرة ١٠٣٨هـ = ٢٦ يناير ١٦٢٩م.

قبل فتح صنعاء لاتصاله بأخبار مولانا الحسن رحمة الله عليه وتسليم صنعاء المحروسة بالله في من سيأتي ذكره من قبل مولانا علي أيده الله، ومضى الأمر وانفصل زيد من عمرو، وقرأ القارئ: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ﴾ [:] ، و﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [:] .

غريبة في التفاؤل

وإذا كان من قال الخضم كان أغرب ويلحق باستفتاح قريش يوم بدر، وهي أنه كان أمير عظيم من العجم يسمى حسين كان يخرج بعد صلاة العصر إلى الجامع في صنعاء المحروسة بالله في حفدته ويُنصب له معراج في مقدم الجامع المقدس الشرقي ويرقاه ويكتب بمداد أزرق لا يكاد يوجد⁽¹⁾ مع غيره بخط عجيب، الألف منه في طول الرجل المتوسط، وسائر الحروف على قدر ذلك، فيكتب في الوقت المذكور بريشة كبيرة ألفاً [/] أو يزيد قليلاً أو نحو ذلك فأتى في أيام الآية الكريمة، ﴿وَلَقَدْ اخْتَرْتَهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَيَّ الْعَالَمِينَ﴾ [:] .

وكان ذلك منه على سبيل الفخر بقوة خطه وقدرته على ذلك، وكُتبت هذه الأوراق ومعظم ذلك باق في الجدار المذكور فكان فالاً لمن اختارهم الله من عترة نبيه ﷺ المظلومين في أمة جدهم المقهورين على حقهم.

ولما خرج الباشا إلى البستان بجميع أصحابه وأولادهم، انتظر الجمال ستة أيام ثم خرج إلى جانب بلاد همدان، وكان مولانا علي أطال الله بقاءه أمر السيد العلامة الفاضل عبد الله بن محمد الشرقي رحمه الله لقبض القصر وما فيه وقد ترك الباشا لمولانا علي فراشه، وكان له قيمة عظيمة ووطاقاً وخياماً وغيرها، فكان السيد عبد الله خليفة لمولانا علي حتى يعود من إبلاغ الباشا مأمناً كما يأتي إن شاء الله قريباً.

(1) في (ب) زيادة بعد يوجد: مثله.

وأرسل مولانا الحسين رحمه الله جماعة من أصحابه مع الفقيه المجاهد صالح بن معوضة الغربي الحجي إلى البستان المعروف ببستان السبحة قليل مثله في اليمن فملكوه، والباشا معسكر خارجه كما تقدم، ومولانا الحسين رحمه الله حينئذ في بيت ردم^(١) فهرب إليه من العرب النقيب صالح بن نهشل سعدان، والشيخ عبد الوهاب بن حميد السنحاني، ومعه أنفار وسار مع الباشا من مشائخ العرب الشيخ يوسف الخالدي من أنس، والشيخ صالح الخريمي، والشيخ أحمد العقيلي من بلاد كوكبان، والجرمي لعنه الله، والأمير جعفر الداعي وغيرهم من الأفراد، وكان الباشا شرط بقاء مولانا الحسين في حضور فإنه خافه لمكان الغدر الذي كان منه إليه:

أسأت إلي فاستوحشت مني

فلو أحسنت أنسك الجميل

وأرسل مولانا أحمد ابن أمير المؤمنين أطال الله بقاءه الفقيه قاسم الفظيلي خادمه وجماعة للبستان، فلما سبقوا إليه قبضوا بيت الكخيا المعروف في صنعاء فكان فيه.

وأما طريق مولانا علي والباشا فإن الباشا لبس كسوة الإمام -عليه السلام- التي أرسلها إليه أماناً، ثم جعل نفسه معارضاً لمولانا علي ابن أمير المؤمنين وأصحاب الباشا محيطون بهما، وأصحاب مولانا علي ابن أمير المؤمنين أطال الله بقاءه من خلفهم، فإذا وصلوا المحط جعلوا خيمتهما متصلتين ويجمعان عند الأكل والحديث [/] عند الباشا، وخيام أصحاب الباشا محيطة بهما، كانت طريقهم باب الأهرجر، وانفقت القضية التي اتهم فيها مولانا الحسين رحمه الله من الغدر بالباشا، وصفتها كما أخبرني غير واحد أنه بلغ مولانا الحسن رحمه الله الخطاب بخروج الباشا وتسليم صنعاء، خاف من شرهم وتضجر من الإمام -عليه السلام- وكتب فيما بلغني يشكو إلى صنوه الحسين رحمه الله عليهما وقال فيما قال ما ترجموني وما لقيتوه من المشاق وأن في المخا باشا، وتعز باشا، وزبيد باشا كذلك، وقد أتعيني محاصرة الجميع

(١) بيت ردم: قرية وحصن في منطقة شهاب في بني مطر محافظة صنعاء.

(المقضي: المعجم، ج ١، ص ٦٨٣؛ الحجري: المجموع، ج ١، ص ٣٦٥).

وتفرق العسكر وكذا وخفت فزدم الباشا حيدر ومن معه في صنعاء فما هو إلا أن يتصلوا بزيد ويجمعوا وما نقدر ندفعهم عن التفريج على تعز، وبعدها نخاف أن يستعيدوا^(١) وإذا وصلهم مدد اتصل بهم، وهذا حيدر باشا عَدَّار لا عهد له وإن كان الغدر بهم جميعاً صفة لازمة لا عهد لهم فيهم والله أعلم ما حقيقة ذلك، وإنما كتبت الذي بلغ، فرخص مولانا الحسين رحمه الله لأنفار من الحيمة وغيرهم من أهل بنادق فتقدموا له إلى طريق ضيقة ما بين شبات والأهجر وكنوا في الليل، وكثرت القبائل من الحيمة وغيرهم وظهر الخبر لمولانا علي ابن أمير المؤمنين فضاق صدره وعظم عليه، وكتب إلى الإمام -عليه السلام- وإلى مولانا الحسين رحمه الله، وإلى مولانا أحمد وأمر بالبقاء في الأهجر حتى يعود جواب الإمام، وفرق أصحابه في أطراف المحطة يحفظونها فيهم السيد المجاهد أحمد بن محمد الحيداني وغيره من الأعيان، وتكاثر القبائل وأظهروا نفوسهم وطمعوا في خروج مولانا علي من عند الباشا وهو مع ذلك لم يفارق مكان الباشا طرفة عين، وجعل نفسه رهينة، فلام مولانا أحمد ابن أمير المؤمنين أطال الله بقاءه وأهل صنعاء مولانا الحسين، وتقدم إليه إلى البستان وقال: أما تكفيني في أصحابك وإلا خرجت عليهم أو كما قال.

وأما مولانا الإمام -عليه السلام- فلما بلغه ذلك قام وقعد وصاح بأعلى صوته بالبراءة منهم، وهم أن يركب بنفسه مغيراً وهو يستغيث ويقول «يقتل الباشا وهو في أمني ويجير على المسلمين أذناهم! كيف إمامهم؟». ثم أرسل -عليه السلام- من كان عنده من العلماء وراتبة المنصورة المعروفة، وكتب إلى ولده أنك تقاتل دون الباشا أنت ومن معك حتى تذهبوا [/] وكذا، ولما عظم الأمر أغار مولانا الحسين رحمه الله وطرده أولئك ومضى الباشا على تلك الحال حتى اتصل بتهامة، وعاد مولانا علي ابن أمير المؤمنين حفظه الله إلى صنعاء فاستقر فيها والياً إلى الآن حماه الله تعالى، وكان السيد هاشم بن حازم رحمه الله في بيت الفقيه كما تقدم فأمره مولانا الإمام -عليه السلام- أن يلقي الباشا ويضيئه وكان معه السيد المجاهد شمس الدين أحمد بن محمد الحيداني وأكثر العسكر أصحاب مولانا علي ابن أمير المؤمنين في جماعة من الأعيان أيضاً، ولما صاروا إلى بيت الفقيه ابن عجيل عادوا وتقدم الباشا المذكور

(١) في (ب) بعد كلمة يستعيدوا: اليمن.

وعليه كسوة الإمام -عليه السلام- وهو وأصحابه يحسنون الثناء على الإمام، وكان في مدينة حيس الأمير سنبل رحمه الله كما تقدم في عسكره، وقد زاده مولانا الحسن رحمه الله عسكرياً، وكان إليه بلاد حيس وما إليها من تهامة مع وصاب جميعاً وبلاد ذمار، فأمره الإمام -عليه السلام- كذلك أن يُضَيِّفَ الباشا إلى زبيد، ووصلها الباشا في شعبان سنة ثمان وثلاثين وألف، وتلقاه الأمير خضر ومن عنده من العجم، ووصلت ضيافة الأمير سنبل إلى زبيد، فكان لها موقع مع العجم، واتهموا الباشا لما يسمعون من ثناء على الإمام -عليه السلام- ثم الضيافة التي من الأمير سنبل، وبعدها أرسل الإمام -عليه السلام- السيد العلامة صلاح بن عبد الله الحاضري في أمر لم أتحققه فشاع أنه وصل للباشا راية من الإمام -عليه السلام- وأنه وعده لولاية تهامة، ويكون من الإمام وإلى الإمام ولا صحة فيما بلغني لما قالوه والله أعلم.

ذكر ما قيل في فتح صنعاء من الشعر

من ذلك ما قاله السيد العلامة الفصيح محمد بن عبد الله الحوثي مراسلاً بها الإمام -عليه السلام- بعد رجوع مولانا علي ابن أمير المؤمنين أطال الله بقاءه من المسير مع الباشا في ليالي العيد من رمضان المعظم عام ثمان وثلاثين وألف:

ثلاث تهان ضمها واحد شهر
يدور علينا^(١) بينها السعد والنصر
قدوم علي ابن الإمام وإنه
لأعظم شيء للورى شرح^(٢) الصدر
وفتح آزال وهو غاية قصدنا
وفيه لنا من كل مكرمة وكر [/]

(١) في (ب): عليها.

(٢) ظن في (ب) أنها: فيشرح.

فصم ثم أفطر والبس المفخر الذي
به قرن السعد المطالع والنصر
تهنّ بما أوتيت منها فإنها
على الأرض زهر والسماء أنجم زهر
تضيق القوافي عند تحميل عدلها
فليس يفني بالكل من عدلها شعر
تعطرت الأكوان عند شياعها
وفاح لها في كل ناحية عطر
هي الدر والأصداف إسماع من وعى
وساكن أصداف البحار هو الدر
وكناس معنا بالإمام محمد
فلما التقينا صدق الخبر الخبر
ألا في سبيل المجد ما حاز من ثنا
وما ناله والحمد لله والشكر
وجاءك ذا التشريف يجري مسارعاً
بشائره في كل أرض له ذكر
ومن أرض صنعاء كان منشأ سحابه
وفيها وفي أوساطها قد همى القطر
له رسل تترى إلى كل بلدة
ويستاقه إماسرى السهل والوعر

مشاهده إما أنخا بيلدة
تلقاه من قبل المناخ بها بشر
تحريك الرحن داعي ملدة
لهافي المقادير التي قد علت قدر
لواء فخار منه ما قد حازه
مليك ولا من في الملوك له فخر
إلى اليمين الميمون حنت ركاها
إليك عروساً والجهاد لها مهر
فجاءته تهوي نحو ذا القطر ما لها
سوى الشوق حادٍ أو جميلك والذكر
مسراتها في قلب كل موحد
بها جذل الإسلام وانجذل الكفر
لمقدمها تم السرور على الورى
وكل بها من أهل ذا القطر قدسروا
تهنّ بها وانعم فأنت مليكها
المفدى وأنت الليث لم يعره ذعر
أقمت مقاماً للجهاد مقيمة الـ
جياذ المذاكي والسريجية^(١) البتر

(١) السريجيات: السيوف المنسوبة إلى رجل اسمه سريج كان ماهراً بصنعها (المنجد).

وفي كل أرض للجيوش مراكز
وفيها على طول المدى عسكر مجر
تدير على الأعداء حروباً كأنها
أعيد عليهم يوم صفين أو بدر
أثرت قتاماً في سماء عجاجة
لها أنجم من سمرها والضبا غر
أقمت عليهم من قيامة هلكهم
ليالي حرب مظلم ماله فجر
تدير عليهم خمربطش لهم به
خمار وما غير السيوف لها حمر
وفيك قوافي الشعر جاءت مطيعة
يدور عليها الرفع والنصب والجر
وما من روى للشعر حرفاً ولم يكن
به قائماً إلا وهى ذلك الشعر [/]
مدينة شعري والهنا لك بابها
يطاوعني في فتحها النظم والشعر
لقد رخصت أمداح شعري بغيرها
لغيرك غيري مادحاً أرخص الشعر

قصور مشيدات تالاً نورها
على كل قصر من قصور الشاقصر
وأوصافك الغر الحسان لآلى
حبتها المعالي فهى في سلكها در
بحور قوافي في امتداحك قد طمت
وأنت لها وهى البحار لها بحر
وفيك الحيا والحلم والجود والوفاء
وفيك الحجا والرفق بالناس والبر
عدلت وأنصفت الرعايا مقام من
لديه من الحق استوى العبد والحر
انتهى.

نعم وقد تقدم الاستيلاء على تعز المدينة فإن فتحها وافق بعد استقرار الباشا حيدر في زبيد، وكان ذلك مما أيد الله به مولانا الحسن رحمه الله وخفف عنه مما كان يخافه من غدرهم، وقد كثرت المكاتبة من الباشا عابدين صاحب المخا إلى مولانا الحسن رحمه الله والهدايا المتتبعة، وخاف كثيراً من حيدر باشا لأنه كان قد فرط في خزائنه التي في المخا وأعطائها العسكر وحازها دونه.

وقد تقدم أنه أرسل إلى صنعاء^(١) على يد بعض تجارها وهو محمد بن زنبور كثيراً، ووصلت إلى سوق الأحد من صباح، وبلغ الأمير سنبل فهى في ولايته، ثم بلغ مولانا الحسن ومولانا الحسين رحمة الله عليهما، فأخذ مولانا الحسن ما قرب منه من بز^(٢) ودراهم

(١) إلى صنعاء: ليست في (ب).

(٢) بز: البز القماش.

والأمير سنبل قبض ما بقي في سوق الأحد لمولانا الحسن وما كان قد قدم إلى حدة من بز وغيره قبضه مولانا الحسين رحمه الله.

ولما اشتد الخوف مع صاحب المخا وعسكره دون عسكر حيدر والباشا المولى من عند السلطان إنما هو حيدر وما هذا عابدين إلى إعانة ومدد، فخاف فراسل الأمراء الذين في زبيد أن هذا حيدر باشا قد خان السلطان ووالى الإمام وصارت زبيد للإمام ونحو ذلك، ونخافه عليكم وأعطاهم أموالاً جمة يعني الأمراء والأغوات، وأعطى الجند لكل نفر خمسة قروش وزيادة في جوامكهم سرّاً، ويقبضون على حيدر فاجتمعوا عليه وحاصروه وكان داهية، فلما أظهر العسكر نفوسهم خاف الأمراء أن يعجزوا عنه، فأظهروا أنفسهم وركبوا الحربه مع العسكر والباشا [/] عابدين يمدهم وقد جعل لهم عطاء وللأمير خضر الولاية وهو عظيمهم، فأخبرني الشريف هادي الكشيري الحضورى وكان معهم من أغواتهم كان على بُلُق^(١) منهم وقد عظم حاله مع العجم، فهرب خوفاً من هذه الحادثة إلى الأمير سنبل ثم إلى مولانا الحسن رحمه الله، لأنهم خافوه كثيراً ودارت الأمراء بخيولها على داره فدس إليهم العطاء والآمال فلم يثقوا به ووثقوا بصاحب المخا وأنه أقل سفكاً للدماء وأقرب لهم من هذا الطاغى.

قال: وكان له وزير جعله في الحوزة في صنعاء يسمى مصطفى قال: فتالاً^(٢) هو والباشا على أنه يشيعون في افتراق العسكر حتى يتفاشلوا فيصير إليه منهم بعض، ثم يقهروا أولئك ويقتل الأمراء ويستعيد أمره، فخرج هذا مصطفى وقد ربط في عنقه محرمة وخرج منفرداً باكياً حتى لزم بيرق أهل هذا البلق يسمونهم الانحشارية^(٣)، وقال: أنا جاركم يا عسكر. قال: فوقع عندي فكتمته وجعلته في الزنجير^(٤) وقلت لا يضرب العسكر بعضهم بعضاً

(١) بُلُق: البلك وهي كتيبة عسكرية تركية.

(٢) وردت في المخطوطة: فتال.

(٣) الإنحشارية: أى الإنكشارية.

(٤) الزنجير: القيد، والسلسلة التي يقيد بها، والغل أى الأغلال.

فخاف الباشا من الخروج (وكانا قد تماليا على أنه يستجير ببلك) (١) آخر، فلما رأى هذا الوزير في الحبس رجع القصر واحتاز حتى أخرجوه ذليلاً والزيادة عليه من عند صاحب المخا، ثم قبضوه وأركبوه في ثلاثة مماليك فقط إلى الساحل وأركبوه بحرراً وقبضوا ما معه لصاحب المخا، والسيد صلاح السراجي حبسوه ثم أطلقوه على مشقة وخلص الأمر للباشا عابدين.

ولهذه القضية أن قانصوه باشا قتل عابدين باشا صاحب المخا كما سيأتي إن شاء الله تعالى لكونه ممدداً لهذا الباشا حيدر ففعل معه ما لم يفعله الخصوم كما سيأتي من صفة قتله وقاتل عابدين لا رحمهم الله، ﴿وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [:] .

وكان وصل إلى مولانا الحسن رحمه الله كُتِبَ من عابدين باشا يلتمس الهدنة على المخا وزبيد وتعز، وأن أمور اليمن إليه دون حيدر باشا، فأحاله إلى الإمام -عليه السلام- فكان جواب الإمام -عليه السلام- على مولانا الحسن وعلى الباشا إنما ذلك يتم للمخا وزبيد دون تعز، فإن يدخل صاحب زبيد وهو حيدر باشا في ذلك وإلا كانت يد الباشا صاحب المخا عليه مع أيدينا أو كما قال.

وكانت هذه المكاتبات إلى كل منهما والهدايا مما رماهم الله به من رأي الإمام -عليه السلام- ومولانا الحسن رحمه الله بالبوائق [/] وأغنى ذلك منهما غناء الجيوش الكثيرة للجب والصواعق، فاتهم كل منهما الآخر بأنه الخائن المنافق، والعدو الذي لا يطلع عليه غير أهل الحقائق فكان منهما بعدها ما مر قريباً وبعده كان عليهما علقماً صعباً.

نعم وكان فتح تعز المحروسة بالله ورسول عابدين باشا عظيم منه يسمى سليمان أفندي حاضر شاهد، ثم أرسله مولانا الحسن بالجواب، وأطلق له إسماعيل آغا أمير المحطة المأخوذة في نجد قيسم، وقد تقدم أنه نجا بنفسه إلى تعز في أربعة وعشرين فارساً، وخلع عليه وعلى من يلوذ به، ثم وصلت كتب أخرى من الباشا المذكور إلى مولانا الحسن، ثم إلى الإمام كما تقدم، والتمس الأغوات الذين سلموا من تعز فاعتذرهم (١) مولانا الحسن (٢) أنه قد رفع

(١) ما بين القوسين: ليست في (ب).

(٢) في (ب): فاعتذر عنهم.

(٣) في (ب) بعد اسم الحسن: رحمه الله.

أمرهم إلى الإمام - عليه السلام -، وأجابه الإمام - عليه السلام - بما تقدم، وقد أرسل مولانا الحسن رحمه الله السيد العلامة أحمد بن محمد القطابري إلى المخا لتأكيد ما تقدمت إليه الإشارة، وليأمنوا من جانب مولانا الحسن فيشتغلوا ببعضهم بعضاً كما تقدم.

فصل

ولنرجع إلى ما تقدمت إليه الإشارة من افتتاح بلاد تهامة الشامية ومصير الشريف المعظم ملك الحرم محسن بن حسين بن الحسن بن أبي نمي^(١) رحمه الله إلى الإمام - عليه السلام -.

اعلم أن هذا الشريف من أهل المهمم العالية، وله من نشأته وشيبيته وكهولته في ذلك أخبار حسنة كما أخبرني غير واحد ممن يخالط الأشراف بني حسن.

ولما صار الأمر إليه بعد هفوة كانت منه إلى عمه الشريف إدريس وولي الأمر قهراً، وافق عزل محمد باشا صاحب اليمن بفضلي باشا وسار إلى ديار الروم^(٢) وحمل أثقاله البحر - يعني محمد باشا - وكان ذا مال لا نعلم أنه وصل اليمن مثله فإن غيره وإن كسب المال الكثير كما هو دأبهم إنما هو من اليمن يتحيل عليهم وعلى ملوكهم وتجارهم، وأما هذا فوصل به من مصر، ولما عرف قرب عزله كسر الدرهم بأن ضرب درهماً جديداً ثم منع من التصرف بغيره إلا بالجديد فأخذ بالدرهم أربعة دراهم فقبض أموال اليمن، ولقد أخذ حيث عجزت الرعايا من تسليم الأولى حلي النساء وصادر الأغنياء، وله في ذلك أخبار ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [/ :] .

ولما وصل هذا الباشا مكة المشرفة وأقام فيها أياماً وأمواله في البحر من ساحل جدة مات هذا الباشا محمد ثم ولده فاتهم الشريف بأنه الذي سمه وأخذ شيئاً من أمواله، ووصل لها

(١) سبق ترجمته.

(٢) في (ب): مكة.

طُلاب من السلطنة.

ويروى أنه احتال أيضاً يعني الشريف على ما في البحر دون ما في البر أن غرق أموالاً في البحر وأن لملك الحجاز عادة أن ما وقع في ساحل جدة من غرق فله الغياصة له وتطيب له، فجعل غواصين لتغريق^(١) المال ثم أخذه، ثم بعد ذلك لما قام الإمام -عليه السلام- للجهاد وصل وال لليمن يسمى أحمد باشا ولا أدري هل هو وال أو ممد لما بلغهم قوة الإمام -عليه السلام- بالله سبحانه واجتماع أهل اليمن على نصرته إلا القليل، فوصل إلى ساحل جدة وغرق المركب الذي هو فيه، ونجا بنفسه وأكثر أصحابه وهلك أكثر أمواله، ولما صار إلى جدة وللشريف العادة في استخراج ما هلك من المال في ساحل جدة منع الغواصين من أخذه، ثم اتهم الشريف بأنه الذي سعى في كسر المركب فطالبه بهال محمد باشا ووقف في جدة، وقد أحب الاشتغال بالشريف من المسارعة لأهوال اليمن وحروبه التي قد بلغته وأكثر المناقشة للشريف فخافه كثيراً وحشد، وكتب إلى الإمام -عليه السلام- بما هذا نسخته المقصود منه:

الحمد لله نبتهل إليك، اللهم يا واجب الوجود مفيض النعم والآلاء والجود، وتوسل بصاحب اللواء الأعظم وعترته الطاهرة صلى الله عليه وعليهم أجمعين وسلم أن ينشر راية الإجلال والاحترام على مفارق الليالي والأيام، بامتداد دولة من اخترته لإحياء معالم الدين، ورفعته علماً للاهتداء، فأضحى عبادك الصالحون بهديه مقتدين، وأطلعت من أفق الإمامة بدرا فانجابت به الظلماء، وأيدته لتكون كلمته العليا^(٢) بجنود مسومة من أملاك السماء، الإمام الذين يقتدي به المهتدون إلى الصراط المستقيم، والهمام الذي يهتدي به المقتدون بمنهجه القويم، بحر العلوم الزواجر، ومشكاتها التي تضيء بها من المشكلات الدياجر، ليث الخلافة الخادر وضرغامها، وفارس الكتبية الهاشمية إذا ادلم قتامها، مهطر أنوار النبوة، ومكمن آثار الكرم والفتوة، سلالة الرسول وبضعة البتول، أمير المؤمنين وإمام المسلمين مولانا وسيدنا [/ المؤيد بالله محمد ابن أمير المؤمنين أدام الله إجلاله، وضاعف إقباله أمين وبعد:

(١) ظن في (ب): لما غرق من المال.

(٢) في حاشية (ب) ضمنها: كلمتك.

فننهى ورود المقال الشريف العالي المفصل لما يزري بعقود اللآلي و متضمن لأخبار الفتوحات التي تفتح لها أبواب السماء، وتشرح بأنوارها صدور المؤمنين من حرج الظلم والظلماء، فليهن ذلك المقام الإمامي هذه العنايات^(١) الإلهية، والفتوحات اليمينية، بل إن شاء الله والمكية، فلقد خففت بشائرها عن المملوك شيئاً مما أثقل كاهله من الفوادح، ونفست عنه بعضاً من الكرب التي أصبح لزنادها من يد القضاء والقدر قادح، وسعى الدهر بأحداثه في إبرام أمراسها سعي مجد كادح، فاضطرت نيرانها واحتدمت وامتد إلى جيران حرم الله الآمن من شواظ لهبها أشطانها، فعمت البلوى وعظمت الشكوى، وشرح ذلك أن هذا الباشا^(٢) المتوفى لما ساقه القضاء والقدر إلى ما أنتج له من انكسار مركبه بجدة وذهاب أمواله وأسلحته في البحر قابلناه بما جرت عوائد الباشوات مع ولادة هذه الأقطار الحرمية، وبحسب ما هم عليه من الانقياد الجبري لهم والطاعة القسرية، وبادرنا إلى إسعافه بما قدرنا عليه من صنوف البر، نستدفع بذلك عنا ما نترقبه منه من الأذى والشر، فقابل إحساننا إليه بالإساءة إلينا وكافأ برنا له بالعدوان علينا، فقبض على من بجدة من العمال، وبسط يده على الرعية في الدماء والأموال، وكان ممن قتل الحاكم المقام من قبلنا ففاجئنا الدهر منه بما لم يكن في أملنا، وكان مما نقمه علينا ونسبه من الجرائم إلينا مولاتنا لتلك الحضرة الإمامية أدام الله ظلال دولتها على كافة البرية، وزعم أنا لما حج السيدان الجليلان والشريفان النبيلان أبناء مولانا أيده الله تعالى أصحابناهما إلى ذلك المقام السامي جملة من السلاح والذخائر، وأمددناه برجال منا يصلون صولات الليوث الكواسر، يعنون بذلك هاشم والأشراف الواصلين إليكم من أولاد حازم، وكتب إلى أشراف مكة وغيرهم من أهلها كتباً يستميلهم فيها إلى طاعته ويحثهم على المسارعة إلى الدخول في جماعته، وشنع فيها بأباطيل اخترعها، وأظاليل افتراها وابتدعها، أراد بها كيداً رده الله في نحره، وحفر حفيرة أوقعه الله فيها [/] بسوء طويته ومكره، فقابله الله بما يستحقه أمثاله من المتمردين، وعجله إلى ما أعد لنظرائه من أعداء الدين، فتوفاه غير محمود الأثر، ونقله إلى سقر وما أدراك ما سقر وذلك في العشرين من شهر ربيع الثاني،

(١) في (ب): المقامات.

(٢) حاشية في (ب) لفظها: يريد أحمد باشا الذي وصل إلى جدة.

فاقتفت عساكره المخذولة ما ابتدعه لهم من الآثار، وعكفت على العجل الذي اتخذه سامريهم الذي تبوأ دار البوار، فإنه كان قد عمد إلى رجل من بني عمنا يسمى أحمد بن عبد المطلب^(١) فولاه، وأعلن بالنداء بولايته بجدة، وزعم أنه لدينه وصلاحه لم يجد من يصلح لها إلا إياه وهو رجل مجاهر بالفسوق، ومعلن لشرب الخمر مقارفاً لسائر الفواحش لم يؤد لله فرضاً من صلاة ولا صيام، هادم لأكثر الأركان التي بني عليها الإسلام، فاستمرت عساكره المخذولة متحصنين بجدة قد منعوا أهلها من الذهاب والإياب وأخذوا يسومونهم سوء العذاب، ويذكرونهم في كل ساعة هول يوم الحساب، ويخصون بأنواع الشدائد وأصناف المكاره والمكائد من يعرف بالانتفاء إلى شيعة أهل البيت الأطهار، أو يُتهم بذلك وإن لم يكن ممن يستبق في ذلك المضمار، فأبادوا طائفة العجم وأهل اليمن، وصيروهم ثكالا لا يأوون إلى مال ولا سكن، ولم يقتصروا في ذلك على القاطنين لديهم بل صاروا يتجاوزونه إلى الواردين عليهم، فلما علمنا بذلك منهم منعنا الجلاب الواردة من اليمن والشام عنهم، فالواردة من اليمن تنجل في القنفذة^(٢)، والواردة من الشام تنجل في ينبع إلى أن ينظر ما يفعل الله بنا وبهم مما تقتضيه حكمته ويصنع، وقد رسمنا لحكامنا بالبندرين أن كل من حضر من أصحاب الأموال يُمكن من ماله في الحال، ومن غاب منهم يجهز الحاكم ماله إلى مكة، ووكلاؤه موجودون بها إلا من كان من فرقته الملعونة فإننا باسطوا أيدينا على ما هو لهم من المال لنستعين به على ما دهمنا من الأهوال، ثم إننا بعد ذلك توجهنا إليهم ونزلنا عليهم في موضع يسمى الحدبة عند جدة في السادس من جمادى الأولى فتحصنوا في القرية ولم يخرجوا إلينا، فلما علمنا بذلك منهم^(٣) ترحلنا عن ذلك الموضع، وتنحينا ونزلنا على ماء يقال له وسح^(٤) وهو على ميلين من جدة بحيث [/] نشاهد من راح منها أو سرح، فعند ذلك سؤلت لهم

(١) أحمد بن عبد المطلب بن حسن بن أبي نمي الثاني: تولى الشرافة في مكة عام ١٠٣٧هـ / ١٦٢٧م على يد الوالي العثماني أحمد باشا، وقبل قدوم قانصوه باشا إلى اليمن عرج على الحجاز، فقتل أحمد بن عبد المطلب وولى مسعود بن إدريس على الشرافة في مكة.

(زين الشافعي: الروض الزاهر، ص ١٣٦).

(٢) القنفذة: في إقليم عسير شمال حلي بن يعقوب. (الويسبي: اليمن الكبرى، ص ١٣٥).

(٣) منهم: ليست في (ب).

(٤) وسح: هكذا وردت.

أنفسهم الخروج في بعض الليالي إلى حذفة من البادية هم عنا بناحية الشام إلى قوله: فمن أدركنا منهم قتله الله بأيدينا، وعدتهم خمسة وأربعون رجلاً، واستشهد منا من الأشراف رجلان ظفر بن سرور بن أبي نمي، وأبو القاسم بن حازان بن أبي القاسم البركات ومن باقي قومنا خمسة لا زيادة. إلى قوله: ونحن إذ ذاك في رخاء عظيم ونعيم مقيم بالنظر إلى ما نحن عليه الآن من الأهوال والشدائد التي تشيب لها^(١) الناصية والقذال، فكيف بنا يا مولانا وقد دهمنا مثل هذا العدو ومنع عن القرار والهدوء؟! ولا يرضيه إلا إخراجنا من ديارنا وأوطاننا، ولا يقنعه سوى الاستيلاء على ممالك آبائنا وأجدادنا، ونحن ندافع عن حريمنا وأهلينا، ونمانع على طوارفتنا وحواشينا ﴿فَعَسَىٰ اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنفُسِهِمْ تَدِيمِينَ﴾ [:] .

هذا مع ما نقاسيه من شدة الغلاء وارتفاع أسعار الأقوات حتى صار حمل من الذرة يساوي أربعين ديناراً، وذلك إذا وجد في بعض الأوقات وموجب ذلك استيلاء أعداء الله على بندر جدة وحسمهم لمادة^(٢) ما يرد من البحر هذه المدة إلى قوله: فالمسؤول من تفضلات مولانا المبادرة بالجواب الشافي عن كل ذلك، والإخبار بأنه هل يتمكن لاستنقاذنا من هذه المضائق الحرجة المسالك، لتعم الخيرات وتشمل البركات إن شاء الله تعالى. إلى قوله: وكتب معه مغامس بن ثقبه من بعد اتفاق الرأي والمشورة وكذلك مملوك علي بن بركات وكذلك مملوك ظافر بن بشير إلى ذكر تاريخه في الخامس والعشرين من شهر جمادى الآخرة سنة سبع وثلاثين وألف^(٣).

وكان الجواب عليه من الإمام -عليه السلام:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى .

(١) في (ب): لنا.

(٢) لمادة: ليست في (ب).

(٣) ٢٥ جمادى الآخرة سنة ١٠٣٧ هـ = فبراير ١٦٢٧ م.

الحضرة التي لا تزال همتها إن شاء الله إلى إعلاء كلمة الحق مرتفعة، والعقوة التي لا تبرح يدها مع يد الهدى حيث كان في بعد أو قرب مجتمعة، والسدة التي لا تشتمل إلا على آذان الخير واعية، ولما تتلو عليها الآيات القرآنية مستمعة، حضرة الصنو الشريف هممة وعزماً المقتعد من المعالي والمفاخر كل درجة تسمى، [/] المرتقي من نصرة الدين الحنيف والذب عن مذهب آبائه الشريف إلى كل منزل أسمى محسن بن حسين بن حسن لا زال منصوراً على الأعادي، مصاحباً للسعد واليُمن بالأمصار والبوادي، مقرونة إقداماته وإحجامته برضوان الله في المقاصد والمبادي، والله يهدي لعالي حضرته سلاماً ينشر به كل صدر محرج وإكراماً تستروح به النفوس الموجهة أمالها إلى الله عز وجل أرواح الفرح ورحمة الله وبركاته، ما دام صدق وعد الله لكل من اتقاه بفوز الأمل وحسن المخرج وبعد:

فإن هذا الكتاب توجه إليك مستطعاً لما لديكم من الأخبار، ومسترفعاً إن شاء الله ما نرجو به قرة العين وانسراح الصدر من المسار لما أبطأت عنا كُتبتكم الكريمة، وامتدت أيام انتظارها ولعل ذلك خير إن شاء الله تعالى وأحوال قويمة، ومنهياً إليكم أنها مذ وافتنا كتبكم المؤرخة بالخامس والعشرين من جمادى الآخرة التي كانت طريق بعضها بيشة^(١) والأخرى تهامة احتياطاً في المبادرة، ولم نزل يشحذ غرب من لدينا من العترة الطاهرة^(٢) وأتباعها، ونجمع من لم ينطبق عليه المقام في هذه الثغور من العصابة المحمدية وأشياؤها حتى تجهزوا بفضل الله سبحانه وتعالى إليكم وتوجهوا بمعونة الله عز وجل للغرض المرجو إن شاء الله تعالى، تمامه على الله وعليكم، من الإعلان بمجاهدة ظالم هذا العدو، والإظهار لكلمة الحق التي طالت نومة الأمة عنها، لا سيما في الحرم المحرم والهدوء، وعيناً للرئاسة عليهم والتصدر لأمرهم فيما لهم إن شاء الله تعالى وإيهم السيد الأفضل الجامع بين العلم والعمل والقيام^(٣) بفريضة الجهاد في المواقف العظيمة التي أعز الله بها الدين، وكبت بها الظلم وأذل، شمس

(١) بيث: إحدى المدن التابعة لمقاطعة جازان في المخلاف السليمان من المملكة العربية السعودية، وتبعد عن جازان مقدار ٩٥ كم.

(الرازي: تاريخ مدينة صنعاء، تحقيق د/ العمري، ص ٦٦٢).

(٢) الطاهرة: ليست في (ب).

(٣) في (ب): القايم.

الإسلام أحمد بن محمد بن لقمان بن أحمد بن شمس الدين بن أمير المؤمنين المهدي لدين الله أحمد بن يحيى بن المرتضى ابن رسول الله ﷺ في طائفة مخبورة مقاماتهم في الجهاد، مشهورة أيامهم في مواقف الجلال، ورأينا بعد استخارة الله سبحانه أن تكون طريقهم تهامة حرسها الله إذ هي أرفق لهم وأعون على أمرهم، وبعد انفصالهم عنا وبعدهم منا لا غنى لهم عن حلول نظرهم، وأن لا تزال تأتيهم إن شاء الله كيفية تدبيركم إياهم بعد تدبير الله في كل وقت وتحقيق خبركم، والعهد إلى من تجوزون [/] عليه إن شاء الله تعالى من القواد والحكام في حسن تلقيهم والعناية فيما يعود من المرافق إن شاء الله تعالى على صلاح أمرهم، والتنفيذ لهم في السبل والتفقد لأحوالهم فإن الغريب لا يخفاكم حاله والسفر مظنة العوارض والله المستعان، وقد حمدنا الله سبحانه وتعالى على أن جعل توجيههم هذا الميمون إن شاء الله تعالى، موافقاً لأيام الحج ليجمعوا بين فضيلتين، ويؤدوا بمعونة الله فريضتين وهم إن شاء الله حيث تريدون في الأمر المطلوب منهم بمعونة الله، وقد أحببنا المعاجلة برفع أمرهم إليكم لثقت النفس في أمرهم بعد الله عز وجل في الاعتماد عليكم، يسر الله لكم كل عسير وفتح لكم أبواب النصر والتأييد إنه علي كبير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

قال -عليه السلام- بعد الختم ومن شملته تلك الحضرة، وحف بها من أكارم خير أسرة لا سيما أكابر ساداتها وأعيان قاداتها، كالسيد مغامس بن ثقبه، والسيد علي بن بركات والسيد ظافر بن بشير متحفون جميعاً أسنى السلام الأسنى والرحمات والبركات الحسنى، والكتاب إلى الجميع جمع الله لهم خيري الدارين، وآتاهم قررة كل قلب وعين.

ولعظم موقع هذا الكتاب من الشريف الجليل مع الإمام -عليه السلام- مع ما في وجهه من الحروب في اليمن أرسل السيد العلامة أحمد بن محمد بن لقمان رحمه الله ومن لحق بعده، ثم أرسل بنظر السيد الكامل مغامس بن ثقبه بن أبي نمي بهذا الكتاب إلى السلطان المعظم شاه عباس ملك العجم الحسيني ونسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، والحمد لله الذي جعل الجهاد في سبيله كما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه وعلى آله وسلامه: «باباً من أبواب الجنة فتحه الله لخاصة أوليائه فهو لباس التقوى ودرع الله الحصينة منةً منه سبحانه وتعالى ويا لها من منةٍ».

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة الألسن بها ناطقة والقلوب بها مطمئنة، وأشهد أن محمداً ﷺ عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره [/] على الدين كله ولو كره المشركون، يبلغ عن الله بكتابه المبين وواضح السنة، وأشهد أن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه لم يسبقه سابق ولا لحق به لاحق في مضيه ولا منة^(١)، وأشهد أن عترته أفضل العتر المفترضة المودة الواجبة الاتباع على كل من آمن بالله ورسوله من الإنس والجنّة، جعلهم لكتابه قرناء وعلى دينه أمناء وعلى أعاديده سيوفاً وأسنة، وبعد:

فإن أولى من أغار على دين الله وحرمه وأحق من حركته الرحم على عترته رسوله وحرمه، وأجدد من رأى حق محمد ﷺ ووصيه بيض الله وجهه وكرم في أهل بيته الذين هم من لحمه ودمه من كان إلى النبي الأمي المكتوب في التوراة والإنجيل انتهاؤه وإلى الوصي الزكي المعقود له الولاية الكافة من الله ومن رسوله انتسابه واعتزائه، ولذلك صدرنا مكتوبنا هذا الحامل إن شاء الله على اجتماع الكلمة، ورقمنا مثلنا هذا، الراعي إن شاء الله لحقوق العترة المكرمة ووجهنا خطابنا المرجو أن يكمل الله به سعي آل محمد ﷺ بالظفر بكل عدو لهم وتتميمه إلى المنازل المشرفة بمساكن آل النبي المؤتمن، والمرابع المعطرة أرجاؤها بشذى آل الحسين ذي المنن، والمواطن التي من مسته تربة أرضها أنسأه طيبتها الأهلين والوطن، المحمية بالله وبسيف عزمات ابن عمنا وأخينا، والمحروسة سهاؤها بشهب فتكات من به وبآله، مفاخر العرب والعجم إذ كان ابن أمنا وأبينا الشاه الأكبر الناهي عن الفحشاء والمنكر عباس بن

(١) هكذا وردت في الأصل.

إسماعيل الحسيني^(١) أدام الله عليه انهلال سحب السعادة، وأقام بعنايته أود مذهب آل الرسول الأمين ورفع بناء وشاده، ودمر بهيبته عدو عترة خاتم النبيين وفرق جمعه وأباده، وأهدى إليه سلاماً يجمع له به بين شرفي الدارين، وزف إليه إكراماً تقر به عينه ويثلج به صدره المبرأ إن شاء الله عن الريم، ورحمة الله وبركاته ما افترضت على الخاصة والعامة ولاية أهل السبطين، مهيجاً لهمة السامية رفع الله قدره على الانتصار من أعداء الدين، ومُرهباً عزمته الماضية على النقم بالثأر من أعداء الأئمة المهتدين، ومزلزلاً له [/] بنسبته الطاهرة الرحم التي وصلها الله بين أولاد سيد النبيين، والوشيجة الجامعة بين سبطي خير الوصيين من آل الحسين والحسن، المقيم الله بهم الحجة على عباده في الشرق والغرب واليمن^(٢)، ومستقدحاً زناده على هؤلاء الأعداء من الأروام^(٣) أقهاهم الله الذي نصبوا في بلاد الله وعباده أصنام الفتن، فلم يرعوا الله حرمة إلا انتهكوها، ولا عروة بين الله وبين عباده من الدين يُعتصم بها، من يريد الله ورسوله واليوم الآخر إلا بتكؤها، ولا سبيلاً فيها مخالفة الله ورسوله وأهل بيته المقرونين بالكتاب المبين إلا سلكوها، ولا محجة واضحة البيان بحجج القرآن المعلوم وسنة الرسول الصادق والأئمة المفضلين على الخلائق إلا تركوها، حتى تعدى الآن بهم الطور والههم إلى إخراج آل رسول الله من حرم الله المحرم؛ ليتهم لهم المكائد التي ابتدعوها والشنع التي وضعوها مما لم يأذن به الله ورسوله ﷺ كل ذلك حنقاً على الله ورسوله إذ نصر عليهم هذه الطائفة النبوية في اليمن، واعتراضاً على الله في حكمه حتى فتح عليهم لآل رسوله فلم تبق لهم يد في هذه الأقطار والمنة لله من مكة إلى عدن، وحين يتصل بنا من أختينا وابن عمنا الشريف محسن بن حسين حمه الله وسائر من لديه من آل السبط الحسن، خبر هذه الطائفة الهالكة من الروم، ونداء ما تحاوله في بيت الله الحرام وآل بيته^(٤) الكرام وتروم، لم يقر بنا ولا بمن لدينا من آل رسول الله قرار، ولم نجد مساعاً في

(١) سبق ترجمته.

(٢) في (ب) اليمن والشام.

(٣) الأروام: المقصود بها العثمانيون الأتراك.

(٤) في (ب): نبيه.

الترخص لترك جهادهم طرفة عين والانتصار، وكيف والمعلوم من حالهم أنهم يرومون بيت الله المحرم مرام أصحاب الفيل، ويحاولون ما حاوله أشأم الحبشة بل هم أضل في ذلك السبيل لأنهم يريدون خراب بيت الله مع بيت رسوله، ومنع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه والسعي في خرابها استعلاءً على الله واستغناء عنه بإبليس وقبيله، وما هممة آل الحسين صلوات الله عليه وسلام في حماية بيت ربهم وجدهم بأقصر من هممة آل الحسن ولا سيوفهم الماضية إن شاء الله عن هذا العدو الحقير، وقد دوخت أقطاره وتركته لا يأوي إلى أهل ولا سكن، وما أنتم حماكم الله تعالى بأبعد الناس عن اجتماع الكلمة منا ومنكم، وكيف وقد ضمن الله لآل السبطين أن لا يفترقوا والكتاب من الدعاء إلى الله عز وجل وإلى (١) إحياء دينه غداً صادر عنكم بقصد إعلاء كلمة الله أوجب علينا النهضة والقيام وطلب اجتماع كلمة الآل [/] فرض، إذ لا قلب يطمئن ولا عين تنام، كيف وأنى يسوغ ذلك وأعداء الله يسعون في الأرض فساداً، ويضربون بين عباد الله وسبيله وبين سلوك الواضحة أسداداً، ويجوبون البر ويخوضون البحر ليكثروا من الظلم سواداً، وينصبوا للعترة عنداً بل يأخذوهم طارفاً وتلاداً ليتخذوا من دون الله أنداداً، فأبي عدو للدين يرقب جهاده بعد هذه الفرقة الطاغية بل أي كائد للمسلمين أشد كيداً من هذه الطائفة العادية حاشا لله وكيف وآل رسول الله في الأرض عن دين الله يمكن مع قول الله عز وجل: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ [- : -] .

ألا فلتكن عناصر تلك العترة الطاهرة لدين ربها وعترة نبيها ناصرة، ولتكن أرحام تلك الدوحة النبوية والمشكاة العلوية لإمداد من هو منها وهي منه طويلة الأغصان ممدودة، ضياء الأنوار غير قاصرة، لتذهب تلك النفوس الأبية لله بصحتها وآل رسول الله غيرتها، فإنها إن شاء الله على العداة ظاهرة، ولتبدل لوجه الله ذمتها في إعزاز الدين وما متاع الدنيا إلا قليل وإن الدار هي الآخرة، فالآمال إلى نصرتها ومعاضدتها على الحق طامحة، وموازير الرجا فيما أولاه الله من الفضيلة على الحق

(١) في (ب): ولا إلى.

بالتحقيق إن شاء الله راجحة، لا برحت أعلامها على فنن المجد الأثيل منشورة، ولا زالت آثارها الحميدة على جبهة كل زمان لكل ناظر مسطورة أمين.

ليلتين بقين من رجب عام سبع وثلاثين وألف^(١). انتهى.

ومع بُعد هذا الشريف أحمد بن عبد المطلب من الحق وأشد ما هو من مجانبة الصدق ونصائح الإمام -عليه السلام- لا تزال ترد عليه وعظاته النافعة ومراهيبه الصادقة متتابعة إليه من نحو هذه الألفاظ من مكاتبة طويلة حذفنا طرة الكتاب، جعل الله رأيه حميداً وسعيه فيما يحفظ به بيت الله وبيت جده محمد ﷺ سعيداً، وأهدى إليه سلاماً يوجب له من الشرف مزيداً، وإكراماً لا يزال لابساً منه ثوباً جديداً، ورحمة الله وبركاته البانية له من بلاغ الآمال [/] مجدداً مشيداً، وإنا صدرنا كتابنا هذا إعداراً إلى الله وإليه، ورعاية لحق الله فيما يجب علينا وعليه، إذ بلغنا ما كان بينه وبين ابن عمه الصنو السيد الشريف محسن بن حسين أحسن الله إليه، مما قد يقع بين الأخوين ثم يكون أفضلهما أسبقهما إلى الرجوع ويجري بين الصنوين، ثم يكون أجلهما المبادر إلى النزول، ولم يكن في البال أن يقع مثل هذا الواقع، وهو حماه الله إلى غير فئته يعتزي، ولا أن يجري مثل هذا الخازي^(٢) وهو إلى من يحاول طمس معالم الدين ونكاية العترة الطيبين عن طريق سلفه يجتري، إذ من كانت همته، همته ونسبته نسبته، ورتبته رتبته، أجل من أن يكون سبقه إلى من لا يساويه في النسب من صميم العرب فضلاً عن ذي النسب المعشب المعلوم من حاله إنها يطلب غرضاً من الدنيا حاضراً وغرضاً يتناوله من طمحت نفسه إليه برأ كان أو فاجراً.

وأما أهل البيت النبوي والنجار المصطفوي والمنصب العلوي فإنها تتناول همتهم إلى المتجارة بما يوجب رضوان الله والدار الآخرة، وما هذه الدنيا لهم أعزهم الله بقيمة، ولا يطمح إليها غير طالب بها التوصل إلى رضوان الله ذو عزيمة، فكيف إذا كان المعتزي إليه مع هذا من ليس له هم غير هتك الحرم، وأن يكشف من أهل رسول الله الذين بجواره الأستار

(١) ١٠٣٧هـ = ١٦٢٧م.

(٢) في (ب): الجاري.

والحرم، وأي طالب دنيا أو آخرة من آل رسول الله ﷺ على مثل هذا يداجي ويداهن فضلاً عن أن يسارع إلى ذلك فيظاهر ويعاون، والبيتان بيت ربك وبيت جدك، والمتسبب إليه ولايتها ابن أبيك الذي لحمه من لحمك ودمه من دمك، ومجده من مجدك لا سيما مع علمك من الله سبحانه قد أعز أهل بيتك من آل الرسول في اليمن وفتح لهم هذه الأقطار من مكة إلى عدن حين قام منهم من يدعو إلى الله ورسوله، ويدل على الله بواضح دليله، ويحكم القرآن العظيم والسنة النبوية في فعله وقيله، سالكاً حيث سلك آباؤك وآباؤه الأئمة الأطهار، ناهجاً منهمج أسلافك وأسلافه من العترة الأخيار، فإننا كنا نعد همتك أيها الأخ رفع الله قدرك إننا تسمو إلى النصر على إظهار كلمة الحق في حرم الله وتظاهر صنوك محسن أحسن الله إليه وسائر إخوانك وإخوانه على ما صرنا نحرضهم عليه من إجابة دعوة الله [/] ونندبهم على شهر سيوفهم الماضية في حرب هؤلاء القوم الذين استكبروا على الله فلم يتقوا حقاً لله إلا جاوزوه^(١)، ولا دليلاً على حق الله إلا عارضوه بهتان، ولا سبيلاً إلى الله إلا طمسوه بطغيان حتى تعطلت الشريعة المحمدية في أكثر الأقطار، وقل ذاكر الله في اليوم الآخر في معظم الأمصار، وابتدعت في دين الله البدع، وظهرت في أمة محمد ﷺ الشنع حتى رماهم الله بسهم انتقامه، وعاملهم بما هم أهلهم حين خالعوا ربة ذمامه، فأحل بهم بكل حيل وسبيل تنكيلاً ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [:] .

فمن أحق أيها الأخ حماك الله بالنصرة إخوانك هؤلاء الذين يريدون عز دين الله ورفع كلمته، أم هؤلاء الذين جابوا البر والبحر لتوجيه مدافعه النارية إلى جهة حرم الله وكعبته؟! وما أشبه الحال والمعاذ بالله بحال أصحاب الفيل، فما بين الأمرين تفاوت بل هما من قبيل، فإن الناكي لآل رسول الله هادم لبيته الذي هو بيت الله في جوار ضيف الله، وهل مثلك حماك الله يرى هذا فلا تأخذه الغيرة، أم مثلك يشهد هذا الموقف الهائل فيحجز عن حرم الله وأهل بيته خيره؟! نعيذك بالله وبجدك محمد ﷺ من ذلك، ونذكرك النسبة النبوية والهمة الحسنية أن تسلك هذه المسالك، ونراجعك في استقالة الله سبحانه عن هذه العثرة والزلة،

(١) في (ب): ظن أن بعد هذه الكلمة: بعدوان.

فمثلك ترجى له الاستقالة، ونسألك العود إلى ما بك يرد على جدك محمد ﷺ وأنت مبرأ عن هذه الخطيئة التي لا يرضاها لك ولا ترضاها له ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَئِيفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [:].

فهذا أمر الحق فيه لله والمراجعة فيه لدين الله والدعا فيه للاعتصام بحبل الله ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ ﴿١١٠﴾ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١١١﴾ وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ [/ وَأُولَٰئِكَ هُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ] [- :].

على أنا نرجو أن يصادف كتابنا هذا ممن لديك من له أذن واعية وقدم إلى الخير ساعية، فيكون لك وله على الخير واعظ، ويشير منك ومن غيرك إن شاء الله على الحياء من الله الحفائظ؛ فإن إجابة الحق تجمعنا به والأبعاد، والنفرة عنه تفرقنا ومن محله محل الكف من الساعد، فذكر من لديك بأيام الله وحرمة حرمة، ورعاية رسول الله في عترته الذين هم من لحمه ودمه، وحق الإسلام الذي جمع الله بين عرب خلقه وعجمه، فمن قبل منهم أمرنا، وأعاننا على ما نحاول من إحياء دين الله ربنا فله ما لنا وعليه ما علينا، وهو أخونا في الدين ولا عدوان إلا على الظالمين، ومن لا فليبق بينه وبين الله سبيلاً، ولا يتصدر لعداوة حرم الله الأمين فإن بقية الله خير وكفى بالله كيلاً، أَلْفَ الله منا ومنكم ومن أهل الإسلام القلوب النافرة، وجمع لنا ولكم بين خيري الدنيا والآخرة، وأعاذنا وأعاذكم من الاغترار بهذه الدنيا الفانية، فإنها هي متاع من صفقته خاسرة، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وحسبنا الله ونعم الوكيل ونعم المولى ونعم النصير، وصلى الله على محمد وآله وسلم.

ولما بلغ الإمام -عليه السلام- هزيمة الشريف محسن بن حسين ودخول العجم مكة المشرفة، وأنه لا يقدر على إخراجهم ونصرة الشريف المذكور لبعث الديار واشتغال إخوته

بالجهاد في اليمن بعث بعد الكتاب الأول بها هذا نسخته إلى الشريف السلطان شاه عباس الحسيني:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى .

كتابنا هذا الحاض إن شاء الله على الخير والرشاد، المنادي بالعترة الطاهرة الأجداد، الباعث إن شاء الله على الانتقام من ذوي العناد، المثير لحفائظ آل النبي والوصي صلوات الله عليهما وعلى آلهما على الغيرة على بيتي الله ورسوله ممن يريد فيهما بالحداد إلى واسطة عقدهم الثمينة، ودرة تاجهم الفاخرة المكنونة، وسيف انتصارهم الذي يُضرب من هام الظلم شونه ابن عمنا وأخينا وصنونا الذي نفاخر العرب والعجم إذ كان ابن أبينا الشريف الأظهر والشاه الأكبر الناهي عن الفحشاء والمنكر، والناشر من مطارف فضائل العترة النبوية ما كان لطول أيدي العدوان منذ زمان [/] مطوياً لا ينشر، عباس بن إسماعيل الحسيني، لا زال في أهل البيت النبوي علماً منيفاً ولأهل المنصب المصطفوي ملكاً شريفاً ولأعادي الدين الحنيف والمذهب العلوي مجرماً حتماً عنيفاً، والله يهدي إليه سلاماً أنوار شرفه تزهو، وإكراماً أخبار زلفه تؤثر ورحمة الله وبركاته، ما قامت بمثله من أهل بيت النبوة الذين لا يفارقون الكتاب ولا يختلفون فيه فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبعد:

فأوجب إنهاء هذا الكتاب بعدما سلف إليه من الكتب المتضمنة التحريض على ما أمر الله عز وجل بالتحريض عليه من معاونتنا على الجهاد في سبيل الله وإقامة شرائعه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اللذين أكد الله فريضتهما في معجز كتابه ورسوله ﷺ في جوامع كلمه وحكم جوامعه، والوصل لما أمر الله به أن يوصل من مودته العترة الأطهار حين امتد سطر قاليه في العناد وقاطعه من هؤلاء الأروام الأشرار الذين ملأوا بلاد الله وعباده فساداً، وجابوا البر والبحر ليهتكوا من المسلمين والإسلام حرماً شداداً، وبذلوا الجد والجهد في نكاية عترة رسول الله ﷺ وشرعوا لهم أسنة وسيوفاً حداداً، مريداً إخبار تلك المعاهد العلية

أنا لما لم نزل نعرض المسلمين بالدعاء إلى الله وإلى جهادهم ليلاً ونهاراً، ونحض المؤمنين بالتذكير لحق الله وحق رسوله في عترته الذين يريبه ما يريبههم ويؤذيه ما يؤذيههم سراً وجهاراً، أدال الله سبحانه منهم في اليمن وقطع دابرههم، والحمد لله رب العالمين من مكة إلى عدن، واتصلت دعوتنا هذه الهادية إلى الله سبحانه بإخواننا وإخوانكم الكرام من سكان حرم الله من بني حسن وتلقاها بالقبول عظمائهم مع رئيسهم الأكبر وبدرهم الأنور الشريف محسن بن حسين بن حسن، فصادف ذلك خروج طائفة منهم ظالمة وفرقة من طغاتهم آئمة حتى اتصلت ببندر جدة فرمى الله رئيسها الأعظم بسهم^(١) الأخذ بذنبه بعد أن أراه من آيات النكال في نفسه وأتباعه ما صرع به حدّه وأكل به جدّه، وبقي من آثاره نبذة عاثوا فأفسدوا وفرقوا شمل من فيه من المسلمين وبددوا واختصوا بزيادة أذاهم من كان إلى أهل بيت رسول الله معترياً وإلى محمد ﷺ في نسب أو مذهب متمياً، [/] وتسلقوا مع ذلك إلى سلخ بعض الأشراف بني حسن وإخراجه عن مذهب آبائه واستزلوه إلى بدعهم الباطلة في اعتقاده واعتزائه، ونصّوه في ذلك لمن يتمسك بمذهب آبائه الأطاهر معارضاً، وجعلوه لما تبرمه تلك الأيدي الشريفة من نصرة أهل البيت النبوي مناقضاً وتذرعوها به في ذلك إلى التملك على آل محمد الذين يشرفون عن اتخاذ مثلهم مماليك فضلاً عن أن يكونوا أملاكاً، ومدوا به لاستئصال شأفة من ضمن الله لهم بالإظهار على الأعادي في الدنيا والآخرة أشراكاً، وتوصلوا به إلى حق مراتب من بوأهم الله مقاعد الرئاسة على الخاصة والعامة حين وجدوا من أعطاهم زمام نفسه إذ لم يكن بحبل البصيرة النبوية مساكاً وما هم والتولي على أحاد المسلمين فضلاً عن عترة خاتم النبيين لكنهم سلكوا سبيل من قبلهم ممن قص الله أخبارهم، وحذوا حذو من إمامهم ممن محا الله بعداوتهم لأهل بيت نبيه آثارهم ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى﴾ [:] لا جرم هذه عادة الأمم في حسد آل أنبيائها، وسنة القرون في نكث عهود عترة أوصيائها وزادهم على ذلك طائفة من ذوي الحسد من العرب بلغوهم أمالهم ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ﴾ [:] لم يرضوا حكم الله

(١) بسهم: ليست في (ب).

ورسوله في الإمامة، ولا أحلوا الأمر حيث أحله الله عز وجل من أهل الزعامة، قريش أصل هذه الطامة الكبرى وشراع هذه السنة السيئة في بني الوصي والزهراء بعد أن سمعوا الله عز وجل يقول: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾ [:] .

ورسول الله ﷺ يقول: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبداً كتاب الله وعترتي أهل بيتي، إن اللطيف الخبير نبأني أنها لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما» (١) .

ويقول: «أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي» (٢) .

ويقول: «من سره أن يحيا حياتي ويموت مماتي ويسكن جنة عدن التي غرسها ربي فليتلو علياً من بعدي وليتلو وليه وليقتدى بالأئمة من بعدي فإنهم عترتي خلقوا من طينتي ورزقوا فهماً وعلماً فويل للمكذابين بهم من أمتي القاطعين فيهم حبلي لا أناهم الله شفاعتي» (٣) .

وبعد أن ضرب الله لهم في كتابه الأمثال، ووعظهم بها أصاب من قبلهم على مثل ذلك فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ﴾، إلى قوله: ﴿فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾ ﴿أَمْ حَسِبُوا أَنَّ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَيْنَهُمْ﴾ [/] ﴿أَللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴿فَمِنْهُمْ مَّنْ ءَامَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَّنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ جَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾ [: -] .

لذلك قال أمير المؤمنين وسيد الوصيين صلوات الله عليه وعلى آله وسلم: «وقال قائل إنك يا بن أبي طالب على هذا الأمر لحريص فقلت: بل أنتم والله أحرص وأبعد وأنا أخص وأقرب، وإنما طلبت حقاً لي وأنتم تحولون بيني وبينه وتضربون وجهي دونه، فلما فرعته

(١) سبق تخريج الحديث.

(٢) سبق تخريج الحديث.

(٣) ورد الحديث في كتاب: الأمالي الخميسية: يحيى بن الحسين الشجري، ج ١، ص ١٣٦؛ ورواه الإمام القاسم بن محمد في كتاب:

الاعتصام، ج ١، ص ١٦٠ .

بالحجة في الملاء الحاضرين بهت لا يدري ما يجيبني^(١) «اللهم إني أستعديك على قريش ومن أعانهم فإنهم قطعوا رحمي، وصغروا عظيم منزلتي، وأزمعوا على منازعتي أمراً هولي، ثم قالوا: ألا إن في الحق أن نأخذه وفي الحق أن تتركه»^(٢).

وقال كرم الله وجهه: «الذين زعموا أنهم الراسخون في العلم دوننا كذباً وبغياً علينا أن رفعنا الله ووضعهم، وأعطانا وحرّمهم، وأدخلنا وأخرجهم، بنا يستعطي الهدى، وبنا يستجلى العمى، إن الأئمة من قريش غرسوا في هذا البطن من هاشم لا يصلح على سواهم ولا يصلح الولاية من غيرهم لذلك جرح صدر عمار الذي يدور مع الحق حيث دار رحمة الله عليه فقال شعراً:

يـانـاعـي الإـسـلام قـم فـانـعـه

قـدـمـات عـرف و بـلـدا مـنـكـر

مـالـقـرـيـش لـاعـلـانـجـمـهـا

مـن قـدمـوا الـيـوم و مـن أـخـروا

ولله در أبي الهيثم ابن التيهان رضى الله عنه إذ قام خطيباً بين يدي أمير المؤمنين صلوات الله عليه فقال: «إن حسد قريش إياك على وجهين: أما خيارهم فتمنوا أن يكونوا مثلك منافسة في الملاء وارتفاع الدرجة، وأما شرارهم فحسدوك حسداً أنغل القلوب وأحبط الأعمال وذلك أنهم رأوا عليك نعمة قدمك إليها الحظ وأخروهم عنها الحرمان^(٣)، فلم يرضوا أن يلحقوك حتى طلبوا أن يسبقوك، فبعدت والله عليهم الغاية وأسقط الضمان، فلما تقدمتهم بالسبق وعجزوا عن اللحاق بلغوا منك ما رأيت وكنت والله أحق قريش بشكر قريش نصرت نبيهم حياً وقضيت عنه الحقوق ميتاً، والله ما بغيتهم إلا على أنفسهم ولا نكثوا إلا

(١) كتاب نهج البلاغة: شرح الشيخ محمد عبده، (في من رماه بالحرص)، ج ٢، ص ٣٤٦.

(٢) الخطبة ١٧٢ للإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في الجنة (باب الاستنصار على قريش). كتاب نهج البلاغة: المعجم المفهرس لألفاظ نهج البلاغة، ص ٥٩.

(٣) الحرمان: ليست في (ب).

بيعة الله يد الله فوق أيديهم فيها نحن معاشر الأنصار أيدينا وألستنا لك فأيدينا على من حضر
وألستنا على من غاب.

نعم وهذه شقشقة هدرت ثم قرت، الحديث ذو شجون ودع عنك نهياً صريحاً في حجراته
وهلم الخطب [/] فيما تراه بالعيون لم يزل أولئك في جدّة في دأبهم. والشريف محسن
حمّاه الله حاصرهم حتى استزلوا آخرين من أتباع الأشراف واستهوهوهم بالغرور لترك
الرعاية والإنصاف، حتى أفضى أمرهم الآن إلى الدخول إلى حرم الله الأمين مفسدين،
وإخراج أهله منه أكبر عند الله إذا أخلوهم عنه معتدين، وأقاموا لعباد الله في جوار بيت الله
سبحانه سوق الامتهان والفتنة، ورموا من ظفروا به من آل رسول الله وأتباعهم بسهام الهوان
والمحنة، بل مدوا أيديهم إلى محارم بيوت الشرف الرفيع، وجد جدهم في ارتكاب كل أمر
فيهم والعياذ بالله شنيع، وساروا هنالك يعوثون، والشريف محسن حمّاه الله ومن معه من أهل
بيته بإزائهم يجاهدونهم ويستنصرون بالله سبحانه وبآل محمد حيث كانوا وبالمسلمين
ويستغيثون، فأحرق والله هذا الأمر القلوب وغازط، وأثار الدفائن إن كان بقي لآل رسول الله
والمسلمين حفاظاً، وقد توكلنا على الله عز وجل وأمددناهم من جهتنا هذه بمن حضر وسائر
الأمداد إن شاء الله بمعونة الله على الأثر، ونحن وأنتم حماكم الله من شجرة واحدة فأولى من
غار على آل محمد ﷺ مثلكم بالمناصرة والمعاضدة، وسل على أعاديهم سيوف الانتقام
والمجاهدة، وقد صار الآن الأمر مضيقاً، وتأكد الحال بوجوب الدفاع عن بيت الله ورسوله
محققاً، فإن إسلام حرم الله الأمين ومن فيه من أهل بيته الأكرمين والعياذ بالله إسلام لبيضة
الإسلام وإضاعة والمجار بالله لأعظم من أوجب الله حقه من البقاع والأنام، لا سيما مع هذه
المكائد التي نصبوا حباثلها من غرورهم لمثل هذا الذي مال من مذهب أهل بيت النبوة إلى
مذهبهم، وحاد عن مقام التمسك بحبل الآل الأطهرين بالاعتزاء إلى سبتهم فإننا نخشى
والعياذ بالله أن تتعطل في البيت الحرام شوكة آل محمد، وتنقطع ولن يكون إن شاء الله
ذكرهم الذي هو إن شاء الله بهم مثلكم مجدد، ومع هذا التعدي العظيم إلى المحارم التي لا
تنام عليه عين ولا يقر عليه خلد، وقد كان يبلغنا عنكم^(١) رعاكم الله تعالى فيما سلف أنه لم
يمنعكم عن الاتصال بالحرمين المحرمين والبعث على هذا العدو لتطهير أرجاسه عن البلدين

(١) عنكم: ليست في (ب).

المكرمين إلا خشية أنه لا يقوم أود من فيه، ويقوم بما يعول ساكنها ويكفيه، إلا إحدى الجهتين من مصر أو اليمن، وقد صار الآن والحمد لله لكم في الجهة اليمينية [/] مدد من أهلكم وإمام للعترة الأكرمين أصله من أصلكم يدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ويذكر الناس بما أوصى الله به من حقوق العصابة الطاهرة المؤتمنة، ويعرفهم ما جهلوه من فضلهم الذي هو عند الله أعظم حسنة، فلتشحذ تلك المعالي غرب هممها، ولتغضب تلك المكارم لبيتي ربه ونبيها بكرمها، فإن آل رسول الله ﷺ ليوث الملاحم والحماة الذين شأنهم ضرب الجماجم من أعدائهم وقطع الغلاصم^(١) يرون الحياة الدنيا في القتال على الهدى والموت في الاغضاء على القذا لمن اعتدى، فهلم يا ذوي العناصر المقدسة والمراتب التي هي على التقوى مؤسسة إلى جمع الكلمة والحماية للكعبة المحرمة، والذب عن حوزة الإسلام المعظمة، والحفظ لحق وصية الله ورسوله^(٢) بالعترة المكرمة كيما يرد إن شاء الله الحوض الكوثر على النبي المطهر والوصي الصديق الأكبر ونحن مع الكتاب المنور وعلى البرهان المسور، فإنما هذه الدنيا للعمل والآخرة هي دار القرار والأمل، والناس سابق ولاحق، وخير الأبناء من حذا حذو خيار الآباء الذين ما منهم للهدى مفارق بل يقذفون بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق، لا زلتم ملاذاً للعترة ومعاداً لأطيب أسرة بحق محمد وآل محمد ﷺ.

رجعنا إلى تمام قضية أصحاب الباشا والشريف أحمد بن عبد المطلب

فوصل الشريف أحمد بن عبد المطلب من بني عم الشريف كما تقدم، وكان هذا الشريف أحمد سخيلاً وفيه شجاعة وإقدام كما أخبرني من يعرفه.

وأخبرني جماعة أيضاً من أهل مكة وجدة أنه خرج من مكة إلى جدة على حمار ولا له حالة ترى وإنما استدان القهوة في الطريق ديناً، فوصل إلى الباشا وأخبره من يعرفه أنه من بيت الملك، فأطمعه في ولاية مكة فسارع فخلع عليه وأظهر أنه وال وقواه بما يحتاج إليه، ومات الباشا المذكور وبقي عسكره فوضى، فاتهموا أيضاً أن الشريف محسن سمه فعقد العسكر

(١) الغلاصم: الغلصمة رأس الحلقوم وهو الموضع الناتج في الحلق.

(ابن منظور: لسان العرب، ج ١٠، ص ١٠١).

(٢) رسوله: ليست في (ب).

الرئاسة عليهم لوزيره المعروف بكخيا الباشا، فقام مقامه فما لبث أن هلك فقالوا: صح أن هذا الشريف الذي أهلكتهم، فاجتمعوا إلى هذا الشريف أحمد بن عبد المطلب [/] فنهب أموال جدة حتى كان يقصد التاجر إلى بيته في الليل كما أخبرني بعض أهل جدة، وقد رأيت فيها قصوراً عالية قل مثلها في السعة والصنعة خالية فقالوا: هذه لتجار أهلكتهم الشريف أحمد وأخذ أموالهم وجمع العسكر لحرب الشريف محسن، وعرف أعني الشريف محسن أن الكتب إلى الروم قد أثرت فيه وقطعوا بأنه الذي قتل الباشا والكخيا واحتال على مالهما أظهر نفسه وجمع جموعه وقصدهم إلى جدة وتحصنوا فيها ووقع بينهم في بعضها قتال، قتل منهم خمسة وأربعون نفرًا، وقتل من أصحاب الشريف خمسة أنفار ومن بني عمه نفران، وبعث الرسل إلى الإمام كما تقدم فأمدته الإمام -عليه السلام- مبادراً بالسيد العلامة صفى الدين أحمد بن محمد لقمان رحمه الله في محطة عظيمة، ثم كذلك الشيخ الفاضل الشهيد أحمد بن ناصر المحبشي، ثم الفقيه الفاضل العالم محمد بن علي الأكوغ، ثم السيد المجاهد المطهر بن ناصر الدين الحمزي، وبين هذه الأمداد أيام وإنما جمعناها لتحصيل الفائدة، وعلى الجميع السيد الهمام العلامة أحمد بن محمد بن لقمان المذكور، وقواه الإمام -عليه السلام- بالسلاح والخيال وجعل معه من أغوات العجم وعيونهم المستأمنين إليه ممن تقدم ذكرهم بعد أن استخلفهم، فلا زال السيد أحمد بن محمد مهتمًا حتى انتهى إلى الليث^(١) وتجهز لدخول مكة وقد حمل أثقاله البحر، وعظم جانبه وصلح على يده كثير من أهل تهامة والحجاز، وأقبلوا إلى الحق، فمن ذلك أن بلاد الشقيق^(٢) وما خلفها إلى حلي بن يعقوب^(٣) كانوا يفتنون أبناءهم بأن يسلبوا جلدة الذكر إلى العانة ثم الأثنيين ولهم في ذلك جهالات على زعمهم أنه لا يكون رجلاً يعقل، ويعقل عنه إلا بذلك.

ومنها قضية عظمى هي أن عبدًا لبعض أشراف بيش بلغ به الحال أن سمي نفسه امرأة

(١) الليث: من المدن الرئيسية في عسير، وهي من المدن الساحلية، تقع شمال مدينة حلي بن يعقوب على بعد ١٠٠ كيلومتر. (الويسى: اليمن الكبرى، ص ١٣٥).

(٢) الشقيق: من مدن عسير (المخلاف السليبي) وتقع في تهامة الشام.

(زين الشافعي: الروض الزاهر، ص ٢٧٦).

(٣) حلي بن يعقوب: على الساحل من تهامة الشام شمال الشقيق، في عسير (المخلاف السليبي).

(الويسى: اليمن الكبرى، ص ١٣٥).

اسمها ريحانة على أنها امرأة طيبة وأنها تعالج النسوان اللواتي لا يعلقن بالحبل، وانتشر ذكرها بهذا الطب حتى دخلت مكة المشرفة، ولما كان السيد أحمد رحمه الله في بيش وصل شريف من أهل صيبا من أهل يسارهم يطيب امرأة لهم شريفة، فلما خلا بها هذا العبد المتسمّى بريحانة وجدته رجلاً وأرادها فدافعته هيبية زوجها، ولحقت بزوجها وبيتها، وأخبرت زوجها الخبر، فعاد وأخبر السيد^(١) بكلام فيه طول، حاصله أن السيد قبض [/] على سيد العبد وأمر العسكر بالحضور بسلاحهم وربط الخبيث وقال: أخرجوه إلى ظاهر البلد وفتشوه فوجدوه رجلاً فضرب عنقه وشدد على سيده.

قال القاضي العلامة أحمد بن سعد الدين أطال الله بقاءه: وقد ذكر هذه القضية بطولها وقال: إن بعد ضرب عنق عدو الله جاء سيل مخالف للعادة ولم يحمل جيفة هذه الشقي وحمل من حوله ما هو أعظم منه وإنما أبقاه الله عبرة ثم ورم أحليله وطال وارفع كثيراً وبقي آية ظاهرة.

نعم ولما وصل السيد أحمد رحمه الله^(٢) الليث بلغه ومن معه هزيمة الشريف محسن واستيلاء الشريف أحمد والترك الذين معه على مكة المشرفة وكانوا نحو ألفين، وذلك أن الأشراف كرهوا الشريف محسن لما سبق من قضيته في عمه الشريف إدريس^(٣)، فصار جمهورهم إلى رأي الشريف أحمد، ثم دس هذا الشريف إلى العسكر في مكة فأجابه من يكره جانب الشريف محسن وقد أظهر أهل مكة خطأ الشريف بمكاتبة الإمام - عليه السلام - لأنهم يظنون أن اليمن ما يحمل عوائده، وقد تقدم أن الشريف محسن تقدم بجموع كثيرة فخيّم على جدة وامتنع من فيها بالسور وبقي ليالي، وصح لأحمد بن عبد المطلب ومن معه من أمراء العجم فساد الذين في مكة، فخرجوا فأخربوه فانهزم من فسد من عسكره وفشل الباقون فانهزم مريداً مكة فوجد من فيها قد خالفوه ووالوا العجم فخرج منهزماً ليس معه إلا السلاح والكراع من غير مال فإن خزائنه وأمواله في مكة، فتقدم الشريف أحمد والعجم

(١) في (ب) السيد أحمد.

(٢) رحمه الله: ليست في (ب).

(٣) الشريف إدريس بن الحسن: تولى الشرافة في مكة بعد وفاة أخيه أبي طالب، ويجمع من السادة آل نعي تم اختياره وأشركوا معه أخاه فهيد في الحكم ثم ابن أخيه محسن بن الحسين بن محمد بن أبي نعي الثاني، ووقع خلاف بين هؤلاء فكانت نهاية المطاف أن انفرد بها محسن بن الحسين، وكانت وفاة إدريس هذا عام ١٠٣٢هـ بجبل شمر، ومدة إمارته عشرون عاماً. (زين الشافعي: الروض الزاهر، ص ١٣٥).

كما تقدم وكان على العجم أميران منهم والغلبة لهم على الشريف، فلما دخلوا مكة المشرفة أذلوا الأشراف الذين والوهم وهتكوا الحرم، وقتلوا نفوساً جمّة وفعلوا المنكرات في الحرم، ويقال: إنهم أخذوا من الشرائف فضلاً عن غيرهن ولم تلق مكة المشرفة وأهلها مثلما لقوا من هذه الطاغية. وخرج الشريف محسن إلى موضع يسمى المبعوث شرقي مكة وخاف فانهزم إلى بيشة، وكان قد أرسل ولده الشريف الجليل زيد بن محسن للقاء السيد أحمد بن محمد بن لقمان إلى الليث ونواحيه، فاجتمع وخرج عليهما عسكر من مكة وخيل من قبل الشريف أحمد والعجم، ووقع بينهم قتال فمال العجم الذين [١ /] مع السيد أحمد إلى العجم الذين خرجوا من مكة، وانتهبت المحطة الإمامية وقتل كثير، وانهزم السيد أحمد إلى بلاد القنفذة وبقي أياماً وبلغه خروج الشريف محسن اليمن فبقي حوالي القنفذة ووصلهم العجم فخرجوا عنها، ووصل إليهم الشريف محسن فعاودوهم القتال وانهزم أصحاب الشريف، وقتل الشريف دريب من أهل تهامة وأنفار، وأبلى السيد أحمد رحمه الله وعاد إلى بلاد الشقيق وقد تقطع عسكره ووصله المدد من الإمام -عليه السلام- بمن ذكرناه أولاً، ولقي الإمام -عليه السلام- وبلاده من ذلك مشاقاً مع الاشتغال بحرب صنعاء واليمن فإنه -عليه السلام- جهز السيد أحمد أولاً بأموال أكثرها ديون، وأعطى العجم الذين معه، ثم أرسل عسكراً كثيراً مدداً فلا يقدر على النفير إلا بهال عظيم ثم يفرون من ضجر تهامة وتقاصر الأمداد فتحلفهم العقوبات والمشاق. وقد كتب الإمام -عليه السلام- إلى كل جهة وأنفق الأموال في نصرة الشريف وأهل مكة (كما تقدم كتابه إلى ملك العجم، ثم كتب إليه غيره تركناها لاتحاد المعنى)^(١).

ولما وصل الشريف محسن بن الحسين إلى بيشة أرسل إلى الإمام -عليه السلام- الركبان يطلب المال والعسكر ليرجع مكة.

أخبرني القاضي الأعلّم شمس الدين أحمد بن عامر بن محمد الذماري رحمه الله أنه وصله وهو في جانب صنعاء على حصارها خط من الإمام -عليه السلام- بنخط يده الكريمة يقول فيه ما معناه: أشيروا علينا هذا الشريف محسن قد أظهر نفسه معنا، وقد صار في موضع كذا

(١) ما بين القوسين: ليست في (ب).

ولا نجد مدده في هذه الساعة ولا ندري ما نجيب عليه فإن نقل نحن إليك ولا شيء فلا يحسن، وإن نعرفه بعجزنا والاشتغال بمن^(١) في اليمن يأس أو كما قال: فبادر بما حضرك من الرأي.

قال رحمه الله: فأجبت عليه في الحال وقلت: الجواب عليه إن قلت لا شيء فإنه لا ينبغي وأنه يئأس وربما يرجع عن الموالاتة فتعدونه بكل خير وأن في هذه الأيام كما بلغكم نحن في جهاد هؤلاء الأشرار ونهتكم بأمركم وإذا فتح الله صنعاء حصل المدد إن شاء الله تعالى أو كما قلت، فعرفت عظم ما ورد عليه -سلام الله عليه- وأنه ربما استشار غيري، ولما أبطأت غارة الإمام -عليه السلام- على الشريف محسن وصل إلى السيد أحمد كما تقدم ثم إلى معمر أقر، وتلقاه الإمام [/] -عليه السلام- بنفسه^(٢) والعلماء الفضلاء كالسيدين الفاضلين شيخي آل الرسول أحمد بن محمد الشرفي، وصالح بن عبد الله الغرباني وغيرهما من العلماء وضربت له المضارب، وكان الإمام -عليه السلام- يتفقد ضيافته وضيافة أصحابه بنفسه ويذهب إلى مكانه في خواصه، وفي ملوك مكة المشرفة لطول عهدهم بسيرة الأئمة الأطهار سلام الله عليهم جهل الشريعة وما تستقبحه العقول من الاسترسال في استعمال الملاهي بالإماء وتظهرهن للخدمة في مجالسهم الخاصة وقد ربما تكون في العامة، وربما يطربن لمواليهن كما يبلغ.

فأخبرني الصنو السيد الفاضل قاسم بن حمزة الغرباني أن الإمام -عليه السلام- كان في مضرب الشريف فرأى الجوارى على المعهود فقام غاضباً وغطى رأسه الكريم وهو يقول: حق الله أعظم حق الله أعظم ولم يعد مضرب الشريف فاستحى وعرف الحال من يعرف الصواب فانتهى، ولطول المدة بذلك ما عرف موجب غضب الإمام، وأرسل له الإمام -عليه السلام- بألف حرف مصري مصروراً مرة فأعطاها جارية واستقلها فيما بلغ، وبالغ الإمام -عليه السلام- في إعظامه وإكرامه وإتحافه بجميع ما قدر عليه حتى أذهب عنه همه،

(١) بمن: ليست في (ب).

(٢) بنفسه: ليست في (ب).

وعاد عليه واري عزمه، وبقي عند الإمام -عليه السلام- أياماً قدرها شهران يحرض الإمام على نصرته ، ويطلب الأموال وأن يسير معه أحد السيدين مولانا الحسن أو مولانا الحسين رحمهما الله تعالى، والإمام -عليه السلام- يقرب ويبعد وينتظر فرج الله سبحانه.

قال سيدنا القاضي العلامة صفى الدين أحمد بن سعد الدين أطل الله بقاه: وقرب شهر رمضان المعظم فقال الإمام -عليه السلام- للشريف: أو تطلع إلى صنعاء لتعرفها وبلادها، وتقيم فيها ما قدرت عليه عند أولادك يريد مولانا الحسين ومولانا أحمد فلم يبعد، ثم إن الإمام -عليه السلام- وعده بطلوعه معه إلى صنعاء وشدّت أثقال الشريف وقد قطع الإمام بطلوعه صنعاء لأجله، قال: وعزم الإمام -عليه السلام- على المسير عقيب صلاة الظهر فيبلغ الشريف ذلك فأرسل أحد خواصه إلى الإمام -عليه السلام- أنه يتفضل ويصوم في مكانه ولا يشق عليه بسفر رمضان [/] لأجله وأقسم عليه وسار الشريف، فلما وصل إلى غربان^(١) عارضه ألم ليس بالكثير، ثم تقدم إلى الغفري من بلاد غشم^(٢) وتوفي فيه وحمل إلى صنعاء، ودفن في قبة خاليه من أسفل صنعاء مما يقرب من السبحة^(٣).

وأخبرني من شهد قبره أنه رأى مولانا الحسين وأحمد أطل الله بقاء الباقي منهما ورحم اللاحق منهما بالله، يتولون دفنه ويكون كثيراً وكان أشدهم بكاء مولانا أحمد أطل الله بقاه، وكان موته غربياً موعظة وذكرى لمن يعرف عزه وسلطانه في الحجاز، ونحرت النحائر وعقرت العقائر وقرئ القرآن عند قبره.

وأخبرني غير واحد أنهم سمعوه وقد سأل عن اسم البلد المسمى الغفري فلما قالوا الغفري تشَّهد وقال: هاهنا الموت وأنه كان يرى من جهة الحساب أن موته في الغفري ولا أدري إلى أين يستند ذلك.

(١) غُرْبَان: مركز إداري من مديرية خمر محافظة عمران.

(المقضي: المعجم، ج ٢، ص ١١٧٠؛ الحجري: المجموع، ج ٢، ص ٦٢٢).

(٢) بلاد غشم: فرع من قبائل بني صريم في حاشد.

(الحجري: مجموع بلدان اليمن، ج ٢، ص ٦٢٤).

(٣) في (ب): (باب السبحة).

وهذه حكاية عنه مستفيضة والله أعلم.

وكان له ولد اسمه محمد توفي في صنعاء أيضاً وعاد أولاده باستدعاء ولده الشريف الجليل الملك العادل زيد بن محسن أطال الله بقاءه إلى نواحي الحجاز، ثم إنه خرج قانصوه باشا كما سيأتي وقد شاع في مصر والروم ما حصل في مكة المشرفة من الفساد على يدي الشريف أحمد والعسكر الذين معه فوصل هذا الباشا خارج مكة مما يلي الزواهر وأبيار عائشة عسكر هنالك، وأضافه الشريف أحمد وقدم له الهدايا وكان العجم الذين معه قد أحبوه حباً مفرطاً لأنه أباح لهم الشهوات، ويروى عنه وعنهم ما تنزه منه الطروس فمنعوه كما أخبرني بعض أهل مكة المشرفة من مخالطة الباشا وأن يكونوا هم وإياه جانباً فلم يفعل، ولما كان إلى يوم...^(١) في شهر محرم سنة تسع وثلاثين وألف^(٢) طلبه الباشا فوصل إليه إلى داخل المضرب فأمر بقتله ودفنه تحت البساط وأمر بالقبض على جميع من عنده وقتل جماعة منهم ثم أمر لما في بيوته ونهبها، وأمر بالعسكر الذين معه من عسكر السلطنة وأمرائهم فجهزهم معه اليمن وخلع على الشريف مسعود بن إدريس^(٣) المتقدم ذكره وولاه مكة المشرفة وقال أمره السلطان بذلك فقال الشريف مسعود فيما بلغ: أنا لا ألبس كسوتك [/] حتى تقبض على عمي الشريف محمد^(٤) الحارث وتسير به اليمن أو كما قال. فطلب الشريف الحارث على أنه يوليه قبل أن يظهر ولاية الشريف مسعود فقبض عليه وعلى ولده محمد وخرج به اليمن وكان من أمره في اليمن ما سيأتي إن شاء الله تعالى.

ولما وصل الباشا جانب طريق كمران^(٥) أرسل بالشريف الحارث وولده إليه.

(١) بياض الأصل.

(٢) محرم ١٠٣٩هـ = أغسطس ١٦٢٩م.

(٣) مسعود بن إدريس بن حسن بن أبو نمي الثاني: من أشراف الحجاز الذي ولّاه قانصوه باشا عام ١٠٣٩هـ واستمر حتى ١٠٤٠هـ. وفي عهده سقطت الأمطار على بيت الله الحرام وتم عمارته.

(زين الشافعي: الروض الزاهر، ص ١٣٦).

(٤) في (ب): أحمد.

(٥) كمران: جزيرة مشهورة في البحر الأحمر قبالة مرفأ الصليف لا تبعد عن اليابسة إلا بميل واحد، وتتكون الجزيرة من مدينة صغيرة بها ميناء صالح لاستقبال السفن المتوسطة.

(المقحفني: المعجم، ج ٢، ص ١٣٥٢).

ولما كان من أمر قانصوه ما كان سمعت^(١) مولانا الحسن رحمه الله يراجع بعض خواص الشريف الحارث، وقد وصل إليه يطلب الشفاعة إلى قانصوه بإطلاقه من الحبس لما انعقد الصلح بين الإمام -عليه السلام- وبين قانصوه كما سيأتي إن شاء الله تعالى ويقول المانع من ذكر الشريف الحارث لهؤلاء الظلمة أنا لو نذكره لهم قتلوه فالترك لذكره إبقاءً عليه ورجاء لخلاصه وإنا إن شاء الله جاهدون في خلاصه إن وجدنا سبيلاً أو كما قال.

ويروى أن بعدها وصل له طلاب إلى الروم وأنه مات في البحر والله أعلم.

ولهذا الحارث في الشجاعة والفراصة والسخاء أخبار حسنة معروفة عند أهل الحجاز، وبقي الشريف زيد وأهله ومن يرى رأيه من بني حسن في جانب الحجاز والإمام -عليه السلام- يمدهم ولا بد من ذكر مصير الأمر إليه في موضعه من هذا المختصر إن شاء الله تعالى.

ومما رأيت مكتوباً في كتاب من الإمام -عليه السلام- إلى الأمير صاحب حلي بن يعقوب فيه تحن كثير على الشريف زيد وتشجن وقد ذكر صاحب حلي أنه معين له ناصح معه، فأرسل له بعشرين قسبة بندق وعددها ومائتي حرف لأجل إحسانه إلى الشريف وكذا غيره.

فصل

ولنرجع إلى أخبار مولانا الحسن رضوان الله عليه بعد فتح تعز وصلاح اليمن وصنعاء^(١) وجهاتها إن شاء الله تعالى.

ولما فتح الله سبحانه تعز كما تقدم، بقي مولانا الحسن رحمه الله فيها إلى أول شهر محرم الحرام سنة تسع وثلاثين وألف^(٢)، وقد بلغه حركة الترك أخذهم الله بخروج قانصوه باشا لا

(١) في (ب) زيادة بعد سمعت: من.

(٢) صنعاء: ليست في (ب).

(٣) محرم ١٠٣٩هـ = أغسطس ١٦٢٩م.

رحمه الله، وكان قد أصلح اليمن وأحسن إلى الرعايا وأذاقهم حلاوة العدل وأخذ يتفقد أحوالهم، ويتولى أمورهم وقد أحبوه حباً مفراطاً كتب إلى صنوه الحسين وصنوه أحمد فلقوه إلى مدينة ذمار وتجرد [/] إليها مغزداً من تعز، فأقام في ذمار خمسة أيام اتفق فيها بأخويه^(١) وفاوضهم فيما أوجب الاجتماع ولا مع أحد غيرهم خبر الخارجة من العجم، ثم تفقد مدينة ذمار وبلادها ليلاً ونهاراً، ولقد رأيت رضوان الله عليه يتفقد مساكنها بنفسه سيما الأشراف.

قال رحمه الله مقسماً بالله: ما رأيت أشرافاً ضاعوا مثل أشراف ذمار ولكن ما أعلم والله أني تركت منهم أحداً لم أقرر له الكيلة والكسوة وهم على بركة ما وضعه لهم إلى الآن رحمة الله عليه.

ثم عاد إلى محروس مدينة إب وقد اجتمع إليه عسكره من المشرق والمغرب والشام واليمن^(٢) فاصطنع لهم مواضع بين يدي قصره في إب، من حيث تراهم العيون فكانوا وما هم عليه من القوة بالسلاح والاجتماع على أمره مما تنشرح به صدور المؤمنين وتغيظ قلوب الظالمين، وكذلك رؤساء اليمن لديه، فيجعل لهم أوقاتاً لمشاهدة طلعتة الكريمة والاستماع لكلياته النافعة العظيمة ولا عهد لهم بهذه الأخلاق النبوية والمراحم العلوية.

وكان له رضوان الله عليه في ذلك أخبار طريفة ومحاسن كثيفة من ذلك للجند لا يقول لأحد: لا شيء، بل يعطي أهل النجدة والنفع ما طلبوا أو يردهم بميسور القول ويخالطهم بنفسه، ويتكلم معهم سيما مع حركاته، فإنه كان كثير الحركات بالخيال وسرعان العسكر إلى أطراف المحطة، وقد يخرج بهم مسافة البريد^(٣) للريضة، وكان إذا بلغه أن رئيساً أغضب أو لحقه مكدر تعرض مع الطيافة للقرب من مكانه، فيدخل عليه ويقابل أهل الحاجات في مكانه حتى يراه الناس فيذهب عنهم فيذهب عنه ما به ويذخ بذلك على غيره وكذا حاله حتى قبض رحمة الله عليه، والعسكر إذا بلغه عن أهل رأيه مثل ذلك يعرض لهم ويسير في

(١) في (ب): أخوته.

(٢) المشرق: يعني مشرق اليمن، والمغرب مغاربا. أما الشام فالمقصود بها المناطق الشمالية، واليمن الأقاليم الجنوبية.

(٣) البريد أربعة فراسخ، والفرسخ ثلاثة أميال هاشمية، والميل الهاشمي ثلاثة آلاف ذراع العمري، وهو قدر الذراع الحديد المسمى الذراع

الهادي المتعامل به في صنعاء وذمار ونواحيها وقدره ٣٢ إصبعاً كل إصبعاً ست شعيرات مصفوفات عرضاً.

(أحمد بن قاسم العنسي: التاج المذهب في أحكام المذهب، ج ١، ص ١٤٣).

مواضعهم ويتعرض لعطاء كبارهم مما يناسب أحوالهم ولو أمر لهم بشراء القنات وكذا في السلام عليهم يوم الجمعة فإنه يجعل المضارب من خلفه مفروشة عليها خدم وعيون أصحابه فإذا صافحه من له رئاسة قبض كفه وأشار إلى القائمين بين يديه وخلفه بإدخاله ذلك المضرب أو المكان فإذا اجتمعوا أمر بطيبيهم وإعادة القهوة لهم وحدثهم والجند وغيرهم وأهل السوق والرعايا يسلمون عليه، فقل من لم يشر إليه بيده الكريمة أنه قد عرفه، فإذا عاد إليلكبراء بعد تمام العامة تحدث معهم [/] ولا يقطع حديث متحدث، وإذا وصل من الأعراب من يأتي بالشعر المعروف مع القبائل سمع له ويأمر بذلك ويعطي صاحبه ويظهر لهم أنما مثله في إصابة المعاني وقد يكون بعض أهل الشام ونواحي المشارق في جانب فيخرج مع السفر والحركة من بين راياته وتحت بنوده منفرداً، ولا يسير معه أحد حتى سائس فرسه فيدخل فيهم ويلعب بفرسه أولهم فيخرج معه سرعانهم، وأهل الخفة فيجارونه ويظهر لهم أنهم ساروا مع فرسه ويقلب رمحهم مع رماحهم ويتكلم معهم بلغاتهم، ومع أحواله هذه الزكية وأخلاقه النبوية كما قال ضرار رحمه الله في صفة جده أمير المؤمنين صلوات الله: ونحن والله مع تقريبه إيانا وقربه منا لا نكاد نكلمه هيبه له.

وكان رحمه الله كما قال: لا يطمع القوي بباطله ولا يئأس الضعيف من عدله، ولقد روى غير واحد أن في أيام إقامته هذه في إب وصله بعض العسكر ومعه رعوي حامل متاعه غصباً فأخبر ذلك الرعوي مولانا وأن هذا الجندي سخره من موضع كذا إلى موضع كذا بغير رضاه.

قال الراوي: لذلك أنه قام، فأدب ذلك الجندي ضرباً بيده ثم أخذ أمتعة الرعوي وحملها الجندي وهو مربوط وجعل الرعوي يسوقه مع الأعوان على ذلك حتى أطلعه حصن التعكر، فكان عدله وصحة أمره وملاك زمام عسكره سوراً على اليمن والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء:

وليس على الله بمستنكر

أن يجمع العالم في واحد^(١)

(١) ديوان أبو نواس، ص ٢١٨.

ومما أخبرني رُسلي بالإمداد عنه وهو في إب وقد تأهب للقاء العدو أنه وصله أشراف من تهامة ممن هاجر إلى الجبال لما غلب العجم على تهامة أظنهم من الأمروخ^(١) فأمر لهم بمكان يكونون فيه، فقيل: إن فيه جماعة من أهل الشام وأصحاب الرئيس المجاهد عبيد الحذب السحاري فأمرهم بالخروج منه ويكون للأشراف فلم يتلقوا رسوله بما يحق له، وفي أهل الشام ما لم يكن في غيرهم من قلة معرفة الأمور وظنوا أنهم أنفع من أولئك الأشراف، وأنه لا يؤاخذهم سيما مع حاجته إليهم فخرج عليهم بنفسه الكريمة.

قال الراوي: فلقد رأيت المدينة ومن فيها تموج من الهيبة وأنه يعني الراوي كاد يطرح نفسه [/] من سورها وكذا غيره وفر أولئك العسكر من مكانهم وأخفاهم من أمكنه ذلك في بعض البيوت واستجار رئيسهم المذكور في المشهد الكاظمي، قال: فرأيته رحمه الله تعالى يدور ولا يقف له أحد فوجد جملاً مرحولاً عليه أمتعة، فظن أنه لرئيس أهل الشام وأنه غضب ويريد الخروج بأصحابه، قال: فرأيته سل السيف وضرب عنق البعير حتى أذهبته وكان هذا الجمل لضيافة الأشراف، قال: وعلم فسكن غضبه وأبداهم خيراً منه، فقد رأينا له كثيراً تشبه هذه وإنما ذكرناها في حوادث هذه الحركة الميمونة رحمة الله عليه.

وأما صفة خروج قانصوه باشا لا رحمه الله

فمما أخبرني بعض أصحابه الذين صاروا إلينا وأصحاب حيدر باشا فإن كثيراً منهم ساروا إلى مولانا الحسن رحمه الله، أنه لما ارتفع مولانا الحسن رحمه الله من المخا ومحاصرته، ائتمر الترك وأرسلوا عظيماً من كتائبهم يسمى الأمير سليم إلى مصر، ويريد التقدم إلى الروم لطلب الغارة ويعرفهم بحقيقة الحال، فوصل إلى مصر وقد اضطرب مصر لما يبلغهم من أخبار اليمن وعظم لديهم وأن الباشا أحمد^(٢) لم ينفع كما تقدم ثم عابدين باشا كذلك.

(١) لم نجد لها ترجمة.

(٢) أحمد باشا: توقف في جدة، وانشغل بأمور ومشاكل أخرى مع الأشراف في الحجاز ولم يجتد دخول اليمن.

صفة خروج الأمير رجب

ثم أرسلوا غارة مع الأمير رجب وخزائن فشق البحر، ووصل إلى مولانا الإمام -عليه السلام- وكان لوصوله موقع عظيم فقابله الإمام -عليه السلام- بالتعظيم، وكان وصوله مع وصول الشريف محسن إلى مولانا الإمام -عليه السلام- كما تقدم ثم أرسله إلى مولانا الحسن -عليه سلام الله- فأعطاه إقطاعاً وعظمه وعمر هذا الأمير السحول^(١) بالزراعة كما سيأتي إن شاء الله تعالى، وعمر له الدار المعروفة في المخادر^(٢)، وكان أصحابه صاحب مصر بعض صدقات المدينة المشرفة فلم تكن طريقه هنالك وسأل الإمام -عليه السلام- عن سبيلها فقبضها منه وبعث بها إلى ساحل ينبع^(٣) ثم إلى المدينة المشرفة، وكان لذلك عند من لم يعرف الإمام -عليه السلام- موقع.

وكتب إلى الحاكم في ساحل ينبع ثم إلى شيخ الحرم النبوي يعني الوالي عليه ما نسختها:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى [/] .

وبعد حمد الله وثنائه وشكره على جزيل آلائه نسأله أن يصلي ويسلم على نبيه محمد وآل محمد الذي جعلنا من زرعه وأبنائه، ويوزعنا دوام الشكر على هذه النعمة التي هي من أعظم تفضله وابتدائه، فإن كتابنا هذا إلى الحاكم الأمير الراعي إن شاء الله لمصالح المسلمين، الساعي في تعظيم شعائر الله وحرم سيد النبيين بساحل ينبع أنبع الله له عيون السلام المعينة وزاده من رتب الإكرام المكيئة ورزقه شفاعة محمد ﷺ وعترته الأئمة، ننهي إليه أنه لما جمع الله سبحانه وتعالى قلوب جمهور الأمة المحمدية على الائتمام بعترته نبينهم الطاهرة الزكية

(١) السحول: حقل واسع من أرض الكلاع، يمتد من سفح جبل سارة شمالاً وحتى سفح جبل عقبة مدينة إب جنوباً، وتشكل قرى قاع السحول مركزاً إدارياً من مديرية المخادر في محافظة إب، وأرض السحول تشتهر بخصوبة تربتها وتنوع محاصيل زراعتها. (المقضي: المعجم، ج ١، ص ٧٧٥).

(٢) المَخَادِر: بلدة شمال مدينة إب يتوسط بينهما قاع السحول وتقع على هضبة من جبل (عُقْد). (المقضي: المعجم، ج ٢، ص ١٤٤٦).

(٣) ساحل ينبع: مدينة في الحجاز على البحر، بين مكة والمدينة وهي مرفأ المدينة المنورة وفي شرقها وادي ينبع. (المنجد: ص ٦٢٢، ط ٣٣؛ الرازي: تاريخ مدينة صنعاء، تحقيق د/ العمري، ص ٦٨٤).

الذين يأمرون بالعدل والإحسان وينهون عن الفحشاء والمنكر والعصيان، ويدعون إلى الله بموعظة حسنة وحكمة، ويسرون في عباد الله وبلاؤه بسيرة العدل والرحمة، كان من أعظم من وفقه الله لسلك هذه الطريقة والاستمسك بعروة الحق الوثيقة والمعاونة لنا على إرشاد الخلق إلى طاعة رب الخلق على الحقيقة الأمير الكبير الشهير الخطير رجب بن مصطفى وفاه الله من تبليغ الأعمال الصالحات أكمل وفاء هو ومن صحبه من العسكر الخارجين من مصر في المركب المنصوري المجاهدي المبارك إن شاء الله الميمون المبرور الذي وافق لفظه معناه مشاركين لأهل البيت النبوي في الجهاد ومعددين مودتهم قرباناً إلى الله كما جعل ذلك أجر نبيه الذي أنزل عليه: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [:] .

وكان صحبتهم في سفرهم الميمون إن شاء الله من الديار المصرية شيء من الزيت والقناديل المختصة بالحرم النبوي والمسجد الشريف المحمدي المصطفوي عاقهم الشغل بالسفر عن تبليغها إلى محلها وأدائها إلى أهلها، حتى بلغوا إلينا واستقروا بفضل الله لدينا فوجهناها إلى ذلك الحرم وجهزناها إلى مواطن الشرف والكرم، واعتمدنا بعد الله وبعد بلاغها إليكم بالعناية في تبليغها إلى الحرم المشرف عليكم ليكون لكم إن شاء الله المشاركة الكاملة في صلة رسول الله - صلى الله عليه - والرتبة الفاضلة في معاونة عتره رسول الله فأنتم إن شاء الله من أهل ذلك الشأن ومن له العناية [/] التامة إن شاء الله في مرضي الرحمن، ومقدار الصادر إليكم ما بيّنه السيد الجليل الهادي بن صلاح الأميري لبندر اللحية حرسه الله تعالى، فقد أمرناه أن يبين لكم مقداره إن شاء الله تعالى، ونسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن رعى لذلك الحرم النبوي حرمة العظيمة، ووفاء رسول الله ﷺ وصية الله فيه ووصيته لأهل بيته وعترته الكريمة، ورزقنا شفاعته يوم القيامة، ووقانا ببركته ﷺ وأتباعه موجبات الملامة، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله على محمد وعلى آل محمد وسلم .

حرر لست خلت من شهر جمادى الأولى من عام ثمان وثلاثين وألف^(١) بمعمور أقر من أعمال شهارة حرسها الله.

(١) جمادى الأولى سنة ١٠٣٨هـ الموافق ديسمبر ١٦٢٨م.

وهذا كتابه - عليه السلام - إلى شيخ الحرم

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى.

وبعد أكمل الثناء على الله والحمد له على أن أوردنا من هدايته عذباً نميراً وأولانا من عطايه ومواهبه تسهياً وتيسيراً، وجعلنا من أهل بيت نبيه الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له متعالياً كبيراً، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله شرف الله درجاته وطهره في أخلاقه وصفاته، ووعدنا المقام المحمود فأخبرنا ﷺ أنه يرد كتاب الله وعترته عليه كهاتين إذ أشار بمسبحتيه كثيراً.

اللهم فصل وسلم على نبيك وعلى أهل بيته المطهرين من الأرجاس وعلى أصحابه المفضلين على الناس ممن هاجر معه ومن كان له نصيراً.

نسأل الله أن يهدي من التحيات أذكارها عرفاً، ومن البركات أعظمها شأنًا وأكثرها ضعفاً، ومن السلام أسنانه قدراً وأرفعه ذكراً، ومن الإكرام أوضاه بشراً وأطيبه نشرًا إلى جوار من لا تبرح صلوات الله عليه تترى، ومنا من إذا صلى عليه عبد مرة صلى عليه بها عشاء، ومن حواه من سكان حرمة القائمين بصيانته حقوقه وحرمة تعمياً لمن في ذلك الروض الشريف حل وتخصيصاً لشيخهم الكريم الفخيم الأجل.....^(١) الذي أنعم الله عليه بخدمة متنزل [/] الملائكة الأبرار، واستنشاق عرف روضة النبي المختار، وتعظيم شعائر الصادق الأمين المبعوث بالتبشير لمن اتبعه بالجنة والنجاة من النار وينهي إليه زاده الله نعمة ومنحه إلى رضاه أرفع همة، إن الله سبحانه وتعالى لما عطف على أمة نبيه - صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم - عواطف الرحمة وشرفهم بظهور عترة نبيهم الأمرين بالمعروف والنهي عن المنكر والحافظين لحدود الله الذين هم أفضل ذرية نبي في خير أمة، ومن علينا بالقيام فيهم بفریضة الدعاء إلى الله وسبيله بالموعظة والحكمة والسعي في اجتماعهم على الهدى وائتلاف الكلمة،

(١) بياض في (أ)، (ب).

هدت أنوار الرشاد من تراها وإن كان نأياً، ووجدت السنة الحق من وعها وإن كان منزله قاصياً، فكان ممن أنعم الله عليه بالاحتمال في سفينة نوح الناجية والسلوك في طريقة آل محمد التي هي إلى رضوان الله هادية، الأمير الكبير والرئيس الشهير، والمجد الخطير، رجب بن مصطفى كافاه الله عن الإسلام وأهله بأحسن كفا، ومن صحبه من العسكر الخارجين من مصر الذين اشتمل عليهم المركب المبارك إن شاء الله المنصوري المجاهدي الذي وافق لفظه معناه ناصرين لله سبحانه ورسوله، مؤدين فرض مودة أولي القربى التي أوجهاها الله في تنزيله مشاركين لأهل البيت النبوي في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سالكين معهم في منهج الحق الأوضح وسبيله الأنور يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم من الأسود والأحمر، وكان في صحبتهم هذا السفر الميمون، وضم إليهم في فلك النجاة إن شاء الله المشحون شيء من الزيت والقناديل المختصة بالحرم النبوي الشريف والمسجد الذي أسس على التقوى من الله ورضوان ودين حنيف، لم يتمكنوا في ورودهم من تبليغها إلى محلها ولا اتسع لهم ذلك الوقت لأدائها إلى أهلها حتى من الله ببلاغهم إلينا واعتمادهم في أمورهم كلها بعد الله عز وجل علينا، فوجهناها إلى ذلك الحرم النبوي الأمين، وأصدرناها بمعونة الله إلى مسجد سيد النبيين، وجعلنا العهدة بعد الله سبحانه وتعالى وبعد بلاغها [/] إن شاء الله إلى ساحل ينبع على الحاكم الأمين به ففي عنايته إن شاء الله من الخير ما يرضي ويقنع، فالسعيد كل السعيد من كان له في صلة رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم - نصيب، والفائز كل الفائز من رعى حقه في عترة أهل بيته الذين افترض مودتهم، واتباعهم السميع المجيب على البعيد والقريب ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [:] .

ومقدار ذلك الصادر ما بينه السيد الهادي بن صلاح الأمير ببندر اللحية^(١) حرسها الله

(١) اللُّحِيَّة: فرضة على البحر الأحمر شمال مدينة الحديدية بمسافة ١٢٠ كيلو متراً، وهي عبارة عن جزيرة متصلة باليابسة، ومرفؤها غير

صالح للملاحة بسبب الصخور، وأرضها قاحلة غير صالحة للزراعة.

(المقضي: المعجم، ج ٢، ص ١٣٧٠).

تعالى، فقد أمرناه بتبين ذلك إن شاء الله تعالى ونحن نستمد ممن حواه كريم ذلك الجوار، سيما من كان من عترة النبي المختار ومن يختص بخدمة روضته الشريفة في الليل والنهار الدعاء لنا وللمجاهدين في سبيل الله بالمعونة في إحياء فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإمداد بالتأييد والتثبيت في مورد الأمر والمصدر وحسن الاستعداد بالعمل الصالح والمتجر الراجح المنجي في المحشر، وأن يجعلنا جميعاً من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب، وحسبنا الله ونعم الوكيل ونعم المولى ونعم النصير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه.

حرر لست خلون من جمادى الأولى عام ثمان وثلاثين وألف^(١) بمعمور أقر من أعمال شهارة حرسها الله.

وكان وصل من الأمير رجب وهو في البحر كتاب إلى الإمام -عليه السلام- يسأله أن يطيب نفوس من معه، فأرسل إليه وإليهم هذا الكتاب:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى.

المقر السامي الرئيس العالي، الأمجدي الأوحدي، الأكمل الأرشدي، عين الكبراء العظماء، ورئيس الرؤساء الكرماء الأمير رجب ومن معه من العسكر المنصور بالله سبحانه وتعالى من الشاميين واليمنيين والمولدين^(٢) ببارك الله تعالى فيهم جميعاً، وأصلح أحوالهم وبلغهم في الخيرات آمالهم وأتحفهم بشريف السلام الجزيل والإكرام النبيل ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فإنه وصل إلينا كتاب من المقر الكريم الأمير رجب زاد قدره يذكر أنكم رغبتم في

(١) ١٠٣٨هـ = ١٦٢٨م.

(٢) الشاميين: سكان المناطق الشمالية من اليمن، واليمنيين: سكان المناطق الجنوبية من اليمن، والمولدين: لعلمهم من الموالي والعبيد.

الوصول إلينا معه رغبة والدخول في جماعتنا وخدمتنا محبة طلباً لمرضاة الله [/] [سبحانه وتعالى، وتقرباً إليه وإلى رسوله ﷺ بموالاته عترة أهل بيته الذين قال فيهم: «مثل أهل بيتي فيكم كمثّل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وهوى»^(١) .

فأهلاً بكم وسهلاً ومرحباً طاب إن شاء الله مسعاكم وبلغتم إن شاء الله تعالى أملككم من الدين والدنيا، وصرتم بمن الله من حملتنا ومن شمله إن شاء الله رعاية الله ورعايتنا، وبعد وصولكم إن شاء الله تعالى إلينا واتصالكم من أحب الخدمة معنا والبقاء عندنا كان له مالنا وعليه ما علينا مقررراً إن شاء الله تعالى على ما كان عليه، ويزدد إن شاء الله رعاية وإحساناً إليه، ومن أحب منكم أن يرجع إلى بلده عزم إن شاء الله سالماً غانماً بجميع ما معه من سلاح وأثاث ومال وكل حال مرعياً إن شاء الله مصوناً آمناً مطمئناً حتى يبلغ بمعونة الله^(٢) عز وجل لا يُعترض بسوء إن شاء الله تعالى، وكل ما في المركب المنصوري من قليل وكثير فهو في تصرف أميركم الأمير رجب زاد قدره وأنتم وهو إن شاء الله في جميع الأمور متحدون الحال، فلتطب أنفسكم جميعاً وتقر أعينكم ببارك الله تعالى فيكم، وأصلح أحوالكم وبلغتم في الخير آمالكم بحق محمد وآل محمد ﷺ، وما فعلنا هذا الكتاب إلا تطيباً لأنفسكم وشاهدوا بأنفسكم وشاهدوا بأيديكم والله سبحانه خير الشاهدين، وهو حسبنا ونعم الوكيل، ونعم المولى ونعم النصير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم.

حرر ثامن وعشرين من صفر الخير عام ثمان وثلاثين وألف^(٣) بشهارة حرسها الله تعالى.

قال السيد العلامة أحمد بن محمد الشرفي نفع الله به: ومن الكرامات أنه وصل كتاب من السيد الهادي بن صلاح النعمي^(٤) صاحب ولاية اللحية يذكر فيه أنه وصل الشيخ

(١) سبق تخريج الحديث.

(٢) في (ب): إن شاء الله.

(٣) ١٠٣٨ هـ = ١٦٢٨ م.

(٤) الهادي بن صلاح النعمي: توفي في سنة ١٠٤٥ هـ / ١٦٣٥ م وكان والياً لبندر جازان من قبل الإمام المؤيد محمد بن القاسم. (الشرفي:

اللائي، ج ٣، ص ١٦٤٧).

عبد الرزاق من جُدة- بالجيم المضمومة- عاشر شهر الحجّة من السنة المذكورة وأخبر أن (جلبة لكمل)^(١) وصلت من السويس^(٢) يوم ثامن وعشرين في شهر ذي القعدة إلى جُدة، وأخبروا أن الأتراك كانوا جهزوا من مصر زهاء ألف رجل للغارة إلى اليمن مع أميرين أحدهما يسمى حسن أفندي من أصحاب جعفر باشا والثاني من مصر وأمرهم باشة مصر أن يقتسموا نصفين فأهل القوة يمضون البر وأهل الضعف يمضون البحر، فلما وصلوا السويس عاثوا في الناس، ثم قال بعضهم: لا نسير إلا جميعاً [/] بحرأً أو برأً وخالفهم البعض فحصل بين الفريقين شقاق وحرب، فهلك منهم زهاء ثلاثمائة ضرباً وطعنأً لم يزل أمير من مصر أصلح بينهم وجهزهم جميعاً في مركب محمد باشا فسافروا قدر يوم من السويس، ووقع بأسهم بينهم، فاختلطوا ضرباً وطعنأً في المركب وهلك أمراؤهم وبقي قدر مائتين، خرجوا إلى الساحل فلقبهم رجل ذو شوكة لا يرفق غيره في تلك الناحية من مصر إلى السويس، فقتلهم إلا أربعة عشر رجلاً بقوا في المركب وعادوا إلى السويس، وحصل بهذا سرور مع أهل مكة لأنهم كانوا قد أشفقوا من جانب مصر فأمنوا.

قال: وروي أن صفة هلاك الأتراك في السويس أنهم طلبوا من والي السويس مالاً قدر ألفي قرش فامتنع فدخلوا بيته ونهبوا منه مالاً جزيلأً، وتنازعوا^(٣) بينهم واقتتلوا فهلك منهم بالقتل نحو ثلاثمائة كما تقدم ثم تجهزوا في مركبين، فلما كانوا في المجرة هبت ريح فهلك بعضهم بالغرق وبعضهم خرج إلى براري تلك الناحية فوجدوا قومأً فقتلوهم عن آخرهم والله أعلم. انتهى.

رجعنا إلى تمام خبر الأمير رجب

أخبرني بعض أصحاب مولانا الحسن قال: سألت الأمير رجب: ما الحامل لك على موالة الإمام -عليه السلام- من غير حرب ولا إبلاء فيه؟ قال: عرفت من شاهد الحال

(١) جلبة لكمل: لعله اسم سفينة.

(٢) السويس: ميناء مصري على خليج السويس عند مدخل القناة في البحر الأحمر. (المنجد: ص ٣١٧، ط ٣٣).

(٣) بعد كلمة تنازعوا: زيادة في (ب): فيما.

أن الله سبحانه قد أдал لهم علينا، وأن البحر لما أردت الخروج إلى الإمام -عليه السلام- سكن وتحصل الريح وقبلها تعسر ولا كاد ينفذ إلى اليمن غارة أو كما قال.

تمام إرسال الأمير سليم، فوصل إلى مصر فوجد قانصوه باشا قد حشد من مصر والروم والشام، كما أخبرني من صار إلى جانب الحق من أصحابه أن عدة مخالي^(١) الخيل للحسيك^(٢) في مصر خمسة آلاف، وأما الجمال والأثقال والآلات فلا تنحصر، وأن السلطان جعل له أمراً مُطلقاً يطلب للسفر من شاء ويترك من شاء، فأخذ أموالاً من الأمراء والكبراء في مصر ولقد بلغه أن مع المفتي في مصر قوة فأمره بالسفر حتى أعطى خمسين جماً وفسرين عليهما من الحلية كذا، «وإذا لم يحترم العالم عندهم كيف تأمن البلاد والجنود وأشكالهم»، وتجهز من مصر في شهر رمضان سنة ثمان وثلاثين وألف، ووصل مكة المشرفة في شهر محرم الحرام سنة تسع وثلاثين وألف، وكانت عساكره في البر والبحر نحو خمسة عشر ألفاً ثم الذين في مكة المشرفة ومن في [/] زبيد والمخا فوق عشرين ألفاً وكان على مقدمة خيله الأمير موسى بن خبير صاحب مصر، وقد أرعد وأبرق وقتل كثيراً في طريقه من أعوان السلطنة مثل الشريف أحمد صاحب مكة كما تقدم وغيره وأخذ أموالهم، ولما خرج إلى نواحي صيبا هابه الناس كثيراً وخالطهم الفزع الشديد وقنط كثير.

ثم إن الإمام -عليه السلام- أمر السيد العلامة أحمد بن محمد بن لقمان والسيد الرئيس العالم أحمد بن المهدي وولده العلامة صلاح الدين صلاح بن أحمد أن يعسكروا في جبل مقابل لأبي عريش يسمى ظهر الجمل لما قد خالط الناس من هيبته، ثم أرسل ولده السيد الفاضل العلامة عماد الدين يحيى بن أمير المؤمنين رحمه الله إليهم بعسكر ضخم وصار إلى تلك النواحي مع السادة فاجتمع بهم وكذا اجتمع إليه الشريف الكبير زيد بن محسن^(٣)، وفي

(١) مخالي الخيل: لعل المقصود بها اسطبلات الخيل، والمخل أيضاً عبارة عن كيس يوضع فيه الحبوب للخيل.

(٢) الحسيك: علف الخيول والحيوانات، ويطلق أيضاً على الحبوب الذي تطعم به الخيول.

(٣) زيد بن محسن بن حسين بن حسن بن أبي نمي: أمير مكة، ولد فيها ووليها سنة ١٠٤١هـ، وحسنت سيرته، لولا ما صنع في نجد، فقد

نزل إلى الروضة البلدة المعروفة في سدير وقتل رئيسها محمد بن ماضي بن محمد بن ثاري، وفعل ما فعل من القبح والفساد.

كان فيه دهاء وحزم، وقامت في عهده فتن تمكن من إخمادها، مدحه بعض شعراء عصره، توفي في مكة سنة ١٠٧٧هـ/١٦٦٦م.

(الزركلي: الأعلام، المجلد الثالث، ص ٦٠).

وصول هذا الطاغى قبض على جماعة من أهل الشرف منهم السيد علي بن مطيع الله من المحابشة^(١) فقطع أباهيمهم^(٢) وأطلقهم، وكان يتحدث الناس أن هذا الظالم كان يقسم ليقطعن أباهيم أهل اليمن ويحملها إلى مصر، فلما رأوا ذلك ظنوه كما قال، فازداد الناس خوفاً منه وهمة في جهاده.

ولما اجتمع مولانا يحيى بن أمير المؤمنين رحمة الله عليه بالسادة الكرام الذين في ظهر الجمل كان على الجميع وأقام فيه حتى انفصل الباشا من أبي عريش، وتقدموا إليه وقد أصاب أكثر الناس المرض وأهلك كثيراً وتلك المواضع معروفة بالأسدام^(٣)، ومرض مولانا يحيى واشتد به الألم وكان فيه حدة وكمال في جميع الخصال عالماً بجميع فنون العلم طاهر النشأة فكان له مع مرضه من النهضة ما^(٤) لأكثرهم مراس^(٥) في صحته^(٦).

أخبرني بعض خواصه ومن كان ملازمه أنه اشتد به الألم في أبي عريش وأخبروه أن العجم تجردوا من طريق البحر والبر لغزو بندر جازان وقد هال الناس سماع ذلك، قال: فاجتمعنا إليه ولا تدبير لنا غير إصعاده الجبال وكيفية حمله، فلما عرف ما قلناه طلب السيد المجاهد الهادي بن صلاح النعامي وجعله على طائفة وآخر من الرؤساء على أخرى وقال: اقصدوهم إلى البندر وكونوا من طريقين، [/] ثم أمر الآخرين بالتأهب إن لم يعنوا حملوه ولحق بهم، قال: فهزم الله جنود الظالمين وأخذ منهم أسلاباً وأسرى.

وللإمام -عليه السلام- رسائل وكتب عامة وخاصة إلى الأشراف بني قطب الدين من

(١) المحابشة: مدينة وجبل شمال مدينة حجة بنحو ٦٠ كيلو متراً، وهي إحدى مديريات محافظة حجة.

(المقحفي: المعجم، ج ٢، ص ١٤١٣).

(٢) أباهيمهم: الإبهام من الأصابع الكبرى، فالأصبع إبهام وجمعها أباهيم.

(ابن منظور: لسان العرب، ج ١، ص ٥٢٦).

(٣) الأسدام: ما شُدُّم، ومياه أسدام إذا كانت متغيرة.

(ابن منظور: لسان العرب، ج ٦، ص ٢١٩).

(٤) ما لا يكون: زيادة في (ب).

(٥) في (ب): أسن.

(٦) في (ب): صحبته.

آل سليمان بن موسى^(١) وغيرهم في القيام معه وأمر إليهم بهذا الشعر قاله السيد العلامة
صلاح الدين صلاح بن عبد الخالق الجحافي رحمه الله وهو:

أسنى التحية والسلام الأوفر

وأجل رضوان المليك الأكبر

وصلاته ما صافحت ريح الصبا

روض الخزامى^(٢) والأقحاح المزهر

فأنت بنشر عابق أشهى إلى

كل المعاطس من شميم العنبر

تهدي إلى من ضم حسن الذكر من

بين الأنعام إلى كريم العنصر

وتحدث الركبان أن ذمامهم

وافٍ وصفوعهم وودهم لم يكدر

ويصدقهم وثباتهم إذ لم تطش

أحلامهم أبداً ولم تتغير

أعني به القطبات أشجع معمل

طبة الحسام وخير مروى السمهر^(٣)

(١) الأشراف بني قطب الدين من آل سليمان بن موسى: هم الأشراف الغوانم بجازان، ويقال لهم الشطوط، ومنهم آل قطب الدين،
وحكموا جازان من القرن الخامس الهجري إلى القرن العاشر الهجري.

(زين الشافعي: الروض الزاهر، ص ١٠١).

(٢) خُزَامَى: جمع خزاماة وهي عبارة عن عشبة طويلة العيدان صغيرة الورق حمراء الزهر طيبة الريح. (ابن منظور: لسان العرب، الجزء ٤، ص ٨٦).

(٣) السمهر: السمهري: الرمح الصليب العود.

(ابن منظور: لسان العرب، الجزء ٦، ص ٣٧٧).

أهل الحفائظ في ذؤابة هاشم
وأولي المفاخر من سلاله حيدر
من لا يكذب في ثنائهم قائل
أبدأ ولا يرتاب فيه الممتري
كم جرعوا كأس الحمام عدوهم
يوم الوغى تحت العجاج الأكر^(١)
وحموا جدودهم بكل سواهم
قب البطون من الجياد الضمر
فهم الفوارس إن ثنى الفرسان عن
حر الجلاذ شبا الحديد الأخضر
والضاربوهم العدا فعدوهم
تلقاه بين مشرد ومعفر^(٢)
كم وقعت لهم غدت مسطورة
يلقى على صفحات وجه الأعصر^(٣)

(١) العجاج: الغبار أو الصياح والضجيج. لسان العرب ج ٩ ص ٥٤.

الأكر: من كَدَّر نقيض الصفاء. (ابن منظور: لسان العرب، ج ١٢، ص ٤٤).

(٢) معفر: من عفر، والعَفْر: التراب، والجمع أَعْفار. وعفره في التراب يعفره عفرأ وعفره تعفيراً فانهفر وتعفر: مرغه فيه أو دسه. (ابن منظور: لسان العرب، ج ٩، ص ٢٨٢).

(٣) الأعصر: جمع عصر وهو الدهر، قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ، إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ [العصر: ١، ٢]، قال الفراء: العصر الدهر. (ابن منظور: لسان العرب، ج ٩، ص ٢٣٦).

أثرت وما نسيت لها ثل وقعها
أبدأ وكم من وقعة لم تؤثر
أنجوم أولاد الوصي ومن علا
كيوان عالي مجدهم والمشتري
من يتمي يوم الفخار إلى أبي
حسن وحمزة الهزبر وجعفر
الله خصكم بما لم يؤتاه
أحداً وخولكم عظيم الفخر
إن كان يحيى ابن الإمام نزيلكم
في عسكر أكرم بهم من عسكر
ووجهه أصحاب المؤيد من بهم
نصر الهدى وانفل حد المنكر
من سادة من قادة ومشائخ
وعساكر عند الكريهة صبر [/]
شهدت له صنعاء بأحسن منظر
لاقوا به أعدى وأكرم مخبر
فتوازروا وتظاهروا واستعصموا
بالله من يلجأ إليه يظهر

فلأنتم حزب الإله وجنده الـ
أأعلون من يقصد لقاكم يخسر
كم من عدونا زح عن أرضكم
غدرتموهم لقاء بقاع قرقر (١)
أما وقد قرب العدا منكم وقد
دانوا دياركم ذنوا ومغرر
فقد اعتدوا طوراً (٢) وحلوا حيث لم
يحللله غير مدمر ومتبر (٣)
وأنا البشير لكم بنصر عاجل
من ينصر الله المهيمن ينصر
ويأن مخرج هؤلاء لهلكهم
فقبور جمعهم بطون الأنسر
فهم كيا جوج نقض رتاجها
يلقى وشيكاً صولة الأسكندر
بمشيئة الرب العظيم ومن له
ملك البرية بدوها والحضر

(١) القرقر: القاع الأملس، وقيل: المستوي الأملس الذي لا شيء فيه.

(ابن منظور: لسان العرب، ج ١١، ص ٩٩).

(٢) الطور: التارة، نقول: طوراً بعد طوراً أي تارة بعد تارة.

(ابن منظور: لسان العرب، ج ٨، ص ٢١٦).

(٣) من تبرأ أي هلك، قال تعالى: ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ [نوح: ٢٨] أي هلاكاً.

(ابن منظور: لسان العرب، ج ٢، ص ١٢).

لله إن أعملت فكرك حكمة
فانظر حقيقة أمرهم بتفكير
كشف الإله بهم طوية معشر
لولا وصول لفيفهم لم تظهر
نجمت نواجم فسقهم وغدا الذي
حينت عليه ظلوعهم لم تستر
بان الخيث من الذي هو طيب
والناكث العهد الخؤون من البري
كان الإمام يظن أن مقالمهم
إذ يحلفون عليه غير مزور
والناس بين مناصح متحرج
ومنافق حلو اللسان معذر
فأراد ربك أن يعامل مثلهم
أبداً معاملة اللعين الأبر
لأن يرد ولا ية للروم في
يمن فعودة ملكهم لم يقدر
من ظن أن الرجس يعلو الطهر في
يمن فقل هيهات ذلك أقصر

فقد انقضت أيامهم وتعطلت
صنعاء عنهم يوم سير بحيدر
وسيندم الساعي إليهم طائعاً
وترى خسارة بيعه والمتجر
ويرى عقاب الله قبل مماته
ويذوق مس النار يوم المحشر
والله مغن عنه ليس النصر في
سعة المالك والعديد الأثر
ما النصر إلا من إرادة قادر
مأضي الإرادة قاهر لم يقهر
إننا إليه راغبون يمدنا
بالنصر في إرادتنا والمصدر
وعلى الرسول صلواته والآل ما
كشف الدجى فلق الصباح المسفر

[١ /] كان ما سيأتي إن شاء الله من الظهور على أعداء الله، وما انتقم الله منهم على يدي
مولانا السيف الذي سلّه الله على الملحدّين وملكنا الذي جعله الله سوراً مانعاً للمسلمين
شرف الإسلام والمسلمين الحسن وصنوه مولانا العلامة الصمصام والمقل المنيع في الإسلام
الحسين ابنا أمير المؤمنين المنصور بالله سلام الله عليه وعليهم.

وبقي مولانا عماد الدين حتى عظم عليه الأمر واشتد به الألم وأيس منه أصحابه، وقد
اتصل به وبهم الفرقان بين الحق والعدوان، وطلع أكثر الجند من تهامة عن أمر الإمام -عليه

السلام- وقد هلك كثيرون منهم السيد العلامة شمس الدين أحمد بن محمد بن لقمان رحمه الله، وقد أصدده إلى رازح وقضى عليه هناك ومشهده مشهور مزور وغيره.

وأما مولانا يحيى رحمه الله فارتفع إلى اللجب واشتد به الألم وبقي مدة وقد طلب هو وغيره من الإمام -عليه السلام- الرأي في صعوده إلى شهارة أو الوعلية^(١) من جبال الشرف وأكثر على الإمام -عليه السلام- من الأصحاب في ذلك، فلم يره -عليه السلام- لوجهين: **أحدهما**: أنه بلغه أن الضعف قد بلغ به الغاية فخاف عليه من الهززة والبرد واختلاف المياه في الجبال.

والثاني: أن شفاه الله سبحانه وأمتع به طلع كما نزل يسر به الأولياء ونكبت به الأعداء وأن تكن الأخرى مضى وهو مثاغر^(٢) متوجه إلى نصر الله سبحانه وتعالى ودينه بقلبه وبدنه. ثم توفي رضوان الله عليه في يوم الأحد رابع شهر جمادى الأولى سنة أربعين^(٣) وعمر عليه قبة معروفة بالبركة والاجتماع عليه والندور إليه رحمة الله ورضوانه عليه، وجمعنا خبره رحمه الله لتمامه في موضع واحد والله الموفق والهادي^(٤).

ومن رثاه سيدنا القاضي العلامة صفى الدين وبركة المسلمين أحمد بن سعد الدين أطال الله بقاءه فقال ما لفظه:

قال العبد الفقير إلى الله سبحانه أحمد بن سعد الدين بن الحسين السورى وفقه الله

(١) الوُعْلِيَّة: قرية في الجبر الأعلى من مديرية المفتاح، محافظة حجة.

(المقضي: المعجم، ج ٢، ص ١٨٨٢).

(٢) مثاغر: الثغر ما يلي دار الحرب، والثغر موضع المحافة من فروج البلدان.

(ابن منظور: لسان العرب، ج ٣، ص ١٠٣).

(٣) جمادى الأولى سنة أربعين = ديسمبر ١٦٣٠م.

(٤) ثمة إضافة في النسخة (ب): (ومن رثاه حي السيد العلامة صلاح الدين بن عبد الخالق الجحافي القاسمي بقصيدة رائقة أولها: ألا كل حيٍّ عاش والموت طالبه وهيهات أن ينجو من الموت هاربه

ثم بياض بقية الورقة، لكنه يستدرك الناسخ ويضيف ملحوظة في الحاشية يذكر فيها قصيدة السيد صلاح رحمه الله لم يذكرها السيد محمد، وإنما ذكر قصيدة القاضي أحمد رحمه الله، وبعدها فتركتنا هذا البياض لها، وأحببنا التنبيه على ذلك بحسن صنعها) تم.

لصالح العمل، يرثي سيده وابن سيده عماد الإسلام يحيى بن الإمام أمير المؤمنين المؤيد بالله
محمد بن الإمام أمير المؤمنين المنصور بالله القاسم بن محمد بن رسول الله ﷺ وقد قبله الله
إليه صحوة يوم الأحد شهر جمادى الأولى من عام [/] أربعين وألف مرابطاً مثاغراً:

خطب ولكن قضاة العادل الحكم
وحادث ولنا بالله معصم
هو المصاب ولكن هكذا الأمم
ما غالب لا ولا عرب ولا عجم
محمد وعلي والبتول مضوا
والطاهران وحسي أسوة بهم
والسادة الشم من أبناء حيدر
من طهرت منهم الأخلاق والشيم
مضوا إلى الله شوقاً واثقين بما
أعده من ثواب عنده لهم
باعوه أنفسهم صدقاً فأريحهم
الله بـ يعهم لله ربحهم
كم سيد مات منهم وهو مغترب
في الله عن أهله بالله معتمزم
وكم كريم توافيه منيته
بالسيف يجري على نور الجبين دم

فما أصابهم ضعف ولا وهن
في ربهم بل تعالت منهم الهمم
يرون في الله طعم الموت حاجته
ليؤمن الله يوم الخوف روعهم
فإن مضى ابن أمير المؤمنين ففي
سبيل آبائه الأظهر منتظم
أطاع خالقه في أمر والده
خليفة الله من طاعاته العصم
دعاه والده الداعي إلى سبيل الـ
— هدى وجموع الروم تحتدم (١)
أن واس في الله والإسلام مجتهداً
بني بالنفس إن الحق مهتضم (٢)
إني وهبتك للرحمن أطلب ما
لديه لي طلبتي ما عنده لكم
كن مثل أعمامك الغر الكرام هدى
وفادنا من شرور الدهر دونهم

(١) تحتدم من احتدم واحتدمت القدر اشتد غليانها واحتدم الشراب إذا غلَى.

(ابن منظور: لسان العرب، ج ٣، ص ٨٩).

(٢) مُهْتَضَمٌ: مظلوم. وهجمه حقه: نقصه.

(ابن منظور: لسان العرب، ج ١٥ ص ١٠٠).

إني بكل مكان يعملون به
سمر القواضب^(١) ماضيت حقهم
لولا اشتغالي بتدبير الأمور لهم
في الله ما غبت والهيجاء تضطرم^(٢)
وأنت مهجة قلبي يا بني فسر
بالناس إن العدى قد جاء جمعهم
فإن ظفرت ففضل الله عوده
أهلك أوفرت فالأخرى مقرهم
أوفاتك الفتك في الأعداء إن لهم
يوماً تراقبه العقبان والرخم^(٣)
أمامهم من جنود الحق أسد شرى
ومن بني جدك القوم الذين هم
لكن علي لهم نصر وأيسه
شغلي العدو ولو يوماً وراءهم

(١) القواضب: من قضب، والقَضْبُ: القطع، واقتضبه قطعه.

(ابن منظور: لسان العرب، ج ١١، ص ٢٠١).

(٢) من ضرم: ضرمت النار وتضرمت واضطرمت: اشتعلت والتهبت.

(ابن منظور: لسان العرب، ج ٨، ص ٥٦).

(٣) رَحْمٌ: جمع الرَّحْمَةِ: طائر أبقع على شكل النسر خِلْقَةٌ إلا أنه مبقع بسواد وبياض يقال له: الأثوق.

(ابن منظور: لسان العرب، ج ٥، ص ١٨٠).

ليقذف الله رعباً في قلوبهم
أمامهم ويكون الرعب خلفهم
شارك ذوي العزم في وطئى المواطنى فى
غيبض العدو أدام الله غيبضهم [/]
تذكر لدى الملاء الأعلى كما ذكر الآل
الأكارم لمطاب سعيهم
فما تلعثم بل أمضى عزيزته
يظن أن التراخي قوله نعم
وفارق الأهل والأولاد محتسباً
لا راغب هو فى الدنيا ولا نهم
على حداثة سن بلغته إلى
أعلى المعالي بها نفس لها همم
نفس تجل عن الدنيا وزيتها
كانت بها حلق التدريس تزدهم
سمت إلى كل فن فى العلوم ولا
غرو فذاك لأهل البيت دأهم
صغيرهم فى المعالي للورى علم
يحكي أسودهم فى الروع شبلهم

[هم الأولى تعرف البطحاء وطأهم
والييت يعرفهم والحل والحرم
إن عد أهل التقى كانوا أئمتهم
أوقيل من خير أهل الأرض قيل هم^(١)
من ذاي ساجلهم من ذاي عالمهم
والذكر ثانيهم والعلم والحكم
من ذاي ائلهم من ذاي ناسبهم
والمصطفى المجتبي المختار جدهم
وصنوه المرتضى الضرغام والدهم
وزوجه فاطم الزهراء أمهم
فإن صبرنا فإن الصبر شيمتهم
وإن جزعنا فإن المجد منهم
لموت يحيى الذي عمته رزيتته
من دان لله بالإسلام كلهم
يحيى سليل أمير المؤمنين ومن
حوى الفخار جميعاً قبل يحتلم
يحيى الذي كملت فيه الصفات وحي
الجود والمجد والعليا والكرم

(١) البيتان بين المعقوفين للفرزدق من قصيدة طويلة يمدح بها زين العابدين علي بن الحسين.

رحب الجناب شريف الخلق ظاهره
كأنه الشمس نوراً حين يتسم
نشأ على البر والتقوى ففاق بني
زمانه فهو فيه الأوحى العلم
إحدى وعشرون عاماً عمره وبه
سد الثغور التي من دونها القيم
غصن تنسق في المجد المنيّف فما
ساواه غصن ولا كانت له قيم
من دوحه طهر الرحمن منبتها
لهامن الله جبل ليس ينقصم
من النبوة منشأها ومغرسها
وفي الإمامة منها راسخاً قدم
كنان رجيّه للعلياء يؤنسها
وتنجلي عن بني الزهرا به ظلم
كما بأبائه الغر الكرام بني الـ
منصور داموا انجلت في العالم الغمم
فاختاره غالب الأمر الذي خضعت
له الملوك الذي أفعاله حكم

قصير عمر طويلاً باع همته
كأنه في مضاه الصارم الخنم
من بعد تمحيصه في الله مصطبراً
عاماً وشهرين فيهما مسه الألم
مرابطاً في سبيل الله همته
بعث الجيوش على الأعداء تقتحم [/]
يروم في الله أن تضحى كتابه
لهامن الركن والأستار مستلم
يمضي أوامر رب العالمين بها
ويمنع النكر قوماً طالما أثموا
حتى تسرب به تلك البقاع معاً
كما يسر به حجر وملتزم
وأن يزور زييداً كي يعرفها
إن النبي له في أهلها نعم
وأن فيهم له أجرأ يطالبهم
به النبي فهل وفوا أجورهم
وأن تقر عيون الآل قرتها
بفعل آبائه الغر الكرام حموا

وَأَنْ يَصْدُقَ فِيهِ مَنْ ضَمَّنُوهُمْ
تَصَدَّقَهُمْ ظَنَّهُ لَلَّهِ دَرَاهِمُ
وَأَنْ يَوَاسِيَ كَمَا وَاسُوا وَمَا بَخَلُوا
فِي اللَّهِ إِذْ بَدَلُوا فِيهِ نَفْسَهُمْ
وَإِخْتَارَهُ لَهُمْ بِأَرْيَاهُمْ فَرطاً
فَأَعْظَمَ اللَّهُ رَبَّ الْعَرْشِ أَجْرَهُمْ
وَقَدَّمَ اللَّهُ ذَخِرَةً فِي صِحَابَتِهِمْ
يُرِيدُ تَمْحِيطَهُمْ فِيهِ وَصَبْرَهُمْ
فَأَصْبَرَ إِمَامَ الْهُدَى صَبْرًا عَرَفَتْ بِهِ
فِي النَّائِبَاتِ مَعَ الرِّسَالِ الْأُولَى عَزَمُوا
وَهَبَتْ نَفْسًا وَأَوْلَادًا كَمَا وَهَبُوا
وَجَدَتْ تَبْغِي ثَوَابَ اللَّهِ جُودَهُمْ
لَوْلَاكَ حِينَ دَهَانَا الْخَطْبَ إِذْ خَرَسَتْ
أَسْمَاعُنَا وَتَوَلَّى الْأَلْسُنَ الْبِكْمَ
وَمَسْنَا حِينَ كَادَتْ أَنْ تَمِيدَ بِنَا
الْجِبَالَ وَهِيَ وَيسير عنده لم
عزيتنا فيه تبغي الأجر ميتسماً
ما عند ذلك لولا أنت ميتسم

وثقت بالله إيقاناً فما افتترقت
فيه لديك مسرات ولا غمم
يقول أين لنا خيراً ميتته^(١)
مكملاً أجرنا ممن له القدم
وديعه عنده لي منذ فارقني
ولست لله فيما كان أتهم
وأنتم يا بني المنصور فاحتسبوا
أجوركم أحسن الباري عزاءكم
منكم تعلم هذا الناس كل هدى
ومنكم اكتسبوا ما كان خيرهم
وأنت يا ابن أمير المؤمنين فطب
عيشاً لذي معشر قد طاب عيشهم
جاورت ربك مرضياً لديه ففز
برحمة الله مع قوم بهارحموا
رافقت جدك والزهراء فاطمة
وبعلها فهنياً إذ لقيتهم

(١) ميتته: هكذا وردت.

والسـيـديـن الإـمـامـيـن اللـذيـن زكـا
فرعاهما بغصون طيب طيبهم
قد زدت جنة عدن زينة ورضاً
كما الرزئك في الدنيا دجى الظلم
واستبشرت بك حور العين حين غدت
فينا بنات رسول الله تلتدم (١)
وأصبح اللـحـب من بعد الخـمـول له
ذكر أناف على الدنيا له علم
تضحى جدود مصونات تغفر من
ترايه إذ غدا فيه له رحم [/]
على البقاع له فضل ولا عجب
لما غدا وله في المصطفى رحم
يا لـحـب فاشـمـخ على الدنيا بأعظم من
لطيبه طابت القيعان والأكم
وافخر فيالك من فخر حضيت به
وساكنوك بما فازوا وما غنموا

(١) التدم النساء: إذا ضربن وجوههن في المآتم، والتدام النساء: ضربهن صدورهن ووجوههن في النياحة.
(ابن منظور: لسان العرب، ج ١٢، ص ٢٦٥).

صلى الإله على يحيى وأنزله

في دار خلد بهما لا تنقضي النعم

والله يجبرنا فيه ويأجرنا

فالناس كلهم من خطبه كلموا

وغم تاريخه الدنيا وساكنها

لا غرو إن قلت فيه غمت الأمم

جاء تاريخ هذا المصاب العظيم لفظ غم لأن الغين ألف والميم أربعون فهو كما ترى إذ هو عام أربعين وألف انتهى.

رجعنا إلى أخبار قانصوه

ولما وصل هذا الطاغي مور^(١) من تهامة أرسل وزيره المسمى يوسف كخيا في جريدة من الخيل نحو ثمانمائة فارس فسار ليلاً ونهاراً، وكان السيد هاشم بن حازم رحمه الله في بيت الفقيه كما تقدم في محطة عظيمة فوق ألف نفر ونحو مائتي فارس، فخرج من طريق حازة رمع^(٢) حتى صار في سوق ربوع المرباه مقابلاً لزيد قريباً من حيس، فكان هنالك حتى ارتفع إلى سوق الأحد كما سيأتي إن شاء الله تعالى في أخبار مولانا الحسن رحمه الله.

فوصل هذا الكخيا خارج زبيد وأضافوه إلى خارجها ثم سار مسارعاً إلى المخا، ولم يلتفت إلى حيس والأمير سنبل فيها، فلما وصل خارج المخا على حال لم يسبق خبره إلى الباشا عابدين حتى رآه، فأقام خارج المخا كما أخبرني من يعرف حالهم وحضر ذلك، فتلقاه من عند الباشا

(١) مور: وادي مور هو أكبر أودية تهامة وأكثرها خصباً، يقع شمال مدينة الزيدية، محافظة الحديدة.

(الحجري: المجموع، ج ٢، ص ٧٢٣).

(٢) رمع: وادي مشهور في تهامة بين وادي زبيد جنوباً ووادي سهام شمالاً، ويسقي الرمينية وأرض الحسينية، ويسيل إلى البحر في مواسم الأمطار، ويشتهر بزراعة الموز والباباي والحبوب.

(المقضي: المعجم، ج ١، ص ٧٠٣، الحجري: المجموع، مجلد ١، ص ٣٧٠).

عظماً لهم، ودخل المخا وطلب لأصحابه خياماً يقيم خارج المخا^(١) فكساه صاحب المخا وخلع على كبراء أصحابه أيضاً ثم عاد إلى خيامه ويدخل ويخرج، فأخبرني حسين البيطار وكان من خدمهم وحاضراً ذلك في المخا وغيره أنه طلب من الباشا أن العسكر يلقون الباشا قانسوه فأمرهم الباشا مع وزيره الأمير عابدين صاحب المخا سابقاً.

قال: فتلكاً الأمير وكبار العسكر وقالوا: نخرج نحن والباشا معاً أو نقيم معاً، فانتهرهم الباشا ولما خرجوا من طريق زبيد لقصدتها مع الأمراء دخل هذا الكخيا إلى الباشا وبكى عنده وأخرج أمراً من قانسوه [/] بحبسها فأطاع الأمر وسارع، ثم لما صار في دار محبوباً تقدم جماعة ممن معه في الليل فقتلوه خنقاً وقبض جميع ما في المخا، واحتج عليه بما فعله مع حيدر باشا وأنه أغار لينصره، فقبض خزائنه، ثم إنه أغرى به العسكر وكذا ثم عاد بمن معه من الجند والخيل إلى زبيد والباشا قانسوه خارجها في الموضع المعروف بالحمى^(٢) الآتي ذكره إن شاء الله تعالى في أخبار حصار زبيد، وقد كادت الأرض تنهد من هيئته، فألقى الله سبحانه في نفسه على أصحابه بغضاً وفيهم كذلك، فإنه قتل منهم كما يروى^(٣) من مصر إلى زبيد أربعائة نفس وزيادة.

ومما أخبرني حاج صفة فقير أنه كان مع الشريف محمد^(٤) الحارث بن حسن رحمه الله وهو في الاعتقال، قال: فكنت أركب مطية بعده وأخالط مكان الباشا لظنهم أي من فقراء الصوفية وكذا، قال: فاتفق أن امرأة ممن تجلب اللبن إلى محطته وهو في المراوعة^(٥) صاحت بتركي من عسكره أنه شرب لبنها ولم يعطها ثمناً فأحضره فجحد ذلك، فقال لها الباشا: نفتح بطنه إن وجدنا اللبن فهو به

(١) المخا: ليست في (ب).

(٢) الحمى: والصحيح الحما: واد في شرقي زبيد مأتاه من غرب ميراب ومن الزراعي في شرعب ويصب شمال الخوخة بعد مروره من جنوب حيس.

(المقضي: المعجم، ج ١، ص ٤٩٦).

(٣) بعد كلمة يروى أضاف في (ب): حضر، وأسقط من مصر.

(٤) في (ب): أحمد.

(٥) المراوعة: من قرى تهامة المشهورة شرق مدينة الحديدة.

(الحجري: المجموع، مجلد ٤، ص ٧٠٤).

وإن لم قتلناك به فقالت: نعم فبقر بطن التركي فوجد اللبن وغير ذلك من إفراطه في القتل فأعان الله سبحانه عليه بفعله، ثم أرسل الله سبحانه عليهم في زييد المرض فمات منهم عالم كثيرون وأمراء وأعيان منهم ابن خبير وكان معه فيما بلغ بيرقان^(١) من خواص السلطان تحتها ثلاثة آلاف نفر وعين لهم السلطان حوالة منه إلى صاحب مصر لكل نفر منهم خسمين قرشاً من غير الجامكية فأرادوا قبضها في مصر، فاعتل عليهم أني لا أسلمها إلا بعد المسير لثلاثين يوماً بعد الأخذ ثم لا زال يعتذروهم حتى وصل مكة فطلبوه فقتل من تكلم منهم.

ولما وصل زييد وقتل الباشا عابدين ورأى كثرة عسكر اليمن مع الأمراء نسب إليهم الخيانة للسلطنة، وأوحش عليهم وعلى أمرائهم وكذا أصحابه قهروا الأولين فشكا أهل الخمسين القرش أصحاب السلطان وعليهم أميران أحدهما يسمى إدريس والآخر حمزة، ولهم محطة وحدهم على عسكر اليمن فقالوا: يقوموا معكم، فاجتمع الطائفتان أهل اليمن والواصلون من مصر والروم حتى تخلصوا [/] ما هو لهم من الخمسين الخمسين القرش، فلما صارت معهم قال أصحابه الذين معه من مصر: ولنا مثلهم فقاموا جميعاً حتى أعطوهم خمسين قرشاً لكل نفر ثم عسكر اليمن كذلك، وكان الجميع فوق ثلاثين ألفاً، فاستوحش من أمراء اليمن الذين يعرفون حروب اليمن، وجعل أمراء العسكر من أصحابه فكان ذلك من إعانة الله سبحانه بالمسلمين وكتابه الأسرار^(٢) من أهل اليمن فلم يكذبوا إليهم، وقال فيما بلغ: إن خدم خيامه يفعلون كذا في اليمن فكان هذا من لطف الله سبحانه ومما ساقه الله من النصر لأوليائه، وقد قتل الشيخ أحمد بن جعفر من بيت الفقيه ابن عجيل، وكان عيناً من علماء تهامة وكبرائها لمخالطته أصحاب الإمام - عليه السلام -.

وفي حيس قتل قاضيهما وعالمها لما زوج حي القاضي شمس الدين أحمد بن علي بن أبي الرجال رحمه الله وغيرهما، ثم قدم إلى حيس بنفسه وقد هال الناس عسكره وأمواله بحيث أنهم أخبروا عنه أن الطعامات على أنواعها والدقيق من مصر في محطته كالأكام وأقبل إلى محطته أسفال اليمن كذلك.

(١) بيرقان: مفردا بيرق، وهو العلم، ويرمز هنا إلى الفرق وكل فرقة لها رمز معين من الأعلام أو البيرق.

(٢) في (ب): الأغرار.

قال الفقيه الكاتب الأديب حسن أفندي ما لفظه: أخبرني من حضر محطتهم بالقرب من زبيد أنه كان سُمك المحطة قدر ثلاثة أميال عرضاً في طول ثلاثة أميال تحتوي على عالم جزيل تركاً وأرواماً ومن أهل الغرب ومصر، وتلك النواحي فإنه كان يضرب وقت العصر ثمانية عشر نوبة طبللاً وزمراً لكل أمير وكل أمير تحته جيش خميس خيلاً ورجلاً لا يحصر حتى ملأ الفضاء.

وأخبر غيره أنها يرتحلون إلا بسماع المدفع وكذا زبرطان لوقت الحسيك^(١).

وأما مولانا الحسن ومولانا الحسين رضوان الله عليهما فإنه لما صحح لهما وصول المذكور إلى اليمن جمعا عسكريهما وقد تقدم بعض صفة إعداد مولانا الحسن رحمة الله عليه.

وأما مولانا الحسين فجمع عسكريه إلى ذمار ثم انحدر إلى بلاد عتمة ثم وصاب واستقر فيه، ولا علم لعامة هذه البلاد المذكورة لموجب وصوله إليها فإنه قدمها قبل ظهور هذا الطاعني ووصوله إلى تهامة اليمن، فهابه أهل الجهات المذكورة [/] وانسوا به وقطعوا بالنصر لما رأوا من جنوده الطائفة المتجردة للجهاد وكانوا زهاء من ألفين وهو يخدم مع ذلك.

وأرسل إلى جهة برع^(٢) الشيخ عامر بن صلاح الصائدي بعسكر للاحتراز^(٣) على تلك النواحي فحفظ ذلك المكان ولم يكن من عنده إلا السار.

وقد تقدم ذكر وصول السيد هاشم إلى ربوع المرباه^(٤) من أسفل وصاب، فلما قرب الباشا طلع إلى سوق الأحد وبقي فيه وكان في وصاب الأسفل عسكر من قبل الأمير سنبل رحمه الله أيضاً فصار العسكر في سوق الأحد مما يدنو من الألف نفر والخيول زيادة عليها، فاستقرت الأمور.

وكان وصول مولانا الحسين رحمه الله في أول شهر جمادى الأولى سنة تسع وثلاثين إلى الدن^(٥)

(١) لوقت الحسيك: وقت علافة الخيول.

(٢) بُرع: ناحية وجبل معروف من الجبال المشرفة على تهامة، وجبل برع واسع وفيه العديد من القرى والحصون والعزل المعروفة، ويزرع في بُرع البن والحبوب والزنجبيل والموز.

(الحجري: المجموع، مجلد ١، ص ١١٥).

(٣) في (ب): احترازاً.

(٤) في (ب): المرثاه.

(٥) الدن: قلعة في وصاب العالي وتسمى قلعة نَعْمَان.

(المقضي: المعجم، ج ٢، ص ١٨٧٣؛ الحجري: المجموع، مجلد ١، ص ٣٣٢).

بوصاب، ثم إن السيد هاشم قصرت عليه المواد لأصحابه لأن مولانا الحسين رحمه الله لم يتعرض لشيء من وصاب بل عول على ما عندنا في عتمة فكان تنساق إليه الكفاية من الطعام مع القليل من ريمة لفنقة عسكره، وحسيك خيله وكثرة من يرد عليه ويلازم خدمته، وكذا السيد هاشم لم يتعرض لشيء لرعاية جانب الأمير سنبل أيضاً، فصعد إلى وصاب الأعلى، وكره له مولانا الحسين ذلك كثيراً وهم به كما بلغ ثم إنه تلقاه وأطلعه إلى عنده إلى الدن في أصحابه، وأرسل من عنده السيد جمال الدين علي بن الحسين المحرابي رحمه الله وابن عمه السيد أحمد بن عبد الله المحرابي في نحو خمسمائة نفر إلى سوق الأحد عوضه.

وأرسل الأمير سنبل إلى سوق الأحد أيضاً الفقيه المجاهد معوضة بن محمد الحماطي رحمه الله في عسكر فكان هنالك ووال من قبل الأمير سنبل في موضع يسمى المصباح مشرفاً على تهامة في عسكر كذلك.

ولما صح لمولانا الحسين رحمه الله تجهز المحاط إلى جانب^(١) اليمن استعان الله سبحانه وجمع عسكره وترك السيد هاشم في الدن مع وال من قبل الأمير سنبل وهو عبد الهادي بن عفان الثلاثي، وخرج إلى اليمن مغيراً وكتب إلينا وطلب غارة فلم يحصل المقصود وأمرنا بالإطلاع على وصاب والسياق إليه ما يلحقه من مواد ريمة بمعنى أن علينا إيصال ما وصل من المواد والأخذ لولاتها جوابها فقط، وصار مغيراً على صنوه الحسن رحمه الله [/] وقطع القفر، ثم انتهى إلى بلاد حيس، ثم لحق بأخيه إلى جبل الزواقر^(٢) المشرف على بلاد شرعب^(٣) وحيس.

وأما مولانا الحسن رضوان الله عليه فلما صح له ذلك وقد جمع عسكره في إب كما تقدم،

(١) جانب: ليست في (ب).

(٢) الزَوَاقِر: من قبائل الركب من الأشاعرة وهم سميت قرية كبيرة شمال مدينة تعز.

(المقضي: المعجم، ج ١، ص ٧٥٠).

(٣) شرعب: واد في الغرب الشمالي من تعز، وهو واد خصيب يزرع البن والفواكه والخضروات وهو مديرتان: شرعب السلام، شرعب الرونة، ومن قرأه: الأحجور، القفاعة، أيفوع، الأمجود، بني سبأ، العَسَيْلَة، بني وصبان، الرعينَة، بني الحسام، جبل الأسد، الهياجم، الزغارير.

(المقضي: المعجم، ج ١، ص ٨٥٩).

وتأهب لعدوه، أمر بالمضارب تضرب والخيام تنصب خارج مدينة إب، في موضع يسمى الظهار، وبقي فيه حتى استتب له ما ينبغي، ولما بلغه قرب الباشا كتب إلى الأمير سنبل وهو في مدينة حيس كما تقدم بمحطة قوية وإلى الأمير الهادي بن مطهر بن الشويح وهو في محطة خيلاً ورجلاً في موزع كما تقدم، وأمرهما بالخروج في يوم عيَّنه فثاقلاً كما بلغ يومين، فأرسل السيد عماد الدين يحيى بن لطف الباري رحمه الله في نحو خمسمائة نفر من خواصه رضوان الله عليه يقف للأمر سنبل في أسفل الجبل المشرف على حيس ليكونوا له رداءً مخافة أن يلاحمه العجم، فلا يقدر مع قوتهم لمقاومتهم في تهامة، وقد وقع في نفسه كثير من تأخر الأمير، وأرسل عسكرياً من يفرس والشيخ عبد القاهر بن مغلس من الحجرية للقاء الأمير الهادي كذلك إلى أسفل وادي الغيل، وخرجا كما أخبرني من شهد خروج الأمير سنبل أنه أمر أصحابه بالخروج قبيل زبيد وأوهمهم أن ثم قاصداً لهم فلما عسكروا خارج البلد وأقام صفوفهم أمر بالارتحال إلى الجبل حتى لم يبق منهم أحد ثم لحق، وإنما فعل ذلك احتياطاً ممن قد خدم العجم من العسكر لا يتغفلون في البيوت، ويتخلفون عنه ويلحقون بهم والأمير^(١) فعل ذلك كما بلغ.

وصار الأمير الهادي في يفرس بمن كان معه في موزع والأمير سنبل أحط في أعلا بلاد المطاوفة بموضع يسمى مجرز، وعاد السيد يحيى منفرداً إلى مولانا رضوان الله عليه وبقي العسكر عند الأمير، وقد أخرج العجم من حيس محطة عظيمة لتكون في طريق بلاد المطاوفة والعدين إلى خارج حيس، فخافوا من تفرق عسكرهم فرجعوا وخرجوا طريق السنانية مما يقرب من حيس، وقد ملأوا العيون بكثرة جنودهم وأمواهم، وفي محاطهم الحبوب من مصر على أنواعها كالجبال، فأمر مولانا الحسن رضوان الله عليه بالارتحال للقائهم وكان أول عسكره فلا زال حتى صعد جبل الزواقر من بلاد ذي السفال جبلاً مشرفاً [/] على بلاد شرعب وحيس، وقد قوي تعز بالرجال والخيل مع الأمير الحسين بن عبد الرب وغيره واستقر في موضعه وعيونه عليهم.

ووصله مولانا الحسين رحمه الله إلى الزواقر كما تقدم وكانت محطتهما متقاربتين، وقد

(١) ظن في (ب) بعد كلمة: الأمير الهادي.

عظم على العجم حفظ الجبال فلا يقدرّون على الصعود ولا رضي لهم الباشا الرجوع وقد خرجوا من حيس كالجراد المنتشر محطة إثر محطة، عليهم وزيره المسمى يوسف كخيا، وقد جمع مولانا الحسن رضوان الله عليه ولاية اليمن ومشاخها وأهلها وجعلهم محاطاً ولم يطلبهم بشيء من المعاون غير الجهاد، بأنفسهم لوجهين:

أحدهما: تكبر^(١) نفوسهم ويقولون: طلبنا للجهاد من جملة الزيدية وأصحابه ولحفظهم لا يحدثون والعياذ بالله حدثاً، وهذا من تدبيره النافع فكانوا سواداً كبيراً، ولما عرف أن طريقهم جاءت واحدة إلى نجد الدار وأعلى وادي الحنا من طريق تعز أمر بالمحطة أن تلحقه، وأمر إلى الأمير سنبل أن يصير إلى أعلى بلاد شرعب، فصار إلى موضع يسمى الصعيد وتقدم مولانا الحسن في خيله وكانت نحو أربعمئة فارس، وقد أمرهم بأن يلبسوا دروعهم وترك على العسكر عيوناً ورؤساء. وكان أول خيله حتى أشرف على تعز من طريق الزغارير^(٢) فراعهم كثيراً، وظنوه من العدو فاغلقوا الأبواب ثم عرفوه فضحك معهم وأنسهم وجعل ذلك رياضة لهم، وتأكيذاً عليهم في الاحتراس ثم تلاه مولانا الحسين رضوان الله عليه بأصحابه، فكان جانباً وهو رحمه الله يخلو برؤساء اليمن رجلاً رجلاً يأمرهم بالكتب إلى الباشا ويستعجلونه الطلوع ويكثر من ذلك للمناجزة^(٣) لكثرة من اجتمع عنده ويحتاج لهم الأموال، وقد رفع المعاون من اليمن لما تقدم من التدبير وقد شاع في البلاد أن هذا الطاغية نقوده أكثر مما في المحاط الإمامية من الطعام، فخاف من شرار العرب مما قال رحمه الله: رأيت في الحوض الأشرف من ضعفاء اليمن الذين يجلبون إلى المحطة اللبن والعلف وغيره عليهم ثياب جديدة وعليهم أثر أول النعمة وكنا رأيناهم كما تقدم في حصار تعز على غير ذلك فقلت: الرجاء في الله سبحانه أن هؤلاء الضعفاء قد نالتهم المشقة وسوء الحال وهم في أول نعمة فما يبدها الله [/] على أول ما أعطاهم هي أو كما قال.

ولما طلع العجم إلى نجد الدار وقد ملأوا الأودية والعيون عليهم والكتب تترى على يديه

(١) في (ب): تكبير.

(٢) قرية الزغارير: في شرعب شمال تعز.

(٣) للمناجزة: للتأهب عند إعلان الحرب.

من أعيان اليمن باستعجالهم بلغ طلائعه أنهم رأوهم صعّدوا وادي الحنا فأمر السيد العلامة الأفضل المجاهد محمد بن أحمد بن أمير المؤمنين والسيد الفاضل المجاهد أحمد بن هادي بن هارون في سرعان أهل الشام وكانوا نحو ألف وخمسمائة بالمسير إلى سوق الربوع موضعاً هنالك يحفظونه وقال: إن صح طلوعهم أوقدوا ناراً يراها صاحب الحصن في تعز وهو الفقيه علي بن محمد الحماطي وأنه ولاه حصن تعز لما فتحها وقال هذا الذي حبسوه فيها يتولاها، فبات السادة في ذلك الموضع فأوقد العسكر النار يصطلون عليها ويصلحون بعض شأنهم، فضرب صاحب تعز بالمدفع وكانت الأمانة بملازمتهم الحرب.

قال الشيخ صلاح بن قاسم الكلبي وهو أحد رسله إليه بالمدد وكان خرج جانب الحوبان -يعني مولانا رضوان الله عليه- فأخبروه بسماع الأمانة، فعاد ثم طلب وجوه الناس إلى باب الوطاق، وهو على كرسي وقال للمنادي وهو الحاج عامر دوشان: «ناد في أهل هذه المحطة أني لهم البشير إن شاء الله بالنصر على هذه الفرقة الطاغية، التي ما في المائة نفر منهم واحد يقول لا إله إلا الله»، فعبى أصحابه وقسمهم مع راياتهم وأهلها وكان أولهم غارة حتى قدم إلى عند مقدمته فوجد ذلك خيالاً كاذباً وأنهم لم يجسروا على القدوم فأمر بأثقاله ومضاربه أن تُلحق به ومولانا الحسين رحمه الله وصل، وكان محطة وحده في جانب وأمر بالأسواق وكثير البيع والشراء وما يقوم بالعسكر، ولقد لحق من تعز النسوان للبيع والشراء فجعل هن سوقاً منفرداً لا يخالطنهم غيرهم والقلوب من غالب اليمن سماعاً منهم مائة إليه يفدون بأنفسهم.

ولما رأهم لم يجسروا على الطلوع وقد احتاط بعمارة أكيدة في مجمع الوادي تقطع خيلهم من الغارة وباشر العمارة بنفسه وعسكره ولقد رأى بعض من أخبرني أن الدم يسيل من يده من مباشرة الحجارة، وقد أمر الأمير سنبل أن يقف في جانب من أعلى شرعب يسمى نجد مخيرب^(١) في قرية أقرب إليه وأمر الأمير الهادي^(٢) ومن كان معه في يفرس وأهل الحجرية في

(١) نجد مخيرب: موضع بالقرب من زبيد جرت فيه معركة بين الجيش الإمامي والعتنانيين سنة ١٠٣٩هـ / ١٦٢٠م، فر على إثرها القائد العتاني إلى زبيد مذعوراً.

(د/ سيد مصطفى سالم: الفتح العتاني، ص ٤٠١).

(٢) زيادة في (ب) فوق كلمة: الهادي (بن الشويح).

جانب [/] مما يلي جبل حبشي^(١) بالقرب من مولانا رحمه الله.

وأمر الأمير الحسين بن عبد الالرب أن يعود إلى مدينة تعز وكتب له نسخة إلى الباشا والكخيا يخبرهم أنه قد لزم تعز وأنهم يبادرون الفرصة، وكان رحمه الله يشدد الناس فيما أظن أنه يخبرهم أنه المستدعي لدخولهم إلى المواضع الضيقة ليتمكن من قتالهم كما كتب إليّ بمثل ذلك إنا جعلنا من يستعجلهم لنا لهذا الغرض، فإذا بلغكم وصولهم إلى هذه المواضع من غير حرب فليس لضعفنا وقوتهم أو كما قال رضوان الله عليه.

وأقاموا في نجد الدار إلى ثاني عشر من شهر رمضان المعظم وضاق بهم الحال، وعرفوا أن الطريق قد حفظت، فعادوا من طريق شرعب وقد صار إليهم بعض مشائخها وقبيلة يسمون حمير، وأرادوا يخرجون من طريق^(٢) نجد مخيرب ثم منها إلى بلاد تعز وارتحلوا وهم كالبحر وتركوا على آخرهم في مكان يسمى الشيخ عيسى^(٣) الأمير عابدين من عظمائهم في ثمانمائة قصبه^(٤) بندق وماتني فارس بحفظ الطريق ولا يظنون أن أحداً يقرب منه لبعده من عساكر الإمامية.

قال الشيخ المجاهد صلاح بن ناصر بن مفضل الحيمي: وكنت عند مولانا الحسين رحمه الله في آخر نهار وهو يُعد للعسكر أرزاقهم، وكان غالب العدد ذهباً أحمر، فوصل تركي سباه من فرسان الأمير سنبل رحمه الله كأنها انغمس هو وفرسه في الماء لكثرة العرق عليه وعلى حصانه وقد كاد يتلف من التعب فسلم وأخرج خاتم الأمير سنبل وقال: اشهدوا بوصولي وهذا خاتم الأمير، ثم أخبر بأن الأمير قد دهمه ما لا قبل له به.

قال: فأخذ مولانا الحسين رحمه الله ملء القلم ولم يقطع عمله وكنت قائماً أنظر ما حرك به قلمه، فقال: يا صنو حسن حفظك الله وصل فلان وقال كذا، فبادر التدبير أو كما قال،

(١) جبل حَبَشِي: جبل غرب حصن العروس المطل على مدينة تعز، يفصل بينها وادي الضباب ويسمى قديماً (ذخر).

(٢) من طريق: ليست في (ب).

(٣) الشيخ عيسى: ويطلق عليه بنو عيسى، مركز إداري في جبل حبشي، محافظة تعز.

(المقحفني: المعجم، ج ٢، ص ١١٥٤).

(٤) قصبه: ليست في (ب).

وأرسل رجلاً سماه من أهل الخفة وأمر من ينظر حال وصول رسوله الحركة.

فلما وصل مولانا الحسن رضوان الله عليه الخبر أرسل من فوره الشيخ الرئيس علي بن شمسان والقاضي شمس الدين أحمد بن عامر وغيرهم وغارة أكثر من نحو ألف نفر إلى الأمير سنبل، وبقي منتظراً لما يأتي.

ذكر وقعة نجد مخيرب^(١)

ولما وصل العجم إلى أسفل نجد مخيرب [/] وشرع أولهم يتعلق العقبة^(٢)، وقد وصل الخبر إلى الأمير سنبل، فأرسل صلاح آغا من أهل قرية القابل^(٣) ونحو ثلاثمائة نفر ينظرون الخبر، فوجدوهم في أسفل العقبة فلازموهم الحرب فظن العجم أنهم كثيرون وما ثم غيرهم، وقد أرسل أصحاب الأمير إليه فأغار بنفسه ومن معه وأحربوهم حرباً هائلاً كاد العجم أن يظفر عليهم.

مما أخبرني الأمير سنبل من فيه، قال: وجدت مجال خيلهم في ثلاث فرج أحدها: كبيرة واثنان صغيرتان، فلزمت أحد الصغار وقلت: وهذه الكبيرة على الله سبحانه جعلتها عهدة مولانا الإمام قال: فكنا في شدة ولا نظن أن لنا منجى إلا ووصل الشيخ علي بن شمسان والقاضي أحمد بن عامر ومن معها فقالوا: أين نكون؟ قال فقلت: عندنا نحفظ هاتين الصغيرتين قال: وأعماهم الله عن الفرجة الكبيرة ثم اجتمعنا فدافعناهم دفاعاً لا مزيد عليه وقد قتل منهم كثيرون، قال: فنصبوا خيامهم وأقاموا فإذا خيامهم مد، البصر وقد هال الناس ما شاهدوا وكنا في شدة أعظم من الأولى،

(١) نجد مخيرب: هي المعركة التي دارت في الموضع ما بين زبيد وتعز، وتم فيها هزيمة العثمانيين وانسحابهم إلى زبيد والمخا وتحصنهم في هاتين المدينتين حتى تم خروجهم من اليمن.

(٢) العقبة: مفرد عقبات الجبال، والعقبة طريق في الجبل الوعر، والعقبة الجبل الوعر.

(ابن منظور: لسان العرب، ج ٩، ص ٣٠٦).

(٣) قرية القابل: هناك الكثير من القرى التي تحمل نفس الاسم، ولعل أشهرها قرية القابل في بني الحارث شمال صنعاء وهي ضمن المراكز الإدارية الأخرى مثل ثقبان وذهبان وعلمان.

(المقحفني: المعجم، ج ٢، ص ١٢٣١).

فوصل مولانا الحسين رحمه الله فقال: أين يكون محطنا؟ قال: فقلت مغربة الإمام ما لها غيرك، قال: فتقدم بأصحابه إليها فملاها ثم أصبح العجم يوم ثاني يحملون للطلوع ووقع أمر ليس بالهزل وقاتل الناس قتالاً شديداً، واستشهد من أصحاب مولانا الحسين جماعة ومن سائر المجاهدين وأصحابنا جماعة وهز مناهم إلى مواضعهم، وأعانتنا الله سبحانه عليهم بعدم مجال الخيل ولا سعة للمقاتل إلا من طريق واحدة.

وأما مولانا الحسن رضوان الله عليه فلما أرسل الغارة إلى الأمير سنبل ووصلته العيون بخبر هذا الأمير الذي في الشيخ عيسى وما عنده من الأثقال استعان الله سبحانه وتعالى وقصده بنفسه الكريمة ووصله أعني الأمير عابدين سرعان العسكر الإمامي، فخرج يقاتلهم بنفسه وأظهر شجاعة، فاستشهد من المجاهدين ما يدنو من العشرين النفر منهم الشيخ قاسم بن محمد بن روكان الشامي الخولاني، ووصل مولانا بنفسه فأغارت خيله فهزمتهم، ودافع عنهم أميرهم فأصابه بندق، ووصله سرعان المجاهدين فاحتز رأسه الشيخ المنتصر [/] الطهيف الصريمي كما أخبرني مولانا الحسن رحمه الله مكاتبة في خط البشري، وأن الشيخ المنتصر الصادر الذي احتز رأس الأمير المذكور فانتهب سلبه الحاضرون واستولوا على المحطة وقتلوا من فيها لم ينج منهم من يعرف، وحمل المسلمون الغنائم الواسعة وعادوا منصورين، وأمر مولانا الحسن رضوان الله عليه لمولانا الحسين رحمه الله بسنجد^(١) هذا الأمير، وكان عظيماً مكتباً بالذهب ومعه آلة الوطاق^(٢) له شبه اللحية على قناة تامة منصوبة عند السراذقات وأمر للأمير سنبل بالنوبة التي يضرب له بالآتها وأهلها وهم أربعة وعشرون فارساً وهي التي تسمى (طبول خانة رومية) وأمر برأس هذا الأمير إلى تعز وأن ينصب هنالك، فلما رأوا السراذق وسمعوا النوبة خافوا وخالطهم الفزع والجزع والهلع.

(١) السنجد: العلم الكبير وكان من قماش حرير يرفع على رمح عند الأتراك، ثم تغير منذ عهد السلطان محمود الثاني وأصبح السنجد عبارة عن تشكيل إداري في السلطنة.

(د/ حسين المصري: معجم الدولة العثمانية، ص ١٠٨).

(٢) آلة الوطاق: الوطاق الخيمة المنقلة (تركية).

(المنجد، ص ٩٠٦).

وأخبرني الحاج علي بن طاهر الظفاري خادم مولانا الحسن وأحد حجابيه، أنه أمر بضرب أعناق جماعة من الأسرى بعد العود وكانوا ستة وعشرين رجلاً ممن قد خان مراراً ونكث أسفاراً.

ثم إن مولانا الحسن رضوان الله عليه جعل رتباً حيث تحفظ نفوسها من القنن المرتفعة لأجل الطريق تنساق إليه وأبقى في المحطة الأمير حسين بن عبد الرب وجماعة كثيرين من الرؤساء أصحاب مولانا، وتقدم بجمهور أصحابه حتى انتهى إلى جبل حمير معروف في شرع من ورائهم، وعلا عليهم وهم كما وصفنا قريباً من مد البصر، كان إذا أمر طاغيتهم بالتعشيرة فكأنها الجبال تصك بعضها بعضاً والرعود التي لا تنقطع، وقد ألقى الله سبحانه البشري بالظفر بهم وفي قلوبهم الوهن، فلما قاتلهم رضوان الله عليه من خلفهم وقد قطع مادتهم التي من حيس فلا يأتيهم إلا القليل من بلد الشيخ سعد الحميري الشرعي كما تقدم، ثم خيم في ذلك الجبل وعشّر بالبندق والزبارط^(١)، وأجابه مولانا الحسين رضوان الله عليه والأمير سنبل وكذا الأمير الهادي وأهل الحجرية وجميع الرتب، والحرب عليهم ليلاً ونهاراً من الجهات الأربع وهم في مرتفع وفي بطون أودية وفي أسفل الجبل الذي في نجد مخرب وفي قرى من بلاد الشرعي، [/] ولما قرب عيد الإفطار وصلت غارة من الحدا وقد أمرهم بالوصول فوصل الشيخان الرئيسان عمر بن علي بن فلاح وزيد بن أحمد بنحو ألف نفر ومائتين، ولما وصلوا إلى مولانا لم يجد لهم خياماً ولا ما يقوم بهم والأسواق خالية وإنما عليهم البيع من العسكر إلى متارسهم.

فأخبرني غير واحد ممن حضرهم أن مولانا لما سلموا عليه وأثنى عليهم كثيراً اهتم بمواضع لهم يقلون فيها فقال مشائخهم: يا مولانا الحدا ما هم من أهل المراكزة^(٢) بل تأذن لنا بالحرب وندخل المراتب، فأذن لهم فحملوا على محطة قريبة من الأمير الهادي وأصحابه وحصل أمر ليس بالهزل، وقد رأى الحدا الطمع في أيدي بعضهم بعضاً، فلا زالوا حتى استولوا على تلك المحطة فانتهبوها وقتلوا هم وأصحاب الأمير الهادي ومن لحق بهم من أصحاب مولانا الحسن رضوان الله عليه وهو واقف ينظر إليهم ويمدهم، وعظم الأمر

(١) الزبارط: سبق شرحها.

(٢) في (ب): المراكز.

فأرسل السيد العلامة محمد بن أحمد أمير المؤمنين رحمه الله، ثم ركب في جماعة من فرسانه فكان رداء لهم والحرب على حاله في جميع المراتب، فقتلوا من العجم نحو أربعمائة نفر وفر الباقون إلى محاطهم المتكاتف، وقد قتل من الحدا فوق خمسين نفرًا ومن غيرهم مثلهم أو قريب، ثم حملوا في الليلة القابلة على مرتبة أخرى فقتلوهم جميعاً وأمسوا عليهم، وكذلك عند مولانا الحسين رحمه الله كما أخبرني رضوان الله عليه مكاتبة أن قال: صدرت وأماكننا متارسنا ولا بيننا وبين عدونا إلا مقام السيوف والبنادق أو كما قال.

وأخبرني أحد رسلنا إليه رضوان الله عليه أنه خرج إلى أصحابه بورقة كبيرة مكتوبة بخطه، فقالوا: ما هذه؟

قال: وصيتي من كان مني وعلى عزي متي فليكتب وصيته، ولا نبرح من هذا المقام إلا وعدونا^(١) أو نحن للطيور والسباع أو كما قال.

وأنفذ إلى عندي مع الرسل ببعض وصية له - سلام الله عليه - وعهد إلي أن أقبضها لأهلها وأبريه منها سلام الله على روحه الطاهرة.

ولما رأى هذا الأمير يوسف كخيا الأمر العظيم جمع أمراؤه وكبراه وقد كادوا يهلكون من الجوع، ولم يبق عند باشتهم من يهزم به جيش الحسن ويدخل له المدد [/] وإنما كان في هذا الوادي زرع حاصل من زرع الهند المعروف، فكانوا يقتاتونه فأجمع هو وإياهم على الهرب من حيث دخلوا، وقد عرفوا أن مواضع مجال الخيل ما فيها من الرتب الإمامية من يمنعه، فأمروا محاطهم المقاربة لمولانا الحسين رحمه الله بالتقدم للحرب بعد العشاء الآخرة، ثم أخذ ما قدر عليه وفر بنفسه ومعه من أمكن فعرف ذلك أصحابه المقابلون لمولانا الحسين رضوان الله عليه فخاطبوا مولانا الحسين رضوان الله عليه وطلبوه الأمان، فأمن من وصل منهم حتى كثروا، وكانوا نحو ألف وأربعمائة وخرج إلى محطة سنبل كذلك وفيهم من يخاف مولانا الحسن رحمه الله لما وقع منه من الغدر واستجاروا به، ولما كثر المستأمنون في الليل أمرهم مولانا الحسين رضوان الله عليه أن يكونوا

(١) في (ب): وعدونا لنا.

خارج محطته احتياطاً لا يكاد أنها معمولة غدر.

وأما مولانا الحسن رضوان الله عليه فإنه كما أخبرني ببعضه من فيه ، وأخبرني أصحابه ورسلي المترددون إليه بالإمداد كلهم ما معناه أنه تأكد على أهل المراتب وقد استبشروا بالنصر من آخر الليل فما أفرعه إلا وصول القاضي الأعلم حسن بن علي الأكوغ وكان ممن هو في جانبه بأن دخل عليه أول طلوع الفجر، وقال: الكخيا والأمرء هربوا وقد غنم الناس ما في المحطة مما لا يحصى أنا معي ومع أصحابي فسطاط وما فيه وخيام لبعض الأمرء، ومع السيد محمد بن أحمد بن أمير المؤمنين فسطاط الكخيا وقد قتل الناس ما أمكن.

قال رحمه الله: فلمته وغيره بعدم إخباري لا يفوت بالهرب، ثم قام من حينه وصلى الفجر واعتجر على درعه وأخذ سلاحه وهو يصيح بأعلى صوته من فاته الطمع فليلحق بي، فخرج في نحو خمسين رجلاً ودون العشرين الفرس، وأخذ دليلاً ولحق من طريق أخرى حتى صار من محله الأول بأكثر من مسافة البريد.

قال رحمه الله: فقال لي الأمير عبد الله بن منيف بن ناصر الجوفي أما خيلنا في هذا اليوم ذهبت مما لحقها من التعب، قال قلت: إذا أوصلتنا إلى عدونا في هذا اليوم فهي حرة أو كما قال.

وأخبرني الشيخ سعيد بن راشد النهمي قال: كنت أتقدم أمامه أعلو الهضاب مخافة عليه لا يقع فيما لا يقدر عليه، [/] فرأيت جماعة منهزمين منهم فقدمنا لهم وقتلناهم عن آخرهم، ثم علونا هضبة فرأينا الكخيا قد ملك قاعاً أفيح فمال على مولانا رضوان الله عليه أصحابه يكفونه عن لحوقهم وإذا بصائح يقول: بعدكم القوم بعدكم.

قال: فملنا إلى جانب من الطريق وموضع للزراعة وإذا هو الأمير مصطفى صاحب صنعاء في نحو أربعمئة نفر وفوق العشرين الفرس، فتلقاه مولانا الحسن رضوان الله عليه، والأمير عبد الله بن منيف، والسيد هادي بن صالح، والسيد محمد بن عبد الله بن مطهر بن الإمام شرف الدين عادت بركاته.

قال مولانا، فقلت له: كن أسيراً، فقال: ما هي عادة، ورمي حصان الأمير عبد الله ورمي هو بنفسه فأصيب أصواباً ووقع الطعن فقتل ذلك الأمير واحتز رأسه.

قال رحمه الله: فأخذت جماعة بنادقهم في أيديهم وجعلتهم ورائي وقلت: هؤلاء طمعي للعجز عن قتلهم لقللة أصحابنا، فقلت له: أتراهم عرفوك؟ فقال: لا علم لي، ثم أمر بالقبض على سلاحهم وساقهم أسرى وعادوا، فإذا طائفة أكثر من الأولى مع أمير يسمى محمود بيك، فخاف مولانا منهم كثيراً لضيق الوادي فمال بأصحابه جانباً حتى جاوزهم أولهم وثاروا في آخرهم فقتلوا منهم كثيراً وهو أول طاعن فيهم ولا يحصى من قتل في ذلك اليوم بل يصفون ذلك بالكثرة، وانقطع جماعة من ممالك الكرخيا وعليهم السلاح الحسن ممنطقين بالمنطقة وملكهم، وقبض أيضاً على ابن الأمير إبراهيم صاحب زييد وهو من عظمائهم، وظنه مملوكاً ولا عرف أنه ولده إلا بعد وصوله تعز، ثم قدم إلى قريب من الشيخ عيسى وقد ثقلت يده هو وأصحابه من الغنائم ووجد جماعة فأمر بضرب أعناقهم وضرب فيهم أيضاً وقعدت تحت شجرة يأكل طعاماً والأسرى يمرون عليه فعرف فيهم حاجاً من ظفار داود، كان يخدم القاضي يحيى المخلافي وهو على توحشة في بلاد خولان.

قال: فسألته ما أوصله إليهم وعرف أنه معهم يكتب فضربه ضربة كان بها حتفه، ثم درك بالأسارى، وكتب إلى مولانا الحسين رضوان الله عليه أنه يلحق به إلى تعز وقد أخرجته الطريق إلى سوق الربوع، ثم إلى تعز وافاها كما أخبرني رسولي بالضيقة والدفعة [/] الشيخ أحمد بن صالح الجعري الأنسي وكنت قلت له: تجد مولانا في تعز المدينة إن شاء الله تعالى وقد أظهره الله على عدوه، وهذا الخط إليه أنه إذا كفى الله هذه الأهوال تفضلتم بالإذن بالوصول فأنا في عناء من خوف أن يحدث في المغارب حدث يشغل المسلمين ولو بقطع المواد، فكنا لا ننام لأجل ذلك ولا نكاد نطمئن إلى أحد، وقد كثرت الأراجيف^(١) فقال: وصل نحو نصف الليل فكنا أول داخل عليه في الليل، وأخبرناه أن معنا دراهم وغنماً وسمناً كثيراً، قال: فرأيت فرح بالغنم لأجل الغداء، وأمر في الليل أن يحصلوا ما أمكن من صباط^(٢) العيد.

قال: وهو يحدث بما فتح الله بنحو ما تقدم لمن وصله ويتسم كثيراً ويمجد الله سبحانه

(١) الأراجيف: الرِّجْفان الاضطراب الشديد، رجف الشيء رجفاً وأرجف خفق واضطرب اضطراباً شديداً.

(ابن منظور: لسان العرب، ج ٥، ص ١٥٣).

(٢) صباط العيد: الموائد التي تقام في العيد للجند ولعمامة الناس.

ويثني عليه، إذ اندفع شريف تهامي قارئ القرآن حسن القراءة ، وافتتح بقراءة سورة الأنفال قال: فرأيته رحمه الله وقد سكن واطمأن حتى وصل قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِبَصَرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [:].

قال: فرأيته سلام الله عليه يصوب رأسه وقد صغر ولا تكلم بعدها، وأعطى ذلك الشريف أظنه قال: عشرة قروش أو حروف، ثم قام من حينه.

قال: ووصل جماعة المماليك الذين غنمهم، منهم محمد بن الأمير أحمد عيون، وكان هذا أحمد عيون من عظماء الروم وكبارهم أحسنهم صورة فيما بلغ وكان والياً على تعز المدينة وله هذا الولد صار إلى المخا بما لا أدري ثم طلع معهم وكان له في بيتهم في تعز أختان يضرب بجاهلها في تعز المثل، وكان في نفس مولانا أن يتزوج إحداهما فلما رآه في الأسرى في الليل أحسن إليه وكساه وأركبه وعقد على المرأة المذكورة كما بلغ في تلك الليلة. وأصبح يتلقى المحاط ويقررهما في الحوض الأشرف ويعرض عليه الأسارى وقد حمل الناس من الغنائم على أنواعها مالا يحصره قلم ولا يحفظه حساب، فإنها هم وتلك الغنائم مثل الزراع حال يحملون زراعتهم مع كثرتها وقتهم، وكاد الناس أن يخرجوا من عقولهم مما رأوا مما لم يحتسبوه ولا يعرفوه.

ونذكر طرفاً من جمل ذلك [/]: من ذلك أن الصنو السيد المقام المجاهد عز الدين محمد بن عامر رحمه الله قال لي في مدينة إب: أريك بعض ما فتح الله به؟ فقلت: نعم، فقال: هذا المال إما نقداً أو خيلاً أو سلاحاً ثم كل نوع على أنواعه، فقال نريك ما يرى هذا معنا من الخيل عشر منها شميلية^(١) من خيل مكة وهذه من نوع كذا وهذه من كذا، ثم السلاح على أنواعه، ثم الأثاث على أنواعه من الطنافس^(٢) والإستبرق^(٣) والجوخ^(٤) على أنواعه، ثم

(١) شميلية: لعل المقصود بها شملة، وشمال وشمال أي ناقة خفيفة سريعة مشمرة.

(ابن منظور: لسان العرب، ج٧، ص٢٠٤).

(٢) الطنافس: مفردتها طنفسة وهي البسط (الحصير) والثوب (فارسية). (المنجد، ص٤٧٤).

(٣) الإستبرق: الديباج الغليظ، فارسي معرب، وتصغيره أْبْرُق.

(ابن منظور: لسان العرب، ج١، ص٢٨٤)..

(٤) الجوخ: زي من الصوف والحريير ويرتديه الرجال فوق الثوب.

أقسم بالله ما أعلم أني أسمع بشيء وما صار إلي منه أعلاه ومما ليك. وكذا السيد محمد بن أحمد بن الإمام الحسن صار إليه وطاق الكخيا^(١) وما فيه ثم فلان وفلان بحيث أنما يحصى، وأن بعض السادة لا أعرف له ما يقوم به فوجدت معه ست خيام وسبعة جمال موقرة من كل شيء من جملتها ثمانية عشر سنجقاً بثمانية عشر جوزة مذهبة، وكذا من الكمخ^(٢) وغيره وأخذ الخمس من كل بما احتاط عن نفسه.

وأما مولانا الحسين رحمه الله فلما صح له أن الذين لجؤوا إلى محطته وإلى محطة الأمير سنبل لم يستأنوا إليه إلا لما خلفهم طاغيتهم وهرب عنهم فأمن رؤوسهم وأخذ سلاحهم، وترك لأصحابه أثقالهم وما في أيديهم غنيمة.

وأما الأمير سنبل فاحتاط بأن حفظ عسكره لا يتفرقون فغنموا قليلاً مما قرب منهم دون ما بعد، فكان ما معهم أقل من غيرهم، وغنم أهل اليمن والنسوان ما لا يحصره حساب لسعة القوم وتفرق الأودية، وصار القبائل الذين يقربون من الموضع يدورون في الشعاب والشواحق فيجدون كثيراً، وأما القتل فاشتغل الناس عنه بالغنائم فلا يُحصَر وأتوا بالكثير أسرى ولا يعرف قدر القتل لتفرقهم في الأودية، ورأيت في كتاب الإمام -عليه السلام- إلى الشريف مسعود بن إدريس أن عدة القتلى خمسة آلاف أو ستة آلاف كما تراه إن شاء الله في كتابه وأبدل الله سبحانه هذا اليسر العام بعد الشدة التي لا وراءها.

قال مولانا الحسن رضوان الله عليه: طلبه العسكر دراهم فأعطاهم ما وجد، ثم كان آخر ما أعطاهم لكل نفر أربعة كبار، ثم قال: وغداكم وجامكيتكم من هؤلاء القوم يدي مع أيديكم إن شاء الله تعالى أو كما قال.

وأخبرني الفقيه المجاهد علي بن المعافا [/] الذماري عن حيي القاضي الأعلم شمس الدين أحمد بن علي بن أبي الرجال رحمه الله، وكان القاضي الملازم محطة الأمير سنبل، قال: طلبني الأمير سنبل في الليل مع تلك الشدة وقال: تفضل اعزم إلى مولانا واطلب لنا منه

(١) وطاق الكخيا: أي خيمة نائب الوالي.

(٢) الكمخ: الفرس بلجامه. (المنجد: ص ٦٩٨).

دراهم للعسكر وتشدد في ذلك.

قال: فدخلت عليه رضوان الله عليه وإذا هو في كمة من مضربه وسألت العبيد فقالوا:
تقدم ولا تطلب سراجاً فإنه أمر بذلك، قال: فوجدته ساجداً يبتهل ويتضرع.

قال القاضي فقلت متمثلاً:

ففي النهار جهاد طال عثيره

والليل ترجيع أي الذكر بالسحر

كما رواه من سمع كتاب القاضي المذكور أيضاً إلى الإمام -عليه السلام- فعلمت أن الله سبحانه ما يخيب سعيه المحمود، وأخبرته الخبر فقال: سلم على الأمير سنبل واحمل له هذه خمسين حرفاً أحمر وقل له: هذه حصته من بقية ما معنا وإن شاء الله العطاء للعسكر من خزائن القوم، ثم قال: قل للأمير يطلب من بلاده أكثر من المعتاد ويعطي العسكر أو كما قال.

وأخبرني مولانا الحسن رحمه الله بخبر الأربعة الكبار وقال: وصلني من بعض بيوتي خمسمائة حرف أحمر لبيت المال كانت وديعة، ولعظم الاشتغال نسيته فأرسلوها إلي فجعلتها مع الشدة للعطاء، فلعل هذه الخمسين الحرف منها والله أعلم.

وأخبرني رضوان الله عليه أنه كان معه في ذي مرمر عند خازن سلاح محلي فضة تقدر قيمتها عشرون ألفاً، قال: فأرسلت إلى الإمام -عليه السلام- على سبيل الوصية، يقدرها وأن يقبضها من الخازن ويرهنها مع التجار في صنعاء بقرضة عشرة آلاف ويمدونه بها.

قال: فلم يتأت ووقع في نفسي كثير أو كما قال، وذلك في معرض التألم من الوقت وقل المعوان والله المستعان.

نعم ولما استقر في الحوض^(١) مخيمه المنصور وقد امتلأت خانات تعز من الأسرى وجد فيهم كثيراً ممن وجب عليه القتل فقتل بعضاً وعفا عن بعض، وكان مع العجم علي زايد

(١) زيادة في (ب): الأشرف.

المتقدم ذكره في حرب المخا، وأنه صار إلى العجم وعظم ذكره، وصار من كبار أغواتهم وكان يذكر فيه لا رحمه الله شجاعة، فلحق الأمير سنبل شفقة عليه لصحبته القديمة وكان فر إلى جانب شرعب وحازوه هنالك، فراسل إلى الأمير سنبل يستأمن له فجعل له مولانا الحسن رحمه الله أنه يخرج على حكمه، ولما وصل إليه أمر بقتله وشفع^(١) [/] فيه الأمير^(٢) فأجابه فوجده مقتولاً وسبق السيف العذل^(٣)، وقد نكث مراراً وخان الله أسفاراً وهو مع ذلك من الباطنية^(٤)، وكان في جند العجم طاغية من الروم مشهور بالقوة والشجاعة، فكان يحمل بندقاً حجرها خمسة وخمسون قفلة ويأكل في كل يوم رأس غنم ويلبس الجلود التي لها قيمة عالية المسماة البيز^(٥) يبلغ ثمنها ألفاً، وكان يمشي مع الباشا وآخر مثله فارساً، وكان لهما من الجامكية^(٦) كثير فلزم المذكور وأمر مولانا بضرب عنقه ونجا الآخر مع الكخيا حتى هلك في تهامة لا رحمه الله.

ثم إن مولانا الحسين رحمه الله عاد إلى جهات صنعاء المحروسة بالله وقد حمل حمالة من البنادق والسيوف ما ينيف على الألف، ومن رواية الجمال الذي حملها ألف وخمسمائة بندق ومثلها سيوف وعددها مثلها أكثرها محلية وغنائم آخر. ومولانا الحسن رضوان الله عليه رضخ لكثير مما قبضه لمن لم يحضر، أعطاني من ذلك عطاءً نافعاً رضوان الله عليه، وكذا من بعد عنه من أصحابه لمهم شغله عن اللحوق به وكذا الأمير سنبل وأعيان السادة والكبراء أذن لهم بالانصراف.

وكان الأمير الهادي بن الشويح عاد إلى يفرس على العسكر الذين معه.

وأما الباشا قانصوه فلما وصله من وصل من أصحابه وقد سلبوا وأخبروا بالاستيلاء على

(١) في (ب): تشفع.

(٢) زيادة في (ب): الأمير سنبل.

(٣) العذل: اللوم، عَدَلَ يَعْذِلُهُ فاعْتَذَلَ: لَامَهُ فقبل منه وأعتب، و (سبق السيف العذل) مثل يضرب لما قد فات. (ابن منظور: لسان

العرب، ج ٩، ص ١١١).

(٤) الباطنية: سبق شرحها.

(٥) البيز: لم أتبين معناها، وهي في (ب): البئر.

(٦) الجامكية: المرتب.

جميع محاطهم هاله ذلك ونزل به الغم الطويل وتلازمة العويل ووصله يوسف كخيا، كما أخبرني من شهد ذلك ممن صار إلى جانب الحق.

قال: فوجده قائماً قد همَّ بالهرب، وجملة من وصله وعليه لامته^(١) كاملة نحو أربعائة نفر مع الكخيا والآخرين عراة فإن أهل البلاد نهبهم في الطريق وقد تقطعوا ولم يكن معه في حيس أكثر من الألفين إلا القليل، وكان مع شدة الأمر وتفاقمه، خاف مولانا الحسن رضوان الله عليه أن يغلب العجم على عقبة نجد مخيرب، فإنها إذا غلبت عليه امتدت والعياذ بالله إلى الجند فلا يقوم لها أحد، فأخذ يعاقد أهل البسالة من أصحابه أنه إذا صح لنا أنهم يهزمون الصنو الحسين حفظه الله، والأمير سنبل ومن معه فقد بايعتموني على أنكم معي نفض الوادي^(٢) حتى نصل حيس، فنقتل طاغيتهم فعاقده كثيرون [/] وأمد الله بنصره العزيز كما تقدم.

نعم وأما مصير الباشا إلى المخا فإن مولانا لما فسح لسنوه الحسين ومن سار معه وبعده خرج مغيراً على عادته أول خيله إلى يفرس للطيافة والتنزه، وكان للباشا عيون في المحطة فساروا إليه وأخبروه بعزمه مغيراً على تلك الصفة فقطع هو ومن عنده على أنه قاصد للمخا، فأغار الباشا بنفسه ليلاً ونهاراً إلى المخا فهلك من أصحابه وخيله فيما بلغ كثير وتركوهم للسباع من حر تهامة وسمومها المعهودة. وكان ذلك في حكم المقتلة منهم وبقي في حيس الأمير إبراهيم وكثرت مكاتبته سراً إلى مولانا أيده الله حتى أطلق له ولده واتهم هذا الأمير فعزل، وسيأتي إنشاء الله تعالى تمام أخبارهم.

واعلم أنه هذه الواقعة كانت على المسلمين سوراً مانعاً، وللدين الحنفي نوراً ساطعاً، فإنها راشت البلاد غنائمها ونعشت همم المرتاد من العباد معالمها ولا تحصى حقيقة كم أهلك الله فيها من الطغام لوسع محاطهم وتفرقها في الشعاب، وربما يقتل المائة نفر في شعب لا يعرفهم أحد وما هو

(١) وعليه لامته: عليه درعه. واللامه للدرع وجمعها لام ولؤم.

(الفيروزابادي: القاموس المحيط، ص ١٧٥).

(٢) نفض الوادي: أي تقطع الوادي بسرعة شديدة دون توقف ولا استراحة.

إلا كما أخبرني بعض من سمع مولانا الحسن رضوان الله عليه في فتح مدينة إب، قال: رأيتُه راكباً وهو ظاهر لأهل المدينة والبنادق تطف علينا فقلت له: لو نزلت يا مولانا فهذه البنادق تطف علينا فقال: لا تخف إن الله سبحانه قد سلطنا على هؤلاء الأشرار أو كما قال.

وأخبرني أيضاً آخر قال: سمع مثلها في حرب ريمة سنحان.

ومما أخبرني سيدنا العلامة شمس الإسلام أحمد بن سعد الدين المسوري أطال الله بقاءه وقد سمع مني جواباً عن شيء من أخبار مولانا رضوان الله عليه على الإمام -صلوات الله عليه- ما فيه ما يحق للإمام -سلام الله عليه- من الأدب لضعف تصرفي في الكلام الموافق للمقام.

وذلك أن الإمام -سلام الله عليه- ذكر شيئاً مما يتعلق بنفقات العسكر وما يدخل ويخرج يريد -سلام الله عليه- يستطلع ما هنالك من الأخبار. وقد وصلته في آخر السنة التي أهلك الله فيها هؤلاء الأشرار الطغام الكفار وهي سنة تسع وثلاثين وألف^(١) في محروس شهارة عمرها الله بالتقوى في مجلس خاص، فذكرت له شيئاً من تكاليف مولانا [/] الحسن رضوان الله عليه حتى قلت التوابع، عليهم النقيب سعيد المحربي ستمائة رجل نفقتهم كذا فضلاً عما هو خارج فقال -سلام الله عليه-: فأين كان هؤلاء الكذا وقد تركوا الحسن في نجد الدار لم يلحقوا به ولو قتل لضاع وضاعوا فقلت: كل اشتغل حيث هو فمن قتل هذه الألوفاً إلا ألوفاً فقال: قتلهم الله سبحانه وتعالى، وأرسل عليهم كما قال ربحاً وجنوداً لم تروها فلم أصغ لمقاتلته -سلام الله عليه- بما يجب لغلظ الطبع، واستغفر الله العظيم في حقه العظيم وحق إمام الهدى -سلام الله عليه-.

ولما حضرت مع القاضي حفظه الله في داره وذكرت أني لم أجب بما ينبغي وأني أسأت واستغفرت فقال: اذكر لك صدق مقالة الإمام -عليه السلام- قال: كنت بين يديه يوم الجمعة في رمضان قبل الوقعة أكتب حتى حضرت الصلاة، فقامت للظهور وقام سلام الله ففرغنا

(١) حاشية في (ب): بخط مغاير أضاف: (وفي تاريخ السيد أحمد بن محمد الشرفي رحمه الله أن بعض الأدباء نظم شعراً، وفيه تأريخ هذه الوقعة العظمى في الأثر، وأن التأريخ كان لفظ غلبوا سنة ١٠٣٩ بعدد ألف الجماعة في غلبوا واحداً).

من الصلاة وعاد منزله وقائل يقول: أجب الإمام ولا تحققته، وإنما هو وهم لكثرة الاشتغال لمهمة الجهاد وحوائج العباد، قال: فدخلت عليه في منزله ورآني السيد الفاضل محمد بن الحسن بن شرف الدين أطل الله بقاه فلحق بي لمعاونة الإمام -عليه السلام- على العادة ولم يدخل معي ومعه أحد، قال: فوالله لقد رأيت الإمام -عليه السلام- يدور في المنزل وهو يبكي ويتضرع ودموعه تساقط على لحيته ويكاد صدره ينفجر وروحه تذهب وهو يقول: يا رب يا رب يا رب كثيراً إلى من تكلمي وأشبه ذلك كثير من هذه^(١) وطال ولم يسمع لنا حساً ولا لدخولنا لما هو فيه.

قال: فحصل معنا ما لا أصفه من الدهش والجزع وظننا الظنون وأن هذا خبر إخوته في هذه المراكزة وقعدنا لا ندري أين نحن زماناً طويلاً ثم رأيناه قد أفرج الله غمه ووصفى لونه مستبشراً وهو يقول لنا: أبشروا أبشروا مثل هذا اليوم والبشرى إن شاء الله عندكم بقتل الظالمين وفرج المسلمين.

ثم قال: كم لكم هنا؟ فأخبرناه وأقبل علينا قال: فلما كان يوم الجمعة الثانية وخرجت للطهور كما سبق وقد أنا منتظر لما وعدنا به من الفرج والفتح إن شاء الله تعالى، وبيتي كما عرفت مشرف على المدرج والباب فينما أنا أغسل قدمي وإذا بالتنصير من أسفل العقبة والأصوات تقرب، فغسلت قدمي وجففتها [/] وسارعت إلى الإمام -عليه السلام- فوجدته في الباب يخرج للصلاة وإذا المبشر من بلاد البون يقول: سارعت ببشارة رسول مضي علينا معه بشارة بهلاك الظالمين وظهور المسلمين أو كما قال.

فاستبشرنا ووصف جملة ما أخبره البشير ودخلنا الجامع للصلاة وبعدها لقينا البشير بالفتح خارج المسجد في الوقت الذي أخبرنا به الإمام -عليه السلام- من غير زيادة ولا نقصان.

وأخبرني أيضاً أطل الله بقاه أن الإمام -عليه السلام- أخبره ضحى ثاني عيد الإفطار وهو صائم أول يوم السبت عقيب الفطر.

(١) في (ب) زيادة: الألفاظ.

قال: رأيت في هذه الساعة قائلاً يقول: أبشر بنصر الله وحصول الفرج بعد ستة أيام.

قال: فوصل تحقيق البشرى بعد صلاة العشاء آخر أيام الست.

قال: فعرفت تأخيره إلى مضي جزء في الليل أنه قدر ما مضى من النهار في يوم الرؤيا.

وهذه وأمثالها مما يظهر الله بها فضائل أئمة الهدى الذابين عن دين الله سبحانه الردى،
سلام الله عليهم أجمعين، ومما قيل في هذه الملحمة من الأشعار^(١): [/]

وبعد هذه الوقعة الكبرى والملحمة الغراء الرافعة بفضل الله دولة بني الزهراء، وفي
عامها أيضاً آيات للمتوسمين وتذكرة للمعرضين، منها قصة^(٢) عجيبة وعبرة غريبة مع بقاء
مولانا الحسن رحمه الله وبعد عوده من نواحي قعطبة في تعز كما سيأتي إن شاء الله قريباً، أنه
سمع من في اليمن من بلاد المعافر^(٣) وصبر وغيرها وكذا بلاد وصاب وريمة جلجلة عظيمة
تشبه الرعد البعيد لكنها أكثر طولاً يعني صوتها، ولا عرف أحد ما هي في تلك الحال، وكان
مع مولانا الحسن رحمه الله خوف من الترك الذين في حيس أخذهم الله [/] وهم
كثيرون، فظن أنهم طمعوا للاشتغال بالمشرق في تعز وبلادها وأنهم يغدرون، وفي عسكره
رحمة الله عليه رقة مع تفرقهم في البلاد كما يأتي إن شاء الله. فأمر طليعة إلى سوق الربوع
وأعلى الطريق التي إلى نجد الدار المتصلة ببلاد حيس عسكراً ورؤساء وقال لهم: إن وجدتم
العدو أوقدتم ناراً كما تقدم في قضية نجد مخيرب، حيث يراها صاحب القاهرة، وأمر
صاحب الحصن المذكور أن ينظر ذلك.

فلما وصل أولئك العسكر الموضع المذكور لم يجدوا لذلك أثراً فأمسوا، ورأى صاحب
القاهرة ناراً قريبة منهم لبعض سكون^(٤) تلك المواضع فظننها الأمانة ف ضرب الزبرطان، فأمر
مولانا رحمه الله بفتح الباب، وأرسل الشيخ المجاهد علي بن شمسان ونحواً من أربعائة نفر

(١) بقية الورقة بياض في الأصل، وفي (ب)، والنصف الأول من [١٩٦/أ] بياض في الأصل. والورقة المقابلة لها بياض أيضاً في الأصل.

(٢) في (ب): قضية.

(٣) المعافر: قبيلة مشهورة من كهلان. وهم يمثلون جزءاً كبيراً من القبائل الساكنة في الحجرية، جنوب مدينة تعز.

(الحجري: المجموع، مجلد ٢، ص ٧١١؛ المتحفني: المعجم، ج ٢، ص ١٥٦٨).

(٤) في (ب): سكان.

أن يلحقوا بالطليعة، ولما أصبح لحق بمن بقي من أصحابه ولم يجدوا لذلك صحة، ولما صح له بطلان ذلك أتم طريقه إلى جهة يفرس من بلاد الحجرية، وأظهر أنه أراد الطيافة لتلك المواضع، فتحدث الناس بهذه الرجفة بالأرض.

ولما كان بعدها بما يقرب من شهر أو أكثر وصل إلينا حاج سائح من بلاد مقرى من بلد يسمى ذي حود فقال: إنه كان في بلاد الحبشة غريباً وفيها مدينة عظيمة أهلها مسلمون فأفرطوا في المعاصي.

قال: فانفجر من جبل أعلى من مدينتهم شبه النار وملاً الأفق دخانه ورائحته نتنة وعلى صوته يعني انفجار الجبل، وخرج منه الماء الذي يشبه القطران الغليظ^(١)، فهلك من تلك المدينة عالم أظنه قال: أربعمئة بيت، وخرج من بقي في المدينة إلى خارجها يصيحون ويجارون ويستغفرون، ثم قال: وسمع أنه حدث في موضع آخر قريباً من ذلك وأما هذه فهو شاهدها وفي تفصيلها طول، وكتبناها من أملاه إلى الإمام -عليه السلام- وكتب هذه وقد ذهب تفصيلها، والله يرحم خلقه ويسترهم بحلمه ويعفو عنهم بكرمه.

نعم ووقفت على صحة ذلك بما هو أبسط من خط السيد الجليل ضياء الدين الهادي بن صلاح بن الهادي الوشلي النعمي وهو إذ ذاك مئاغر للظالمين في بندر جازان من كتاب له إلى الإمام -عليه السلام- بما حفظ نسخة كتابه وعلقها القاضي العلامة شمس الدين أحمد بن سعد الدين أطل الله بقاءه.

قال السيد المذكور في كتابه: وصلت [/] إلينا جلبة^(٢) من المخا متعدية إلى جدة فيها حجاج كثيرون وفيهم جماعة من زيلع^(٣)، فأخبرونا عن حدوث الزلازل التي ظهرت في الأيام الأولى، وذكروا أنهم كانوا بمدينة أوسا المشهورة التي يذكر أن فيها رجلاً يتسمى

(١) الغليظ: هكذا وردت في (أ)، أما في (ب): فقد وردت: الغليظ، ومعناها الثقيل الثخين. ولعل المقصود به إنفجار البركان. أو انفجار بثر نطف.

(٢) جلبة: من أسماء السفن.

(٣) زيلع: جزيرة في البحر الأحمر ما بين اليمن والحبشة كانت تابعة لليمن حتى استولت بريطانيا على عدن ١٢٥٥هـ / ١٨٣٩م ثم استولت عليها الصومال.

(المقضي: المعجم، ج ١، ص ٧٥٥؛ الحجري: مجموع بلدان اليمن، مجلد ١، ص ٤٠٠).

بالإمام يجاهد الكفار، فلما كان إلى ليلة الثالث عشر من رجب إذ بنار ظهرت من جبل يسمى مرمر مرتفع على أوسا المدينة وما زالت تقوى حتى اتصلت بجبل قريباً منه وظهرت أصوات أكبر من الرعد وانهدت مدينة أوسا وهلك جميع مواشيها من الأنعام والخيل وغيرها ولم يبق إلا طرف من المدينة ومواضع الإمام، ولما أصبحوا وفقد بعضهم بعضاً وجدوا الهالكين خمسة آلاف نفس ونيف، ثم وصل جماعة في جلبة أخرى، فصححوا ذلك وفيهم شريف حسيني له مسكة في العلم وديانة وأخبر أنه كان حاضراً وشاهد النار والحجارة التي تساقطت على المدينة والجبلين، ثم قال: وكان لشريف من أهل المخا أخت ومعها عشر أنفس من الرقيق وكان يأوي إلى أخته ففتحوا عليه وعليها فوجدوهم أحياء والرقيق هلكوا وكانوا في كهف.

ووصلت جلبة ثالثة وأخبروا بمثل ذلك وأنهم خرجوا والنار باقية، انتهى معنى كتابه وهو أطول لكن هذا معناه.

وفي شهر جمادى الأولى من عام تسع وثلاثين وألف ظهرت آية عظمى، وهي أنه نزل من السماء شيء على صفة النجم الكبير ثم تفلق في الهواء فوق ثلثه فوق حصن عولي وثلث فوق مغربة لماس وثلث فوق سوق الثلاثاء، وهذه المواضع كلها في بلاد لاعة، ولم يضر أحداً وسمع لوقعها رجفة كالرعد العظيم، وظن من لم يشاهدها أنها مدافع أو زبارط أو تعشيرة بينادق كثيرة، حتى بلغ أن بعض أهل تهامة لما سمعوا ذلك هربوا اعتقاداً منهم أن ذلك من جهات الإمام -عليه السلام- وأنه قاصد لهم.

وهذه الآية قد وقع مثلها في جهات بلاد صعدة في موضع يسمى وادي جير من بلاد بني بحر^(١) في زمن مولانا الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد قدس الله روحه في الجنة، وهو إذ ذاك في برط وقت حصار شهارة المحروسة بالله ووقعت نهراً وهذه ليلاً، ولقطوا من فلقتها شيئاً بين الحجر والتراب يميل إلى البياض يبرق قوياً تفلق على مشقة ليس من تراب الأرض وأحجارها.

انتهى من خط مولانا [/] السيد العلامة أحمد بن محمد الشرقي نفع الله به.

(١) بني بحر: بطن من خولان صعدة. (الحجري: المجموع، مج ١، ص ١٠٤).

وفي شعبان من عام تسع وثلاثين^(١) أيضاً اتفقت القضية العظمى المفزعة المصيبة الموجهة والآية المخوفة المذكرة، والمحذرة لمن عقل من بطشه الذي خلق الإنسان وصوره، وذلك أنه حدث بعد استيلاء الترك كما تقدم أخذهم الله على حرم الله وعظم الخطب على جيران بيت الله، وخص أعظمه آل رسول الله مطر أعلى مكة المشرفة حرسها الله لم يخالف المعتاد إن لم يكن أقل منه كما سمعت ذلك من كثيرين من أهل مكة المشرفة حرسها الله، وهبط السيل إلى جانب المسعى وما بين المسجد الحرام والصفاء أيضاً، وانسد عن الجري في الشارع الذي ما بين المسجد الحرام وأجياد^(٢) وهو كما علمه الناس في السعة لا يرون لانجباسه عن مجراه مانعاً، فدخل المسجد الحرام من الأبواب التي تليه حتى ملأه، وطلع الكعبة المشرفة إلى قريب من نصفها وانهدم منها مواضع من جهة المشرق واليمن وكادت تنهدم.

أخبرني بعض أهل مكة المشرفة أنه رأى هو وغيره وهم في بعض البيوت المرتفعة حية تخوض الماء وتطوف بالبيت مدة انقطاع الطائف عنه.

ووصلت كتب الشريف مسعود بن إدريس بن حسن^(٣) إلى الإمام -عليه السلام- بذلك وأجابه الإمام -عليه السلام- بما هذا مثاله:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى.

الحضرة المحيطة من المجد الأثيل، والفخر الجليل، والشرف الأصيل، والحسب النبيل الحالة من معدن الرئاسة، ومنبع^(٤) النفاسة، ومطلع الكرم، ومنبت مكارم الشيم علائها المشيدة وغرفها المنيع، الحالة إن شاء الله من بيت الله الحرام في حمى هو بها إن شاء الله محمي،

(١) ١٠٣٩هـ = ١٦٢٩م.

(٢) أحياد: الحيد ما شخص من نواحي الشيء، وجمعه أحياد وحيود، الحيد كل حرف من الرأس، وكل تنوء في القرن والجبل والجمع حيود. (ابن منظور: لسان العرب، ج ٣، ص ٤١٢)، ولعلها أجياد وهي المنطقة المعروفة عند المسجد الحرام.

(٣) سبق ترجمته.

(٤) في (ب): منبع.

والمتبوئة من المشاعر العظام مقاعد رعايتها تنمو^(١) إذا كانت إلى أهل البيت الذين كان ينزل عليه جبريل الأمين تنمي.

حضرة الشريف المرجو إن شا الله لنصرة الدين الحنيف وإعزازه ، والهمام المأمول بمعونة الله عز وجل لإدراك سبق إلى إجابة دعوة الحق المبين وإحرازه ، ذي الفخر الكامل، والخلق الحسن مسعود بن إدريس بن حسن لا برحت المعالي بوجوده أهله، ولا انفكت الألسن بمدائحه قائلة، ولا زالت ظنون أهل الإيثار طالعة من أفق تصديق الظن الحسن [/] فيه شمس غير آفلة، ولا فنيت قواعد البيت الحرام بعنايته إن شاء الله مرفوعة الأركان التي يطوف بها القائمون والعاكفون، ومشاعر الدين الحنيف ظاهرة الأعلام قد قرت بها العيون وانشرت الصدور وأمن الخائفون والله يهدي إليه سلاماً أنواره لائحة، ونفحات طيبه فائحة ورحمة الله وبركاته لا تزال على سوحه غادية ورائحة وبعد:

فإنه وافى كتابه الكريم مخبراً عن صلاح أحواله وأحوال سكان بيت الله الحرام وتوالي منن الله عز وجل عليهم وجزيل الإنعام، فحمدنا الله تبارك وتعالى كما هو أهله وسألناه المزيد من جوده وكرمه فإنه الواسع فضله للحادث الذي عظم في أهل الإسلام أثره، ووقع من نفوس أهل الإيثار موقعاً جل سماعه وهال خبره من وقوع المطر العظيم الذي آل إلى انهدام تلك الأركان الشريفة من البيت الحرام فإنا لله وإنا إليه راجعون وإنا إلى ربنا لمنقلبون أمر هد وحادث أقام وأقعد، وخطب موجع شديد ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [:] .

اللهم غفراً غفراً لا تؤاخذنا بسيئاتنا، ولا تناقشنا بهفواتنا، ولا تقاسينا^(٢) بخطايانا، واجعل ذلك أدباً لا غضباً، وتنبهاً لا سخطاً، واحفظ اللهم علينا معالم ديننا وشعائر إسلامنا ولا ترنا سوءاً في كعبتنا ولا حرماناً ولا مناسكناً ولا قبلتنا، ولا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا، واجعلنا ممن وقعت منه هذه العبرة موقعاً ينتفع بها في دينه فيخشع لك بها قلبه ويخضع لك عنقه ويسلم لك وجهه

(١) في (ب): تنمي.

(٢) في (ب): تقاسينا.

ويتذكر بها وينيب يرجع إليك بالتوبة الخالصة من قريب إنك سميع مجيب.

هذا وذكرتم حماكم الله اشتغالكم بعمارتهم وإقامته إن شاء الله تعالى ورفع قواعده،
فنسأل الله تعالى أن يتولى على ذلك معونتكم ويعظم عليه مثوبتكم وييسر لكم في ذلك كل
عسير، ويدلل لكم كل مستصعب ويهيئ لكم أسباباً إليها يتم لكم إن شاء الله فيه نيل المرام
وتقر بها عيون أهل الإسلام بحول الله وقوته ولطفه وإعانتته إنه على ما يشاء قدير.

هذا واستدعيتم أسعدكم الله أخبار هذه الديار فهي والله المنة علينا مسار بما تفضل الله به
من إهلاك الظالمين، فقطع منهم الأدبار، وأصلى وجوههم النار، وكفى المسلمين شرهم،
وأوقع بهم مكرهم، [/] وذلك أن قانصوه سولت له نفسه في شعبان أن جهز كخيته^(١)
في من معه من عساكرهم المفلولة المقتولة إلى أطراف الجبال التي تلي تهامة من جانب اليمن،
وكان الصنوان الحسنان حفظهما الله ومن معهما من المجاهدين أيدهم الله استعانوا بالله
وأعدوا للقائهم، ولكنهم تركوهم حتى اتصلوا بشيء من أطراف الجبال لمعرفتهم أنهم إذا
اتصلوا بها كان فيها إن شاء الله هلاكهم بعد أن حفظوا المواضع التي يطمع الظالمون في
الدخول منها وأرصدوا لهم في الجوانب التي كانت مصارعهم فيها فتقدم الكخيا إلى موضع
يسمى نجد الدار، ثم تقدم عنه إلى موضع يقرب منه يسمى تربة الشيخ عيسى حيث تترأى
محطته ومحاط الأصناء حفظهم الله والمجاهدين ، فأقام فيه إلى نهار الخميس الثاني عشر من
شهر رمضان المعظم وسولت له نفسه أن يجد فرصة في موضع يسمى نجد المخيرب قريباً من
المخيم الذي فيه الأمير الكبير سيف الإسلام ونصير العترة الكرام سنبل بن عبد الله حماه الله
تعالى، فنهض بجميع عساكره المفلول قاصداً للموضع المحمي بالله عز وجل، ولم يدع في
محطته هذه إلا الأمير عابدين على الأثقال في نحو ثمانمائة من الرجل ومائتين من الخيل فما
انتهى إلى نجد المخيرب إلا وقد سبقتهم إليه أجناد الحق من الأمير سنبل^(٢)، فأحربوهم فيه
فهزموهم بإذن الله وتحمزوا بين شعاب وجبال، وفي أثناء ذلك شن الصنوا الحسن والحسين

(١) في (ب): كخيته.

(٢) زيادة في (ب): وغيره

حفظهم الله تعالى الغارة عليهم، ثم نهض الصنو الحسين في آخر النهار بنفسه حتى تقابلت محطته ومحطتهم، وأحاطت بهم جنود الحق من سائر الجوانب حصراً.

وأما الصنو الحسن فأصبح بكرة الجمعة الثالث عشر خالفاً للمخدولين إلى المحطة التي استخلفوا عليها الأمير عابدين، فاستولى على الأمير عابدين قتلاً وعلى جميع من معه خيلاً ورجلاً وعلى ما معه من الخزائن والمدافع والآلات وغيرها، ثم عاد من يومه إلى مخيمه الأول، ونهض في اليوم الثاني حتى أحاط بالكخيا ومن معه من الجانب الغربي حائلاً بينهم وبين باشتهم ومن بقي معه في مأخوذ حيس، فأقام الكخيا ومن معه منحصرين إلى يوم السبت السابع والعشرين وأيد الله جنود الحق عليهم فأحربوهم في ذلك اليوم واستولوا على طوائف منهم قتلاً وأسرى.

وفي اليوم الثاني وهو يوم الأحد استولوا أيضاً [١ /] على طوائف آخر قتلاً وأسراً واستسلم منهم طوعاً أيضاً مستأسرين طوائف آخر وسلموا ما معهم من السلاح.

ولما كان أول ليلة الإثنين خاتمة شهر رمضان انسل الكخيا في الليل في طائفة يسيرة من الخيل والرجل كاتماً لأمره ولما أحست به جنود الحق وثبوا على المحطة فأخذوها أجمع قتلاً وأسراً وغنموا جميع ما فيها من جميع الخزائن والخيول والسلاح والمدافع ولم ينج الكخيا إلا برأسه في قدر أربعمئة هارباً إلى جنود حيس، ولحقه الصنو الحسن حفظه الله في جماعة من الخيل والعسكر قريب حيس استولوا في أثناء ذلك على جماعة من أمراء الأتراك كانوا راموا الهرب أيضاً كالأمير مصطفى من أكابر من كان في اليمن وغيره ودخل المخدول حيس مذلولاً مقهوراً هارباً كهرب أبرهة صاحب الفيل، ثم عاد الصنو شرف الدين الحسن حفظه الله وصنوه الحسين وسائر جنود الحق إلى مدينة تعز بنعمة من الله وفضل ظافرين غانمين فائزين لا ينحصر ما أولاهم الله من المغنم العظيمة الكبرى ولا ما قتلوا وأسروا من الذين بدلوا نعمة الله كفراً.

وعلى الجملة فإن الوصف يقل غير أن المستولى عليه من المخدولين أصحاب قانصوه ما

يزيد على نحو خمسة أو ستة آلاف، فالحمد لله رب العالمين حمد الشاكرين الذاكرين هذا من فضل ربي، ﴿رَبِّ أَوْزَعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ﴾ [:] .

وصار قانصوه المخذول الآن يتخبط بنفسه بين أن ينحصر في مأخوذ زبيد أو في مأخوذ المخا، فإن حيس ونواحيه، لم يأووه مع أنه مثل بأعيانها من تهامة وأهل القدوة بالقتل، فكان ذلك سبباً لنفرة القبائل عنه وميلهم منه .

وبلغكم أن الولد الشريف المعظم زيد بن محسن حفظه الله تعالى معه عسكر من جانبنا وأنه إن كان باطلاً عنا فما تستحقون منا ذلك لعدم الموجب وإن كان أوحى إلينا عنكم أمر فأنتم على خلاف^(١) وشهادة الحال عندنا منكم حماكم الله تعالى، فالأمر كما ذكرتم من معرفتنا لما أنتم عليه من خلوص المحبة وصادق المودة، ولم يزل ينتظر ما قد سبق به الوعد منكم حماكم الله بالقيام بما أوجب الله عز وجل على مثلكم والغيرة على شريعة جدكم ﷺ والاستدفاع لشر مثل هذه الحوادث العظيمة في البيت الحرام التي تكشف أقنعة القلوب، وتتفجر منها العيون بغروب، فإنه لا سبب [/] لذلك غير تغلب هؤلاء الفجار وانتهاكهم لحرم الله المصونة الأستار وعبثهم في حرم الله وأمنه بما تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدأً .

والولد زيد حماه الله توجهه عن رأينا وتقدمه إلى تلك الديار عن أمرنا رجاء إن شاء الله يقر لهذا الأمر العظيم منه ومنكم وطمعاً في اجتماع الكلمة على إظهار كلمة الحق فكما ظهرت عنه حماه الله تعالى يظهر عنكم، فنحن وأنتم مكلفون جميعاً بالغضب لله عز وجل على محارمه والمجاهدة في أعدائه عن تعدي حدوده والإيثار لجانب الله عز وجل وجانب عبيده، والنظر إلى ما كان عليه جدنا وجدكم رسول الله ﷺ ودعا إليه من مباينة الظالمين الأثمين، واجتماع الأيدي على الحق وأتلاف القلوب على طاعة رب الخلق وإماتة الأحقاد التي حرمها الله بين

(١) بياض في (أ)، وفي (ب) ظن أنها: يلقي إلينا.

المؤمنين، والبراءة إلى الله من الضغائن التي تنافي شرف هذا الدين كما قال عز وجل ممتناً على نبيه الأمين في قوله: ﴿قَارِبٌ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أُيِّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ (١) وَالْفَ بَيِّنٌ قُلُوبِهِمْ ﴿٢﴾ [: -] .

وما وقاه به في دين الأئمة من ولده -صلوات الله عليهم- من سل السيوف في وجوه القوم المجرمين لا يمنعه عن ذلك كثرة الأعداء والمحاربين ولا يصددهم عن أمر الله قوة شوكة المبدلين نعمة الله كفوراً والمكذبين علماً منهم بأن في الله عز وجل عوضاً (ونصرة عن كل أحد ، وليس من دون الله عز وجل ملتجداً، وإن لنا ولكم عبرة عظيمة) (١) بمن ولي هذا البيت الحرام من آبائكم الكرام، فإنهم لم يدعوا جهداً في مداراة هؤلاء الأروام، والإغضاء لهم عن ارتكاب الحرام والآثام ولا يزددهم ذلك عندهم إلا بعداً منهم وحقداً عليهم حتى آل أمرهم إلى ما آل إليه وامتحنوا بسبب ذلك بما لو أعلنوا كلمة الحق صراحاً وجاهدوهم في الله كفاحاً لما نالوا دونه (٢) من المشقة بل كان إن شاء الله ما هو أعظم من الآمال في تقرب النصره وتيسير بعد المشقة، وليس من شأن من هو مثلكم إثارة غير الله وإنما من شأنه الإسراع إلى الجهاد في سبيل الله والذب عن دين الله كما هي سليلة آبائك الكرام، وطريق آل محمد الذين عمر الله بهم المكارم، وفي توجه الولد زيد حماه الله على هذا الوجه لكم إن شاء الله معذرة ونصرة ومعونة فلا يصدكم عن الإعلان بكلمة الله صاد ولا تأخذكم لومة لائم في القيام بحق الله من الجهاد ولا [/] يوحشكم إرجاف الذين يتبعون الشهوات ويشرون الحياة الدنيا بالآخرة عناداً لرب العباد بالتخويف لكم من العدو الهالك أو التشويش لكم بانقطاع رزق من المسالك فقد قال عز وجل لمن قال كذلك: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [:] .

وقال عز وجل: ﴿وَقَالُوا إِنْ تَتَّبِعِ الْهْدَىٰ مَعَكَ تَتَخَطَّفَ مِنْ أَرْضِنَا أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا بِآيَاتِنَا﴾ (١) [:] .

(١) ما بين القوسين: ليست في (ب).

(٢) في (ب): إلا دونه.

نعم ووصل إلى الإمام -عليه السلام- بعد وقعة نجد مخيرب كتاب من باشا الحسا واسمه علي باشا يستطلع خبر الحروب التي بلغته ويحاول صلحاً وهذا لفظ كتابه:

الحمد لله، سلام لا يدرك مداه، ولا يحصيأذناه، وثناء يفوق العبير والعنبر، ويروق كالجوهر والعبهر إلى من ألفت إليه السيادة قيادها وأذعنت له أسباب السعادة فقادها، سلالة الأشراف الكرام ونخبة ذوي الرفعة والاحترام، فرع الدوحة الهاشمية وغصن الشجرة العلوية الحسنية ذي الأيادي الحاتمية، والبسالة الأقدمية.

حضرة السيد محمد..... جعله الله من حمدة أفعاله وأقواله، وظهر في العالمين مجده وإفضاله، ورفع له صلاح الأحوال ولأحمد الخصال، مما ينتظم به أمر المعاش والمعاد، ويستقيم به أمر العباد والبلاد إن ربي على ما يشاء قدير، وبعد:

فالمقصود الأعظم من توجيه الخطاب، وتنميق الكتاب إهداء المسنون السلام إلى ذلك الجنب الغني عن مزيد الإطناب، وإبلاغ مسامعكم الشريفة ومعالمكم المنيفة أن مهدي سطور المحبة محب للذرية النبوية والسلالة العلوية، ودواعي المحبة تقتضي المواصلة والمراسلة ومعلومكم أن أمر لوازم المحبة والإيمان بذل النصيحة للإخوان، لا سيما ولاية الأمور الذين جعلهم الله ظلالاً لعباده وبلادهم، فغير خفي على علمكم الشريف أنا قد سمعنا ما قد وقع بينكم وبين الدولة العثمانية والسدة الخاقانية من الحرب والاختلاف وعدم الائتلاف، وإن محبكم يشير عليكم بما يراه صواباً لكم في الدنيا والدين وبه استقامة أحوال المسلمين، وذلك أن توافقوا هذه الدولة العثمانية وتطيعوا لهم، وتتقادوا في طاعتهم وتصلحوا ذات البين بينكم وبينهم، فقد ورد في الحديث: «إن الفتنة نائمة [/] لعن الله من أيقظها»^(١).

وما يخفاكم ما في الصلح من الخير والانتظام لمصالح المسلمين والإسلام، فقد قال تعالى: ﴿وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [:] .

والقضية في قوله تعالى: ﴿وَأَصْلِحْ خَيْرٌ﴾ [:] في معنى الكلية ومعلومكم حضرة

(١) سبق تخريج الحديث.

مولانا السلطان قد أقام الله به الدين وانتظمت به مصالح المؤمنين، وهم خدام الحرمين الشريفين وغير خفي عليكم ما هم ساعون فيه من مقاتلة الكفار ومنابذة الأشرار وأن اليمن محل الإيمان كما في الحديث: «الإيمان بياني»^(١).

فلا يليق بمثلكم أن يكون سبباً للعدوان، وإخراج أهل الإيمان^(٢) من الإيمان والاطمئنان، والدنيا دار زوال ولا بد فيها من الانتقال ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ حَيْثُ يُوفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظَلَمُونَ﴾ [:].

والخلق كلهم عيال الله تحت ظلاله فأحبهم طراً إليه أثرهم بعياله، وآل عثمان أيدهم الله تعالى ما لهم رغبة إلا في صلاح العباد والبلاد وانتظام المعاش والبلاد، ومعلوم أنهم ما يتركون اليمن فاللائق بمثلكم من أهل البيت النبوي أن لا يكون سبباً في إثارة الفتن، وكلامنا هذا من قبيل النصيحة الإيمانية والمحبة العرفانية، وإن سألتهم عن أخبار الوزير الأعظم والسرادل^(٣) الأفخم فإنه العام الماضي قد توجه على العجم وملك فيها شهر زول^(٤) مملكة عظيمة لها أطراف عريضة وأكناف واسعة وجعل فيها حصوناً وعساكر كثيرة، وملك بلداً يقال لها دردقق^(٥) وهدم همذان^(٦) ودرقزين^(٧) وخرها كلها وأطرافها، ودخل في مملكتهم

(١) رواه من حديث العلامة المفسر جار الله محمود بن عمر الزمخشري في الكشاف، ج ٤، ص ٨١٦، في تفسير سورة النصر، ولفظ الحديث:

«الله أكبر، جاء نصر الله والفتح، وجاء أهل اليمن قوم رقيقة قلوبهم، الإيمان بيان، والفقه بيان، والحكمة بيانية».

وورد في موسوعة أطراف الحديث بلفظ: «جاءكم أهل اليمن هم أرق أفئدة، الإيمان بيان والحكمة بيانية»، ج ٤، ص ٤٨٥.

(٢) والاطمئنان: في (ب) زيادة.

(٣) السرادل: من ألقاب السلاطين.

(٤) شهر زول: لعلها شهر زور موضع في كردستان.

(المنجد في الأعلام، ص ٣٣٧).

(٥) دردقق: لعلها مدينة قزوین وقد أخطأ المؤرخ في نقلها.

(٦) همذان: مدينة في إيران جنوب غرب طهران، تشتهر بصناعة الصوف والطنافس.

(مسعود الخوفد: الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج ٤، ص ٢١٠).

(٧) درقزين: لعلها مدينة قزوین وهي مدينة شمال إيران، وهي حالياً مدينة صناعية وتقع على بحر قزوین.

(مسعود الخوفد: الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج ٤، ص ٢٠٦).

حتى قارب أصفهان^(١)، والحاصل أنه أضعفهم جداً بقوة الله ومعونته ثم رجع إلى بغداد وحاصرها مدة وهدم سورها بالمدافع، فلما وقع الشتاء تأخر إلى بلد قريب من بغداد يقال لها موصل^(٢) بنيت يقعد فيها مع العسكر للتنفس إلى انقضاء الشتاء، وجعل عساكره كثيرة حوي بغداد من شرقها وغربها ووضع في الحلة، وفي مشهد مولانا الحسين رضي الله عنه باشوات وعسكر كثيرة ألوف عديدة، والمسافة بينهما قوية جداً، وبعد الشتاء يرجع إن شاء الله لفتحها هذه السنة بعون الله وبركات رسول الله ﷺ.

فهذه أخبارهم فأنتم لا تقطعوا مراسلتكم الشريفة وأخباركم الطريفة، ونحن يعلم الله سبحانه تعالى محبون لذرية رسول الله ﷺ غاية المحبة فقد قال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ [:].

ونحن على ذلك وما حملنا على هذا إلا مزيد المحبة لجنايبكم [/] وتبقون في حفظ الله ورعايته، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.
حرر في الرابع من شهر رجب الفرد سنة أربعين بعد ألف^(٣).
قال في علامته^(٤): الفقير علي.

وأجابه الإمام - عليه السلام - بما هذا نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى.

من جعل مودة أهل البيت النبوي لدينه شعاراً، ومحبة المنصب العلوي لما يرومه من خير

(١) أصفهان: مدينة في إيران بين شيراز وطهران، وقد كانت عاصمة لإيران حتى تم نقل العاصمة إلى طهران في عهد ملوك الفاجار.

(مسعود الخوفد: الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج ٤، ص ١٩٥).

(٢) الموصل: مدينة عراقية تقع على الضفة اليمنى من نهر دجلة على مقربة من مدينة نينوى الأثرية وعلى بعد ٤٦٠ كم من بغداد، بين جبل سنجار وخصرة منطقة كردستان، هي عاصمة محافظة نينوى. (مسعود الخوفد: الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج ٢، ص ٢٢٥).

(٣) رجب ١٠٤٠ هـ الموافق فبراير ١٦٣٠ م.

(٤) علامته: المقصود بها توقيع.

الدنيا والآخرة إن شاء الله دثاراً، فطاب لذلك نفساً وأقوالاً وأفعالاً وخبراً وأخباراً، الباشا الأكبر والمقام العالي الأشهر الآخذ من رئاسة الكمال وكمال الرئاسة بالحظ الأوفر، علي باشا أصبغ الله عليه النعم ورفع له إلى كل مكربة المهم، وأهدى إليه سلاماً ينير الأرجاء ويتصوع بالمسك الذكي أرجاً، ورحمة الله وبركاته الذي يبلغ إن شاء الله غاية الأمل فيه^(١) والرجاء وبعد:

فإنه وافانا منه كتاب كريم ومسطور رائع فخيم، حصل به الأنس وصدق ما كان تحدث به مما هو عليه من سلامات الخير النفيس، وحظنا^(٢) بما اشتمل عليه، وأطلعنا على جميع ما لحظ إليه فذكر أسعده الله ما له من محبة الذرية النبوية والسلالة العلوية، وأن دواعي المحبة اقتضت المراسلة وبواعث المودة حدث إلى المكاتبه والمواصله، وأن من لوازم تلك المحبة والإيمان بذل النصيحة للإخوان لا سيما ولاية الأمور الذين جعلهم الله ظلالاً لعباده وبلاده، وجعل بهم صلاح الجمهور، فعلمنا بذلك أنه إن شاء الله ممن وفقه الله من الخير بما لا يوفق إليه إلا من أخلص عمله لله ووثق بما عند الله، وتوكل في جميع أموره عليه إذ كانت مودة آل رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم - هي الخصلة التي جعلها الله للتنبية على أداء الرسالة أجراً ولمن تمسك بها عنده لدينه ثباتاً ولدينه أصلاً، ولاستحقاق الشفاعة إذا قام في المقام المحمود الذي وعده الله ذخراً والنصيحة بها كما جاء في الحديث النبوي على قائله وآله السلام كمال حقائق الإيمان، ويفتح أبواب الجنان، كيف لا وبشرى القرآن بذلك صريحة ناطقة، والأخبار النبوية المعلومة بين الأمة الصحيحة وكفى بقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ [/] عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْرَفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا﴾ [:] .

وقول نبيه - صلى الله عليه وآله - : «ما أحبنا أهل البيت أحد فزلت به قدم إلا ثبتته قدم حتى ينجيه الله يوم القيامة»^(٣) .

(١) فيه: ليست في (ب).

(٢) في (ب): وأحطنا.

(٣) سبق تخريج الحديث.

وقوله ﷺ: «من أحب أن يملى له في عمره وأن يمتع بما خوله الله فليخلفني في أهلي
خلافة حسنة، فمن لم يخلفني فيهم بتر عمره وورد عليه يوم القيامة مسوداً وجهه»^(١).

وقوله ﷺ: «ذخرت شفاعتي لثلاثة من أمتي: الضارب بسيفه أمام ذريتي، والقاضي لهم
حوادثهم عندما اضطروا إليه، والمحب لهم بقلبه ولسانه»^(٢).

وقوله: «من أسبغ وضوءه، وأحسن صلاته، وأدى زكاة ماله، وغض بصره، وسجن
لسانه، ووضع معروفه، واستغفر لذنبه، وأدى النصيحة لأهل بيتي، فقد استكمل حقائق
الإيمان، وأبواب الجنة له مفتحة»^(٣).

الحمد لله الذي جعلكم من أهل هذه الصفات التي من اتصف بها فاز بالظفر، ودخل
باب حطة النجاة الذي من دخله فقد تاب الله عليه وغفر.

وذكر أسعده الله أنه سمع ما وقع بيننا وبين الدولة العثمانية والسدة الخاقانية من الحرب
والاختلاف وعدم الائتلاف، وما أشار به مما يراه صواباً في الدنيا والدين، وبه استقامت أمور
المسلمين من إصلاح ذات البين بيننا وبينهم، ورفع أسباب الفتنة عنا وعنهم لمثل ما ورد في
الحديث النبوي «من أن الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها»^(٤)، وما في الصلح من الخير وانتظام
أحوال الإسلام والمسلمين وما خصه الله في قوله: ﴿وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [:] .

وقوله: ﴿وَأَصْلِحْ خَيْرٌ﴾ [:] في كتابه المبين، وأن السلطان الأعظم من أقام الله به
الدين، وانتظمت به مصالح المسلمين وشرف بخدمة الحرمين الشريفين، وقام بجهاد الكفار
ومنازمة الأشرار وأنه لا رغبة له إلا في إصلاح البلاد والعباد، وانتظام المعاش والمعاد، وإن
قطر اليمن المحمي بالله سبحانه محل الإيمان كما جاء في الحديث النبوي: «الإيمان يمانى»^(٥).

(١) رواه الإمام القاسم بن محمد في كتاب: الاعتصام، ج ١، ص ١٣٩.

(٢) سبق تخريج الحديث.

(٣) أخرجه الفقيه ابن المغازلي الشافعي في المناقب، ج ٤٥، برقم ٦٢، وأورده علي القرشي في مسند شمس الأخبار، ج ١، ص ١٢٣، في الباب ١٣.

(٤) سبق تخريج الحديث.

(٥) سبق تخريج الحديث.

وأن أهل البيت النبوي أولى من سعى في تسكين الفتن ورفع عن عباد الله المحن، وأنه خاض معنا في الحديث بنصيحة دينية ومحبة إيمانية.

فنعم الأمر كما بلغكم مما وقع بيننا وبين من يتعلق بالسلطنة القاهرة أعز الله بها الإسلام ممن لم يؤد حق الله، ولا حفظ حرمة من حرم الله ولا غضب يوماً على أهل معاصي الله، [/] بل أباح الفجور وارتكب الشرور، وشرب المسكرات ظاهراً شائعاً وأفشى المقبحات في أمة محمد ﷺ، وفي جوار مساجدها التي ما زال تبارك وتعالى لها بطاعته رافعاً، وأنكر ما أوجب لأهل بيت نبيه - صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم - من التعظيم والالتزام بإمامتهم والتقديم والتمسك بهم كما أمر الله سبحانه على لسان نبيه الكريم حيث يقول ﷺ: «قدموهم ولا تتقدموهم وتعلموا منهم ولا تعلموهم ولا تخالفوهم فتضلوا ولا تشتموهم فتكفروا»^(١).

وقوله: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبداً كتاب الله وعترتي أهل بيتي إن اللطيف الخبير نبأني أنها لن يفترقا حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيها»^(٢).

وقوله: «مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وهوى»^(٣).

وقوله: «إن عند كل بدعة تكون من بعدي يكاد بها الإسلام ولياً من أهل بيتي موكلاً يعلن الحق وينوره ويرد كيد الكائدين فاعتبروا يا أولي الأبصار وتوكلوا على الله»^(٤).

وقوله: «من سمع واعيتنا أهل البيت فلم يجبهها كبه الله على منخرية في نار جهنم»^(٥).

(١) رواه بلفظه الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة في المجموع المنصوري، رقم ٢، ص ١٦٦ في (الرسالة الموسومة بالدرجة اليتيمة).

(٢) سبق تخريج الحديث.

(٣) سبق تخريج الحديث.

(٤) سبق تخريج الحديث.

(٥) سبق تخريج الحديث.

وقوله: «من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر من ذريتي فهو خليفة الله في أرضه وخليفة كتابه وخليفة رسوله»^(١).

فقابلوا دعاءنا إلى الله وقيامنا بها أمرنا به من أمر الله ومن سلك من آبائنا الأطاهر وأئمة أهل بيت محمد صلى الله عليه وآله الأكاابر، وما حرضنا عليه عباد الله وندبنا إليه أمة جدنا رسول الله من الاجتماع على ما أمر الله به في قوله عز وجل: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْعُرْفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [- :] .

ووضع أيديهم مع أيدينا على ذلك وعلى إقامة القسط، وعماراة العدل ورفع الظلم، ومحض المعاصي وإقامة الحدود، والأخذ على أيدي الأشرار وكنا أهل البيت النبوي كما في الأثر الصحيح النمرقة^(٢) الوسطى [/] (إلينا يفيء الغالي، وبنا يلحق التالي) قابلوا ذلك بما لا يظن أن السلطنة القاهرة مع ما خصها الله به مما ذكرتم من فضيلة خدمة الحرمين، ومنابذة أهل الشرك والذب عن حوزة الإسلام، ولا تحب أن يقابل بمثله جدنا رسول الله فإنها أعز الله بها الإسلام ممن لا يجهل حق أهل^(٣) بيت الرسول ووجوب الاقتداء بهم في الفروع والاعتزاء إليهم في الأصول، ولزوم الائتام بإمامتهم والاهتدا بهديهم والإجابة لدعوتهم، والجهاد لمن عاداهم لعلمها بما جاء عن الله ورسوله وساعها لتزكية الله لهم في قوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [:] .

وقوله: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ [:] .

(١) سبق تخريج الحديث.

(٢) النمرقة: النمرق والنمرقة الوسادة، وقيل: وسادة صغيرة أو الوسادة التي يفتريتها الراكب على ظهر الرجل.

(ابن منظور: لسان العرب، ج١٤، ص٢٩١).

(٣) في (ب): آل.

فكيف يأمر بالمودة من يجوز خلافه، ويسوغ فراقه مع قوله عز وجل: ﴿لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [:].

وتأكيد تبارك وتعالى ذلك بالأوصاف الظاهرة فمن الآيات الباهرة مثل قوله عز وجل: ﴿وَلْيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَقِيبُ الْأُمُورِ﴾ [: -].

وقوله: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ لَا يَأْمَنُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَائِرَاتٍ صَارَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُم مَّوَدَّةٌ بَيْنَ يَدَيْهِمْ وَالصَّالِحِينَ يَحِبُّ إِلَيْهِمْ وَاللَّهُ حَافِظٌ لَهُمْ وَاللَّهُ عَزِيزٌ مُنْتَقِمٌ﴾ [:]. وتفسيره إياهم بقوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [:].

وقوله ﷺ: «أنا حرب لمن حاربتهم وسلم لمن سالمتم»^(١).

وقوله: «من قاتلنا آخر الزمان فكأنما قاتل مع الدجال»^(٢).

حاشا السلطنة القاهرة أن ترضى بنصرة ذلك أو تسلك هذه المسالك أو تتخذ عن أهل البيت النبوي بدلاً، أو تنفي عنهم وعن أتباعهم خوفاً بل هؤلاء الوسائط بيننا وبينهم هم الذين عموا السبيل، وأضاعوا الحق وأعظموا الفرية فنسبوا إلى السلطنة ما هي إن شاء الله مبرأة منه ومنزهة عنه.

نعم ولما لم ينزعوا عن الغي عن غاية، ولا رعوا ما أوجب الله له غاية^(٣) لم نزل ندفعهم بالتي هي أحسن كما أمر الله، ونجسح إن جنحوا للسلم [/] كما أذن الله، ونذكرهم الله واليوم الآخر وما افترض من الطاعة له ولرسوله ولأولي الأمر من أهل بيته الأطاهر في قوله عز وجل: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ لَا يَأْمَنُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَائِرَاتٍ صَارَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُم مَّوَدَّةٌ بَيْنَ يَدَيْهِمْ وَالصَّالِحِينَ يَحِبُّ إِلَيْهِمْ وَاللَّهُ حَافِظٌ لَهُمْ وَاللَّهُ عَزِيزٌ مُنْتَقِمٌ﴾ [:].

(١) سبق تخريج الحديث.

(٢) سبق تخريج الحديث.

(٣) في (ب): الرعاية.

حتى انتهى بنا نهيهم في الله إلى من حملته الشهوات على نقض العقود ونكث العهود، وأن لا يرقب في مؤمن إلا ولا ذمة ولا تأخذه لمسلم رافة ولا رحمه، فكررنا إليه الإعذار حتى طال على المسلمين الانتظار وهو لا يزداد إلا قسوة^(١) ولا يأوي من الحق إلى ربوة، فلما لم نجد عن أمر الله بدأ استعنا بالله وتوكلنا على الله وبذلنا في فريضة الجهاد جهداً امثالاً لقول الله عز وجل: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [:] .

وقوله عز وجل: ﴿أَلَا تَقْتُلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَ اللَّهَ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٢٦﴾ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِيهِمْ وَيُنصِرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ وَيُذْهِبَ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [: -] .

وخوفاً من مثل ما خوف الله به في قوله: ﴿لُعِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ لَهُمْ خَلْدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [: -] .

وقوله ﷺ: «لتأمرن بالمعروف ولتنهين عن المنكر أو ليسلطن الله عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم»^(١) .

«حتى إذا بلغ الكتاب أجله كان الله هو المنتصر لنفسه، ثم يقول: ما منعكم إذ رأيتموني أعصى أن لا تغضبوا لي»^(٢)، ثم لم نزل نرجي^(٣) أن سلطنة القاهرة أعز الله بها الإسلام، إذا

(١) في (ب): عتوة

(٢) سبق تخريج الحديث.

(٣) سبق تخريج الحديث.

(٤) في (ب): نتوخي.

رفع إليها مثل هذا الشأن وبلغها هذه الحجة التي لا يختلف فيها اثنان، تتلاني ما فرط من الإضاعة، وتستدرك ما فات في حق أهل^(١) بيت نبيه الذين لا تستحق [/] إلا باتباعهم الشفاعة، فما راعنا إلا إجلاب على بيت الرسول الأمين، وعترة محمد سيد النبيين بمن جاب البر والبحر ليهتك منهم والعياذ بالله حرمة وملاً برعد الفضاء من أحزابه التي لا ترقب في مؤمناً إلا ولا ذمة، فأبى الله سبحانه وله المنة إلا ظهور كلمته، وإنفاذ حجته ونصرة أهل بيت نبيه والإعانة لعبده ووليه وصدق وعده وأعز جنده ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، وحفظ نبيه المصطفى في آله، وحفظهم فيه بما أكرمهم به من اتباعهم لقوله وفعاله، وإلا فمن لنا بالاجتماع على الحق وهل إلى غيره دعونا هذا الخلق مع سماعنا بمثل قوله عز وجل: ﴿وَإِن طَافَتَا مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَقْتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغْت إِحْدَاهُمَا عَلَى الْآخَرَىٰ فَفَعِلُوا الَّتِي تَبَغَىٰ حَتَّىٰ نَفَىٰ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٥٧﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [- : -] .

وهذه جملة شرحها يطول، وتفصيلها له أطراف وذيول، أحببنا مطارحتكم بها لما كتتم من أهل العقول لنشارككم فيما عندنا ونؤدي لكم ما وجد من النصيحة جهدنا، راجين إن شاء الله أن نكون ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين، وتكونوا أنتم كمن قال الله فيهم: ﴿قَالَ الْخَوَارِجُونَ كُنْ أُنصَارُ اللَّهِ ءَامِنًا بِاللَّهِ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ رَبَّنَا ءَامِنًا بِمَا أَنْزَلْتَ وَأَتَّبِعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُتِبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [- : -] .

فيصدق فيكم إن شاء الله ذلك الحديث النبوي: «ما أحبنا أهل البيت أحد فزلت به قدم إلا ثبتته قدم حتى ينجيه الله يوم القيامة»^(١) .

وذكرتم أسعدكم الله الوزير الأعظم والسردال الأفخم، وما جرى من الحروب^(٢) بينه وبين العجم، فتفضلتم وأحسنتم برفع ذلك وتحقيق ما هنالك، فإن النفوس تشوق إلى

(١) أهل: ليست في (ب).

(٢) سبق تخريج الحديث.

(٣) الحروب: ليست في (ب).

الاطلاع ولا يرفعها على وجهها إلا مثلكم لبعث الديار، ونسأل الله أن يرفع عن جميع هذه الأمة المحمدية السوء والمحن، ويجمعها على ما أمر الله به بالاجتماع عليه من كتاب الله وقرنائه من أهل بيت النبي المؤتمن، ونعيذ الجميع من نزغات الشيطان الرجيم، ومن مضلات الفتن بجاه نبيه المصطفى ﷺ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ونعم المولى ونعم النصير، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله على محمد وآله وسلم.

حرر خمس بقين من شهر رمضان من عام أربعين وألف^(١) [/] بدرب الأمير بأقر من أعمال شهارة حرسها الله تعالى.

فصل نذكر فيه

ما اتفق من الحوادث والأخبار بعد هذه الواقعة

فيها وصل مصطفى شلبي والأمير محمد ولي من عظماء الترك إلى مولانا الحسن رضوان الله عليه يطلبون منه صلح سنة، فأجابهم إلى ذلك وخلع عليهم وبعث معهم بجواب، والقاضي العلامة الأكمل صلاح الدين صلاح بن محمد الفلكي الذماري، وأصحابه من عيون العسكر الإمامي خمسين نفرًا من خيارهم سمتًا وصلاحًا في أحسن ما يجدون من السلاح وغيره، ومعهم من سلاحهم ودوابهم مما غنموه كثيرًا فعقد الصلح واستخلف الباشا وعاد وقد رأى من أخبارهم وقوة ملكهم وما رأى في قلوبهم لهذا الرجل من الهيبة عجبًا.

وكثرت المكاتبة من الباشا بعدها مما حضرت عليه، كتاب مع بعض أشرف تهامة إلى الإمام -عليه السلام- ذكر من تعظيم الإمام كثيرًا وبلغ الإمام -عليه السلام- أنهم يرسلون في البحر جلابًا^(٢) إلى طريق جدة وغيرها يتعرضون للتجار مع الجور المعروف منهم، وفيمن

(١) رمضان ١٠٤٠هـ = إبريل ١٦٣٠م.

(٢) جلابًا: سفنًا.

وصل إليهم إلى المخا والسواحل، فكتب إلى الباشا كتاباً بهذه نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحضرة التي هي محل الرئاسة الكبيرة، ومقام كفاية السلطنة القاهرة الشهيرة.

حضرة الوزير الذي ارتفع صيته وكملت صفاته ونعوته، الباشا الأكبر الأعظم الخطير الأشهر الوزير قانصوه دام سعده وارتفع ذكره ومجده، والله يتحفه لشريف السلام وعوارف الإكرام ولطائف الإنعام، وبعد:

فإننا نحمد إليه الله الذي لا إله إلا هو على ما أولى من نعمه ومنح من جوده وكرمه، ثم إن أحق من نظر للإسلام والمسلمين ورؤوف^(١) بالضعفاء والمساكين وتوسل إلى الله بالرفق بهم وإدخال السرور عليهم من كان مثلنا ومثلكم ممن رد الناس أمرهم إليه، وعولوا في مصالحهم وأحوالهم عليه، وأحوج ما كنا نحن وأنتم من اكتسابه والحرص على أجره وثوابه بعد التحاظ على تقوى الله سبحانه وتعالى، والتأمر بيننا بالمعروف والتناهي عن المنكر والتواصي بالحق والصبر، والمحافظة على ما دل عليه قول الله عز وجل: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [١٦٤] وَأَعْتَصِمُوا [/] بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ [١٦٥] وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ [١٦٦] وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ [١٦٧].

والتناصح الذي دل عليه في مثل قوله عز وجل: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالتَّعَدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [١٦٨].

(وقوله عز وجل: ﴿وَتَتَجَاوَزُ بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [١٦٩].)

(١) ورؤوف: هكذا وردت، والمقصود بها رأف.

(٢) الآية التي بين القوسين: ليست في (ب).

وقوله عز وجل: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كُفُورًا كُفُورًا قَوْمِينَ بِالْأَقْسَطِ لِمَا شَهِدُوا لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلُونَا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [:] .

وقوله عز وجل: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كُفُورًا قَوْمِينَ لِلَّهِ شَهِدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ ءَلَا تَعْدِلُوا ءَاعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ءَوَاتَّقُوا اللَّهَ ءَإِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [:] .

ورسوله ﷺ في مثل قوله: «تهادوا النصائح ولا تتهادوا الأبطال» (١) .

وقوله: «ألا وإن الدين النصيحة قالها ثلاثاً قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم» (٢) .

وقوله: «ما أهدى المسلم لأخيه المسلم هدية أفضل من كلمة حكمة سمعها فانطوى عليها ثم علمه إياها يزيد الله بها هدى أو يردده عن ردى وإنها لتعدل إحياء نفس ومن أحيها فكأنما أحيى الناس جميعاً» (٣) .

وقوله ﷺ: «من أصبح لا يهتم بأمير المسلمين فليس منهم ومن سمع مسلماً ينادي للمسلمين فلم يجب فليس من المسلمين» (٤) .

النظر في أمر هؤلاء الضعفاء والمساكين الذين اشتملت عليهم جهتنا هذه وجهتكم، وحوتمهم ولايتنا وولايتكم مما لا رزق له إلا في الضرب في الأرض ولا معاش له إلا في المشي في مناكبها، بنقد وعرض من أهل الأسباب الذين يعودون بذلك أيضاً في الجهتين على مستضعفين من رجال ونساء وولدان، لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً، مع عمارة البلاد وصلاح العباد، ومد أسباب الألفة التي أمر الله بها وفتح أبواب الأخوة في الدين التي

(١) لم أجد الحديث في مصادر الحديث التي بين يدي.

(٢) رواه العلامة علي بن محمد القرشي في مسند شمس الأخبار، ج ١، ص ١٣٥.

(٣) سبق تخريج الحديث.

(٤) أورده الإمام يحيى بن الحسين الهاروني: تيسير الطالب في أمالي أبي طالب، الباب ٣٣، ص ٤٣٣.

حض الله عليها، [/] ومعرفة كل منا ومنكم للأخرة فيما يجمله من سيرته أو يخفى عليه من طريقته، أو يبعد عنه من خبره أو يعزب عنه من مخبره، وما ينسب إلى ذلك في دين الله من الاجتماع والتناصح الذي دل عليه كلام الله الملك المطاع، فإن المسلمين بذلك مأمورون وعلى أن تكون أيديهم واحدة في الحق وصلاح المسلمين محرضون، ولا سيما مع اتصال الجهة فيما بيننا وبينكم وتصافيتها ودنو بعضها من بعض، وتقاربها واستعمالها على هذه السواحل التي هي مفاتيح أرزاق العالمين، ومجامع أرفاق المسلمين من عدن إلى جدة، وكون أهلها كالشيء الواحد الذين لا ينبغي أن يكون بين أهله تنافر ولا تباعد، وشوش على هؤلاء الضعفاء في مثل هذه السواحل البعيدة عنكم والنائية منكم ما ترونه من الجور وعدم الوقوف فيما يؤخذ ويترك^(١) مع ما انضم إلى ذلك مما جرى بساحل جدة الذي هو دهليز حرم الله، والباب الذي تجلب منه أرزاق أهل بيت الله من الغيث الذي تعدى بأهله إلى الحرم المحرم الذي جعله الله مثابة للناس وأمناء، وقصده للإسلام وللتوحيد ركناً، ولم يعد ذلك على ولاية الأمر إلا بالاختلاف والافتراق والتمزق في الآفاق، ولا على الضعفاء والمساكين الذين هم وديعة الله فيما بيننا وبينكم إلا بقطع الأرزاق، وتسد أبواب الأرفاق، واجتياح أموال مستضعفين واهتصام حرم المساكين والله سبحانه غير عاذر لمن هو على نفع المسلمين قادر.

فكتبنا إليكم كتابنا هذا للتذاكر أولاً بما يجب التذاكر به بين المسلمين والتحاؤ عليه من المؤمنين، ثم للنظر في أحوال هؤلاء المستضعفين رجاء أن نكون جميعاً إن شاء الله من الذين ائتمروا بينهم بمعروف وتوسلوا إلى الله بإعانة ضعيف وملهوف، ظانين بكم إن شاء الله أحسن الظن، أملين في رئاستكم وعلو قدركم أن لا يضيع بيننا وبينكم أحد من المسلمين ولا يمتهن، طامعين أن يجعلنا جميعاً من عباده^(٢) الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب.

وقبل عقد الصلح كان في جانب الأمروخ من قبل الإمام -عليه السلام- السيد المطهر بن ناصر الدين، والشيخ الفاضل أحمد بن ناصر المحبشي رحمهما الله تعالى في محطة

(١) في (أ) كتب: على قدر، ثم شخطها، وفي (ب) أثبتها.

(٢) عباده: ليست في (ب).

فأمرهم الإمام -عليه السلام- أن يقصدوا مور ويفتحوها، وكان فيها رتبة من العجم [/] وشيخ من أهلها يسمى إبراهيم بن أبكر، ومن خلفهم الأمير مصطفى الآتي ذكره في أخبار زبيد من شياطينهم، فتقدموا وقد وعدهم هذا الشيخ فتح البلد فكان أول ناكث فيهم فلقوهم وأحربوهم وهزموهم إلى الأمروخ محلهم الأول وقتلوا منهم أكثر من مائة منهم الشيخ أحمد بن ناصر رحمه الله وجماعة من الأعيان، والأسرى فوق الأربعين النفر، وكان هذا الشيخ من أهل الورع.

مما أخبرني القاضي العلامة شمس الدين أحمد بن سعد الدين أطال الله بقائه أنه كان في اللحية رجل من العجم مات وخلف تجارة وعشرة آلاف حرف^(١) ذهباً أحمر، واشتغل الشيخ أحمد بعد قبضها بما تقدم من خروج قانصوه فأمر بهذه الدراهم أن تحفظ في بيته في المحابشة حتى يوصلها إلى الإمام بيده ويبرأ منها فاشتغل فأوصى إلى ولده الشيخ صالح بن أحمد وهو أيضاً تلو أبيه في ذلك وأن سبيله إيصالها إلى الإمام -عليه السلام- من غير واسطة، فلما استشهد الشيخ أحمد وصل بها الشيخ صالح.

قال: فطلب الإمام -عليه السلام- الفقيه الفاضل أمين المسلمين عماد الدين يحيى بن حنش رحمه الله وجعلها مختومة عنده ثم أمر بأن يكتب وصية أنها وديعة لرجل من كذا صفته كذا، فوصل لها وارث على مكاتبة من الإمام -عليه السلام- وبرئ الإمام -عليه السلام- منها وهو يدعو للشيخ أحمد بن ناصر وولده.

وكانت قضية مور هذه أيام المراكزة في نجد مخرب فكانت في شهر رمضان المعظم سنة تسع وثلاثين وألف^(٢)، وكان قدوم أصحاب الإمام -عليه السلام- إلى مور على ما تكرر به أمر الإمام ويريد -عليه السلام- أن يشتغلوا من وراءهم عمن هو مقابل لهم فكانت هذه القضية.

ولما أظهر الله سبحانه كلمة الحق^(٣) ونصر جنود الحق لقضية نجد مخرب التي فرق الله بها

(١) حرف: ليست في (ب).

(٢) ١٠٣٩ = ١٦٢٩ م.

(٣) ظن في (ب) أنها: الصدق.

بين الحق والباطل، وصل أشرف الأمروخ في أواخر السنة المذكورة يخبرون عن توبة هذا الشيخ وأصحابه الذين مكروا بالسرية فإنهم الذين نهبوا السلاح والكراع، وقتلوا كثيراً مع الترك وقطعوا آذان المجاهدين، وأما الأسرى فأرجعهم من مور وكانت قضية هائلة.

نعم وطلب الأشرف أماناً للشيخ المذكور وأصحابه وهم مع الترك أخذهم الله إذ ذاك فكتب لهم الإمام -عليه السلام- ما هذه نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم [/]

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى .

المؤيد بالله إن شاء الله أمير المؤمنين محمد بن أمير المؤمنين لطف الله به أمين أما بعد حمد الله الذي يقبل التوبة عن عباده، ويعفو عن السيئات وصلواته وسلامه على نبيه وآله الذي أنزل عليه في ذلك: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾ [:] .

فإنه لما جعلنا الله عز وجل في هذا المحل القائم في مقام النبوة وأخذ علينا العهد والميثاق في العمل بما أنزل الله على رسول الله ﷺ في آياته المتلوة، وكان من خلقه ﷺ الذي أثنى الله عليه به، وشريعته التي من تمسك بها فقد تمسك بوثيق عراه، وسببه قبول من تاب وأناب، ورجع إلى ربه بما دل عليه في الكتاب.

وفد علينا السادة الكرام الأماجد الفخام، الطيب بن صديق وأحمد بن الزين وعمر بن محي الدين وصديق بن الهادي الردينيون جعل الله سعيهم صالحاً ومتجرهم في رضاه رابحاً، مخبرين عن الشيخين الرئيسين إبراهيم بن ابكر، وأحمد بن عبده الصميين أخذ الله إلى الخير بناصيتهما بالتوبة النصوح الصادقة، ومن شاركهم في تلك الهفوة التي ارتكبوها في حق المجاهدين في سبيل الله التي هي للصواب مفارقة، وأنهم قد عاهدوا الله على الإقلاع عن مثل ذلك وعن الإصرار وعاقده سبحانه على الإصلاح لذلك برد ما أخذ على المجاهدين بعينه وجبر ما فات بمثله أو بما نرضاه لهم، ونعرف أن لهم عنده كمال رضا رب العزة الجبار فإنهم من حفظ ما سبق لهم

من الجهاد للفقار، والقيام بما يجب لله عز وجل ولرسوله ولنا وللمسلمين من موالة أولياء الله وأوليائنا، ومعادة أعداء الله وأعدائنا بالسيف والسنان والإيراد والإصدار، واستقالوا الله عز وجل واستقالونا، وتوجهوا إلينا بجدنا محمد ﷺ وهؤلاء الأشراف من ولده بالعفو عنهم والدعاء لهم والاستغفار، استخرنا الله عز وجل واقتدينا بجدنا محمد ﷺ فيما علمه الله في مثل هذا المقام من العفو ونعم الأسوة المختار، ووضعنا لهم [/] هذا التمسك الكريم بذلك، آخذين فيه عليهم عهد الله وميثاقه أنهم كذلك ومعنا ومنا على ذلك في الجهر والإضمار، فليوفوا حق الله في هذا العهد حقه وليثقوا منا مع ذلك بالوفاء لله بما تضمنه إن شاء الله تعالى فهو المستعان وهو حسبنا ونعم الوكيل. انتهى.

نعم والذي دخل الأشراف في إحضاره الآن سبعون قصبه بندق ورأسان من الخيل التي بقيت من خيل المجاهدين وثلاث من أهل مور زائدة والجمال والخزانة ونحوها.

وفي أيام الاشتغال بالمراكة^(١) لهذا الطاغية وكان السيد الهادي بن علي الشامي رحمه الله في جُبْن^(٢) من مشارق حُبَان بنا^(٣) ومُضْرَح^(٤) والياً على تلك الجهة فغدر به الشيخ عامر بن عبد الله الضياني المتقدم ذكره في أخبار الذراع، ولم يظفر بمراده لا رحمه الله، وحاصر السيد المذكور وكان قد تزوج في جبن من مشائخها فقاموا دونه، ووصلته الغارات مع مشائخ الحدا وقائفة وهم أقل من الحدا فأفروا عنه وأخرجوه وأولاده إلى دمت^(٥) وأطفوا ثائرة هذا الشر.

(١) المراكة: في أوقات الحصار والحروب التي دارت رحاها في هامة.

(٢) جُبْن: مدينة في الجنوب الغربي من مدينة رداع بمسافة ٥٠ كم، تقوم على هضبة تحيط بها الجبال من كل الجهات وبها العديد من القرى أهمها قرية المقرانة على جبل حجاج التي كانت عاصمة الطاهريين.
(المقضي: المعجم، ج ١، ص ٢٨٦).

(٣) حُبَان بنا: المقصود بها وادي بِنَا، أشهر وديان اليمن وتأتي مساقطه من بلاد يريم وقاع الحقل، من أشهر المناطق في وادي بنا السدة، المسقاء، النادرة، دمت. (المقضي: المعجم، ج ١، ص ٢٨٦).

(٤) مُضْرَح: حصن في أعلى جبل متقير المطل على وادي بنا، ويُعد من بلاد العود في النادرة، وهو من الحصون المنيعه، وليس له غير طريق واحدة.
(المقضي: المعجم، ج ٢، ص ١٥٥٣).

(٥) دمت: مدينة جنوب شرق يريم، تشكل اليوم إحدى مديريات الضالع، تشتهر دمت بوجود الجبال البركانية وعيون المياه الحارة.
(الحجري: المجموع، ج ١، ص ٣٣٢).

ولأجل ذلك ولحدث من الأمير أحمد بن شعفل صاحب حالين^(١) وغيره من أهل المشارق، استرجح مولانا الحسن رضوان الله عليه الخروج إلى قعطبة^(٢)، ولما صار فيها توحش الأمير أحمد بن شعفل واصطرخ بيافع وأرسل إليهم العقائر، فطلع مولانا جبل حرير^(٣) وقد كانوا عسكروا فيه فهزمهم وتفرقوا، وأمر بخراب بلاد الربيعتين^(٤) لما كانوا في جانب ابن شعفل (وموالاته، وهرب هذا ابن شعفل)^(٥) حتى انتهى إلى جبل قريب من يافع يسمى حججيل، ثم وصل أخوه الأمير جعفر بن شعفل وكان الأمير عبد القادر صاحب خنفر خاله، فقربه إلى مولانا فخلع عليه وولاه بلاده، وأجرى له ما كان لأخيه وأرسل معه إلى بلده المسماة خرفة^(٦) محاطاً عليهم السيد الهادي بن علي الشامي والشيخ محمد بن شمسان، والفقير عبد الله بن عز الدين الأكوغ، فكانوا هنالك واستمرت طريق عدن، وفر الأمير أحمد إلى يافع وعاد مولانا رحمه الله إلى إب والأمير سنبل عاد إلى ذمار، وسكنت المشارق، فحصل بين أصحاب مولانا الحسن بعض اختلاف أعني الثلاثة الأمراء كل أحد يستبد برأيه دون الآخر، وكان الأمير صاحب البلد [/] يعني جعفر بن شعفل فيه غفلة وهو إلى الصغر أقرب، وبلغهم أن هذا الأمير في موضع مما يلي بلاد يافع يسمى جبل حججيل فغزوه إلى ذلك الموضع، ووصلتهم الغارات، والبلاد وعرة ضيقة لا يعرفونها فقتل من جنود الحق جماعة، واحتاز محمد الفقيه المهندي وكان رئيساً من كبار العسكر في موضع منه يسمى دنس فأحاطوا

(١) حالين: قبيلة في ردفان وبها كثير من القبائل وفروعها وهي تعيش في منطقة جبلية ذات وديان عميقة وهي وديان خصبة وغنية بالزرزوع تعتمد على مياه الأمطار في سقيها، ومن قراها: قرية النسري، والعمري، والباقرى، المسلم، النوبة، ووادي الضباب، وحبيل آل صريم، وغيرها من العزل والقرى.

(المقحفني: المعجم، ج ١، ص ٣٩٤).

(٢) قعطبة: مدينة في الجنوب الشرقي من مدينة يريم.

(الحجري: المجموع، ج ٢، ص ٦٥٦؛ المقحفني: المعجم، ج ٢، ص ١٢٨٧).

(٣) جبل حرير: سلسلة من الجبال في منطقة الحصين بالشرق من الضالع وهي عبارة عن رؤوس صخرية ناتئة وهاويات شديدة الانحدار.

(المقحفني: المعجم، ج ١، ص ٤٥١).

(٤) بلاد الربيعتين: مركز إداري في مديرية جُبن في محافظة البيضاء. (المقحفني: المعجم، ج ١، ص ٦٧٢).

(٥) ما بين القوسين: ليست في (ب).

(٦) خَرْفَة: قرية في جبل جُحاف بالضالع من قرى الأشراف.

(المقحفني: المعجم، ج ١، ص ٥٦٦).

به فقتلوه وأصحابه وكانوا قريب السبعين نفر، ثم اجتمع يافع بالمشارك بما لا يعلمهم إلا الله سبحانه وأحاطوا بالمحطة في خرفة، فقاتلهم العسكر قتالاً شديداً ثم كثر عليهم فخرجوا وقتل جماعة من العسكر وانتهت المحطة وخرج الرؤساء والعسكر وقد أبلوا، وصعدوا بلاد الشيخ الشاعري فأواهم ثم صاروا إلى جبارة^(١) من بلاد قعطبة.

وبلغ مولانا الحسن رضوان الله عليه فعظم عليه وهم بالغارة بنفسه، وأن يعيد المخرج فخاف أن يبلغ العجم اشتغاله بالمشرق فيطمعوا في اليمن فأرسل الغارات، وأكثر من العسكر في تعز وبلاد الحجرية، وكان عسكره قد رق لأنه أجابهم بعدما تقدم من المشاق إلى النفس في بلادهم، وأرسل الأمير عبد الله بن منيف الحمزي الجوفي رحمه الله، وجعل الجميع تحت تدبيره وأقام في حياز على خوف من الشيخ أحمد بن مقبل صاحب قعطبة لكونه صهراً لابن شعفل، وصعد مولانا الحسن رضوان الله عليه جبل حب يشتغل بعمارتة وتدرجه ويتفقد شحنته ليعرف أهل المشرق أنه غير مهتم بأمرهم وأنه يكفيهم من قد توجه إليهم، وخاف ابن شعفل العواقب وأنه خارج عليه لا محالة فتابع الرسل إلى الإمام - عليه السلام - أنه يبرأ مما اتفق وأن هذا عمل العسكر غزوا فقاتلهم قوم من غير رأيه، وأن يافع غلبوه على أمره وكذا. وكان قد أرسل إلى رؤساء المحطة الإمامية أن القوم إليهم وأنهم يرتحلون، فجاراه الإمام وأرسل إليه بأمان ويرجع بيته وله عوائده، وأرسل بالأمان وكسوته الشريفة وأمر - عليه السلام - مولانا الحسن رضوان الله عليه بالعود إلى تعز ويفرس ونواحيها ليعرف الترك أخذهم الله أنما ثم شيء مما يبلغهم فعاد وأقام فيها أياماً، وقد نظم أعمال اليمن كله، ولا بد من ذكر طرف إن شاء الله تعالى من جمل أخباره في ذلك والله أعلم.

تم الجزء الأول من السيرة المباركة نفع الله تعالى^(١)



(١) في (ب): حيار.

(٢) زيادة في النسخة (ب) التلي: (في يوم الأربعاء ثامن عشر من شهر صفر ١٠٨٨ هـ / ١٦٧٧ م ويتلوه الجزء الثاني).

فهرس المحتويات

- فصل في ذكر دخول مولانا الحسن رحمه الله بلاد صعدة وأسباب ذلك ----- ٤٢٥
- فصل نذكر فيه مجمل قضايا في أيام الصلح نسردها ما أمكن في هذا الموضوع ----- ٤٥٨
- فصل في ذكر أسباب نقض الصلح ----- ٤٦٥
- رجعنا إلى تمام أخبار أسباب نقض الصلح ----- ٤٧٤
- رجعنا إلى تمام أسباب نقض الصلح ----- ٤٧٦
- فصل في أخبار المغارب وفتحها ----- ٤٨٣
- ذكر فتح حُفَاش ----- ٤٨٦
- فصل في أخبار المشرق وفتح اليمن ----- ٤٩٠
- ذكر خروج مولانا الحسن ابن أمير المؤمنين من صعدة المحروسة بالله ----- ٤٩٢
- ذكر موالة السيد ناصر بن محمد صبح ----- ٤٩٤
- ذكر وقعة السواد ----- ٤٩٨
- ذكر وقعة المقبل ----- ٥٠٠
- رجعنا إلى أخبار الذراع ومولانا الحسن رحمه الله^٥ ومحطة الذراع والقبتين ----- ٥١٦
- ذكر الوقعة في ريمة سنحان ----- ٥٢٠
- ذكر الوقعة في حدة ----- ٥٢٢
- قصة قتلة أنود وفتح كوكبان والطويلة وثلا ----- ٥٢٤
- ذكر فتح كوكبان ----- ٥٢٧
- ذكر فتح ثلا والقبض على الأمير صفر ومن معه ----- ٥٢٩
- فصل ----- ٥٤٧
- فصل ----- ٥٥٦
- ذكر الوقعة الكبيرة في التريبة ----- ٥٥٩
- ولنرجع إلى تمام أخبار تهامة الشامية ----- ٥٦٠
- فصل ----- ٥٧٩

٥٨٠	-----	ذكر دخول حدة
٥٨٣	-----	فصل
٥٩١	-----	فصل
٥٩١	-----	ذكر الحرب الكبير الذي استشهد فيه الشيخ الفاضل جمال الدين علي بن عبد الله الطير ومن معه رحمهم الله تعالى
٥٩٧	-----	ذكر خروج الترك إلى بلاد همدان
٥٩٧	-----	ذكر دخول الجراف
٦٠١	-----	فصل
٦٠١	-----	ذكر الوقعة في ثعبات
٦٠٢	-----	ذكر هزيمة الأمير حسين من ذي جبلة
٦٠٣	-----	ذكر نزول مولانا الحسن رحمه الله اليمن الأسفل
٦٠٨	-----	رجعنا إلى نهوض مولانا الحسن رحمه الله تعالى
٦١٨	-----	ذكر حصار تعز
٦٢٠	-----	ذكر نزول الأمير سنبل
٦٢٣	-----	ذكر الصلح على مدينة تعز
٦٢٨	-----	ذكر غزاة الزغارير
٦٢٩	-----	ذكر الاستيلاء على بلاد السلمى ومحطته وخلافه
٦٣٢	-----	ذكر الوقعة المشهورة في نجد قسيم
٦٤١	-----	ذكر حصار المخا والمخرج إليه
٦٤٢	-----	ذكر الوقعة في المخا
٦٤٤	-----	ذكر الصلح على المخا
٦٤٨	-----	ذكر فتح تعز العدينة
٦٧٣	-----	فصل
٦٩١	-----	فصل في ذكر فتح صنعاء
٦٩٢	-----	صفة الحرب على حدة
٦٩٦	-----	غريبة في التفاؤل
٦٩٩	-----	ذكر ما قيل في فتح صنعاء من الشعر

٧٠٦-----	فصل
٧٢٤-----	رجعنا إلى تمام قضية أصحاب الباشا والشريف أحمد بن عبد المطلب
٧٣١-----	فصل
٧٣٤-----	وأما صفة خروج قانصوه باشا لا رحمه الله
٧٣٥-----	صفة خروج الأمير رجب
٧٤١-----	رجعنا إلى تمام خبر الأمير رجب
٧٦١-----	رجعنا إلى أخبار قانصوه
٧٧٠-----	ذكر وقعة نجد مخيرب
٨٠٢-----	فصل نذكر فيه ما اتفق من الحوادث والأخبار بعد هذه الوقعة
٨١١-----	فهرس المحتويات